عمان

سير دونالد هولي

كتاب عمان ونهضتها الحديثة هو واحد من أكثر الكتب التي نشرت عن سلطنة عمان شمولا ويتناول العديد من النواحي التاريخية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية عنها. وقد تم نشر الكتاب لأول مرة في عام ١٩٧٦، وجرى إعادة كتابته وتحديث معلوماته بشكل موسع من قبل المؤلف في طبعة "اليوبيل الفضي" لجلالة السلطان قابوس بن سعيد، الذي أمر في إعداد الترجمة العربية لهذه الطبعة بواسطة نخبة من الأساتذة الباحثين في جامعة السلطان قابوس.

وقد تناول الكتاب تاريخ عمان الحديث بشيء من التفصيل كما عرض المحتوى التاريخي القديم لعمان مبتدأً من فترة تعود الى خمسة الآلاف عام تقريباً حينما كانت تعرف آنذاك بمجان. وقد تتبع الكاتب فيها آثار العلاقات التجارية القديمة لعمان وثرواتها على مر العصور. كما تناول حياة السكان وموارد البلاد الطبيعية والنباتية والحياة البرية فيها بجميع اختلافاتها.

وقد زود الكتاب بالصور والخرائط والرسوم البيانية للمساعدة في توضيح وإسهاب النص.

ويؤمل أن تعود هذه الخلاصة المعرفية الوافية عن عُمان بالفائدة على القراء العمانيين وغيرهم من القراء العرب.

لقد كان المؤلف، السير دونالد هولي أول سفير بريطاني مفوض لدى جلالة السلطان قابوس في عام ١٩٧١. وقد واصل اهتمامه وتعلقه بعمان منذ ذلك الوقت ولم يصبح طالباً متحمساً للبلد فحسب، بل مرجعاً يشهد بمعرفته عنها. وهو يحمل شهادتي دكتوراه فخرية بالآداب من جامعة ديدينغ والقانون المدني من جامعة ودارام. وتشمل مؤلفاته الأخرى كتب **الإمارات المتصالحه**، **آداب اللياقة في عُمان ومنطقة الخليج**، **العادات والتقاليد الحميدة في الشرق الأوسط** و**طرق الرمال في السودان**.

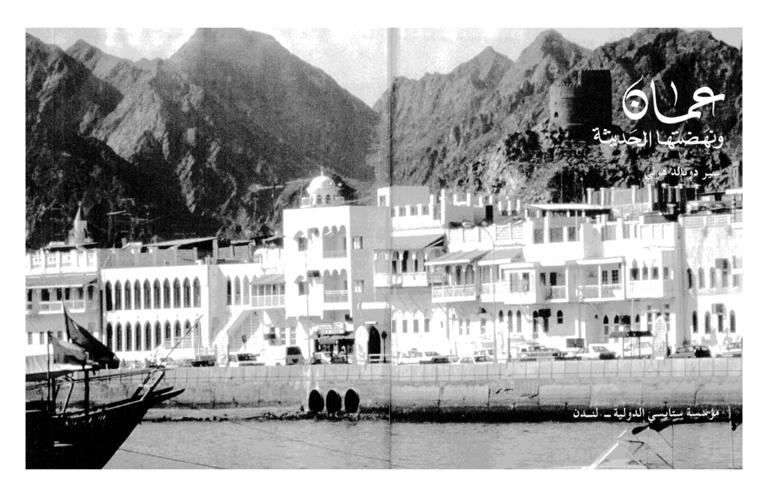
صورة الغلاف: **محمد مصطفى**

Stacey International
128 Kensington Church Street
London W8 4BH

ISBN 1 900 988 089

عمان
ونهضتها الحديثة




عمان
ونهضتها الحديثة
سير دونالد هولي
مؤسسة ستايسي الدولية ـ لندن

الى روث، ساره، كارولين، سوزان وكرستوفر الذي ولد في عمان

عمـــان
مؤسسة ستايسي الدولية
١٢٨ كنسنجتون تشيرتش ستريت
لندن دبليو ٨
تلفون: ٧١٦٦ ٢٢١ - ٠١٧١
فاكس: ٩٢٨٨ ٧٩٢ - ٠١٧١

المحرر
انتوني جايز
المدير الفني
جوانيتا جراوت
المحرر الفني
مارك بيتر
ادارة المشروع
كيتي كراثرز
الخرائط والرسومات
مؤسسة ستايسي الدولية
الخرائط
اندراس بيريزني

تنضيد: **اورورا برس لمتد - لندن**
طباعة وتجليد: **باث برس - باث - انجلترا**

رقم السجل: ٠٨٩ ١٩٠٠٩٨٨

ترجـمـة :

عبدالله الحراصي
محمد البلوشي
فوزية السيابي

مـراجـعـة :

د. سمير هيكل

اقـــرار

جميع النص الوارد في هذه الطبعة الجديدة هو من تأليفي وأنا اتحمل المسؤولية الكاملة عنه، غير أنني لم اكن لأتمكن من حصره وتقديمه في هذا الكتاب دون الاستعانة بالكم الكبير من المصادر العلمية والابحاث الاخرى التي تم نشرها في العقدين الماضيين والعون الذي قدمه لي العديد من الأفراد. وأود ان اتقدم بالشكر لجميع الذين ساهموا بشكل او بآخر في تمكيني من تزويد هذا الكتاب بأحدث المعلومات وفي مراجعة تطور نهضة عمان منذ عام ١٩٧٠. لقد قمت بإضافة المصادر التي أعتمدت عليها في تأليف هذا الكتاب الى قائمة ثبت المراجع. ولا يسعني إلا ان أشيد بالجهود القيمة التي بذلها المستر رالف ديلي في تزويدي بالمصادر للعديد من طبعات هذا الكتاب والثناء على دوره في اجراء التعديلات على النص الأصلي ولإثارته انتباهي للمواد المنشورة سابقا والتي لم تنشر بعد. وأتوجه بشكري الجزيل لوزارة الاعلام التي ساهمت في تسهيل مهمة ابحاثي الاضافية. وكذلك أخص بالفضل المستر ديفيد أنسال الذي وافق مشكورا على نشر صورة معاد طبعها لمدينة مسقط القديمة. كما أعبر عن امتناني للمستر توم ستايسي ومساعدته السيدة كتي كاروثرس وجميع العاملين في مؤسسة ستايسي الدولية الذين تلقيت منهم الكثير من المشورة الحسنة والمساعدة الحقة في إعداد وتصميم هذا الكتاب وتزويده بجميع الخرائط والصور. والى جميع هؤلاء أنا مدين بالفضل لما قدموه لي من عون وما أبدوه تجاهي من لطف. وسأبقى ممتنا لجميع الذين ساعدوا على نشر النسخة الأصلية من هذا الكتاب والذين خصصتهم بشكري وتقديري في الطبعات السابقة منه.

يعرب الكاتب عن تقديره الخاص لمركز تصويرالوادي الكبيرعلى مساعداته الحثيثة ويهيب بكفاءة منتسبيه الفنية العالية ويخص بالشكر قسم التحميض ومختبر الألوان، كما يشيد بالمهارات المتميزة لمصورمهمات البحوث السكانية للمركز آرثر ثيفينارت الذي قام بتصوير الصور الواردة في هذا الكتاب وفقا لتوجيهات مركز التصوير.

يتقدم الناشر بالشكر للفنانين المدرجة اسمائهم ادناه لموافقتهم على منح حق إعادة طبع الصور الزيتية والرسوم التي تظهر على الصفحتين ١١٢ - ١١٣ : كارولين ليس، ١١٢ (٣)، ١١٣ (أعلى) : ستيوارت سيمس ١١٣ (أعلى) .

ويقر الناشر بالفضل الكبير لجميع السادة والشركات المدرجة ادناه :
معالي المرحوم الشيخ بريك بن حمود الغافري ، معالي عبدالله الغزالي، علي هلال المعمري، محمد الريامي، معالي عبدالعزيز الرواس، سمو السيد فهد بن محمود آل سعيد، معالي محمد بن موسى اليوسف، غازي الزدجالي، معالي المرحوم قيس عبد المنعم الزواوي، معالي محمد الزبير، معالي الشيخ عامر بن علي بن عمير، أنتوني آشورت ، آسبري أند كول لمتد، مارشال الجو سير إيرك بنيت، الدكتور فيليب بلير، كينيث بريزر، تيموثي كلان، منصور العامري، الدكتور د. بوش، ريتشارد كارينغتون، سيت كولور ليمتد، المرحوم الكولونيل مالكوم دنيسون، مايكل جلافر، الدكتور ديفيد ل. هاريسون، إيان هندرسون، ديرك هنري، رودي جاكلي، موريسون جونستون، رودريك أند جيجي جونز، جيفري لامب، بيتر مايسون، او بي إي، محمد مصطفى، وزارة الإعلام في سلطنة عُمان، المرحوم دبليو . دي بيتون، تشاك برنجل، ريبكا ريدلي، مايكل رايس أند كو ليمتد، كمال سلطان، ديفيد تاذم، سي ام جي، تاونسند، والي صور، آن وليامز، المرحوم اندرو وليامسون.

تتقدم مؤسسة ستايسي انترناشينال بالشكر الجزيل للناشرين الذين أبدوا موافقتهم على اقتباس بعض النصوص من الكتب المدرجة أدناه : إيان سكيت «مسقط وعُمان» (فيبر أند فيبر)، ويلفرد ثيسيجر «الرمال العربية» (لونجمان)، برترام توماس «ارتياعات ورحلات في الجزيرة العربية» (ألن أند أنون) وألن فليرز «أبناء السندباد» (هودر اند ستاوتن).

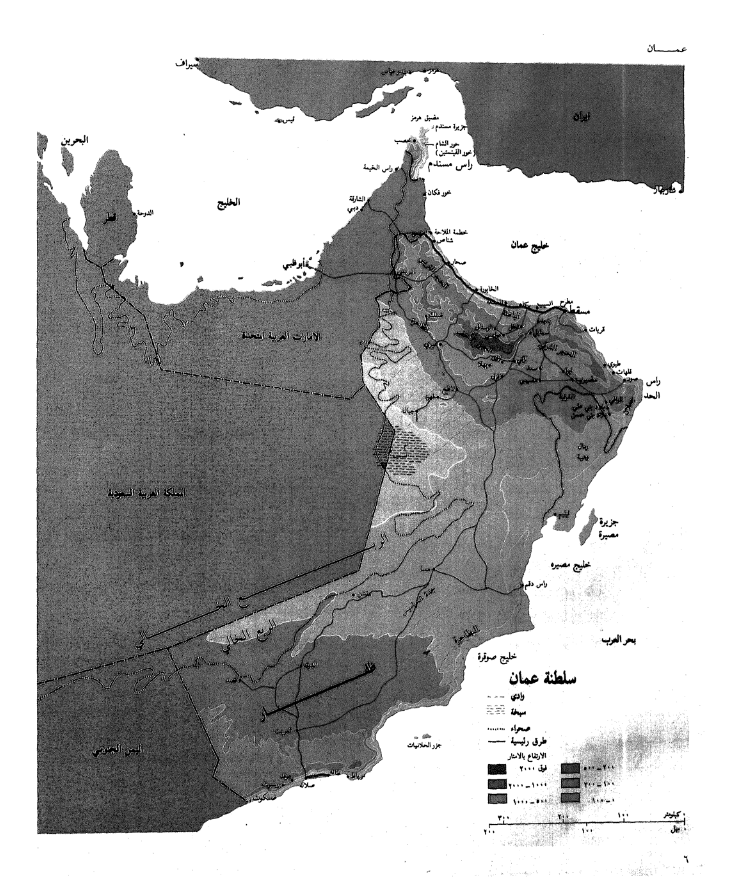
يعبر الكاتب عن تقديره الكبير لجميع اساتذة جامعة السلطان قابوس الذين ساهموا في ترجمة هذا العمل .

أتوجه بشكري أيضاً إلى معالي الوزير يحيى بن محفوظ المنذري لاهتمامه الخاص بهذا المشروع .

المحتويـات

الخرائـط

رسوم توضيحية


ايران
البحرين
قطر
الدوحة
الخليج
مضيق هرمز
جزيرة مسندم
خصب
خور الشام
(خور الفكستين)
راس مسندم
راس الخيمة
خور فكان
الشارقة
دبي
أبوظبي
خطمة الملاحة
شناص
خليج عمان
الخابورة
مطرح
مسقط
قريات
طيوي
قلهات
صور
راس
الحد
الامارات العربية المتحدة
المملكة العربية السعودية
رمال
وهيبة
جزيرة
مصيرة
خليج مصيره
راس دقم
بحر العرب
خليج صوقرة
الربع الخالي
جزر الحلانيات
اليمن الجنوبي
صلالة
سلطنة عمان
وادي
سبخة
صحراء
طرق رئيسية
الارتفاع بالامتار
فوق ٢٠٠٠
١٠٠٠ ـ ٢٠٠٠
٥٠٠ ـ ١٠٠٠
٢٠٠ ـ ٥٠٠
١٠٠ ـ ٢٠٠
٠ ـ ١٠٠
٠ كيلومتر
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠
٠ ميل
١٠٠
٢٠٠

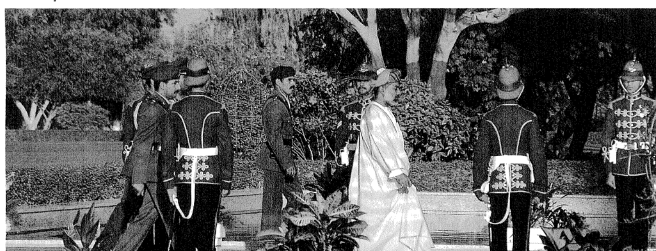
المقدمـــــــة

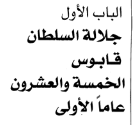
تشرف عمان منذ آلاف السنين على طرق التجارة البحرية بين الشرق والغرب. وكانت بمثابة حلقة الوصل بين شبه الجزيرة العربية وأفريقيا، كما عُرف بحارتها في موانيء العالم في حين اشتهر تجارها بين ملاحي البحار. لكن الأنماط ما فتأت أن تغيرت فحلت السفن البخارية محل السفن الشراعية، ثم ما لبثت عمان أن غرقت في غياهب النسيان. إلا أن الأمور قد عادت ودارت دورتها من جديد في الثلث الأخير من القرن العشرين.

وبعد أن آلت مصادر البلاد المعدنية إلى أيدي حكومة قوية أمينة استعاد العمانيون قوتهم وشخصيتهم من جديد، وأعيد اكتشاف كنوز التراث العماني وتمت المحافظة عليها. كما استعادت المواقع شهرتها التي فقدتها، وحلقت في الآفاق من جديد سمعة عمان التي عرفت بطيبة شعبها وجمال موانئها.

وتشهد عمان في الوقت الحاضر فترة تحول تثير الإعجاب حيث حل السلام محل الحروب، والازدهار والرفاهية محل الفقر، وسطع شعاع الأمل من بين لجج الوهم وفتور الهمة ، وآلت عزلة عمان إلى نهايتها، وعادت السفن لتصطف من جديد في موانئها. كما نمت وتطورت علاقاتها مع الدول العربية والصديقة، وغدت على المستوى الدولي مرادفا للرأي البصير الذي تسنده القوة، حيث استعادت السلطنة العريقة بعون الله مكانتها المرموقة على المسرح العالمي.

جلالة السلطان قابوس في حدائق قصره





الباب الأول
جلالة السلطان قابوس
الخمسة والعشرون عاماً الأولى

استردت عمان أنفاسها من جديد على يدي جلالة السلطان قابوس الذي تولى زمام الحكم عام ١٩٧٠، وتحت ظل قيادته المستنيرة والعملية، وبثروة متواضعة تأتي من استغلال المصادر الطبيعية سرعان ما تحولت لتصبح دولة عصرية موحدة تتميز بطبيعتها المسالمة وبإدراكها لغاياتها وبدفاعاتها الحصينة. ولا بد من التأكيد على ان عمان مخلصة لقيمها التاريخية وهاهي اليوم تعانق القرن القادم بثقة وعزيمة صادقة.

مقر الحكم : قصر العلم بمسقط . من الجهة البحرية ، تتخطى صروح القصر الواجهة المائية المحاذية لها.

جلالة السلطان قابوس بن سعيد الخمسة والعشرون عاماً الأولى

يعتبر جلالة السلطان قابوس بن سعيد الحاكم الثاني عشر من السلالة البوسعيدية ، حيث تقلد جلالته مقاليد الامور في سلطنة مسقط وعمان بعد أبيه السلطان سعيد في الثالث والعشرين من يوليو ١٩٧٠. وقد كان اسم السلطنة آنذاك يوحي بانعدام الوحدة ، ولكن السلطان الجديد أبرز على الفور إيمانه ورؤيته للمستقبل بتسميته الجريئة للبلاد باسم "سلطنة عمان"، وكان من المؤكد منذ ذلك الحين أن النجاح بتوفيق من الله سوف يكلل بهذا الإعلان الجريء.

المشهد عام ١٩٧٠

لم تكن سلطنة مسقط وعمان محمية بريطانية كسائر دول الخليج ، لكنها كانت واقعة تحت ظل الحماية البريطانية ، حيث اعتبرت بريطانيا هذا الأمر منطوياً على مفارقة تاريخية فقد رغب السلطان سعيد في أن تظل الأمور على ما هي عليه ، ولم يتخذ أية خطوة سعيا لكسب الاعتراف الدولي ببلاده على الرغم من أنها كانت مستقلة آنذاك كما كانت دائما. وقد أدت وفاة الإمام الشيخ محمد بن عبدالله الخليلي عام ١٩٥٤ إلى اختلال معادلة التوازن بين السلطان الذي كان يمارس سلطاته في المناطق الساحلية والإمام الذي كان يمثل القيادة الفعلية في عمان الداخل.

وفي ذلك الحين تم انتخاب الشيخ غالب بن علي إماما، حيث أخذت مطامح الانفصال في الظهور بجلاء على السطح ، فبرزت المتاعب العسكرية والسياسية بتحريض من طالب الذي كان أخاً للإمام حيث قام بالتحالف مع الشيخ سليمان بن حمير من قبيلة بني ريام والشيخ صالح بن عيسى من قبيلة الحرث في

في الخط الامامي لميدان المعارك في ظفار بمطلع السبعينات، اولى جلالة السلطان الشاب جلّ عنايته لاحتياجات شعبه الفتي .





الشرقية، وكان الهدف من وراء ذلك هو إقامة الإمامة ككيان مستقل عن حكم السلطان بتأثير يطمحون من خلاله إلى إمكانية اكتشاف النفط في المنطقة التي كانت تسعى الإمامة إلى السيطرة عليها. ولكن الهزيمة لحقت في عام ١٩٥٩ بقوات طالب التي رفعت راية "حركة الثورة العمانية"، وذلك حينما تم زحزحة المتمردين من مكان اعتصامهم في الجبل الأخضر. واستمرت الحرب الإعلامية ضد السلطان من الخارج على أيدي غالب وطالب والشيخ سليمان والشيخ عيسى الذي غدا الناطق بإسم "إمامة عمان" في القاهرة في أيام الرئيس جمال عبدالناصر.

وقد قامت الإمامة بافتتاح مكاتب لها في كل من القاهرة ودمشق والرياض وبيروت، ورفع مؤيدو الإمامة "القضية العمانية" إلى الأمم المتحدة، ولكن الفشل كان حليف المحاولة التي سعت إلى مناقشة القضية في مجلس الأمن عام ١٩٥٧، حيث أدرجت القضية ضمن جدول أعمال الجمعية العمومية عام ١٩٥٨، وتمت إحالتها عقب ذلك وبشكل سنوي إلى لجان متعددة للتداول. هكذا كان الوضع الذي ورثه جلالة السلطان قابوس.

غير ان معارضة السلطان لم تقتصر على العمانيين الذين ارتبطوا بالإمامة فحسب، فقد كان ثمة عدد كبير من المنفيين الذين عارضوا حكم السلطان سعيد، وكان من ضمن هؤلاء اثنان من أعمام جلالة السلطان قابوس وهما السيد طارق بن تيمور وهو أكبر أخوة السلطان سعيد عمرا وأكثرهم نفوذا وتأثيرا، والسيد فهر بن تيمور. وقد فقد كثير من الشباب العماني الأمل في الإمكانيات التعليمية المحدودة التي كانت توفرها المدارس الثلاث الوحيدة في البلاد، ولذا فقد سعوا إلى طلب العلم في الخارج وبخاصة في العراق ومصر والاتحاد السوفيتي، وقد تأجج نفورهم من الأوضاع التي كانت تعيشها بلادهم من جراء المواقف الشعبية في البلاد التي استضافتهم، ولم يكن أمام بعضهم من خيار سوى الانضمام إلى الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي والجبهة الديمقراطية القومية لتحرير عمان والخليج العربي اللتين تكشفان من خلال اسميهما عن المقاصد الثورية التي كانتا تسعيان إلى تحقيقها.

في قصر الحصن بصلالة تنال موسيقى الحرس السلطاني في المناسبات إعجاب الجماهير واستحسانهم. وتتوفر لدى كل القوات المسلحة النظامية فرق موسيقية خاصة بها.

ومن هذا المنطلق كان لزاما على جلالة السلطان قابوس أن يكسب أصدقاء له في الخارج، فقد كانت عمان ما تزال معتمدة على الدعم البريطاني الذي اعتبره البعض حجر عثرة أمام السلطان السابق، غير أن الاعتراض على هذا الدعم الآتي من أقدم حلفاء عمان أخذ في التقلص على نحو ثابت من قبل مراقبي الفريق الثالث في العالم العربي، أما في عمان نفسها فقد وجد جلالة السلطان قابوس نفسه أمام بلاد أنهكها "استنزاف العقول" إضافة إلى انعدام الخدمات والبنية التحتية التي تشكل قوام الدولة العصرية. ومن قبل كان السلطان سعيد قد قام بإدخال عدد كبير من التحسينات في أوضاع البلاد، وقد مكنه من ذلك عائدات النفط الأولية حيث اندفع بعزيمة أقوى مما كانت تسمح به حالة الفقر السابقة التي كانت تسود بلاده.

لقد قام جلالة السلطان قابوس بمواجهة التمرد في ظفار، ذلك التمرد الذي أدى إلى تسريع وتيرة الأحداث التي أدت إلى توليه الحكم، وقد استمرت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في إثارته بدعم من الصين والاتحاد السوفيتي والعراق والمانيا الشرقية، كما ظهرت في الساحة السياسية مشكلة استلزمت حلا، ذلك أن التمثيل "الدبلوماسي" العماني الوحيد في الخارج كان للإمامة المعارضة، وكان ثمة نقص في الأيدي العمانية المتوفرة التي كان يتوجب أن تقوم بالأعمال المطلوبة، وكانت الحاجة إلى الشجاعة في أشدها حينما تولى جلالة السلطان الحكم – تلك الشجاعة التي لم يكن جلالته ليفتقدها.

الخطاب الأول والتحديات

في التاسع من أغسطس عام ١٩٧٠ وجه جلالة السلطان قابوس خطابا هاما لشعبه، وكان ذلك الخطاب هو الأول في سلسلة الخطابات الهامة التي بدأ يلقيها في العيد الوطني كل عام. وفي خطابه الأول أعلن جلالة السلطان عن اسم البلاد الجديد، وعن نيته في تغيير العلم الوطني، إضافة إلى إعلانه أن العمانيين لن يفرقوا في المستقبل بين الساحل والداخل ومقاطعة ظفار الجنوبية. وبهذا فقد أعلن عن طموحاته فيما يتعلق بوحدة "سلطنة عمان"، كما أعلن جلالته عن تعيينه للسيد طارق بن تيمور رئيسا للوزراء في حكومة جديدة، ورفع الكثير من القيود التي أثقلت كاهل الشعب في الماضي وعن خطط التنمية المستقبلية.

وكان التحدي يتمثل في تحويل عمان إلى دولة عصرية عن طريق استخدام عائدات النفط المتنامية وخلق جو من سلم وأمن داخليين، ورد كيد الهجمات التي كانت تثار من خارج البلاد، وجذب أصحاب المواهب من العمانيين غير المتمردين عن طريق إقناعهم بميلاد عهد جديد، وكسب اعتراف الدول العربية وغيرها. وقد كان الترابط بين هذه الأهداف وثيقا.

وعقب تولي جلالة السلطان قابوس زمام الحكم تلقى برقيات التهنئة والتمنيات الصادقة من الملك فيصل عاهل السعودية والملك حسين ملك الاردن وحكام دول الخليج مما دفع جلالة السلطان الشاب كي يعقد العزم على إقناع الدول العربية بوجود تغيير جذري في التوجهات والأساليب التي ادخلها. وبنهاية ١٩٧٠ أرسلت عمان بعثات ذات نوايا حسنة إلى العالم العربي والدول الأخرى لعرض الرؤية الجديدة للأمور داخل

عمان ، ولحشد التأييد من أجل قبول السلطنة في الجامعة العربية.

وكان على رأس إحدى هذه البعثات الشيخ سعود بن علي الخليلي الذي عين أول وزير للتربية ، وكان لذلك مغزى كبير حيث أن عائلته كانت من الأسر المرموقة في عمان ، فقد كان هو نفسه من المدافعين عن الإمامة في الماضي. وقد زارت هذه البعثات كلا من مصر و سوريا ولبنان والعراق والسعودية واليمن والأردن والكويت وليبيا والسودان والمغرب والجزائر وتونس، وعلى الرغم من الاستقبال الحار الذي لاقته هذه البعثات فلم يكن من اليسير آنذاك استمالة كل الحكومات فورا وخصوصا حكومات تلك الدول التي يوجد بها مكاتب للإمامة.

ومع ذلك فقد أودعت طلبات الانضمام إلى الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة وكان النجاح حليفها. وهكذا أصبحت عمان الدولة السابعة عشرة في الجامعة العربية وتغلب مجلس الأمن بسهولة مدهشة على مشكلة إدراج "قضية" عمان، كما أوصى بالإجماع بقبول طلب عمان في الأمم المتحدة. وفي السابع من أكتوبر تم إقرار ذلك من قبل الجمعية العامة، ولم يصوت ضد القرار سوى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية التي اتخذت نفس الموقف في الجامعة العربية. وقد اعتبر ذلك نجاحا مؤزرا وباعثا على الابتهاج حيث حصلت السلطنة على الاعتراف الدولي بأسرع مما كان متوقعا. ولكن كان هناك درب شاق أمام جلالة السلطان وحكومته لا بد من اجتيازه.

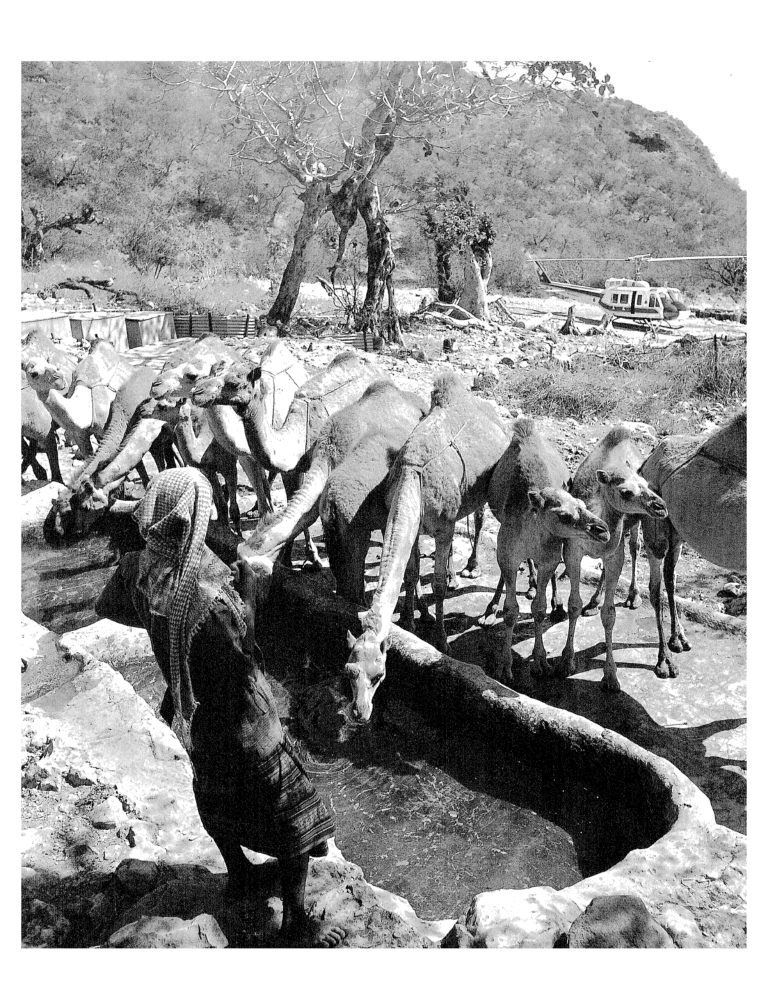
الحرب في ظفار

لقد كان التحدي الرئيس أمام مستقبل عمان مرتبطا بظفار على الرغم من العفو الذي أصدره جلالة السلطان عن معارضي الحكم السابق ، ورغم الحملات الجادة التي كانت تخاطب العقل والقلب والتي سارت جنبا إلى جنب مع المعارك الحربية. وفي الحقيقة فقد اشتد نشاط المتمردين الذين تؤيدهم جمهورية اليمن

(الصفحة المقابلة) طائرة مروحية تابعة للشرطة تترجم ما تقدمه الشرطة – بالتعاون مع جميع أجهزة القوات المسلحة الأخرى – من خدمات ومساعدات مدنية للمناطق النائية بمحافظة ظفار ، حيث استتب الأمن.

تحت: دورية عسكرية أثناء عودتها بعد مهمة ضد الثوار الشيوعيين (الماركسيين) في ظفار وقت الحرب بمطلع السبعينات.





الديمقراطية الشعبية ودول أخرى لمدة عامين متتاليين، فقد كانت صلالة نفسها واقعة في دائرة الخطر.

وما لبثت كفة التوازن العسكري أن رجحت لصالح جلالة السلطان في الفترة من عام ١٩٧٢ إلى ١٩٧٥ ، وقد تم ذلك من خلال نشر القوات البرية ، ومن خلال الحصول على طائرات عمودية وطائرات نقل ودعم للبحرية السلطانية. لقد حدث هذا التغيير حينما انتصرت قوات السلطان في معركة مرباط عام ١٩٧٢ حين تمكنت للمرة الأولى من البقاء في جبل القرا طوال فترة الرياح الموسمية (في فصل الخريف). ورغم ذلك فلم تستطع قوات السلطان لفترة وجيزة من الزمن السيطرة على كل مناطق الجبل الشاسعة الوعرة ، وذلك على الرغم من امتداد الدفاعات الخارجية للسلطنة إلى صرفيت على الحدود بين عمان واليمن بالقرب من الحوف ، وقد تم التغلب على هذه المشكلة من خلال زيادة القوات العمانية المسلحة ، والترحيب بالقوات الإيرانية التي انضمت للخدمة في القوات المسلحة وكذلك من خلال المساعدة التي تقدمت بها الأردن ، إضافة إلى زيادة المعونة المستمرة التي كانت تتلقاها عمان من بريطانيا والمتمثلة بالتعاقد وتدريب ضباط الجيش والبحرية وسلاح الجو وإرسال فرق عسكرية بريطانية للتدريب العسكري وبعض وحدات العمليات الدفاعية.

وقد انضم كثير من المتمردين السابقين إلى صفوف الحكومة بعد أن أبصروا بأعينهم مظاهر التنمية الآخذة بالازدهار والاهتمام برفاهية المواطنين. وهكذا فقد تجلت مصداقية جلالة السلطان الذي حول وعوده إلى واقع ملموس ، وتنامت في ذات الوقت كراهية الظفاريين للسبل التي كانت تنتهجها القوات المتمردة التي أصبحت شيوعية الميول في ذلك الحين، وعلى إثرها فقد أحرزت الحملة نجاحا في عام ١٩٧٥ نتيجة للإجراءات العسكرية والمدنية التي تم اتخاذها، وهكذا أعلن جلالة السلطان في ١١ ديسمبر ١٩٧٥ انتهاء الحرب ، وما كانت هذه النهاية السعيدة لتتحقق دون العون المعنوي والمساعدات المالية التي قدمتها بعض الدول الشقيقة المجاورة مثل الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية. ولعام أو عامين بعد ذلك كانت قلة من المتمردين تجد صعوبة في التحول عن نمط الحياة الذي ألفوه واعتادوا عليه، غير أن التيار كان قد انحسر فعادت الأرض وانضم المتمردون السابقون إلى الصفوف العمانية.

طبيعة الحكومة

ما كانت السلطنة لتحرز هذا التقدم في الشؤون الدولية لو لم يكن نظام الحكومة في عمان موضع ثقة الدول الأخرى. وفي عام ١٩٧٠ قبل تولي جلالة السلطان قابوس مقاليد الحكم كانت الحكومة تدار إلى حد كبير من قبل جلالة السلطان شخصياً ومن خلال وزير داخليته ومجموعة من كبار الموظفين وولاة المناطق



في هذه الصور، التي تعود إلى بداية السبعينات يبدو والي نزوى المشرف على المنطقة والممثل المحلي للحكومة المركزية وهو يقضي بين الناس لحل مشاكلهم وتسوية النزاعات التي ترد إليه من كافة انحاء المنطقة بعد البت فيها . ويبدو جالسا على يمين المدخل يتفحص دعوى مكتوبة رفعت إليه . أصبح هذا الوالي فيما بعد وزيرا في الحكومة . (ظهر الصفحة) كانت عادة الوالي أن يدير (البرزة) التي يجتمع فيها مع المواطنين.

خارج مسقط ، وكان هناك أيضا مكتب صغير لأعمال التنمية غير أن أثره على السلطنة كان محدوداً للغاية على الرغم من صدق النوايا والأهداف التي أنشئ من أجلها، وعلى الرغم من أن وجوده كان مفيدا خلال الفترة التي مارس فيها مهامه.

وعند تولي جلالة السلطان قابوس مقاليد السلطة أظهر رغبته في الحكم من خلال حكومة تتمثل بوجود مجلس وزراء. وعقب تعيينه لعمه السيد طارق بن تيمور رئيسا لها - رغم انه استقال في ديسمبر عام ١٩٧١ - فقد اختار عددا من الأعيان لإدارة الوزارات الأخرى ، وقد كان على الوزراء الذين عينهم - وما زال يعينهم - جلالته تولي مسؤولية كل جوانب الحكومة ما عدا وزارات الخارجية والمالية والدفاع والأمن الوطني، حيث احتفظ جلالة السلطان (وما زال يحتفظ) في يده بهذه الحقائب على الرغم من وجود نواب يقومون بإدارة هذه الوزارات: السيد فهر بن تيمور* نائب رئيس الوزراء لشؤون الأمن والدفاع، السيد فهد بن محمود (ومن بعده قيس الزواوي ويوسف بن علوي) وزير دولة للشؤون الخارجية، وفي مرحلة لاحقة تم تعيين قيس الزواوي نائبا لرئيس الوزراء للشؤون المالية والاقتصادية حتى وفاته عام ١٩٩٥م. كما تم تعيين الدكتور عاصم الجمالي– الذي كان أول طبيب عماني مؤهل في البلاد وذا خبرة عملية في دولة الإمارات العربية المتحدة– وزيرا للصحة.

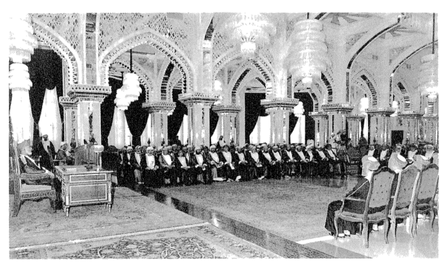
إن السلطة التنفيذية العليا حتى الآن تتمثل بمجلس الوزراء، ويستمد المجلس صلاحياته من جلالة السلطان وهو مسؤول مسئولية جماعية أمام جلالته. أما القوانين والمراسيم التي يصدرها جلالته فهي القوانين التي تسير البلاد وفقا لها ، وتعتبر المراسيم التي يصدرها والاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي يقرها جلالة السلطان سارية المفعول بصورة قانونية منذ تاريخ نشرها في الجريدة الرسمية. وقد كان رئيس الوزراء والوزراء يمارسون مهامهم في مبنى عصري صغير خلف القصر القديم في مسقط ، وكان من اليسير آنذاك دعوة جميع الوزراء والمسئولين للاجتماع فوراً في صباح يوم واحد فقط ، وكان لكل وزير مكتب تجاوره غرفة يعمل فيها كل الموظفين. وقد أدت هذه البداية الشجاعة إلى تشكيل التركيبة الحالية للحكومة التي تدعمها خدمة مدنية واسعة، وقد كان هذا عاملا مساعدا لإدارة الأعمال، ومن جانب آخر لرؤية الدول الأخرى لنظام الحكم الجديد في عمان إلى حد أنه منذ بداية حكم جلالة السلطان قابوس قام كثير من العمانيين من ظفار ومن الشمال باستغلال العفو الذي أصدره جلالته عام ١٩٧٠ على الرغم من استمرار رحى القتال ، وهذا ما مكن جلالة السلطان على نحو متزايد من تعيين ذوي المواهب في مواقع مختلفة في الحكومة الجديدة. ونتيجة لتلك السياسة الشجاعة والمتسامحة فقد أصبح بإمكان أولئك العمانيين الذين كان لديهم طموحات يبغون تحقيقها أن يعودوا متى يشاءون ليحققوها على أرض الواقع، ومن المؤكد أن هذا قد سهل جهود جلالة السلطان قابوس في لم شمل العمانيين ومنحهم وطناً يفتخرون به.

* انتقل إلى جوار ربه في نوفمبر ١٩٩٦م وخلفه السيد بدر بن سعود بن حارب البوسعيدي كوزير مسؤول عن شؤون الدفاع.

في غرفة (المجلس) بقلعة نخل المرممة حيث يقع المركز الإداري للولاية، يبدو الوالي الحالي وهو يدير احدى جلسات (البرزة) التي تنعقد عادة اسبوعيا. يمكن لأي مواطن أو مواطنة عرض أي مشكله لمناقشتها والبت فيها من قبل الوالي الذي يقوم بتنسيق أنشطة الحكومة وبتمثيل جلالة السلطان.

التنميـــة

وبعد ملء الوظائف الأساسية كانت الأولوية تتمثل في مباشرة خطط التنمية بتأثير أعظم من ذي قبل لإنشاء البنية التحتية للبلاد ، وفي المراحل الأولى من النهضة تركزت الجهود على نشر الخدمات الصحية والتعليمية ومد الطرق وإنشاء المطارات وتوفير مصادر المياه وتوزيع الكهرباء على المناطق النائية، وقد اتضحت



الحاجة الماسة إلى التعليم ولهفة الناس إليه على نحو شديد من خلال مدارس الخيام التي سرعان ما نمت وتطورت في كل ربوع عمان في عامي ١٩٧٠ و١٩٧١، حيث تم إحضار مدرسين بصورة خاصة من مصر ومن دول عربية أخرى ، كما تم افتتاح أول مستشفى كبير في نزوى كمقدمة للخدمات الصحية الشاملة الممتازة التي تتمتع بها عمان في الوقت الحاضر ، كما أنشئ ميناء في ريسوت بالقرب من صلالة ، في حين أخذت الطرق المعبدة تبدو ماثلة للعيان. وهكذا فقد بدأ يتحقق وعد جلالة السلطان قابوس لشعبه بالرفاهية والرخاء.

كما بدأت تطورات أخرى في الظهور للعيان بهدف تحسين مستوى المعيشة ، حيث تم افتتاح مطار السيب الدولي للعالم اجمع فحل بذلك محل مهبط الطائرات القديم في روي (كانت السبل المؤدية إلى المهبط على مقربة من الجبال تتميز بمشاهد مثيرة إلى حد أن إغلاقه حدا بشركة الملاحة الجوية الخليجية Chief Pilot of Gulf Aviation إلى القول إن إغلاق المهبط حرم المسافرين من رؤية آخر سمة ممتعة من سمات الطيران في المنطقة). وقد أنشئت أول الطرق السريعة التي تشكل الآن شبكة تربط كل أنحاء عمان بين مسقط والسيب ، كذلك تم الانتهاء من إنشاء ميناء عصري في مطرح بدلا من ميناء مسقط القديم الصغير ، كما نمت وتطورت من ناحية أخرى النظم الهاتفية وخدمات البريد والبرق والهاتف.

ومن هذه البداية الصغيرة المتسمة بالتصميم ، وعلى هدي من سلسلة الخطط الخمسية وصلت عمان العصرية إلى وضعها الحالي ، وأصبحت البلاد تحظى بأحدث الإمكانيات التي حافظت بها على شخصية الماضي وجاذبيته. وقد أنفقت مبالغ كبيرة جدا من عائدات النفط العماني في تأسيس البنية التحتية للبلاد. كما اتضح نجاح الخطط بصورة ظاهرة للعيان من

منذ عام ١٩٩١م ، يقوم مجلس الشورى – الذي لا يتضمن أي مقعد للحكومة فيه – بإسداء المشورة لجلالة السلطان . يتم انتخاب كل الأعضاء من قبل الولايات التي ينتمون اليها. يبدو في الصور جلالة السلطان مترئسا إحدى الجلسات .

استثمار العمانيين لدخلهم ، وبدا أن الإنفاق دليل على نجاح الاستثمار الحكيم طويل الأجل ، ولا يوجد ما يماثل هذا التوسع المضطرد في المباني والنشاطات المؤدية إلى رفاهية المواطن .

ثم نشأت مجموعة متطورة وحديثة من الوزارات الحكومية تقع في مبان متميزة بفنها المعماري في منطقة الخوير، ويبدو تنوع مهام هذه الوزارات بارزا من خلال أسمائها: الأمن والدفاع ، الشؤون الخارجية، ديوان البلاط السلطاني، المالية والاقتصاد، الداخلية، العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية، البريد والبرق والهاتف، المواصلات، التجارة والصناعة، النفط والمعادن، الزراعة والثروة السمكية، الصحة، الكهرباء والمياه، موارد المياه، التنمية، التربية والتعليم، التعليم العالي، التراث القومي والثقافة، الإعلام، البلديات الإقليمية والبيئة، الخدمة المدنية، الشؤون القانونية، الشؤون الاجتماعية والعمل. أما محافظة مسقط العاصمة – المتميزة بأهميتها النابعة من مساحتها ومن كونها مركزاً للدوائر الحكومية والتجارة والصناعة والمال – فتمتد الآن من قريات شمالا إلى السيب ، ويشرف على إدارتها وزير في مجلس الوزراء.

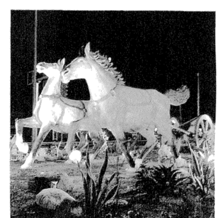
إن تناسق السياسات الوزارية يتم من خلال دوائر عدة أولها الاجتماع الدوري لمجلس الوزراء برئاسة جلالة السلطان أو ممثله الشخصي (أو نائبه لشؤون مجلس الوزراء) ، كما يوجد للمجلس أمين عام وهو عضو في مجلس الوزراء، وثانيها وزارة ديوان البلاط السلطاني التي تضطلع بمهام واسعة ضمن دائرة اختصاصها ، وثالث هذه الدوائر لجنة الدفاع (مجلس الدفاع الوطني سابقا) التي تقوم بالتنسيق بين أنشطة القوات المسلحة وشرطة عمان السلطانية، وجلالة السلطان هو القائد الأعلى لهذه اللجنة ، أما الدائرة الرابعة فهي مجلس التنمية الذي يخطط للأهداف والسياسات العامة للتنمية الاقتصادية ويشرف أيضا على خطط التنمية الخمسية.

ومن ناحية أخرى فقد أولى جلالة السلطان اهتماما بالحدائق والنوافير المائية وزراعة الأشجار والتجميل العام. وفي الحقيقة فإن لمسة جلالته تبدو واضحة في كل مناحي التنمية ، كما أن ذوق جلالته ليبدو جليا في التجانس العمراني في المباني الخاصة والعامة ذات التصاميم البديعة، وقد كان تدخل جلالته المبكر لوقف انتهاك حرمة العمران ومنع الذوق السيئ قد أظهرت حكمته حينما برزت بعض المؤشرات الخطرة في بداية عهده : ففي عام ١٩٧١ أدرك جلالته أنه لم يكن ثمة مكان إقامة مناسب لاستقبال قادة الدول الأخرى وغيرهم من الكبار، ولتحقيق هذا المطلب العصري الجديد فقد أنشئ قصر العلم في نفس موقع القصر القديم المواجه للبحر في مسقط ، ويشرف قصر العلم الآن على مسقط ويعتبر تاجا للمباني الجديدة الأخرى في مسقط كمبنى الديوان الذي بني على شاكلة بيت جريزة التاريخي المجاور، وبذلك فقد برزت للعيان حلقة ربط بين أساليب العمران العماني القديم والقصر الجديد المتميز بعناصره المستمدة من العمران الإسلامي.

الحكم المحلي والتمثيل الشعبي

في عام ١٩٧٠ كانت الحكومة خارج مسقط تدار من خلال الولاة الذين كانوا حكاما للاقاليم وممثلين للسلطان والحكومة المركزية في آن معا ، وكان الولاة في العادة أفرادا من الأسرة الحاكمة أو آخرين ممن كان لأسرهم باع في شغل المناصب. وكانت مصادر الولاة محدودة ولم يكونوا يتمتعون جميعا بوسائل تيسر لهم العمل في مناطقهم من مثل توفير سيارة (اللاندروفر) لتنقلاتهم على سبيل المثال ، وقد استمروا في نظام الحكومة القديم الذي كان يعتمد على الاجتماع في المجالس كل يوم للاستماع إلى قضايا الناس (عدا الأمور القضائية التي كانت من اختصاص القضاة) ، وكانوا يمارسون سلطتهم في مناطقهم بشكل عام ، وما إن مر عام أو عامان على تولي جلالة السلطان قابوس مقاليد الحكم حتى توفر للولاة مكاتب ومنازل عصرية حديثة ، مخلفين لموظفي الصيانة وعلماء الآثار تلك القلاع الحصينة الشامخة التي كانوا ينفذون فيها سلطتهم في مناطقهم. وهذا يعني ان دور الولاة قد جرى تعديله تمشياً مع هذا التغيير.

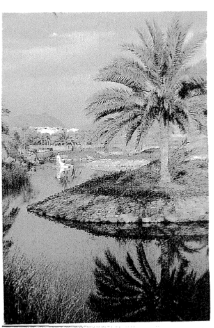
كما كان هناك ممثلون للدوائر الأساسية الحكومية



نحت بارز بمنطقة مسقط يعكس ارتباط العمانيين بالخيول في الماضي والحاضر.

في عواصم المناطق المهمة ، وكان من المعتاد وجود مدير إقليمي للتعليم ومدير لإقليم الصحة وعدد من الخبراء. أما منطقة ظفار التي يعتبر واليها أحد أعضاء مجلس الوزراء فيوجد فيها فرع كبير لكل وزارة حكومية، وتقع هذه الفروع في مبان بديعة الطراز في صلالة بهدف تقديم الخدمات الحكومية للمواطنين في المنطقة الجنوبية.

حديقة القرم الطبيعية، تعكس جمال عمان وحسنها .



وتتولى البلديات خارج مسقط مهام الحفاظ على البيئة والصحة البيئية والصحة العامة والماء والغذاء الصحيين والسيطرة على الآفات، وتشرف عليها وزارة البلديات الإقليمية والبيئة، إلا أن الوالي يبقى هو الممثل الرسمي لجلالة السلطان ومنسق الخدمات الحكومية في ولايته.

وهكذا فقد واكب تطور البلاد توسع في الخدمات الحكومية لتحقيق حاجات المواطنين في مسقط وخارجها.

وبعد الانتهاء من تشكيل الحكومة بوزاراتها المتعددة قرر جلالة السلطان أن الوقت قد حان لسماع أصوات المواطنين من خلال مؤسسة تم إنشاؤها رسميا، حيث أنشئ المجلس الاستشاري للدولة عام ١٩٨١ ليكون الخطوة الأولى في طريق التمثيل الشعبي، حيث ضم ٥٥ عضوا من بينهم بعض الموظفين الحكوميين. ويعتبر إنشاء هذه المؤسسة العصرية مؤشراً للسماح بالتعبير عن الآراء تطويرا للتقاليد المتمثلة في إمكانية الوصول إلى السلاطين والولاة في السابق، وهو تقليد عميق الجذور في المجتمع العماني.

وكان إنشاء مجلس الشورى عام ١٩٩١ خطوة أخرى في طريق الديمقراطية. ومجلس الشورى عبارة عن هيئة تعنى بتقديم المشورة ولا يوجد بها أعضاء من الحكومة، ويتكون المجلس من ٥٩ عضوا يكون اختيار كل منهم من بين الثلاثة الذين تتم تسميتهم من قبل المواطنين تحت إشراف أشخاص يتمتعون بالاحترام والتقدير في الولايات، ويجري تعيين هؤلاء الأعضاء رسميا من قبل جلالة السلطان، ويشارك المجلس مشاركة مباشرة تزيد على مشاركة المجلس الاستشاري في مناقشة تفاصيل الخطط الحكومية، وتتمتع لجانه الدائمة والمتخصصة بالعديد من السلطات الواسعة المتمثلة في النظر بالمواضيع المختلفة ومناقشة الوزراء حول أداء وزاراتهم.

دور المرأة

كان دور المرأة في الماضي في كثير من ربوع عمان أكثر ارتباطا بالبيئة المحلية مما هو عليه في مناطق أخرى من العالم العربي ، وقد أظهر لها جلالة السلطان عطفا من خلال بصيرته النافذة بإيمانه بوجوب أن تقوم المرأة بدور بناء في الحياة العامة، ومن هنا فقد طور جلالة السلطان هذا التقليد، فقامت المرأة العمانية منذ الأيام الأولى للنهضة بالخدمة في جهاز شرطة عمان السلطانية وشغلت مناصب عليا فيه إضافة إلى الجهات الحكومية الأخرى المتمثلة بمجال التعليم، وقد حصلت بعض النساء العمانيات على منصب وكيل وزارة كما سمح للمرأة عام ١٩٩٤م للمرة الأولى بالمشاركة في انتخابات الولايات لعضوية مجلس الشورى وأن تصبح عضوا ممثلا فيه.

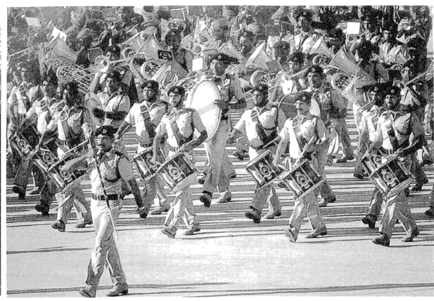
لمسات جلالة السلطان قابوس الشخصية

إن نهج جلالة السلطان المتفتح بصورته العامة والشخصية يبدو بارزا للعيان في كل أعماله ، وبسبب بصيرة جلالته الثاقبة وسعيه الدائم للكمال فإن لمساته لم تكن على طراز المباني الحديثة فحسب ، بل إن اهتمامه شمل ترميم المباني العريقة في السلطنة. وفي عام ١٩٧٢ لم يكن في عمان كلها من يستطيع أن يعرف نغمة موسيقية واحدة على أي أداة من أدوات الأوركسترا ، ولذا فقد قرر جلالته إنشاء فرقة موسيقية عسكرية ذات طراز رفيع كانت هي التي ساهمت بعد سنوات قليلة من إنشائها بالمشاركة في عرض (التاتو) في ادنبره بسكوتلندا في ١٩٨٤ : حيث جذبت الأنظار إليها بآلاتها النحاسية وقربها الموسيقية وطبولها وأناقتها المتمثلة في عروضها الباهرة ، وفي كل هذا يمكن تقصي لمسات جلالة السلطان الشخصية حيث نما لديه في أثناء فترة تعليمه في إنجلترا حب لكل ضروب الموسيقى وخصوصا الموسيقى العسكرية وآلة الأرغن الموسيقية.

وقد ألهمه حب الموسيقى إنشاء الأوركسترا السيمفونية السلطانية العمانية التي تضم شبابا عمانيين وشابات عمانيات يعاونهم موسيقيون موهوبون من الخارج، قاموا بتدريب الموسيقيين العمانيين منذ نعومة أظفارهم ، وهذه خطوة جديدة بالملاحظة، حيث



منذ البواكير الأولى لتوليه مقاليد الحكم ، حمل جلالة السلطان الشاب على عاتقه مسؤولية تعليم الفتيات بصورة موازية للتي أولاها للفتيان، كما سعى إلى توفير فرص جديدة للمرأة لتدخل ميدان العمل كهذه الشرطية التي نراها هنا على سبيل المثال .



موسيقى عمان العسكرية (أعلى) سجلت مقاييس جديدة على الصعيد العالمي. كما برزت أيضا بصورة تسترعي الانتباه الأوركسترا السيمفونية السلطانية العمانية (أسفل) التي تتكون من فتيان عمانيين و فتيات عمانيات من خلال تقديمها للعديد من المقطوعات الغربية والشرقية لجمهور الحاضرين.

(ظهر الصفحة) : يهتم الشاب العماني بالمحافظة على الفروسية كاحد اهم المظاهر والمهارات التي يجب أن يتحلى بها الرجال.



أن لدى معظم الدول العربية فرقا موسيقية عسكرية حسب النمط الغربي، أما عمان فتنفرد بكونها الدولة العربية الوحيدة التي توجد فيها فرقة اوركسترا سيمفونية، لها كما للفرق الموسيقية العمانية الأخرى سجلها الخاص الذي يشتمل على موسيقى الشرق والغرب، كما أن هناك مؤلفين موسيقيين مختصين يقومون بكتابة النوتات الموسيقية لهذه الفرق الموسيقية العمانية.

وسعي جلالة السلطان للكمال واضح أيضا في تأسيس جامعة السلطان قابوس التي اعتبرت منذ إنشائها "أكسفورد عمان"، وقد أعلن عن المشروع في عام ١٩٨٠ في الذكرى العاشرة للعيد الوطني ، وانتهى إنشاء الجامعة في سبتمبر ١٩٨٦ حيث تم قبول أول دفعة من طلابها ، وقد صممت الجامعة في مبانيها الرائعة ليعيش الطلبة والطالبات على جانبين متقابلين في الحرم الجامعي البديع، لكنهم يشتركون جميعا في مرافق التدريس والبحث، وقد حققت الجامعة المستويات العليا خلال عقدها الأول ، كما تأكد ان الجامعة قد حققت المعايير العليا على نحو سريع من خلال اعتراف الكليات الطبية الملكية في بريطانيا بشهادتها الطبية، وباعتراف الدول الأخرى بالتخصصات التي توفرها.

وتوافقا مع هذا التطور فقد فتح جلالة السلطان الأبواب للبحث العلمي الذي كانت عمان مغلقة في وجهه فيما مضى ، ولتحقيق هذا الهدف قدم من دول عديدة علماء الآثار وغيرهم من العلماء المتميزين الذين يدرسون كل جوانب عمان (الجيولوجيا – البيئة – الحياة البرية – الحياة النباتية والبحرية)، وقد جاءوا لبناء ذخيرة من المعرفة العلمية في بلاد تتميز بسمات فريدة. إن أحد الأمثلة الرائعة على هذه الدراسات هو ذلك المسح التفصيلي الذي أجري في رمال آل وهيبه الذي رعته الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية، ويدعمها في ذلك استضافة عمان وعنايتها. كذلك كان إعادة توطين المها العربي في بيئته الطبيعية مشروعا ما كان لينجح لولا الاهتمام الحيوي الذي أبداه جلالة السلطان قابوس.

ان احترام جلالته وتقديره للتراث أديا إلى المحافظة على المظاهر العمانية الرائعة والمتميزة مثل الزي العماني والخنجر الذي يلبس بحزام يحيط بالخصر في المناسبات الرسمية وغير الرسمية ، كما ان التنوع النابع من التماثل هو سمة بارزة تتميز بها سلطنة عمان.

السياسة الخارجية والعلاقات الدولية

بدأ جلالة السلطان قابوس منذ الأيام الأولى لحكمه بالقيام بعدد من الزيارات الرسمية للخارج بهدف شرح رؤيته لعمان الحديثة ، ولتحسين صورة البلاد في عيون الآخرين ، فقام أولا بزيارة لشاه إيران في أكتوبر ١٩٧١ لحضور الاحتفالات الكبرى بمناسبة الذكرى ٢٥٠٠

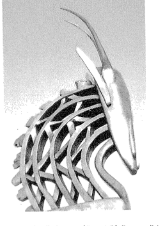


للإمبراطورية الفارسية في (برسيبوليس)، ثم أتبعها في ديسمبر بزيارة رسمية إلى السعودية حيث – على الرغم من العداء للسلطنة في عهد أبيه – فقد استقبله الملك فيصل بصفته "جلالة سلطان عمان" وقد رتب الملك فيصل التقاء السلطان بالإمام غالب، وكانت المحصلة ذات الشأن من هذه الزيارة هي إنهاء أي مفهوم لوجود إمامة عمان" المستقلة.

وقد تعززت العلاقات التاريخية مع الهند وباكستان، وتنامت علاقات عمان بالأردن ومصر على وجه الخصوص ، حيث قدمت مصر منذ البداية دعمها الكبير لعمان قابوس ، وتعاونت الدولتان بعد ذلك في العلاقات الخارجية على نحو وثيق. وبمرور الوقت أقيمت العلاقات الدبلوماسية مع سائر دول العالم وتزايد عدد الدول التي أرسلت بعثات دبلوماسية لها على مستوى السفراء في مسقط ، وبحلول عام ١٩٩٠ بلغ عدد الدول التي أقامت علاقات دبلوماسية مع عمان ١٢٤ دولة، كما انضمت عمان منذ فترة طويلة لكل المنظمات العالمية المهمة على صعيد الأمم المتحدة وعلى الأصعدة الخليجية والعربية والإسلامية والأفريقية والآسيوية.

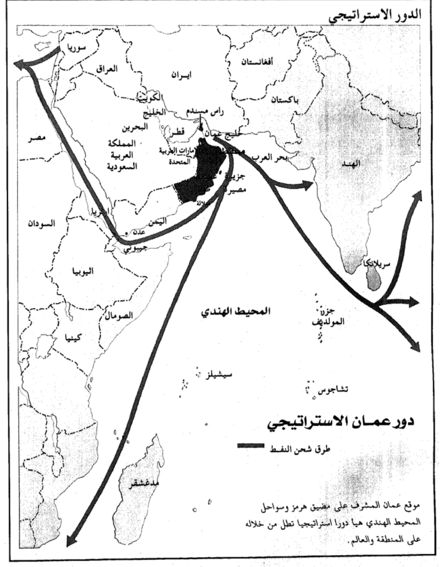
ومنذ البداية كانت سياسة عمان الخارجية العملية هي ذاتها سياسة جلالة السلطان شخصيا، وليس من الغريب إذاً أن يحتفظ جلالته لنفسه بحقيبة الشؤون الخارجية.

إن المبادئ التي تحكم هذه السياسة تقوم على مواثيق الأمم المتحدة والجامعة العربية، وبالتحديد على احترام سيادة الدول الأخرى ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير ، وعدم استعمال القوة لفض المنازعات، وإقامة علاقات حسنة مع جميع الدول أياً كانت طبيعتها، مع توجيه اهتمام أكبر بالبلدان الشبيهة



هذا النصب التذكاري الذي يمثل الوعل في صحار يعكس مكانة عمان الدولية في محافظتها على الحياة البرية.

بالسلطنة في توجهاتها ، وهذا يعني في التطبيق حسن الجوار وعدم الانحياز وتشجيع التعاون بين دول الخليج وبخاصة دول مجلس التعاون الذي لعبت عمان دورا قياديا في تأسيسه. وقد بدت سياسات عمان الحكيمة على أنها مرآة تعكس الحكمة السياسية التي ينبغي إتباعها في العصر الحالي ، حيث أنها نالت الإعجاب ببصيرتها الثاقبة، ويمكن التمثيل على ذلك بثلاثة أمثلة: أولها الاتفاق العماني الأمريكي عام ١٩٨٢ الذي يعطى الولايات المتحدة تسهيلات في القواعد الجوية والبحرية العمانية في حالات معينة، وقد انتقد هذا الاتفاق في حينه لكنه استحق الثناء حينما توجب استخدام هذه القواعد في حرب الخليج عام ١٩٩٠ ، وثاني هذه الأمثلة هو تصميم عمان على إبقاء الحوار مستمرا مع إيران في فترة الحرب العراقية الإيرانية منذ ١٩٨٠ حتى ١٩٨٨ حينما اتخذت دول الخليج والدول العربية عموما موقفا مؤيدا للعراق ، وقد اثبت جسر الاتصال مع إيران أهميته لعمان والدول العربية وللدول الغربية أيضا ، وثالث هذه الأمثلة هو ان عمان كانت إحدى دول عربية ثلاث لم تقطع علاقاتها



موقع عمان المشرف على مضيق هرمز وسواحل المحيط الهندي هيأ دورا استراتيجيا تطل من خلاله على المنطقة والعالم.

الدبلوماسية مع مصر عام ١٩٧٩ حين وقع الرئيس السادات معاهدة سلام مع إسرائيل ، وقد حافظت عمان أيضا على علاقات الصداقة التاريخية مع بريطانيا، حيث تنسق اللجنة العمانية البريطانية المشتركة جوانب العلاقات الثنائية بين البلدين.

وقد سعت عمان دائما إلى التوسط في النزاعات وخصوصا تلك التي تقع في المنطقة ، حيث لعبت على سبيل المثال دورا في التوصل إلى حل ودي للنزاع القائم بين إيران ودولة الإمارات حول جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وابوموسى ، وكانت عمان في عام ١٩٩٠ الوسيط في إعادة العلاقات بين إيران والسعودية بعد ثلاث سنوات من القطيعة، وكان الوضع في اليمن ذا حساسية خاصة للعمانيين بسبب العلاقات الضاربة في القدم والجوار القائم بين البلدين ، وقد زاد من حساسية تلك العلاقات ذلك الموقف الذي اتخذته جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية لمدة طويلة وكان من الطبيعي جراء ذلك أن يبذل جلالة السلطان – عندما وقع الصراع الداخلي في اليمن عام ١٩٩٤ – كل الجهود الممكنة للتوسط بين الرئيس علي عبدالله صالح ونائبه علي سالم البيض لتجنب الحرب الأهلية ، وكانت زيارته الرسمية لليمن في وقت سابق من نفس العام مؤشرا على إنهاء النزاع بين سلطنة عمان وجمهورية اليمن، حيث أن هذه الزيارة قد جعلت جلالته يتبوأ مكانة مرموقة لمواصلة نشاطه التصالحي بين الدول. وقد كانت عمان من أوائل مؤيدي عملية السلام في الشرق الأوسط التي انطلقت في مدريد ١٩٩١، وأدركت أن هذه العملية ستقود إلى اتصالات مباشرة بين العرب وإسرائيل فلعبت في عام ١٩٩٤ دورا في سياسة التوسط فى الأمور العربية الإسرائيلية وخطت خطوة للأمام حينما استضافت محادثات المياه المتعددة الأطراف الناجحة في مسقط.

وقد كان لعمان علاقات وثيقة مع الدول الأوربية لقرون عدة ، فقد أقامت مع الولايات المتحدة علاقات دبلوماسية منذ القرن الماضي، ولهذا فقد كان من الملائم ان تستضيف السلطنة عام ١٩٩٠ الحوار بين الاتحاد الأوروبي ومجلس التعاون لدول الخليج العربية.

إن موقف عمان العملي الواضح في كثير من الشؤون الدولية قد أكسبها بشكل تدريجي احتراما واسعا أدى إلى انتخابها في مجلس الأمن في الأمم المتحدة عام ١٩٩٤. وقد كان للتوسط في النزاعات الدولية أثره الواضح في انتخاب عمان لرئاسة المجلس في نفس العام وكان هذا إنجازا عظيما لدولة ذات تاريخ من العلاقات الدبلوماسية الدولية لا يعود إلا لبضع وعشرين عاما حينما تم إرسال السفراء إلى الخارج وهم لا يحملون معهم غير شخصياتهم والعلم العماني لإنشاء السفارات العمانية الأولى. إن البذور البسيطة التي تم زرعها في بداية الأمر لا شك أنها قد أينعت وآتت أكلها.

ومن ناحية أخرى فقد جددت عمان اهتمامها التاريخي بشرق أفريقيا، فاستقبلت بالترحاب كثيرا من الزنجباريين والكينيين من ذوي الأصول العمانية في الأيام الاولى لعهد جلالة السلطان قابوس وقد أتوا بمهارات ومؤهلات لدعم التنمية المبكرة في البلاد ، كما طوّرت بعد ذلك علاقات وثيقة مع تنزانيا حيث قدمت العون لبناء مطار جديد فيها ، وقامت بالمحافظة على الأرشيف الزنجباري لأهميته المتصلة بتاريخ عمان وشرق أفريقيا على السواء، وإضافة إلى كل ذلك فقد تأسست مؤسسة السلطان قابوس في زنجبار.

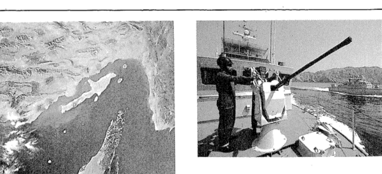
أما حدود عمان فلم تكن في بداية عهد جلالة السلطان قابوس مرسومة ولم يكن هناك اتفاق عليها مع الدول المجاورة، فكانت الحدود مع اليمن – التي انضمت إلى دائرة الحرب في ظفار – لم ترسم وكان الخلاف بشأنها علنيا، أما الحدود الطويلة مع السعودية – رغم الاتفاق بشأنها فقد احتوت على بعض الأجزاء المتنازع عليها ، أما الحدود مع دولة الإمارات فقد سويت بصورة واضحة. هكذا كان التاريخ الماضي، وخلال الاعوام التي سبقت عام ١٩٩٥ تم التوصل إلى اتفاقات بشأن حدود عمان كاملة وتم تحديدها في مواقع عديدة. إن تأسيس عمان كدولة قوية داخل حدود آمنة هو من أعظم إنجازات الخمسة والعشرين عاماً الأولى من حكم جلالة السلطان قابوس.

الدفـاع

يبدو من نظرة سريعة إلى الخريطة أن موقع عمان الجغرافي ذو أهمية استراتيجية كبيرة ، وخصوصا أن الجزء الواقع في أقصى الشمال – شبه جزيرة مسندم – يتحكم في الساحل الجنوبي لمضيق هرمز الذي تتحكم إيران في ساحله الشمالي ، وتمر من خلال هذا المضيق ناقلات النفط والمنتجات النفطية من كل دول الخليج – السعودية والعراق وإيران والكويت والبحرين وقطر والإمارات إلى العالم المستهلك للنفط. وهكذا تتضح الحاجة إلى دعم القوات العمانية وزيادة فعاليتها بحيث تؤدي عمان واجبها تجاه الدول المجاورة والبعيدة.

في عام ١٩٧٠ كانت قوات السلطان حسنة التدريب وفعالة ضمن الإمكانات المالية وغير المالية المتوفرة لها آنذاك، ولم تكن قوتها مؤثرة آنذاك ، وكان الجيش وقيادته في بيت الفلج يتكون من ثلاث كتائب مركزية ما لبثت أن ازدادت عدداً لتصبح أربع كتائب عام ١٩٧١ ، هي مسقط والصحراء والحدود الشمالية وكتيبة الجبل ، ولم تكن هذه الكتائب الأربع حسنة التجهيز بالمقاييس الحديثة على الرغم من أنها لم تفتقد الشجاعة والإقدام ، ويبرز للعيان بشكل واضح الفرق بين مستوى أزياء هذه الكتائب في العرض العسكري الذي جرى في العيد الوطني الأول عام ١٩٧١ ومستوى الزي الذي ظهرت به في عروض العيد الوطني العسكرية بعد عام أو عامين. أما البحرية فقد تشكلت من سفينتين مدرعتين من سفن "البوم" ، بينما كانت القوات الجوية تتكون من عدد بسيط من طائرات (جت بروفوستس) و(بيفلرز) ، لكن سرعان ما تم تزويدها بطائرات (سترايكماستر) و(كاريديوس) و(سكايفانز) و(فسكاونتس) وطائرات (أوغستبل) العمودية.

إن تلقي جلالة السلطان قابوس للتدريب العسكري في كلية (ساند هرست) كضابط شاب قد غرس في نفسه معرفة واهتماما عميقين بالقضايا العسكرية، وقد اضطرته قضية ظفار في بداية حكمه إلى توسيع تلك المعرفة العسكرية، وكان جلالته هو الذي قرر عام ١٩٧٢ زيادة كفاءة قواته وتحديثها، وبالفعل فقد تم تحديث الأسلحة الثلاثة لتصبح قوات حديثة حسنة الإعداد والتجهيز، كما سعى جلالته منذ البداية إلى تحقيق المستويات الممتازة في كل ما قامت به القوات المسلحة وشرطة عمان السلطانية ، وآمن بأن التدريب الناجح هو أحد مفاتيح الكفاءة لرفع الروح المعنوية.



تظهر هذه الصورة الملتقطة بواسطة الاقمار الصناعية لمنطقة شبه جزيرة مسندم ومضيق هرمز اهمية عمان الاستراتيجية .

وكان أول تدريب أرضي ممتاز شاركت فيه كل هذه الوحدات مثيرا مما مكنها من المشاركة في الداخل والخارج في عروض عسكرية وعروض (التاتو) الرسمية بمستوى أمهر الفرق العالمية، غير أن هذا لم يكن إلا المظهر الخارجي لقدرة هذه القوات والروح المعنوية والكفاءة التي تتمتع بها.

لا شك أن الاحترام الذي تحظى به البلاد قد تعزز من جراء تلك الإنجازات التي قامت بها قوات السلطان المسلحة في معارك ظفار وخلال حرب الخليج عام ١٩٩١ كجزء من القوات المتحالفة إضافة إلى استعدادها العسكري. ويشعر العمانيون أنفسهم بالفخر العظيم بقواتهم والاسلوب الذي تطورت به، وتقع قيادة جميع هذه القوات الآن في معسكر المرتفعة في منطقة العاصمة.

وعلى ضوء التاريخ العسكري العماني المؤثر لم يكن من المستغرب أن يطلب قادة مجلس التعاون بعد حرب الخليج من جلالة السلطان الذي عرف بحكمته في جلسات المجلس أن يعد خطة عسكرية مشتركة للمنطقة كإجراء دفاعي مستقبلي.

وقد تشكل الجيش السلطاني العماني في عام ١٩٩٥ من فرقتين من جنود المشاة، تضم كل فرقة أربع كتائب وفوجاً من المدرعات والمدفعية و المظلات والاستطلاع ، ومن جنود التدريب إضافة إلى وحدة من جنود الصاعقة ومن قوات الفرق في ظفار ، هذا بالإضافة إلى وحدات سلاح الهندسة والإشارة وخدمات الإمداد والإسناد، وعلى الإجمال فان عدد افراد هذه القوات يربو على ٢٠٫٠٠٠ رجل كما تتضمن الأسلحة المتقدمة الاخرى دروعاً من طراز دبابات (تشالنجر)،

أما الحرس السلطاني العماني فيتألف من بعض الأفراد الاكفاء المتميزين في الإعداد ، ويتولى هذا الحرس إنجاز المهمات الرسمية، كما تركز مدرسة الحرس السلطاني العماني على تزويد الذكور بالتعليم التقني المتقدم.

وفي منتصف التسعينات كانت البحرية السلطانية العمانية تتألف من ثمانية زوارق مراقبة سريعة وأربع من مراكب (بروفنس كلاس) الهجومية السريعة المزودة بصواريخ (اكسوسيت) ومراكب إنزال، ويبلغ عدد افرادها ضباطا وجنودا اليوم ٣٫٥٠٠ فرداً، ولا تعتبر هذه القوة كبيرة لمراقبة خط ساحلي يبلغ ١٠٠٠ ميل. وللبحرية قاعدة عمليات في ودام بساحل الباطنة وفي ريسوت غرب صلالة وفي جزيرة الغنم في أقصى شمال جزيرة مسندم، كما تستخدم البحرية السلطانية أيضا سفينة التدريب الشراعية شباب عمان التي تقدم تدريبات على رحلات المغامرات للقوات المسلحة وللهيئات الشبابية.

أما فيما يتعلق بقوات سلاح الجو السلطاني



في العيد الوطني (١٨ نوفمبر من كل عام) تخرج الجماهير في حشود غفيرة لمشاهدة مختلف تشكيلات قوات السلطان المسلحة وهي تؤدي استعراضاتها العسكرية : وتشكيلاتها الجوية .

(يسار) تقوم دوريات شرطة خفر السواحل بمراقبة ناقلات النفط الراسية بميناء الفحل والاشراف عليها. في الصورة المقابلة : دبابة عسكرية اثناء التدريبات .

العماني فقد حقق ضباطه وافراده مستويات عالية من التعامل مع أحدث الأسلحة، وقد جهزت هذه القوات بطائرات (هوك) ، و(اف٣) ، و(جاغوار) و(هنتر) المقاتلة، يدعمها نظام دفاع جوي متطور يتكون من منظومة دفاعية متكاملة من رادارات الرصد بعيدة المدى وصواريخ (رابير) ارض أرض ، كما تشتمل طائرات النقل والاستطلاع البحري على طائرات (سي ١٣٠) ، و(باك ١-١١) ، و(سكايفن) و(دفندر). ويتم تدريب الطيارين في أكاديمية السلطان قابوس



تكون طائرات الهاريار (اعلاه) والمستير التابعة لسلاح جو سلطنة عمان القدرة الهجومية الرئيسية ويقابله في ذلك الاسطول العماني بالسفن الحربية من طراز كورفيت المسلحة بصواريخ اكسوسيت كما يظهر ادناه.

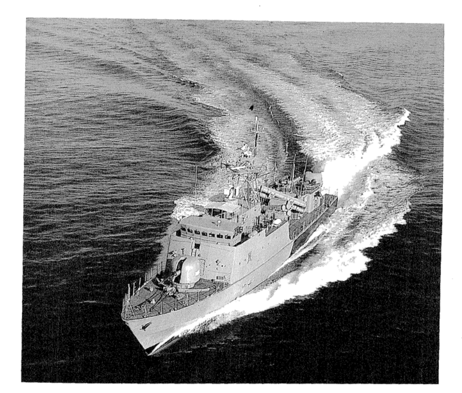
الجوية بجزيرة مصيرة ، كما يتلقى كبار ضباط الأسلحة الثلاثة تدريبات في كلية القيادة والأركان في بيت الفلج.

أما شرطة عمان السلطانية فقد تطور مستواها من ٧٥ شرطيا وضابطاً واحداً عام ١٩٧٠ إلى قوة وطنية بارزة تشمل مجالات الهجرة والجوازات والجمارك والدفاع المدني والإطفاء وحماية السواحل والسجون، ويتم إنجاز كل هذه المهام الحيوية بمستويات عالية من الأداء في المجالات المختلفة، أما مركز التدريب الرئيس للشرطة فهو أكاديمية شرطة عمان السلطانية التي تقع في مدينة نزوى.

خاتمـة

وهكذا فقد تطورت عمان من تلك البدايات غير الواعدة خلال الخمسة والعشرين عاماً الأولى من حكم جلالة السلطان قابوس لتصبح دولة عصرية قوية تحظى باحترام الدول المجاورة. وتلعب عمان اليوم دورا حيويا في الشؤون الإقليمية والدولية أكبر مما توحي به مساحتها ، ويمتزج عمرانها العصري بجمالها الجبلي الطبيعي ويكمله، كما استعاد المواطنون كرامتهم ودماثتهم وأريحيتهم التي جبلوا عليها من خلال انتقالهم إلى بيئة العالم المتحضر والجمع بين نكهة الشرق والغرب، وقد تم بنجاح توفير الدوافع لمشاركة المواطنين من كل الأعمار في كل جوانب الحياة في البلاد.

إن الجيل العماني الحالي ذو حظ سعيد ويتمتع بامتيازات كبيرة، فقد كانت الظروف السابقة صعبة حقا في بعض الأحيان، حيث توجب على كثير من العمانيين في الخمسينات والستينات مغادرة بلادهم سعيا وراء الرزق خارج البلاد عن طريق العمل في حقول النفط في الكويت والعراق والبحرين وقطر، وكان العمل على جانب غير قليل من الوضاعة والبساطة بما لا



يتناسب مع ما كانوا عليه في الماضي.

واليوم ؟ إن الأزدهار الذي يعيشونه وفرص الصحة والتعليم وأسباب العيش المتاحة لهم قد تجاوزت- كما هو الحال في الدول الأخرى- حدود ما توقعه آباؤهم الأولون، فقد تم إنشاء بنية تحتية ممتازة وبناء قاعدة عامة للمؤسسات.

غير أن الناس الذين سيشهدون العقود القادمة لن يستطيعوا أن يتخيلوا التطورات المثيرة وزيادة موارد الثروة اللتين ينعم بهما الجيل الحالي، خصوصا وأن عدد السكان سيزداد زيادة كبيرة لأن معدل الأطفال في



كل أسرة يتجاوز الستة.

ولمواجهة التحديات الجديدة يتوجب على الأجيال القادمة أن يعتمدوا على السمات التقليدية التي ميزت العمانيين على مر العصور من قسوة وسعة حيلة وبراعة في العيش وأن يعتمدوا كذلك على منافع تعليمهم الراقي.

وقد يأتي المؤرخون مستقبلا – كما هي عادتهم – فيبحثون في الخمسة والعشرين عاماً الأولى من عهد السلطان قابوس ويقترحون أنه كان من الممكن ان يتم التعامل بصورة مختلفة في بعض الأمور، أو أن يكون إنفاق المال قد تم بصورة مختلفة.

إلا أن منجزات جلالة السلطان قابوس في بناء عمان العصرية لن تشهد عليها ذكريات هذه الفترة وازدهارها الفائق فحسب، بل ستشهد عليها أيضا المباني الجميلة المتناسقة والعديدة التي ميزت العصر الحالي من مساجد وقصور ووزارات ومبان عامة وبيوت خاصة في مسقط وصلالة وسائر أنحاء البلاد. ان جلالة السلطان هو أحد البناة الشرقيين العظام حيث سار على نهج أسلافه في إيران والهند واليمن ومصر والعراق والمغرب وإسبانيا.

لقد كتب (السير كريستوفر رين) في كاتدرائية القديس بولس: "إن كنت تتوق يوما لرؤية صرح فانظر حولك". ان مثل هذا القول يصدق تماماً على جلالة السلطان قابوس الذي يدخل بكل ما يمتاز به الخمسة والعشرين عاماً الثانية من حكمه السديد.

اعتاد جلالة السلطان الالتقاء بشعبه من خلال جولاته السامية في أنحاء البلاد. وقد تنوعت تلك اللقاءات ما بين التقائه بالجموع (الصورة اعلاه) واللقاءات الفردية الأخرى كما في الصورة الملتقطة مؤخراً (أسفل).





الباب الثاني

التاريـخ

تطورت الشخصية العمانية نتيجة لتضافر التأثيرات القادمة من شمال الجزيرة العربية وجنوبها واليمن، ومن بلاد الرافدين وإيران ومن شبه الجزيرة الهندية وأفريقيا، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما الذي أعطى لتاريخ عمان ذلك التناسق الخاص الذي تتميز به؟ ربما تكمن الإجابة في البحر الذي حمل فوق مياهه الناس - تجارا وبحارة ومستكشفين ودعاة للإسلام - وفي وحدة الداخل الإباضي في مواجهة الهجمات المتكررة القادمة من الخارج.

في هذه الصورة التي تعود الى بدايات السبعينات، يبدو والي نزوى واقفا بصحبة عساكره أسفل البرج الدائري الكبير في قلعة نزوى التي استغرق بناؤها أكثر من ثلاثين عاما بدءا من عام ١٦٥٠م، حيث بنيت على أنقاض قلاع تعود إلى القرن الثاني عشر. وقد تم ملء البرج الكبير والفريد من نوعه بالتراب حتى ارتفاع ١٤ مترا لتقوم منصته بتوفير المراقبة من ارتفاع أعلى من مستوى الواحة المحيطة بالبرج. في الماضي كانت نزوى عاصمة لعمان كما كانت دائما مركزا إداريا هاما. وقد تم ترميم قلعة نزوى فيما بعد بصورة كاملة.

كما يليق بأي شعب عربي يهتم غاية الاهتمام بالانساب فإن العمانيين ينتسبون إلى شجرة نسب طويلة، إلا أنه من غير الممكن تعقب أصل العمانيين قبل حوالي عام ١٢،٠٠٠ ق.م. حيث كانت عمان بعده في نهاية العصر الجليدي أغزر مطرا وأشد خضرة مما هي عليه الآن ، وقد أقام السكان مخيماتهم على ضفاف الأودية واصطادوا الغزلان والمها والماعز البري والنعام وغيرها من الحيوانات التي كانت عمان زاخرة بها في تلك الفترة ، وقد اكتمل غذاؤهم بثمار التوت بأنواعه المختلفة وبالفواكه البرية لكنهم لم يكونوا قد تعلموا بعد حصاد الثمار. وقد عرف سكان تلك الفترة بجودة أدواتهم وأسلحتهم الحجرية من رؤوس سهام ومهديات ومكاشط ومثاقب ، وكانت شيصور في ظفار مركزا مهما لتجارة الصوان حيث عثر على أدوات من العصر الحجري في وادي بهلا وعبري وإزكي وعلى طول ساحل الباطنة إضافة إلى أماكن أخرى.

ويتبع تلك الفترة فترة انقطاع في معرفتنا ومعلوماتنا الحالية استمرت حتى نهاية الألف الرابع قبل الميلاد حينما بدأ بصيص من ضوء المعرفة في الظهور من خلال الاكتشافات الأثرية التي أظهرت وجود ثقافة متميزة في تلك الفترة، إضافة إلى المعلومات التي استمدت من الألواح السومرية، ويعود تاريخ أحد الأبراج في هيلي قرب البريمي إلى زمن يتراوح بين ٣٣٠٠ إلى ٣٠٠٠ ق.م. وقد تم العثور على جرار ذات أشكال مخروطية وفخاريات أخرى مترسبة في بعض ركامات الحجارة قرب جبل حفيت وفي المدافن بالقرب من عبري، وهذه الاكتشافات تشابه تلك التي عثر عليها وتعود إلى فترة جمدت نصر (٢٨٠٠– ٢٦٠٠ ق.م) في بلاد ما بين النهرين وفي شحري سختا وطيبي يحيى بشرقي إيران، ويوجد كثير من القبور الحجرية الركامية التي تعود إلى هذه الفترة في التلال والحوافي في كل مناطق عمان.

ومن الواضح أن حضارة أم النار – التي سميت بهذا الاسم لأنه عثر عليها في جزيرة أم النار بالقرب من أبوظبي – كانت منتشرة في عمان في الألف الثالث قبل الميلاد، وفي أم النار ذاتها توحي المكتشفات مثل الفخار والخرز والخناجر النحاسية وأحد الأباريق بوجود علاقة مع وادي الأندوس وبلوشستان. إن العدد الكبير من الصروح الأثرية التي عثر عليها في بات وتعود إلى فترة ٢٧٠٠–٢٠٠٠ ق.م. تشكل أروع آثار تلك الفترة – وقد ضمتها منظمة اليونسكو إلى مجموعة الآثار العالمية ، ويتميز كثير من الصروح الأثرية بأنها دائرية الشكل وذات بناء حجري ذي تقنية عالية يحيط به غطاء من الحجارة. وهناك الكثير من القبور يشبه بعضها خلية النحل إضافة إلى أبراج دائرية الشكل، وأحد هذه الأبراج أقدم زمنا من برج قلعة نزوى الهائل ويبلغ قطره ٦٥ قدما ، وقد تم العثور على مبان قديمة مشابهة تعود إلى نفس الفترة مثل تلك التي عثر عليها في هيلي وأملاح، إضافة إلى بسيا وسلوت ووادي أغدا في الشرقية.

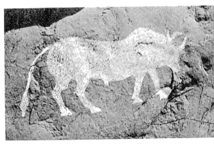
ومن الواضح أنها كانت حضارة نشطة ولا بد أن (بات) كانت مركزا مهما ازدهر بسبب تجارة النحاس الكبيرة المربحة من جبال عُمان إضافة إلى الزراعة، وتظهر صورة تلك المجتمعات بأنها كانت قروية مستقرة ومزدهرة عاشت في الأغلب على طول ضفاف الأودية واعتمدت على الزراعة القائمة على الفيضانات لزراعة قمحهم، وبنيت قبورهم في بعض الأحيان لتكون مدافن جماعية كما كان للكبار قبورهم الخاصة بهم، وكان الفخار يصنع باستخدام العجلة ويزين في العادة برسومات بسيطة لكنها فعالة، كما استخدموا طاسات بديعة الزخرفة مصنوعة من الحجارة، ونسجوا الثياب وتزينوا بالأحجار الكريمة.

وكانت حرية التنقل على ظهور الحمير متوفرة ولعلهم استخدموا الجمال أيضاً حيث تم تهجينها قبل تلك الفترة، كما نعرف من ضريح أم النار، ويوحي موقع المستوطنات باستخدام السكان حينذاك للطرق الأرضية عبر البريمي وعبري إلى الساحل العماني عبر وادي الجزي ووادي الحواسنة وسمائل وعبر الصحراء نحو الساحل الشمالي.

ومن المحتمل ان تكون بيوتهم قد بنيت من الحجارة أو من مواد أقل صلابة كالبراستيس الذي يعود إلى أزمنة متأخرة ، غير ان مبانيهم العامة احتوت في العادة على أسيجة ضخمة من الجدران الحجرية ومن أبراج المراقبة الخصبة، ولعل بعض مستوطنات هذه الفترة في عُمان تشبه بهلا بقلعتها الشامخة و سورها الطيني الذي يمتد لمسافة سبعه أميال والذي يحيط بالمباني والمزارع. وتصف أسطورة جلجامش " أُرُك الجدران "حيث طوقت الجبال الشاهقة عالم جلجامش ... وكانت (أرك) مدينة ذات معابد بألوان مختلفة ومبان من الطابوق ، وذات أسواق وحدائق مفتوحة". وكان صهر النحاس منتشراً في عُمان في فترة أم النار، فعلى سبيل المثال تم العثور في الميسر بالقرب من سمد على البيوت الحجرية والآبار، ويشير الدرج الحالي إلى وجود مجتمع قام على التنقيب عن النحاس وصهره حتى الألف الثالث ق.م.

وكان من المظاهر الباعثة على الاهتمام اكتشاف عدد من المدافن مبنية من أوان مستوردة عثر على مثيلاتها في مواقع جنوب شرق إيران، ومن المواد الاخرى ذات الطابع الاجنبي عثر على جرار حجرية منحوتة وصناديق مستطيلة الشكل صغيرة الحجم دفنت مع الموتى، كما لوحظ وجود صناديق شبيهة بتلك الموجودة في حضارة (كوللي) في جنوب بلوشستان في وقت كانت فيه تلك الحضارة في قمة تأثرها بحضارة الأندوس، ويثبت وجود خاتم من حرابة علاقة مباشرة بين مجان ووادي الأندوس ، وفي فترات زمنية لاحقة تعرضت عُمان والشاطئ الشمالي للخليج لنفس المؤثرات، حيث كان يوجد نشاط تجاري مهم في المنطقة حينئذ.

وتشير نقوش بلاد ما بين النهرين التي تعود إلى تلك الفترة على وجه الخصوص إلى البلاد والبضائع التي شاركت في التجارة مع جنوبي العراق ، كما تكرر ذكر دلمون ومجان وملوحة التي اشتركت بحركة تجارية نشطة في الألف الثالث ق.م.، أما دلمون فقد ارتبطت بالبحرين، بينما كانت ملوحة تقع في الشاطئ الغربي لشبه القارة الهندية في المنطقة التي سيطرت عليها مدن وادي الأندوس ، وقد تم تحديد مجان مؤخراً بشكل مقنع بكونها عُمان الغنية بالنحاس ولذا فقد كان ممكناً استغلال موقع مجان الجغرافي في المتاجرة شمالاً مع الخليج ومع الخارج باتجاه الهند وأفريقيا كما حدث فعلاً حتى عهود قريبة.



النقوش الصخرية الواضحة – كهذا الثور الوحشي – تعد من المظاهر المميزة لجبال شمالي عمان . أنجز هذا الرسم الذي يعود إلى عصور ما قبل التاريخ بواسطة نقر السطح بأداة حادة.

ومجان في اللغة السومرية تشير إلى شعب اشتغل بالملاحة، وقد ذكر بحارتها على وجه الخصوص في النقوش السومرية التي تعود إلى عام ٢٠٥٠ ق.م. كما اكتشفت حديثاً في رأس الحد قوارب تعود إلى الألف الثالث. وقد عرف العمانيون طوال التاريخ المدون بكونهم بحارة امتازوا بالمهارة التجارية ، وقد تحدث المسعودي الجغرافي العربي في القرن العاشر الميلادي عن بحارة عُمان ، في حين استمر بناء السفن في صور حتى العصر الحالي باستخدام خشب التيك والأخشاب الأخرى المستوردة من الهند إضافة إلى الأخشاب المحلية العمانية، ولا عجب فقد كان العمانيون موجودين في كل بحار العالم.

وقد تباهى الملك العظيم سرجون الأكادي (٢٣٧١ – ٢٣١٦ ق.م) الذي امتدت امبراطوريته من سوريا والبحر الابيض المتوسط إلى جبال طوروس في الشرق والخليج في الجنوب بأن سفن مجان ودلمون تهبط في موانيه. وبعد مرور قرن أو قرنين ادعى (أرنامو) (٢١١٣ – ٢٠٩٦ ق.م) الذي اشتهر بكونه

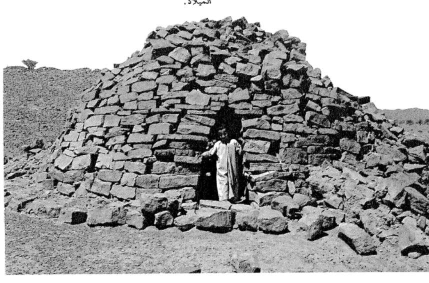
مصلحا وبناء بأنه "أعاد سفن مجان" ولعل ذلك كان من خلال جعل التجارة أكثر ازدهاراً مع (أور) ، أو عن طريق إعادة فتح القنوات المسدودة. ومما لا شك فيه أنه كانت هناك مصالح متبادلة لدى كل من مجان والمدن السومرية تستدعي الحفاظ على علاقات تجارية قوية ، وحتى بعد أن احتل (نارام سين) ملك أكاد (٢٢٩١ – ٢٢٥٥ ق.م) مجان فإنه قد تم تكريم الملك (مانيام) ملك أكاد بمنح اسمه لمدينة (مانيام كي) السومرية.

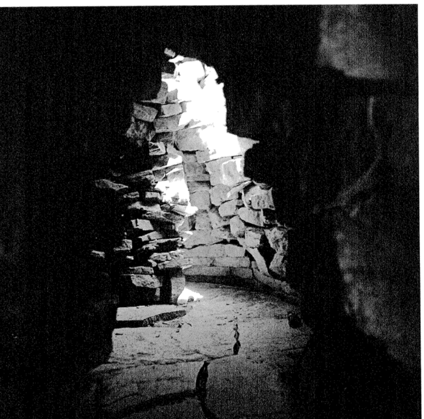
وكانت البضائع المختلفة القادمة من مجان تلاقي إقبالا شديداً عليها في المدن الرغيدة ببلاد ما بين النهرين. وقد ادعى (جوديا) أمير (لاجاش) في سومر في حوالي عام ٢٢٠٠ ق.م أن مدن مجان ودلمون وملوخة كانت كلها تدفع الجزية والعطايا، وأن مواد البناء المستوردة للإله (ننجرسو) كانت تشمل الصخور البركانية والخشب. وقد استخدمت الحجارة الملساء في البناء والصخور البركانية للنحت. وكانت المادة موجودة في عُمان في الألف الثالث ق.م واستخدم الخشب في بناء القوارب وفي التصدير وتوليد الطاقة، وكان موجوداً في الغابات المحيطة بالجبل الأخضر واستمر حتى العصر الإسلامي. ومن بين الواردات الأخرى تم ذكر البصل والتمر.

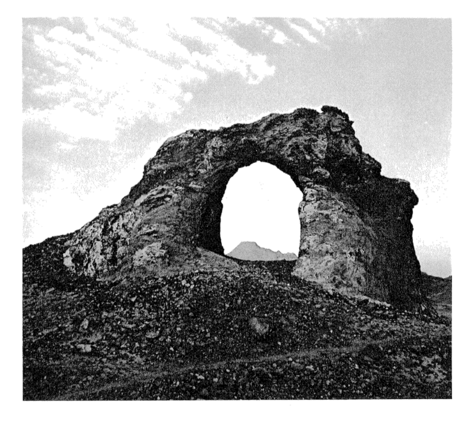
وقد تطورت التجارة مع مجان على يدي (لو – انلا) الذي كان قيماً على معبد (نانا) خلال عهد (أبي سن) آخر ملك من سلالة (أور) (٢٠٢٩ – ٢٠٠٦ ق.م) وقد قام بتصدر الشعير والملابس و"بضائع للمقايضة بالنحاس" من هناك، مستورداً بالإضافة إلى النحاس العاج والمغرة والخيزران والأحجار الكريمة، وكان الطلب شديداً في المدن السومرية على " عيون السمك " أو اللؤلؤ ، لأن صناع النحاس بلغوا درجة عالية من المهارة ، فقد كان النحاس من المواد التي تكرر ذكرها ضمن البضائع التي كانت السفن تحملها إلى هذه المدن، وقد وجد في خام النحاس الذي استخرج وصهر في جبل معدان قرب صحار مواد معدنية شبيهة بتلك الموجودة في النحاس المستخدم في (سومر).

وكانت مجان ، مثل عُمان، مشهورة أيضاً بقطعان الماعز ، وكانت آلهة البلاد تسمى (نندلا) أو " ملكة القطعان " – و المقصود قطعان الماعز على أرجح تقدير. كذلك يلاحظ بعض التشابه في الأصل والتاريخ بين كلمة "مجان" وكل من مزون وهو الاسم الذي أطلقه الفرس على عُمان، وجبل معدان على مقربة من صحار حيث توجد مناجم النحاس ، وتوجد في ساحل أبوظبي الغربي منطقة تسمى "ميجان" ارتبطت في التراث المحلي بشعب كان يجوب البحار في الأزمنة القديمة بصورة مدهشة نظراً لطبيعة الأرض المقفرة الجرداء. إن كل هذه الأسماء متشابهة مما يوحي بوجود أصل مشترك يربط بينها خصوصاً في ضوء قدم أسماء

قبور على شكل خلية نحل بنيت لدفن الأشخاص ذوي الشأن. يعود تاريخ هذه القبور إلى الألف الثالث قبل الميلاد.







عمان – أو مجان الأسطورية – صدرت النحاس خلال القرن الثاني قبل الميلاد إلى السومريين وحضارة (أور) ببلاد ما بين النهرين. هذه القنطرة الطبيعية توجد فوق منجم الأصيل الحالي، أغنى مناجم النحاس بالبلاد. إن بقايا ركام النحاس وأنفاق المناجم وأفران الصهر أدلة شاهدة على عراقة هذه المناجم. وتتخذ شركة عمان للتعدين اليوم هذا القوس الصخري شعارا لها.

المواقع في هذا الركن من شبه الجزيرة العربية. ومن المعروف ان الاختلافات الطفيفة في النطق، مع مرور الزمن، تفسر وجود مثل هذه الاختلافات.

وعلى الرغم من عدم وجود أي دليل مكتوب ينص صراحة على ربط مجان بعُمان، فإن كل ما ذكر يشير إلى مثل هذا الارتباط، ويبدو أن عُمان كانت تشمل الإمارات العربية المتحدة حالياً، إضافة إلى أجزاء من جنوب إيران، مع وجود موانئ لتجارتها في خليج عُمان قرب صحار على الأرجح، وعلى طول الساحل الشمالي كما هو موجود في أم النار وربما في أماكن أخرى.

العصور المظلمة

أعقب ازدهار الحضارة في الألف الثالث ق.م. فجوة زمنية أخرى من تلك الفجوات المثيرة للفضول والتي تتكرر بين فترة وأخرى في تاريخ الأمم. ولا يوجد لدينا سوى أدلة قليلة على ما كان في الألف الثاني قبل الميلاد، على الرغم من العثور على أعداد كبيرة من المنتجات اليدوية في القبور الضيقة الطويلة التي عثر عليها في "قطارة" في البريمي وفي "القصيص" على مقربة من دبي، وتشتمل هذه المنتجات على زينة ذهبية وجرار برونزية ومجوهرات وسكاكين وفخار تعود كلها إلى فترة الألف الثاني ق.م. إلا إنه حدث توقف فجائي في التجارة المباشرة بين مدن بلاد الرافدين ومجان وملوحة في حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م. مع دلمون التي ازداد ثراء مواطنيها مؤقتا جراء المتاجرة مع مجان وملوحة. وقد عانت دلمون نفسها تراجع مؤقت في حوالي عام ١٨٠٠ ق.م. في نفس الوقت الذي وقعت فيه حضارة وادي السند في أيدي الاحتلال الآري. ولكن في الفترة الطارئة التي استمرت مائتي عام كان النحاس والصخور البركانية بلا شك هما السلعتان الرئيسيتان في التجارة بين مجان ودلمون.

وبعد حوالي ١٨٠٠ ق.م توقف ازدهار دلمون المتمثل في كونها متجرا عالميا لاكثر من قرن من الزمان، ويبدو أن صادراتها اقتصرت على المنتجات الزراعية كالتمور، ولا يوجد شك في ان عُمان آلت إلى نفس المآل أيضاً، حيث تقل الإشارات لفترة زمنية كبيرة إلى أي نشاط ملاحي في الخليج، كما لا توجد أي إشارة عن عُمان على وجه الخصوص، ومع ذلك فتشير بعض الدلائل في البريمي إلى علاقة مع (لورستان)، ومن المرجح ان تكون عُمان آنئذ قد وقعت تحت درجة من درجات التأثير الفارسي، ومن الممكن ان يكون انحطاط الحضارة المحلية المشار إليه قد تسبب في هجرة الفينيقيين الذين قد يعود أصلهم إلى هذه المنطقة من المشرق.

وقد تم التعرف على بعض المواقع الأثرية التي تعود إلى الألف الأول ق.م. ثم استعادت المنطقة بعض الازدهار مع قيام الإمبراطورية الآشورية، وبحلول ٧٠٠ ق.م. كان أحد الأمراء الآريين في الهند قد انشأ حضارة مرة أخرى، وبذلك تم استئناف التجارة مع الهند، ومن المرجح أن تجار عُمان قد شاركوا في هذه التجارة، كما تاجروا أيضاً مع أفريقيا محملين بالتوابل والطيوب والخشب النادر إلى دلمون إضافة إلى النحاس من عُمان.

لقد قام الملك الآشوري (سنحاريب) (٧٠٥ – ٦٨١ ق.م) بتدمير طرابلس محاولاً بذلك إعادة الازدهار لطريق التجارة في الخليج الذي كان قد تأثر من جراء تطوير الفينيقيين لطريق البحر الاحمر لجلب البضائع الشرقية إلى المشرق وبلدان البحر المتوسط، ولم تتم عملية الاهتمام بالطرق البحرية إلا بعد أن وحدت أسرة (أخامينيد) الفارسية غرب آسيا حينما احتل (كامبسيس) (٥٥٠ – ٥٢١ ق.م) مصر وقام (داريوس الأول) بالتغلب على أقاليم من آسيا، حيث كلف بحارا إغريقيا هو (سخيلاكس) من (كاريندا) باستكشاف الطريق البحري بين الهند ومصر، إلا ان هذا لم يكن له أي أثر في إحياء طريق التجارة البحري في الخليج.

حينما أبحر (نياركوس) كبير ملاحي (الإسكندر الأكبر) على رأس أسطول يتكون من ١٥٠٠ سفينة في عام ٣٢٦ ق.م من الهند أشار في يومياته إلى رأس الجزيرة العربية المسمى ماكيتا (الذي ربما يكون رأس مسندم) وهو المكان الذي كانت تصدر منه القرفة والبضائع الأخرى إلى الآشوريين، وهذا يوحي بان التجارة كانت مستمرة بين عُمان و(تيريدون) على شط العرب في رأس الخليج الذي وصفه (نياركوس) بانه "مخزن للتجارة المنقولة بحراً من البخور وكل البضائع العطرية من شبة الجزيرة العربية". وقد أرسل الإسكندر قبل وفاته حملات لاستكشاف جوانب الخليج الجنوبية والغربية، حيث وصل (أرخيا) إلى البحرين، وتوغل (أندروثينس) في الشرق، ويبدو أن (هيرون) السولي قد وصل إلى شبه جزيرة مسندم دون أن يعيد القيام بالرحلة مرة أخرى، غير أن هذه الاكتشافات ما لبثت ان توقفت على نحو فجائي بموت (الإسكندر) نفسه.

وفي الفترة الهيلينستية كان هناك ميناء بمنطقة الدر في أم القيوين تبينت أهميته من خلال المخلفات

التي عثر عليها في منطقة تربو مساحتها على كيلومترين. ومن الواضح أن أهمية هذا الميناء اعتمدت في موقعها الاستراتيجي على طرق التجارة كما يشهد بذلك العثور على بقايا جرار فارسية ورومانية ونبطية. وقد تم العثور حديثاً على موقع (مليحه) الذي يعود لتلك الحقبة في طريق القوافل على طول الحافة الغربية لسلسلة جبال الحجر ، ويثبت هذا الموقع متانة العلاقات التجارية في هذه الفترة. وقد بلغت تجارة البخور من ظفار ذروتها في الفترة الهيلينستية ، حيث كان تصدير البخور يتم عبر ميناء سمهرم بالقرب من صلالة، وعبر الصحاري إلى الشمال. وقد تم العثور حديثاً على نقطة تجارية حصينة في "شيصور" ، يعتقد البعض أنها "أوبار" تلك المدينة التي تم ذكرها في خارطة (كلوديوس بطلميوس) في عام ١٥٠م لكنها فقدت بعد ذلك، وبقيت أصداء شهرتها حية في التراث البدوي.

ويبدو أنه كانت توجد تجارة بحرية قائمة بين منطقة الخليج وسيلان في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، التي كانت تسمى "تابروبان" حينئذ ، حيث كان تجار الخليج يجلبون منها بضائع مثل ذهب الشرق الأقصى. وقد سجل المؤلف الروماني (بليني) (٢٣ – ٧٩م) في كتابه "التاريخ الطبيعي" وصفاً مفصلاً للساحل العربي في الخليج ذاكراً (عُمانه وبتراساف ودابينغورس ريجيو) على أنها مدن من عُمان، ورغم عدم تحديد هذه المدن تحديداً أكيداً إلا انه من المرجح أن (عُمانه) كانت في منطقة صحار ، و(بترا ساف) كانت رأس الخيمة و(دابينغورس ريجيو) هي دبا.

ويذكر (بليني) ان ألواح السفن العربية آنئذ كانت تخاط معا كما هو حال كثير من القوارب الصغيرة في عُمان اليوم، وأنهم استغلوا الرياح الموسمية الشمالية الشرقية للاتجار مع الهند، إلا إن البحار كانت مكتظة بالقراصنة إلى حد أن السفن المتجهة إلى الهند من البحر الأحمر كانت تقل مجموعات من رماة السهام ، ويبدو أن بحارة عُمان كانوا من بين اؤلئك الذين اضطروا إلى أعمال القرصنة من جراء تدهور نشاط التجارة المشروعة.

ولم يكن الخليج في الفترة ما بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين عرضة لتأثير قوة واحدة فقط فقد نشطت عمليات القرصنة في فترات، غير أن حملة "تراجان" في عام ١١٦م عبر العراق لإخماد نشاط القراصنة لم تصل إلى حدود عُمان. وقام الملك الساساني "شابور الثاني" (٣١٠ – ٣٣٠م) بحملات انتقامية على الساحل العربي لقمع القراصنة الذين ظهروا في عصره ويبدو أنه أرسل حملة لم تصل إلى أبعد من شبه جزيرة مسندم.

العـــرب القدمـاء

تتواصل القصص المشوبة بالأساطير حول طول المدة بين فترة ما قبل التاريخ التي كشف عنها تنقيب علماء الآثار حتى الآن وفترة التاريخ المدون ، ويقول علماء الأنساب إن "العرب" هم أقدم سكان شبه الجزيرة العربية، حالهم في ذلك حال معظم الشعوب الأخرى حيث يروون قصصاً عن أبطالهم القدماء من ذوي القامات الضخمة ، وقد يعود تاريخ المستديرات الحجرية الكبيرة الموجودة في عُمان إلى تلك الأيام الأسطورية. إن أشهر الأبطال المذكورين هم "عاد" الذي اشتهر بأنه استوطن الكثبان الرملية بين عُمان وحضرموت، و"ثمود". وقد أطلق اسماهما على قبيلتين عربيتين ، كما بقيت قبيلة ثمود حتى العصور البائدة وقد أتى على ذكرها مؤلفون مثل "سترابو" ، كما أطلق إسما أختين بطلتين هما "طسم وجديس" على قبيلتين أخريين ، مما يوحي بأن المجتمع العماني كان ينسب إلى الأم في مرحلة من مراحله ، وقد استقر أحفادهما في منطقة البريمي. ومن القبائل القديمة الأخرى التي تركت أثراً في أسماء أماكن في عُمان "صحار" التي يقال إنها عاشت في الباطنة ، و"أوبال" أو "وبال" التي خلد ذكرها في مكانين: أحدهما في وادي بني رواحة والآخر على مقربة من الرستاق، بالإضافة قبيلة "باهلة" التي أطلق اسمها على وادي العق. وفي رواية أخرى إن سام بن نوح حكم البلاد من الحجاز إلى عُمان، وأن حفيده سهيل هو الذي أنشأ مدينة صحار، ويبجل الناس قبر النبي أيوب في جبل القرا المطل على صلالة، كما تتحدث الروايات القبلية عن علاقات قديمة بين عُمان والممالك الحميرية في جنوب شبه الجزيرة العربية واليمن، كقصة ملكة سبأ التي حكمت منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية.

ومن المرجح أن عُمان قد تعرضت لغزو كبير من جنوب شبه الجزيرة العربية في فترة مبكرة من القرن الثامن الميلادي، حيث قام (يعرب) وهو أحد أحفاد قحطان ببسط نفوذ قبيلة اليعاربة (التي أصبحت الأسرة المالكة في عُمان في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين) على كل جنوب شبه الجزيرة العربية ثم

سمهرم أو "المشروع العظيم " الواقعة على ساحل ظفار كانت ميناء مزدهرا ، قبل ألفي عام مضت ، حيث كان اللبان يصدر منها إلى روما . أسسها الملك العاد يالوت كما تشير هذه اللوحة .



عُمان فالحجاز وحضرموت.

وكان (يشجب) الذي خلف (يعرباً) حاكماً ضعيفاً ففقد عُمان، غير أن ابنه عبد شمس استعادها مرة أخرى، ويعزى إليه تشييد السد الرائع البناء في مأرب باليمن، وقد حكم عبدشمس جنوب الجزيرة العربية بأكمله وأقام مملكتين كان آخرهما الحميرية، أو العمرية، التي حكمت اليمن من ١١٥ ق.م. حتى عهد قريب من ظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وحمير نفسه، الذي سمي بهذا الاسم نسبة إلى رداء أحمر كان يرتديه، كان ابن عبد شمس. ومازال اسم حمير مستخدما في عُمان حتى وقتنا الحاضر، ومن المحتمل أن حكم الحميريين لم يدم طويلاً حيث ان (سايروس الأكبر) مؤسس أسرة أخمينيد افتتح عُمان في حوالي عام ٥٦٣ ق.م.

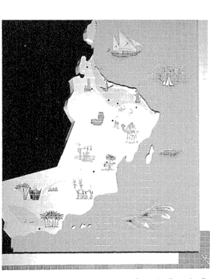
مقـدم الأزد

لعل السيطرة الفارسية على عمان استمرت خلال عهد أسرة (أخمينيد) التي أسسها (سايروس) الذي حكم في الفترة بين عام ٥٥٠ - ٥٣٠ ق.م. وفي هذه الفترة تم شق الأفلاج (قنوات المياه الأرضية)، وربما يفسر هذا اسم فلج دارس (دار يوس) في نزوى. ويكتنف الغموض أحداث عُمان في عهد أسرة (أخمينيد) والأسرة الساسانية (٢٢٦ - ٦٤٠م)، غير أنه من المرجح أن جزءاً من عُمان على الأقل قد ظل تحت السيطرة الفارسية حيث ذكر مؤلف كتاب البحر الأحمر في القرن الثاني للميلاد أن عُمان كانت خاضعة للفرس.

ويبدو أنه خلال العهد الساساني قام الملك (أردشير الأول) (٢٢٦ - ٢٤١م) أول ملوك الأسرة الساسانية باستعادة السيطرة القوية على عُمان، فأرسل مجموعة من رجال قبيلة الأزد من صحار ليكونوا بحارة في الشحر جنوب شبه الجزيرة العربية، ومن المحتمل أنه كان يهدف من ارتباطه بسكان الساحل العربي إلى السيطرة على التجارة البحرية وتوسيعها في وقت كان يمكن فيه للسفن الإبحار بجراة أكبر في البحار البعيدة مستفيدة من الرياح السائدة والرياح الموسمية، غير أن الخطوة التي قام بها لنقل البحارة الأزد كانت بداية نشوء التقاليد البحرية العريقة في المكلا ولدى شعب حضرموت.

والأزد هم أكبر مجموعة قبلية في عُمان، وتنص المصادر العربية بوضوح أن أولى موجات هجرة الأزد إلى عُمان قادها مالك بن فهم سواء أكان الذي اختلف في كونه شخصاً تاريخيا حقيقياً أم كان كما يعتقد البعض بطلا أسطوريا ارتبط بأولى الهجرات التي دون أحداثها المؤرخون العرب. وتنص المصادر العربية أنه في تلك الفترة كان الفرس مسيطرين على المناطق الزراعية الخصبة، ومن المرجح ان قدوم هذه الموجه كان في نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الثالث للميلاد، وتربط الروايات التاريخية العربية بينها وبين انهيار سد مأرب، ومن المرجح أن الفوضى الاجتماعية في مناطق اليمن الزراعية هي التي أدت إلى هذا النزوح.

وعلى الرغم من أن سرحان بن سعيد، وهو مؤلف عُماني في القرن الثامن عشر، قد سجل وصفاً بطولياً لتاريخ قبيلة الأزد المبكر، إلا إنه يورد قصة مالك بن فهم ببعض التفاصيل. لقد جمع مالك قوة مؤلفة من ٦٠٠٠ رجل وجعل على مقدمتها ابنه هناه، الذي تسمت باسمه قبيلة بني هناه، وإليه يرجع أصل الجناح الهناوي الكبير في عُمان. وحينما وصل مالك إلى عُمان وجد الفرس يحكمونها تحت قيادة ملك فارسي اسمه



الموارد والثروات والنشاطات التجارية القديمة بعمان، يرمز لها بهذه اللوحة المضاءة بمنطقة مسقط.

(دارا) - ولعله ليس هو (داريوس الكبير) لأن ذلك يتسبب في خطأ كبير في حساب التاريخ - وقد اختار ممثل الملك الفارسي وهو المزربان منطقة (دستجرد) قرب صحار عاصمة له في المنطقة التي سماها الفرس مزون. وقد أرسل مالك رسولاً إلى المزربان يطلب منه أرضا ليستقر فيها قومه، إلا إن الفرس "قرروا أنهم لا يريدون هذا العربي أن يعيش بين ظهرانيهم"، ولذا فقد استعد الطرفان للقتال في سهل قرب نزوى، وكان مالك ممتطياً جواداً أرقط مرتديا رداء أحمر فوق درعه، ومعتمرا خوذة حديدية وعمامة صفراء فوق رأسه. وقد اعتمد الذين قادهم مالك اعتماداً أساسياً على فرسانهم بينما استخدم الفرس الفيلة، ولم تحسم المسألة سوى في اليوم الثالث حينما قتل مالك المرزبان في أول مبارزة وعلى أثر ذلك طلب الفرس الهدنة.

ومن الواضح أن هذه الرواية يكتنفها نوع من التداخل التاريخي لأن القبائل التي ارتبطت بقدوم مالك بن فهم جاءت إلى عُمان في موجات خلال قرون عديدة، وكانت المنطقة الرئيسة التي استقر فيها العرب للمرة الأولى تقع حول قلهات وفي جعلان، غير أن العرب ما لبثوا بعدها أن اقتطعوا مناطق أوسع إلى أن تم التوصل إلى معاهدة رسمية بين العرب والفرس خلال عهد الملك الساساني (كسرى أنوشروان) (٥٣١ - ٥٧٨م)، وقد نصت هذه المعاهدة على سحب الفرس لقواتهم إلى صحار وأن يغادروا غرب عُمان خلال عام واحد، وكما يقول (العوتبي) فإن "الفرس كانوا ملوكاً في الجبال والصحاري وبقية عُمان"، وقد منحت الاتفاقية العرب نوعا من الاستقلال وأبرزت قائداً لهم سماه الساسانيون بإسم (الجلندى) - وهو ما اصبح اسما في وقت لاحق لأسرة الحكام الأزد في عُمان - "اقره الساسانيون رسمياً" وحسبما ذكرت بعض المصادر فإن الفرس قد بقوا في جزء من عُمان حتى ظهور الإسلام لأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بعث برسالة إلى الحاكم الفارسي المحلي في (دستجرد) يدعوه فيها إلى الإسلام، وقد أدى رفض الفرس لدعوة النبي الكريم إلى طردهم من عُمان في نهاية المطاف.

الإســـلام والإمامــة المبكــرة

سرعان ما أثرت دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بمكة في مجريات الأمور بل في تاريخ عُمان وعلى مستقبلها بأكمله. ففي حوالي عام ٦٣٠م (٩هـ) وصل عمرو بن العاص إلى عُمان حاملاً معه رسالة من النبي الكريم إلى عبد وجيفر ابني الجلندى اللذين كانا يشتركان في حكم الجزء العربي من عُمان، ولم يمض العمانيون وقتاً طويلاً حتى دخلوا في الدين الجديد، على الرغم من محاولة الردة التي قادها منافس لابني الجلندى هو ذوالتاج لقيط وذلك عند وفاة النبي الكريم عام ٦٣٢م (١١هـ)، وقد لاقت محاولته للتنبؤ جزاءها السريع حيث انهزم هو وأتباعه هزيمة نكراء في معركة في دبا قاد فيها جيش الخلافة الإسلامية حذيفة بن محسن قائد الخليفة أبي بكر بمدد من عبد وجيفر فيما بين عام ٦٣٢ و ٦٣٤م (١١ - ١٣ هـ)، وقد بقي حذيفة واليا على عُمان لفترة من الزمن. وفي عام ٦٣٦م

(١٥ هـ) عين الخليفة عمر بن الخطاب (٦٣٤ – ٦٤٤م / ١٣ – ٢٤هـ) عثمان بن أبي العاص – الذي قاد حملة ضخمة ضد السند من الموانئ العمانية – واليا على عُمان ، ومن الممكن ان حاكماً عينه الخليفة قد بقي في عُمان حتى نشب النزاع بين الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب آخر الخلفاء الراشدين (٦٥٦ – ٦٦١م / ٣٦ – ٤١هـ).

وبعد هزيمة الجيش الفارسي في معركة القادسية في عام ٦٣٦م (١٥هـ) أظهر الخليفة عمر بعض التخوف من ان يطلب (يزدجرد) ملك الفرس العون من "ملك عُمان" ، مما يوحي بأن الإسلام لم يكن قد استقر استقرارا جذريا في عُمان في ذلك الوقت ، غير أن السكان الفرس الموجودين في عُمان رفضوا فكرة اعتناق الإسلام مما أدى إلى أن يهاجمهم الأزد الذين دخلوا حديثاً في عاصمتهم (دستجرد) حيث استسلموا عقب مصرع قائدهم (مسكان).

وقد كان للعمانيين دور مهم في انتشار الإسلام حين أصبحت البصرة في جنوبي العراق مركزاً حيوياً للغزوات العربية في إمبراطورية بالغة الثراء، حيث بدأت حركة الأزد وغيرها من قبائل عُمان والبحرين تتجه منذ البداية نحو البصرة للمشاركة في حملة على إقليم فارس في حوالي ٦٣٧م (١٦ هـ)، وقد عين الخليفة عمر بن الخطاب كعبا بن صر اللقيطي من بني الحرث – وكان مسيحيا قبل إسلامه – قاضياً على البصرة عام ١٨هـ. وكان الأزد يشكلون أكبر قبيلة مستقلة في موقعة الجمل قرب البصرة عام ٦٥٦م (٣٦ هـ) بين علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين وزوج فاطمة بنت الرسول الكريم وعناصر المعارضة المتحالفة، حيث شغل الأزد جزءاً من هذا التحالف ، وانتهت الموقعة بهزيمة جيش عائشة لكنها أعيدت إلى المدينة معززة مكرمة .

وكان هناك ثلاثة أفخاذ لقبيلة الأزد هم (الدوس وشنوءه وعمران) الذين برز منهم "أزد عُمان" وقد حقق هذا الفخذ نجاحاً عظيماً بين عام ٦٦٥ و ٦٨٣م (٤٥–٦٤هـ) بسبب التفضيل الذي لقيه أبناؤه من قبل زياد بن أبيه والي معاوية بن أبي سفيان – الذي كان يعيد تنظيم المدن في أخماس – ومن بعده ابنه عبيد الله ابن زياد ، وقد أدت إعادة التنظيم هذه إلى تقوية مكانة العمانيين بإعطائهم قيادة عدد من القبائل، مما أدى ايضاً إلى مقدم موجة أخرى من العمانيين من موطنهم في حوالي عام ٦٧٨م (٥٩م)، وهم في ذلك يختلفون عن العمانيين الذين أجبروا على الهجرة إلى العراق ودول الخليج المصدرة للنفط في الخمسينات والستينات من القرن العشرين.

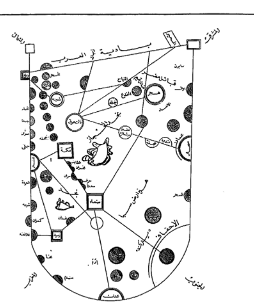
وبعد حوالي ستين عاما من تلبيتهم لدعوة الإسلام بلغ الأزد أوج قوتهم ، حيث سيطر قائدهم المهلب بن

علم فن الخرائط العربية في القرون الوسطى

زاد استغلال العرب واستخدامهم للبحر بعد ظهور الإسلام وبالذات خلال القرن التاسع. لقد اهتم الجغرافيون العرب بتوجيه من الخلفاء العباسيين ببغداد بالسفر وركوب البحر.

وقد وصف ابن خرداذبة الطريق إلى الصين في عام ٨٥٠ ميلادية وكذلك قام تاجر عماني برحلة بحرية مماثلة إلى كانتون في ذلك الوقت تقريبا.

كما وصف المسعودي في عام ٩٤٧ميلادية تجربته الشخصية لرحلته التي قام بها إلى الهند وعمان وشرق أفريقيا. لقد أنتجت تلك الرحلات – خصوصا في أوج عصر ازدهار صحار في القرن التاسع الميلادي حين كانت أهم ميناء اسلامي – أدباً قصصياً مثل قصص السندباد البحري وكتاب عجائب الهند. أنظر أيضا القسم الثامن.



– الخرائط العربية الأولى توضح بغداد والبصرة واقعتين في وسط المراكز الأخرى وقد تطور علم الخرائط بشكل كبير بمرور الزمن.



عمان وصحار تظهران في هذه الخارطة المبكرة التي تعود إلى القرنين التاسع والعاشر الميلادي. رجال البحر العمانيون كاحمد بن ماجد في القرن الخامس ، قدموا إسهامات كبيره لتطوير جوانب تقنيات الملاحة والاستكشاف البحري .



أبي صفرة على البصرة سيطرة تامة مما جعلها تعرف بـ " بصرة المهلب " وكانت مجموعة العمانيين في جيشه أكبر مجموعة على الإطلاق حيث بلغ عددهم ثلاثة آلاف قاموا بمحاربة غلاة الخوارج، وكذلك لعبوا دورا في فتح خراسان وكرمان مما أدى إلى أن يصيبوا ثراء عظيما. وهكذا أصبح الأزد لفترة من الزمن أقوى الفرق الإسلامية في الجزء الشرقي من الخلافة.

غير ان الدائرة ما لبثت ان دارت عليهم في أعقاب وفاة المهلب في عام ٧٠٢م (٨٢هـ) وتعيين الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٨٥ – ٧٠٥م / ٦٦ – ٨٦ هـ) للحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق، حيث كان الحجاج ينظر إلى الأزد بارتياب عميق يتبدى في خطبته في بداية ولايته حينما قال ساخرا " يا أهل العراق، يا عبيد المهلب"، وحينما سنحت له الفرصة من جراء قوته المتنامية شرع في تفتيت هذه القبيلة والقى القبض على يزيد بن المهلب الذي كان قد خلف أباه كقائد ووال على خراسان.

وكانت هذه الخطوة جزءاً من مخطط محكم لتفتيت كل معارضة للحكم الأموي. بعد ذلك حاول الحجاج معاقبة عُمان التي تزايدت أهميتها بكونها معقلاً مهماً للمنشقين بعد عودة الأزد إلى موطنهم الأصلي، وقد قام بسبع محاولات فاشلة، ثم جند جيشاً مكوناً من ٤٠،٠٠٠ من القبائل المعادية للأزد ووضعهم تحت قيادة أحد قواد المهلب السابقين وهو الخيار بن صبره بن ذؤيب المجاشعي الذي هاجم عُمان التي كان يحكمها آنذاك الأخوان سليمان وسعيد ابني عباد، وهما حفيدا عبد بن الجلندى، فسارت فئة من القوات المهاجمة بمحاذاة ساحل الباطنة بينما سارت الفئة الأخرى عبر جلفار. وقد هزم جيش سليمان قوة المجاشعي في بوشر ولكن القوات البحرية الحقت الهزيمة بسعيد في بركاء التي تبعد أربعين ميلا غرب مسقط، وفر سعيد إلى الجبل الأخضر بينما انقض سليمان على أسطول المجاشعي المؤلف من ٣٠٠ سفينة قرب مسقط وأحرقه كما الحق الهزيمة بقوات المجاشعي البرية في سمائل مما جعلها تتقهقر إلى جلفار، فطلب المجاشعي عندها تعزيزات من الحجاج الذي بعث بقوة جديدة، وكانت هذه فوق طاقة سليمان وسعيد، إذ حينما سمعا من احد الخيّرين الأزد الذي كان قد فر من جيش الخلافة، عن التعزيزات القادمة، أدركا أن الاستمرار في المقاومة أمر غير ذي جدوى وغادرا إلى " أحد أقاليم الزنج " في شرق أفريقيا مقدمين في ذلك الدليل على علاقة عُمان العريقة منذ القدم بهذه المنطقة.

وفي غضون ذلك لقي يزيد بن المهلب حظوة في البصرة عند الخلفاء اللاحقين لكنه قام بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز في ٧٢٠م (١٠٢ هـ) بإعلان الحرب على يزيد بن عبدالملك، واحتل البصرة، غير ان تمرده لم يدم طويلا، وانهزم ولقي حتفه مع جمع من الازديين في المعركة، ثم عاد الأزد بعدها إلى عمان التي أخذ أبناؤها يعودون إليها بعد وفاة الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وتغنى المنتصرون مرددين في أبيات قصائدهم كيف تم إخماد نيران مزون (عمان) وقهر أهلها وعدم ترك راية لهم يلتفون حولها والقضاء على جنود المهلب، وهكذا أسدل الستار على حقبة من

الإنجازات العمانية العظيمة في الخارج.

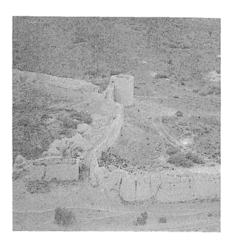
الإمامة المبكرة

نشأت الإمامة المبكرة في عمان من خلال رؤية لتكوين دولة مسلمة حقيقية ومثالية ، وقد شكلت الاحداث والاختلافات المذهبية في العراق الحافز الذي أثار قيام هذه الإمامة.

أما أول الأئمة فهو الجلندى بن مسعود – وكان ذا إيمان قوي بالمذهب الإباضي المتشدد في تمسكه بالنصوص ، ولذا فقد اختير ليكون أول الأئمة الشرعيين في عام ٧٥١م (١٣٥هـ) ، غير أن إمامته كانت قصيرة الأجل حيث قتل في معركة على يد جيش أرسله أبو العباس السفاح أول خليفة عباسي. وأعقب ذلك فترة عم فيها الطغيان والفوضى حتى تم اختيار الوارث بن كعب عام ٨٠١م (١٨٥هـ) إماما ، واستمرت الإمامة بعد ذلك التاريخ لثلاثة قرون أو يزيد دون انقطاع.

وكان الإمام يقوم بممارسة المهام الروحية والسياسية والعسكرية في مجتمعه بنسب تتفاوت حسب تفاوت أحوال البلاد ، ولقب الإمام نفسه يعني أنه كان دائما الزعيم الروحي الذي يؤم الناس في صلاة

أجزاء من القلعة العظيمة والمدينة المسورة بهلا التي ترجع الى عصور ما قبل الاسلام. كانت هذه المدينة لفترة طويلة عاصمة لأسرة النباهنة التي حكمت عمان قبل اليعاربة . والآن تم ترميم هذه القلعة كاملة حيث اعتبرتها منظمة اليونسكو واحده من أهم المناطق الأثرية في العالم .



سور بهلا البالغ طوله سبعة أميال والذي يحيط بقلعتها وبالمنطقة حولها ، عند رؤيته تتبادر إلى الذهن تلك المدن السومرية كأوروك ، ومدينة جلجامش (في العراق اليوم). يوجد بالسور جدران دفاعية وبوابات أما القلعة نفسها فتقف شامخة مطلة على السهل الواقع في أسفلها.

الجمعة كما كان القاضي الأعلى لاستئناف قضايا الأمور الدينية ، كما كان يدير شؤون الحكم ويفرض الضرائب في الحدود التي يستطيع فيها فرض إرادته ، كما كان يقوم بدور الحاكم العسكري عندما تدعوه الضرورة إذا كانت شخصيته ملائمة لهذا الدور ، وفي الواقع كانت قوة الإمام محدودة دائما بسبب التركيب القبلي المعقد، مما ضمن حسب الفلسفة الإباضية العامة أن السلطة المؤقتة نادرا ما كانت مطلقة، كما تركزت عزلة العمانيين في الداخل – في الماضي – حول المذهب الإباضي ، وهذا يفسر إلى حد ما الثنائية التي تتبدى في العادة في تاريخ عمان بين الداخل الإباضي والمناطق الساحلية المطلة على الخارج حيث يتكون السكان من سنة وشيعة في معظمهم.

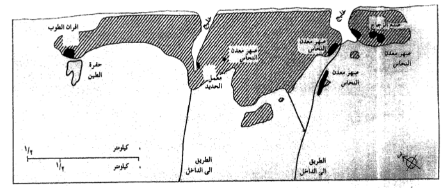
ونجد وصفا لانتخاب الإمام راشد بن الوليد في وصف المؤرخ العماني ابن رزيق الذي قام بشرح النهج المتفق عليه ، وبين كيف اجتمع أربعة رجال من ذوي الحل والعقد تحت رئاسة أبي محمد عبدالله من بيت راشد بن الوليد، وهناك تم الاتفاق على المبادئ التي ستحكم البلاد بموجبها، وأعطى المجتمعون ولاءهم لراشد. كما اجتمع في نزوى حشد كبير من الناس ممثلين لكثير من مدن عمان في سهل نزوى ، وخطب فيهم الشيخ أبو محمد، معلنا إمامة راشد وطلب منهم تقديم ولائهم له، وهذا ما فعلوه عن طريق التسليم عليه مثنى وفرادى، وقام الإمام الجديد بتعيين الولاة على كل المدن والمقاطعات، كما عين جباة الزكاة، وأم الناس في صلوات الجمعة في نزوى.

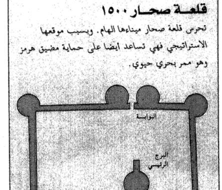
وبين مطلع القرن الثامن وعام ٨٨٧م (٢٧٤ هـ) تم صد هجمات قوات الخلافة وتم درء القراصنة الهنود (أو البوارج) بواسطة استخدام أسطول تم بناؤه خصيصا لهذا الغرض في عهد الإمام غسان بن عبدالله (٨٠٧–٨٢٤م / ١٩٢–٢٠٩ هـ) غير انه نتيجة لعزل الإمام الصلت بن مالك، حدثت اضطرابات شديدة وقلاقل بين القبائل النزارية (الشمالية أو العدنانية) واليمنية (الجنوبية أو القحطانية) واستغاث النزاريون بالخليفة المعتضد (٨٩٢–٩٠٢م / ٢٧٩–٢٩٠ هـ) فقام محمد بن نور والي الخليفة في البحرين بجمع قوة مكونة من حوالي ٢٥٠٠٠ نزاري قاموا بارتداء الدروع ليتحركوا ناحية عمان. وفي عام ٨٩٣م (٢٨٠ هـ) تم اجتياح عمان وكانت في الواقع أياما سوداء، حيث يقول المؤرخ العماني سرحان بن سعيد "وخرجت عمان من أيدي أبنائها ولم يغير الله تعالى نعمته التي انعمها عليهم ولكنهم غيروا ما بانفسهم بما ارتكبوه من آثام " . ولم يكن النسيان ليمحو من الأذهان محاكم محمد بن نور الدموية ، الذي كان عهده عهد إرهاب، حيث قطع فيه الغزاة أيدي أعدائهم وأرجلهم وآذانهم ، وفقأوا عيونهم ، وكانت فترة انتهكت فيها الحرمات ، حيث سد الغزاة الأفلاج وأحرقوا كتب الإباضية. وبعد غزو محمد بن نور تم انتخاب ثمانية أئمة في تتابع سريع ، وليس من الواضح مدى الصرامة في أوامر الخليفة آنذاك ، على الرغم من وجود عملات معدنية تم سكها في عمان بين عامي ٨٩٢ و ٩٣٠م (٢٧٩ – ٣١٨ هـ) باسم الصفاريين الذين سيطروا على جنوب إيران لفترة قصيرة من الزمن. وقد انسحب أحمد بن هلال الذي ولي عمان بعد محمد بن نور ، واهتم بالمصالح العمانية وشجع التجارة خصوصا بعد أن غادر عاصمته بهلا إلى صحار التي دافع عن مصالحها ضد مطامع الخليفة المقتدر (٩٠٨ – ٩٣٢م : ٢٩٦ – ٣٢٠ هـ).

وقد سنحت الفرصة لعمان كي تزدهر في فترة ضعف سلطة الخلافة المركزية خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين) حينما استقل كل من شمال أفريقيا ومصر والشام عن الخلافة، واستولت قوى محلية على السلطة في خراسان وأراضي ما وراء نهري سيحون وجيحون، وتقسمت فارس ، ووقع شرق الجزيرة العربية تحت تأثير حركة القرامطة القوية التي قامت على أساس الإصلاح الاجتماعي والعدالة المبنية على المساواة . وهكذا فقد سارت الأحداث في مصلحة صحار كميناء رئيس للمنطقة. وحينما احتل القرامطة عمان بعد فترة وجيزة من استباحتهم لمكة ونهبها في عام ٩٢٩م (٣١٧ هـ) وجد الإباضية في القرامطة حكاماً معتدلين ، حيث ظلت عمان لمدة خمسة وثلاثين عاما تحت سيطرة العائلة الوجيهية التي كانت مستقلة عن الخلافة غير أنها كانت تدفع الجزية للقرامطة ، وخلال هذه الفترة توسع نشاط عمان البحري الذي كان قد وصل إلى مستوى عال آنئذ ، وأصبحت صحار أهم الموانئ البحرية ، كما قام الأسطول العماني بنشاط تجاري مع أفريقيا ومدغشقر. وأبحرت القوات البحرية العمانية مرتين للبصرة التي أصبحت مركزا تجاريا عظيما في جنوبي العراق ، ومنها أبحرت حتى الشرق الأقصى ، ومع أن عائلة الجلندى قد فقدت سيطرتها على عمان لكنها بقيت متحصنة في (هوزو) على الساحل الجنوبي لفارس ، حيث قام أفرادها بفرض رسوم على كل السفن القادمة إلى الخليج والمغادرة منه ، وبين ٩٥٠ و٩٦٠م (٣٣٨–٣٤٩ هـ) تم صك العملات الجلندية باسم رضوان بن جعفر "ملك البحار وحاكم قلعة هوزو" وفي هذا الوقت كانت العلاقة بين العمانيين وبني عمهم في (هوزو) غامضة ، ولكن لاشك بان العمانيين هم الذين بسطوا سيطرتهم على مياه الخليج

صحار في الفترة من القرن الرابع إلى القرن العاشر الميلاديين

كانت أهم الصناعات في صحار في ذلك الحين صناعة الطوب من الصلصال المحلي وصهر النحاس وصناعة الأواني الزجاجية.



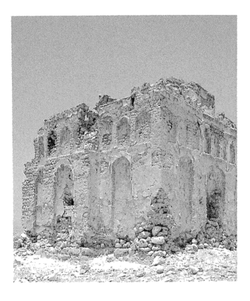


قلعة صحار ١٥٠٠

تحرس قلعة صحار ميناءها الهام. وبسبب موقعها الاستراتيجي فهي تساعد أيضا على حماية مضيق هرمز وهو ممر بحري حيوي.

والمحيط الهندي في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري).

ثم استولت عائلة بويهية من الديلم على مقاليد السلطة في بغداد، جاعلين من خليفة بغداد سجينا لهم، وبحلول عام ٩٨٠م (٣٦٩ هـ) كانوا قد استعادوا سيطرة بغداد المركزية على فارس ومعظم مناطق الخليج إضافة إلى العراق، وكانت قوة صحار البحرية وعائدات الرسوم التجارية في العراق وفارس – بالإضافة إلى ازدهارها الاقتصادي – مثار حسد طبيعي، فكان نتيجة ذلك أن أرسل معز الدولة البويهي أسطولا إلى عمان في



ضريح القديسة بيبي مريم لا تزال ذكراها ماثلة في بقايا هذا المسجد الواقع وسط أطلال مدينة قلهات التي كانت مزدهرة في يوم من الأيام.

عام ٩٦٥م (٣٥٤ هـ) تحت قيادة أبي الفرج محمد بن عباس، حيث رست الحملة في جلفار – رأس الخيمة حاليا – ثم تقدمت إلى صحار ليقوم أفرادها بتدمير الممتلكات التي شملت تسعا وسبعين سفينة كما قتلوا كثيرا من السكان. ولم يمض وقت طويل حتى سقطت قلعة بني الجلندى في (هوزو) على الساحل المقابل للخليج في أيدي البويهيين، غير أن مجد صحار لم ينطفئ حتى عام ٩٧١م (٣٦٠ هـ) حينما قام البويهيون بالهجوم عليها في الوقت الذي كانت فيه فرضة العالم كله فنهبوها وقتلوا معظم أهلها.

إلا أن سيطرة البويهيين على عمان كانت قصيرة الأجل لأن سيطرتهم على منطقة الخليج لم تستمر إلا لأقل من مائة عام، حين انهارت إمبراطوريتهم أمام جحافل السلاجقة الأتراك القادمين من سهوب أواسط آسيا عام ١٠٥٥م (٤٤٧ هـ). وقد جمع (قاورد قارا ارسلان بيك) أول حاكم سلجوقي في كرمان أسطولا من سفن النقل في هرمز وهاجم عمان عام ١٠٦٤م (٤٥٧ هـ) واحتلها، واضعا بذلك اللمسات النهائية لعملية التوسع الجنوبي الغربي لما وراء نهر (الأوكسوس)، والذي استمر منذ القرن العاشر.

وقد تبع ذلك فترة من الاضطراب في الخليج استمرت حوالي ثلاثمائة عام. أما ساحل عمان فقد ظل في يد السلاجقة نحو ثمانين عاما فقط، ثم خلفهم أهل البصرة والتركمان الغز. وقد تعرضت مدن الساحل لغارات قامت بها أسرة المظفر من مقاطعة فارس، أما صحار فقد كانت كقرية من الأطلال الخربة حسبما وصفها سكان جزيرة قيس وأهل عمان الداخل، وقد ذكر ذلك في بداية القرن الرابع عشر الميلادي المؤرخ أبو الفداء. وهكذا فقدت عمان وحدتها حيث كان يحكم ملوك النباهنة في الداخل، وقد ذكر المؤرخ العربي سرحان بن سعيد أنه لم يجد أية وثيقة تدل على قيام إمامة لمدة مئتي عام (أو تزيد) بين عام ١١٥٣م (٥٤٨ هـ) حينما قضى الإمام موسى بن أبي جابر نحبه وبين فترة حكم الإمام حابس بن محمد الذي توفي عام ١٤٠٦م (٨٠٩ هـ).

وأما ظفار فقد كانت مزدهرة ازدهارا اقتصاديا نسبيا في تلك الفترة، ويشير (ماركو بولو) في القرن الثالث عشر إلى صادراتها المهمة من الخيول. كما زار ابن بطوطة المنطقة عام ١٣٣١م (٧٣١ هـ) حينما كان يحكمها سلطان الملك المغيث ابن الملك الفائز الذي كان يحكم في قصره الفخم المتميز بمسجده الجامع الملاصق للقصر، وكان هذا الملك ينتسب إلى ملوك اليمن. كانت البلاد مزدهرة آنئذ ومعتمدة بصورة أساسية على تجارتها البحرية، ولكنها كانت أكثر بعدا عن شمالي عمان التي وصفها ابن بطوطة بانها تبعد مسيرة عشرين يوما، وكان فيها مساجد كثيرة، والمصلون يسلم بعضهم على بعض بالأيدي بعد صلاة الفجر والظهر، وكانت من عادة السلطان ان يأتي بالطبول والأبواق والمزامير كي تعزف موسيقاها على بوابة بيته بعد صلاة الظهر كل يوم، وفي يومي الاثنين والثلاثاء من كل أسبوع كان هناك استعراض للقوات خارج قاعة الجماهير لمدة ساعة واحدة.

وبعد سقوط صحار كانت سيراف إحدى مدن ثلاث ازداد ثراؤها اثر التجارة مع الشرق الأقصى وأفريقيا، لكن نجمها أفل بعد سقوط البويهيين وحلت محلها جزيرة قيس التي تنافست فيما بعد مع (هرمز) لفرض سيادتها على الخليج، إلى ان أصبح الموقف يميل لصالح سكان (هرمز) التي طارت شهرتها حتى وصلت إلى أوروبا، حيث يقول (ملتون) في رائعته (الفردوس المفقود) متحدثا عن الشيطان:

"متربعا على عرش سام يليق بالملوك
ويطغى دون عناء على ثروة هرمز والهند
أو حيث يغدق الشرق الفتان باغنى الأيدي
على ملوكها لآلي وذهبا بربريا"

وقد فرض أمير هرمز محمود بن أحمد الكوسي سيطرته عندما نزل في قلهات في القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) واستدعى اثنين من ملوك بني نبهان حكام عمان مخضعا بعد ذلك جزءا من عمان لسيطرته. ولما كانت جذور الهرمزيين قد ترسخت على الساحل منذ مطلع القرن الرابع عشر (الثامن الهجري) أصبحت قلهات عاصمة ثانية بالإضافة إلى هرمز نفسها. وكانت مسقط مركزا آخر من مراكز قوة الهرمزيين في عمان، على الرغم من أن صحار كانت أيضا مهمة بالنسبة إليهم. ومن المشكوك فيه إن كانت سيطرة الهرمزيين قد توغلت إلى داخل عمان، لانه حينما وصل البوكيرك البرتغالي في عام ١٥٠٧ لاحظ أنه يوجد في كل بيت في مسقط خزانة يضع الناس فيها ممتلكاتهم الثمينة في حالة حدوث غارة يشنها أهالي الداخل.

وخلال هذه الفترة حكم بنو نبهان عمان الداخل، خصوصا من مقنيات على جانب الجبل الاخضر المطل على الظاهرة، وعلى الرغم من أن الروايات التاريخية لم تنصفهم بسبب سمعتهم السيئة، إلا أن هناك بعض استثناءات: فالفلاح بن محسن وهو اشهر ملوك بني نبهان عرف بالنزاهة والعدالة والحنكة السياسية وهو الذي شيد حصن مقنيات الشامخ المسمى بالاسود، وكان راعيا للشعراء كما كان ذا خبرة واسعة بالزراعة حيث أدخل زراعة فاكهة المانجو إلى عمان، وخلفه في سدة الحكم ابنه عرار الذي تمتع مثل أبيه بسمعة حسنة، كما حاز ملوك آخرون الصيت من جراء نجاحهم في وقت السلم والحرب على الرغم من ان هذه الفترة لم يكتمل تاريخها.

ومع ذلك فإن الرأي الأخير في هذه الأسرة النبهانية هو انهم كانوا طغاة أدى فساد حكمهم إلى شرور شملت البلاد – هذا على الأقل من وجهة نظر مؤرخي الإمامة العمانيين. وعقب وفاة مالك بن الحواري عام ١٤٣٥م (٨٣٩ هـ) تجمع أعيان القوم لتعيين أبي الحسن عبدالله بن خميس الأزدي إماما، مجددين بذلك نظام حكم الإمامة.

وكان هناك بعض التشويش حول الذي تولى مقاليد الأمور في الفترة اللاحقة كما تدل على ذلك قصة سليمان بن المظفر النبهاني (١٥٠٠ – ١٥٢٩م : ٩٠٦ – ٩٣٦ هـ) فحينما كان سليمان بمفرده في غرفته بقلعة نزوى سمع هاتفا يقول "استمتع بنفسك يا ابن نبهان لأيام قليلة ، فسرعان ما سيسقط حكمك، لذا فتأهب للموت". وبعد فترة وجيزة من هذا الدليل الروحاني – على الرغم من اعتباره الصوت وهماً من الشيطان – فقد عقد العزم على أن يغادر هو ورفاقه إلى نزوى حيث رأى في صباح اليوم التالي امرأة في طريقها للسباحة في الفلج فحاول التحرش بها، ولكنها فرت واشتكته إلى محمد بن اسماعيل الذي خرج من بيته لحمايتها وقام بإغماد خنجره في قلب سليمان وقتله في الحال، ففرح سكان المنطقة فرحا عظيما وانتخبوه إماما عليهم. وعلى الرغم من تجدد انتخاب الأئمة فإنه من الواضح وجود سلاطين من بني نبهان كالسلطان محمد بن سليمان النبهاني الذي استمر إلى زمن ناصر بن مرشد الإمام اليعربي العظيم الذي بدأت إمامته عام ١٦٢٤م (١٠٣٤هـ).

ظهور القوى الأوروبية على المسرح

على الرغم من الخلافات والنزاعات الداخلية بين العرب، وظهور ممالك مناوئة لحكم الخلافة، فقد سيطر العرب على التجارة التي تعود بالأرباح الوفيرة من الشرق، وقد مارس التجار والبحارة العرب احتكارا ضمنيا لتجارة التوابل التي كان يتزايد الطلب عليها في أوروبا، واستمر العمانيون في جني الأرباح على الرغم من الشقاقات الداخلية فيما بينهم. وقد شهد البرتغاليون في مطلع القرن السادس عشر ازدهار المدن الساحلية العمانية الذي بدا واضحا وجليا، وقد نجح البرتغاليون بعد ذلك في القضاء على هذا الاحتكار قضاءً مبرما.

لقد أدى تداخل الأحداث وعوامل مختلفة إلى اكتشاف الطريق حول طرف أفريقيا الجنوبي عند رأس الرجاء الصالح على يد (فاسكو دي جاما) في عام ١٤٩٨ (٩٠٤هـ)، ومن هذه العوامل أولا أن البرتغاليين اكتسبوا مهارة كبيرة كبحارة ومكتشفين منذ زمن (هنري البحار) في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي. ثانيا انهم تعودوا على كماليات الشرق خلال الفتح الإسلامي القديم، كما راودهم الأمل في أن ينالوا نصيبهم من تجارة التوابل. ثالثا الوعي الوطني الذي كان قد تجسد عند البرتغاليين من خلال حروبهم العديدة ضد المسلمين، ومغامراتهم في المحيط الهندي، والتي كانت استمرارا لحملتهم الصليبية



أعلن "أفونسو البوكيرك" – باسم ملك البرتغال – حربا شاملة على كل من يعترض طريقه ليفرض سيطرته على البحر الأحمر والخليج.

الطابع ضد المسلمين ، وهذا قد يفسر – إن لم يبرر – فظاعة الأساليب البرتغالية. رابعا إن البرتغاليين كانوا قد عقدوا العزم على اكتشاف طريق (برستر جون) السري الذي أثار اهتمام الناس في أوروبا إثارة عظيمة في ذلك الوقت.

وقد أدت رحلة (فاسكو دي جاما) إلى إحداث ثورة في ميدان التجارة في أوروبا ، وقام البرتغاليون بزيادة قوتهم العسكرية والبحرية في المحيط الهندي ، كما تبدت مطامح البرتغاليين في المنطقة علانية في وصف الملك (عمانويل الأول) بأنه "ملك الفتوحات والملاحة والتجارة في الهند والحبشة والجزيرة العربية وفارس".

ومن سخرية الأقدار أن قاد بحار عماني شهير هو أحمد بن ماجد سفينة (فاسكو دي جاما) من (ماليندي) في شرق أفريقيا عبر المحيط الهندي إلى (كلكتا) ، وبذلك ساعد بدون إدراك منه في انهيار السيادة العربية على البحار.

وربما كان (جواو الثاني) (١٤٨١ – ١٤٩٥م) سلف الملك (عمانويل) هو الذي عقد العزم على الإطاحة بالسيادة التجارية العربية. وفي عام ١٥٠٦ اتجه (الفونسو البوكيرك) إلى الشرق حاملا رسالة ملكية من قبل الملك (عمانويل) تقضي بتعيينه حاكما على الهند محل نائب الملك (فرانسيسكو دي الميدا) ، وكان من الواضح وجود نوع من التنافس للفوز بموقع في بلاط الملك (عمانويل). ووصل (البوكيرك) إلى المحيط الهندي قائدا لأسطول مكون من خمس سفن ومزودا بتعليمات لفرض حصار على البحر الأحمر أمام التجارة المشرقية التي قام عليها ازدهار مصر والبندقية، وحقا فقد كان سكان البندقية على وعي بالخطر الجديد الذي يتعرض له وضعهم التجاري ، فقاموا عبر قنصلهم الذي عينه قداسة البابا في الاسكندرية بالطلب من سلطان مصر المملوكي ليلتمس من قداسته ان يحرم على جميع المسيحيين المتاجرة في البحر العربي والمحيط الهندي. وكان من الطبيعي أن يسعى أهل البندقية إلى الإستئثار بجميع تجارة الشرق بعد أن تصل البضائع سالمة إلى مصر ، غير أن جهود البندقية الدبلوماسية قد فشلت في هذه الفترة ، وواصل البرتغاليون فتوحاتهم دون أن يتعرض لهم أحد بشيء.

وقد كان لدى (البوكيرك) طموحات خاصة إضافة إلى توجيهات رسمية كان يحملها ، وكان يأمل في تكوين إمبراطورية عظمى في الشرق ، فاحتل سقطرى واتخذها قاعدة لتنفيذ حصاره للبحر الأحمر ، وكان هدفه يتمثل في احتلال هرمز التي سيطرت آنذاك على حصة الأسد من تجارة الخليج ، وكان هدف (البوكيرك) بسيطا وعميقا من الناحية الاستراتيجية ، فقد كان يأمل في السيطرة على الممرين الرئيسيين اللذين مرت عبرهما تجارة الشرق لأجيال وأجيال وهما البحر الأحمر والخليج ، وكان من الطبيعي في بداية المطاف أن يعاقب الموانئ العمانية التي لم تكن عرضة للسيادة الهرمزية فحسب بل كانت تتمتع بأهمية خاصة

في نفس الوقت لأنها الموانئ التي كانت تنطلق منها الأساطيل العمانية خلال عملياتها في كل أنحاء المحيط الهندي. ومثل (فاسكو دي جاما) فقد اعتمد (البوكيرك) على الملاحين العمانيين ، غير أن هذا لم يدفعه لمحاباة العمانيين الذين كانوا يقطنون المدن الساحلية التي وجدها في حال مزدهرة وتمدها عمان الداخل بالمحاصيل الزراعية. وعلى الرغم من أنه قدم في رحلة بحرية طويلة حيث كانت عمان أول دولة يقوم بزيارتها – فقد توقف أثناء طريقه في موانئ شرق أفريقيا – إلا أن الزراعة العمانية أثرت تأثيرا عميقا في نفسه ، فقال عن قلهات وهي أول ميناء قام بزيارته زيارة خاطفة "لقد جاءت كل مؤونتهم من الذرة و الشعير والدخن والتمور من الداخل ، لأن هناك الكثير من هذه المنتجات ، وهذا الميناء هو أهم مركز تجاري للسفن التي تأتي إليه لتحمل الخيول والتمور إلى الهند". وكتب عن مسقط إنها أهم مركز تجاري في مملكة هرمز ، وعلق قائلا "إن مسقط مدينة كبيرة وآهلة بالسكان .... فهناك البساتين والحدائق ومزارع النخيل والخمائل وتوجد فيها برك ماء لريها باستخدام آلات خشبية ، والميناء صغير يشبه شكله حدوة حصان لتوفير الحماية ضد هبوب الرياح .. وهي سوق قديم لنقل الخيول والتمور ، كما أنها مدينة أنيقة جدا ذات بيوت في غاية الجمال ، وتمدها منطقة الداخل بالقمح والشعير والذرة والتمور لتحميل كل السفن التي أتت سعيا وراء هذه البضائع". كما كتب عن صحار أيضا ذاكرا أنها مدينة جميلة بمنازل رائعة، وذكر ان كل المنطقة الممتدة خلف صحار كانت كلها مزروعة بالقمح والذرة والشعير، وأن أعدادا كبيرة من الماشية والخيول كانت تربى فيها نظرا لكثرة أشجارها وأن ما يزيد على الخمسمائة فارس الذين كانت تعتز بهم المدينة كانوا يرتدون "دروعا فولاذية تغطيها طبقات من الحديد مرتبة على شكل متطابق كسطح القراميد ، وهي من القوة إلى حد أنها تستطيع مقاومة السهم المنطلق من سلاح القرون الوسطى الفتاك. وكانت الأرباع الأمامية محصنة على هذه الشاكلة".

وكانت خورفكان منطقة مزدهرة أيضا "وفي الداخـل هنـالك أراض كثيـرة ذات منـازل حسـنـة وكثير من أشـجار البرتقـال والليمـون والزامبـوا Pomum Adami، والتين والنخيل وسائر أنواع الخضار وكثير من أحواض المياه التي استخدموها للري، وفي الحقول يشاهد الكثير من القش المتبقي بعد الحصاد كما هو الحال في البرتغال وهناك الكثير من حقول

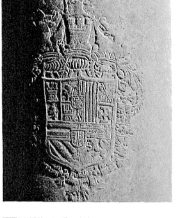
المدافع

بوصول المدافع والبارود إلى المحيط الهندي في نهاية القرن العاشر – وذلك عن طريق السفن البرتغالية – طرأت تغيرات على تاريخ عمان. أما مؤسس الامبراطورية البرتغالية عديم الرحمة "أفونسودي البوكيرك" فقد نهب مسقط في عام ١٥٠٧م . المراكب المحلية الصغيرة بطبيعتها لم يكن باستطاعتها الوقوف امام أسلحة البرتغاليين الثقيلة. كان هدف البوكيرك هو حماية امبراطورية البرتغاليين الشرقية والتحكم في طرق التجارة بواسطة أسطولها المسلح تسليحاً جيداً وبالاعتماد على قلاعه الساحلية المنيعة . منذ عهده فصاعدا أصبح المدفع سلاحاً أساسياً في الحرب إما لحماية عمان من الغزاة الطامعين القادمين من الخارج أو لتسوية النزاعات الداخلية

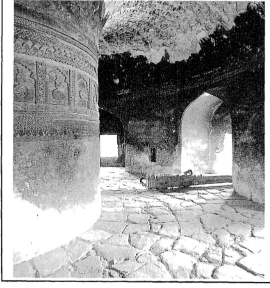


(أعلى) نقش محفور على مدفع برتغالي بقلعة الحزم .









نقوش الطبقات التي تغطي أذرع المدافع (أعلى) تدل على ان العمانيين استولوا عليها عندما طردوا البرتغاليين من مسقط في منتصف القرن السابع عشر .
–(يسار) : مدفع برتغالي بقلعة الحزم وهو من النوع الذي يعبأ من فوهته . (وسط اليسار) : مدفع يحتوى على أذرع إسبانية ذات نقوش.

الدخن ... وتوجد في المدينة إسطبلات كبيرة للخيل، وكثير من الغرف القشية لحفظ تبنهم، لان هذا الميناء يصدر خيولا كثيرة إلى الهند".

وقد دمر (البوكيرك) وهو في طريقه إلى قلهات عام ١٥٠٧ (١٩١٣هـ) كل سفينة عربية واجهها ، معلنا بذلك الحرب على كل معارضة للبرتغاليين في البحر. ثم غادر قلهات التي خضعت لسيادته دون أن يمسها بأذى غير أنه عاد ونهبها بعد أن تخوف من عدم ولائها لسلطته.

ولم تكن قريات ومسقط مسالمتين كقلهات، فاقدم على استباحتهما وحرقهما، ولم يقتل كبار السن لكنه جدع أنوفهم وقطع آذانهم. ومارس (البوكيرك) القتل والتدمير أيضا في خورفكان في طريقه إلى هرمز حيث سرعان ما هزم الأسطول الهرمزي الكبير ، كما أخضع لسلطة البرتغال الشيخ سيف الدين الذي كان ما يزال شابا، ثم أنشأ قلعة كبيرة هي قلعة (نوسا سنهورا دا فكتوريا)، وهي الأولى في سلسلة القلاع البرتغالية في الخليج والمحيط الهندي.

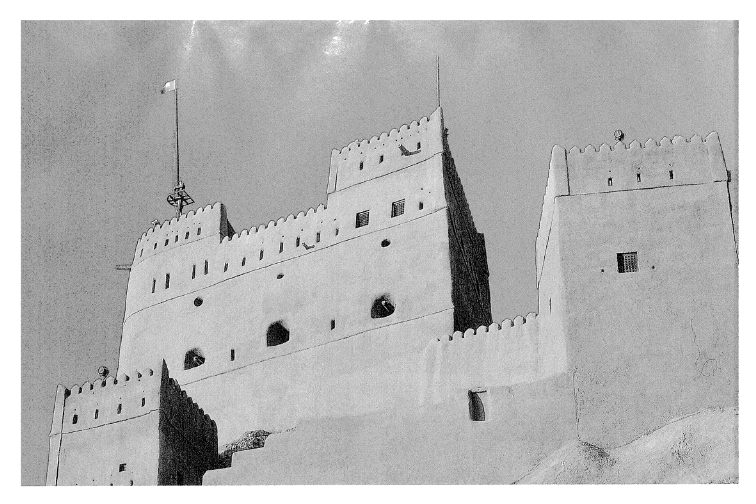
وأعقب ذلك فترة من المعارك البحرية بين البرتغاليين والسكان المحليين من ناحية ثم في مرحلة لاحقة بين القوى الأوروبية من ناحية أخرى، غير أن البرتغاليين لم يؤثروا مطلقا على نمط حياة الخليج وتجارته، ولكنهم حاولوا بسط سيطرتهم والاستفادة من الأنماط التقليدية على الرغم من أن تحصنهم في قلاعهم الكبيرة أدى إلى بقائهم معزولين عن السكان المحليين وغير متعاطفين معهم. ولم تكن العلاقات بين عمان والبرتغاليين علاقة سهلة على الإطلاق، فقد حاول البرتغاليون حماية إيرادات الجمارك في هرمز، وقاموا بتعيين موظفين من بينهم للقيام بهذه المهمة مما أدى إلى قيام ثورة شاملة عام ١٥٢١م (٩٢٧ هـ) في هرمز وتوابعها في سواحل عمان – مسقط وصحار وقريات – إضافة إلى البحرين. ولكنهم مع ذلك حافظوا – على الرغم من مواجهة المنافسة والتحديات – على سيادتهم على الخليج والمحيط الهندي لقرن من الزمان تقريبا، مانعين بذلك السفن المحلية من الاتجار دون أن تكون حاملة تراخيص برتغالية.

وبعد أن استولى العثمانيون الاتراك على مصر وانتزعوها من يد السلطان المملوكي عام ١٥١٧م (٩٢٣ هـ) استاءوا من الحصار الدائم الذي فرضه البرتغاليون على البحر الأحمر ، فأرسلوا أسطولا ضخماً يقوده سليمان باشا والي مصر ضد البرتغاليين في



القلعتان البرتغاليتان ، الميراني (أعلى) والجلالي (في الصفحه المقابلة) تم الانتهاء من بنائهما في عامي ١٥٨٧م و١٥٨٨م، حينما كان ملك اسبانيا فيليب (أسفل) ملكاً على البرتغال.





قلعة الجلالي بمسقط . كانت احد معاقل البرتغاليين . سقطت بيد سلطان بن سيف في عام ١٦٤٩م . اما اليوم فتستخدم كمتحف .

المحيط الهندي عام ١٥٣٨م (٩٤٥ هـ). وفي عام ١٥٥٠م (٩٥٧ هـ) قام (بيري رئيس) القائد العام للأسطول البحري التركي ، بمحاولة أخرى للحد من نشاط البرتغاليين ، واجتاح بقوة بحرية كبيرة الخليج وأجزاء من المحيط الهندي، وسيطر على مسقط وأخرج منها (مؤقتا) الحامية البرتغالية المرابطة هناك. ولسبب لم يتضح تماما ذكر والي البصرة بأن الحملة قد فشلت وأن (بيري رئيس) أعدم في القاهرة تنفيذا لطلب من القسطنطينية عام ١٥٥١م (٩٥٨ هـ). وفي عام ١٥٨١م (٩٨٩ هـ) احتل الأتراك بقيادة (علي بيك) مسقط للمرة الثالثة، وباغتوا البرتغاليين الذين فروا إلى الداخل حتى انسحب الأتراك.

وكان هذا العار الذي لحق بالسلاح البرتغالي هو السبب الذي دعا حكومة البرتغال إلى أن تأمر بزيادة التحصينات في مسقط وبناء قلعتين قويتين هما الجلالي والميراني. غير ان البرتغاليين لم يقتصروا على المباني العسكرية فقط وإنما جلبوا معهم حماسا تبشيريا يدل عليه إقامة ثلاث كنائس: الكاتدرائية الملاصقة لدير أوغسطيني ، وكنيسة أخرى في مكان ما قريب من موقع السفارة البريطانية (القديم) عند قاعدة التل الجبلي الذي تطل عليه قلعة الجلالي، والمعبد الكنسي في الميراني وهو الوحيد الذي ما يزال باقيا من هذه المعابد الثلاثة.

وتبع الهولنديون البرتغاليين في البحث عن ثروات الشرق ، فارسلوا أول بعثاتهم حول رأس الرجاء الصالح إلى إندونيسيا عام ١٥٩٤م (١٠٠٣ هـ)، ومن هنا أمكنهم تصدير التوابل الغالية الثمن ، وكان من بينها القرنفل واللبان الجاوي. وسرعان ما أدركوا ان المحيط الهندي والخليج كانا ايضا منطقتين تتميزان بأهمية استراتيجية وتجارية ، ثم ما لبثوا أن ظهروا هناك حيث تاجروا مع جنوب الهند بالفلفل ، ومع سيلان بالقرفة. وداعبت الإنجليز والفرنسيين مطامع شبيهة فقرر الجانبان في نهاية المطاف إقامة علاقات أوثق مع عمان من تلك التي تربطهما مع الهولنديين. ووصل الكندي (جون نيوبري) إلى هرمز عام ١٥٨٠م (٩٨٨ هـ) وبدأ مع لندني آخر هو (رالف فتش) العمل معا لخدمة المصالح البريطانية بجد ونشاط، وبعد فترة قصيرة حين رفع الهولنديون سعر الفلفل من ثلاثة شلنات إلى ثمانية للباوند الواحد ، قام تجار لندن بإنشاء شركة الهند الشرقية الإنجليزية عام ١٦٠٠م (١٠٠٩هـ) خصوصا بعد أن أثارتهم قراءة قصص رحلات اللندني التي نشرت عام ١٥٩٨م في كتاب (رحلات هاكلويت البحرية).

كما كان لنشاط رجلين إنجليزيين آخرين هما الاخوان (شيرلي) الفضل في إعطاء البريطانيين مجالا افضل في بلاط الشاه عباس الأول "الكبير" الذي تولى العرش عام ١٥٨٧م (٩٨٥هـ) وحكم حتى عام ١٦٢٩م (١٠٣٨هـ) وأعاد لفارس مجدها.

وكان الشاه عباس يهدف منذ سنوات إلى طرد البرتغاليين من هرمز معقلهم الرئيسي خصوصا بعد ان ضعفت مكانتهم العامة بسبب طردهم من البحرين عام ١٦٠٢م (١٠١١هـ) على يديه ، وتماشت مصالحه لفترة من الزمن مع مصالح التجار الإنجليز الذين

شاركت سفنهم في هجوم ناجح على المركز التجاري الشهير عام ١٦٢٢م (١٠٣٢هـ)، وكان شاه عباس قد قام بعمليات متابعة لنجاحاته في هرمز، فطرد البرتغاليين مؤقتاً من صحار التي كانوا قد احتلوها بأعداد كبيرة عام ١٦١٦م (١٠٢٥هـ) وكذلك من خور فكان.

غير أن النجاح الفارسي لم يدم طويلا، فقد استعاد البرتغاليون المدينتين على يد قائد قلاع مسقط (روي فرير دي أندرادي)، الذي كان اسمه يبث الرعب في كل ربوع المنطقة. وهكذا احتل البرتغاليون صحار حتى عام ١٦٤٣ (١٠٥٣هـ) حين أخرجهم الإمام ناصر بن مرشد منها نهائياً. غير أن سيطرة البرتغاليين على الساحل العربي كانت آخذة في الضعف تدريجيا بنهاية القرن، بغض النظر عن الإجراءات مثل تحصين قلعة كسابو (خصب) في رأس شبه جزيرة مسندم عام ١٦٤٩ (١٠٥٩ هـ).

وقد نجح الإمام ناصر في إضعاف شوكة البرتغاليين في عُمان لكنهم ظلوا يحتفظون بمسقط، وقد ترك أمر مسقط لابن عمه سلطان بن سيف الذي خلفه في الإمامة عام ١٦٤٩م (١٠٥٩هـ) ليوجه إليهم الضربة القاضية. ومن المتفق عليه عموماً أن دفاعات مسقط الحصينة سقطت نتيجة "لمكيدة" حرمت البرتغاليين من المدد ومكنت العمانيين من مهاجمة القلاع هجوماً ناجحاً، وحينما استسلم القائد البرتغالي في قلعة مطرح عقب ذلك لجيش الإمام، انتهى تأثير البرتغاليين على عُمان، غير أن حالة الحرب بين العمانيين والبرتغاليين ظلت مستمرة حتى مغيب شمس القرن السابع عشر، واتسعت رحاها حتى الساحل الأفريقي الشرقي.

البريطانيون

ابتدأ الارتباط الطويل بين عُمان والبريطانيين في منتصف القرن السابع عشر حينما أرسل الإمام ناصر بن مرشد في عام ١٦٤٥م (١٠٥٥هـ) إلى شركة الهند الشرقية الإنجليزية عارضا عليهم تسهيلات تجارية في صحار، وقد استجابت الشركة دون إبطاء. وفي عام ١٦٤٦م (١٠٥٦هـ) وصل ممثلهم (فيليب وايلد) للتفاوض بشأن معاهدة كان متوقعاً أن يتم التوقيع عليها في فبراير من نفس العام، وأعطت الاتفاقية الإنجليز احتكاراً تجارياً وحرية ممارسة شعائرهم الدينية وتطبيق سلطاتهم القضائية، وليس من الواضح مدى الفترة الزمنية لاستمرار هذه المعاهدة ولكنها كانت تؤذن بعقد اتفاقيات صداقة عديدة مع بريطانيا خلال القرون الثلاثة اللاحقة.

وكان الإنجليز يمدون الإمام ويقومون بعملية مد وجزر في حروبه ضد البرتغاليين، وحينما توقفت سفينة (فيلوشب) Fellowship في مسقط عام ١٦٥٠م (١٠٦١هـ) قدم لقبطانها "أفخم بيت في المدينة" في حالة رغبة الشركة في فتح مصنع تجاري هناك. وهكذا كان الإمام راغبا في التعاون إلى حد أنه في عام ١٦٥٩م (١٠٧٠هـ) قد قام بالتفاوض من أجل معاهدة مع الكولونيل (رينسفورد) من شركة الهند الشرقية ومن بين بنودها أن يكون للإنجليز إحدى القلاع، وأن يكون لهم جزء من المدينة ليقطنوا فيه، وأن يحتفظوا بحامية تتكون من مائة جندي، وأن يتقاسموا عائدات الجمارك مع العمانيين. غير أن وفاة الكولونيل (رينسفورد) أدت بالإمام إلى أن يعيد النظر في الأمر، وربما كان ذلك تحت إلحاح الهولنديين الذين كانوا منافسين تجاريين أقوياء وناجحين في المنطقة. وعلى الرغم من ذلك فقد تلقى الإنجليز دعوة أخرى للتجارة في مسقط وفتح مصنع فيها، وأن تزور سفن الشركة الهندية الشرقية مسقط بانتظام على الرغم من أن هذا لم يحدث أبداً.

الهولنديون

أقامت شركة الهند الشرقية الهولندية مصنعاً في بندر عباس بعد فترة قصيرة من إجراء مشترك قامت به مع البريطانيين لطرد القائد البرتغالي (روي دي أندرادي) من بندر عباس في عام ١٦٢٥م (١٠٣٥هـ) مما مكنهم من الحصول على أول موطئ قدم لهم في الخليج، وهذا ما جعل (روي دي أندرادي) يتراجع مع بعض سفنه إلى خور خوي على الشاطئ المقابل للساحل العربي حيث أقام له قاعدة مؤقتة.

وعلى الرغم من أن العلاقات بين الهولنديين والإنجليز كانت ودية في البداية إلا أن النجاح الأكبر حالف – لفترة زمنية – الهولنديين الذين كان بإمكانهم الاتجار بالتوابل من الشرق الأقصى الذي لم يكن قد وصل إليه الإنجليز بعد. وقد انتهى الاحتكار الإنجليزي لتجارة الحرير الذي وهبهم إياه (شاه عباس) بعد وفاته عام ١٦٢٩م (١٠٣٩هـ)، أما الشركة الهولندية فقد تلقت دعما كبيراً من حكومتها في الوطن الأم، بينما ظل الإنجليز دون أية مساعدة حكومية. وكان للهولنديين السيادة السياسية والاقتصادية طوال الفترة الأكبر من القرن السابع عشر. وفي عام ١٦٧٠ استأجرت شركة الهند الشرقية الهولندية مكتباً في مسقط كانت مهمته الرئيسة تسهيل أمور بريد الشركة، كما وصلت إلى مسقط بعثة تجارية في عام ١٦٧٢، وعندما حل عام ١٦٨٠م (١٠٩١هـ) تعزز وجود الهولنديين في كل من البصرة وبندر عباس، ولكن الانحدار الذي أصاب هولندا في القرن الثامن عشر قد جعل النفوذ الهولندي يتضاءل أمام نفوذ البريطانيين والفرنسيين، واضطر الهولنديون إلى التخلي عن بندر عباس عام ١٧٥٩م (١١٧٣هـ) ثم أصبح نفوذهم شبه معدوم في المنطقة، وفي عام ١٧٦٥ (١١٧٩هـ) غادروا آخر مراكزهم في جزيرة خرج، وهكذا بقي الميدان مفتوحاً للتنافس المتزايد باستمرار بين البريطانيين والفرنسيين.

الفرنسيون

كان كل من البريطانيين والفرنسيين والهولنديين تواقين للحلول مكان البرتغاليين في المنطقة، حيث تم إنشاء شركة الهند الشرقية الفرنسية عام ١٦٦٤م (١٠٧٥هـ)، ومنذ عام ١٦٦٧ بدأت مسقط تحظى بأهمية خاصة في تفكيرهم الاستراتيجي، حيث أيد (دي أتلين) السفير الفرنسي في فارس الاستيلاء عليها وتحويلها إلى قاعدة بحرية فرنسية، وقد قام الممثلون الفرنسيون في فارس بين عامي ١٦٩٩م (١١١١هـ) و١٧١٩م (١١٣٢هـ) بدراسة الخرائط، وضعت عدة مخططات بنيت جميعها على أساس وجود القوات الفرنسية في قلعتي الجلالي والميراني بهدف بسط سيطرتهم على مسقط بالتعاون مع الفرس، إلا أنه لم يتم للفرنسيين أي اتصال بمسقط إلا في عام ١٧٤٩م (١١٦٣ هـ) حينما هاجمت مراكب القرصنة الفرنسية السفن البريطانية في ميناء مسقط.

وكحال الشركتين الإنجليزية والهولندية فقد أسست الشركة الفرنسية مصنعاً في بندر عباس على الرغم من أنه اقفل في وقت مبكر من القرن الثامن عشر. وفي عام ١٧٥٩ أثناء حرب الأعوام السبعة، قامت قوة عسكرية بحرية فرنسية يقودها (الكونت ديستان) بالاستيلاء على ممتلكات شركة الهند الشرقية الإنجليزية في بندر عباس وكادت تدمرها. وبعدما أزيح الهولنديون من الميدان عملياً فقد ازداد التنافس الإنجليزي الفرنسي في المنطقة بصورة عامة خلال العقود القليلة اللاحقة. ومن الطبيعي ان يؤثر ذلك على عمان، خصوصاً بعد أن بزغ نجم نابليون حتى نهاية

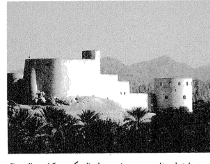
القرن ، وبعث المطامح الفرنسية في تأسيس إمبراطورية عظيمة في الشرق.

دولـــــة اليعاربة

لقد مر بنا كيف نجح أول إمامين من اليعاربة في طرد البرتغاليين من معاقلهم الحصينة في عمان ، ومنذ تلك الفترة وحتى الآن لم تتعرض عمان لاحتلال أية قوة أجنبية إلا في الفترة بين عام ١٧٣٧ و ١٧٤٧م (١١٥٠ و ١١٦٠هـ) حينما تدخل الفرس في الحرب الاهلية العمانية التي قامت بين بني غافر وبني هناة لمدة من الزمن في جزء من الساحل العماني، وما عدا ذلك فقد كانت علاقة عمان بالقوى الكبرى تنظم حسب معاهدات الصداقة والاتفاقات المحددة، وحتى حينما كانت الإمبراطورية البرتغالية في أوجها فقد حافظت عمان على استقلالها على الرغم من وجودها ضمن منطقة النفوذ البريطاني ، وعلى الرغم من ملاحظة (اللورد كورزون) الذي قال: " لا يخامرني شك في مقدم اليوم الذي سوف ترى فيه طائرات اليونيون جاك محلقة في قلاع مسقط "، وهكذا فإن الإجراءات التي قام بها اليعاربة اعتبرت نجاحاً مبكراً للشعور الوطني العماني.

ولم يكن هذا النجاح هو العامل الوحيد الذي بنيت عليه مكانة السلالة اليعربية ، حيث لا تزال أفضل فترات حكم اليعربيين ترتبط من الناحية التاريخية في أذهان الناس بمرحلة من مراحل النهضة، فقد أدى توحيد البلاد في ظل حكام أقوياء إلى بعث قوة البلاد البحرية والعسكرية وإلى ازدهار التجارة وتشجيع التعليم وانتشاره وتشييد المباني التي تجمع بين ميزات المتانة والقوة والجمال والأناقة. ويعلق المؤرخون العمانيون بقولهم إن الإمام ناصر بن مرشد الذي كان الإمام الأول في السلالة اليعربية قد جعل (شمس الخلاص) تطلع على شعب عمان بعد أن ظل يعاني ردحا من الزمن.

وكان ناصر بن مرشد يعيش على مقربة من الرستاق في فترة مليئة بالنزاع والخصام، مما أدى إلى قيام سبعين عالماً بالاجتماع في عام ١٦٢٤م (١٠٣٤هـ) والحوا عليه بقبول منصب الإمام فوافق بعد تردد، ليبدأ من قاعدته في الرستاق ونخل مهمة توحيد البلاد، وسرعان ما أرسل أهل نزوى رسالة يدعونه فيها إلى تولي أمر بلدهم ثم ما لبث أن تبعهم أهل سمائل وإزكي في هذه الدعوة ، وبعد أن قام بالسيطرة على المدن الرئيسة في قلب عمان اتجه إلى الظاهرة واستولى تباعا على ضنك وعبري وغابة ومقنيات وبات. وعلى الرغم من



عندما تولى ناصر بن مرشد زمام الحكم ، كانت الرستاق عاصمته (أعلى).

كان السلطان ناصر "رجل شرف وتتجلى فيه قيم العدالة"، حسب قول المؤرخ العماني سليل بن رزيق.

التراجع أحياناً والغدر و الانتكاسات أحياناً أخرى فقد استطاع أن يتقدم وأن يسيطر على توام (وهو اسم قديم لواحة البريمي والعين) في المنطقة التي كانت تسمى بالجوف في ذلك الحين.

وبعد هـذه النجـاحات التي تمكن من تحقيقها فقد حول اهتمامه إلى مـدن السـاحـل، فقـام البرتغـاليون في مطرح ومسقط بطلب السلم، وتم التوصل إلى اتفاق يقضي بأن يسلموا ممتلكاتهم في صحار، وأن يدفعوا جزية سنوية إلى الإمـام، وأن يسـمحوا للمسلمين العمانيين بزيـارة مسقط دون عرقلة أو رسوم.

ولكن حين أرسل الإمام ناصر رسلا إلى البرتغاليين قام هؤلاء بمعاملتهم معاملة سيئة، ورفضوا أن يدفعوا الجزية المتفق عليها، وهكذا أرسل الإمام احد كبار معاونيه، هو القاضي خميس بن سعيد الشقصي إلى مسقط، وتم التوصل إلى اتفاق آخر تعهد البرتغاليون بموجبه بدفع الجزية المترتبة عليهم ، وأن يعيدوا بناء المراكز المحصنة في مطرح التي كانوا قد استولوا عليها منذ عهد قريب وأن يسمحوا للعمانيين بحرية التجارة، وأن يمتنعوا عن القيام بأية أعمال حربية. وكان هذا الاتفاق كافيا لكي يعلق الإمام ناصر أعماله الحربية ضد البرتغاليين، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يستعيد في وقت لاحق مدينتي صور وقريات اللتين كانتا تقعان تحت السيطرة البرتغالية ، بعدها وجه الإمام اهتمامه إلى المنطقة الشرقية ليستكمل بذلك عملية التوحيد الداخلي لعمان.

ولم تخل الفترة المتبقية من عهده تماماً من محاولات للتمرد، ولكن من الواضح أنه كان يتمتع بشخصية بارزة سواء في مجال الحكم أو القيادة العسكرية. ويلخص المؤرخ العماني ابن رزيق حال ما كان يحظى به الإمام ناصر بقوله " كان رجلا نزيها مستقيماء، ومثلاً للعدالة مجسدة في إنسان" ، ونستدل من الروايات العمانية المدونة وتلك التي تتداولها الألسن أن هذه العبارة ليست مجرد إطراء لأن هناك سمات وقدرات فائقة عديدة تنسب إليه، ويقال إنه أوتي بعض المعجزات.

وعقب وفاة الإمام ناصر عام ١٦٤٩م (١٠٥٩هـ) تم انتخاب ابن عمه سلطان بن سيف إماما، وهو الذي أثبت مقدرته في الحرب بانتزاعه صور وقريات من أيدي البرتغاليين، وكان أول ما قام به هو طرد البرتغاليين من مسقط مما أعلى مكانته علواً كبيرا ، ثم أعلن الجهاد ضد البرتغاليين حيث بعث سفنا لمهاجمة معاقلهم في ساحل كوجيرات.

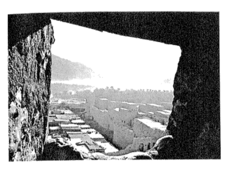
والإمام سلطان هو الذي بنى قلعة نزوى المستديرة الضخمة التي استغرق بناؤها اثني عشر عاماً وقام بتجديد الفلج الذي يصل بين إزكي ونزوى، كما قام بتشجيع التجارة مع إعطاء أهمية خاصة لتصدير الخيول التي اشتهرت بها عُمان في ذلك الحين، كما عزز علاقات عُمان الخارجية بإرساله مبعوثين إلى كل من الهند وإيران وصنعاء والبصرة والعراق. ويلخص المؤرخ ابن رزيق إنجازات الإمام سلطان بن سيف بقوله : "انتعشت عُمان في عهده وازدهرت وارتاح أهلها من متاعبهم وانخفضت الأسعار، وأصبحت الطرق آمنة وأرباح التجار كبيرة والغلال وفيرة، وكان الإمام نفسه متواضعاً لله تعالى رؤوفاً بشعبه متساهلاً إزاء مخالفاتهم

طالما كان هذا التساهل مشروعاً، ولا ينأى بنفسه عنهم أو يعتزلهم ، وكان يتجول في الشوارع دون حراسة، ويجلس مع أبناء الشعب ويتجاذب معهم أطراف الحديث دون تكلف، ويسلم على الكبير والصغير والحر والعبد".

وعقب وفاته عام ١٦٨٨م (١٠٧٩هـ) تولى الإمامة ابنه بلعرب الذي سار في بداية إمامته سيرة حسنة على نهج سلفيه اليعربيين، فقام ببناء حصن جبرين الشامخ ، كما جدد موارد المياه ثم قام بتحويل العاصمة من نزوى إلى جبرين. وقد انشأ كلية يغطي فيها رواتب المدرسين ومصاريف طلابها ، حيث خرجت عدداً كبيراً من علماء الشريعة والعلماء المشهورين. غير أن عهده لم يدم بتلك الصورة المشرقة التي أفسدت بسبب الخلافات الخطيرة التي نشبت بينه وبين أخيه سيف بن سلطان والخلافات العائلية المستمرة، وقد دفعت هذه الخلافات العلماء والشيوخ الأتقياء إلى ان يتبعوا ما يمكن تسميته بمجلس المعتوهين وجلبوا باختلافهم ويلات كبيرة على البلاد ، وطبيعي أن يعاني من كل ذلك بسطاء الرعية الذين تمنوا طاعونا يقضي على البيتين ولقبوا بلعرب بلقب "مصيبة العرب" وأخاه سيفاً بلقب "البلاء".

وأثبت سيف أنه الأقوى فقد تمكن من السيطرة على كل القلاع الرئيسة مما أعطاه القوة الكافية التي ضمنت له البيعة بالإمامة في حياة أخيه. ويرى البعض أن بلعرب هو الإمام الشرعي غير أن آخرين قالوا إن بيعة سيف بالإمامة بيعة شرعية، وانتهى الأمر بأن حاصر سيف بجيش عرمرم أخاه بلعرب في حصن جبرين ، ولما وجد أن وضعه ميئوس منه دعا الله تعالى ان يقبضه إليه وكأن الله تعالى قد استجاب دعاءه كما يقول المؤرخون، فدفن في حصنه الرائع والجميل بجبرين.

ولعل سيفا لم يكن محقاً في دوافعه وأساليبه غير أنه بعد وفاة أخيه لم يعترض أحد على انتخابه إماماً،

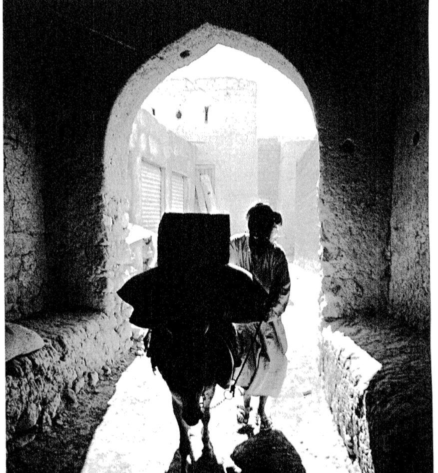


قلعة نزوى الدائرية الضخمة تحتضن المدينة وتحمي السهل ايضاً.



قلعة نزوى العظيمة (أسفل) قبل ترميمها . لقد احتاج الإمام سلطان بن سيف اثنتي عشرة سنة لإتمام بنائها . (يمين) : إحدى بوابات نزوى الحصينة .



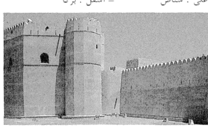




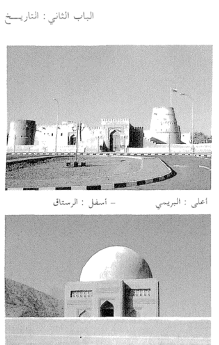


أعلى : صحار — أسفل : الخضراء

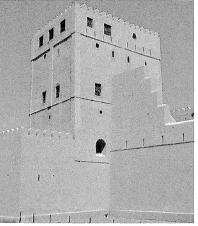




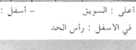
أعلى : شناص — أسفل : بركا



أعلى : البريمي — أسفل : الرستاق



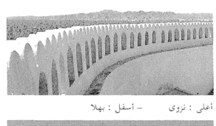
أعلى : السويق — أسفل : قريات



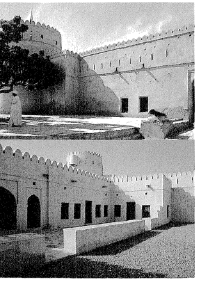
في الأسفل : رأس الحد

الخارطة أدناه توضح مواقع بعض قلاع عديدة منتشرة في البلاد :





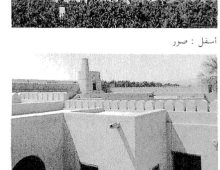
أعلى : نزوى — أسفل : بهلا

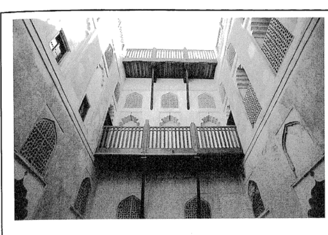


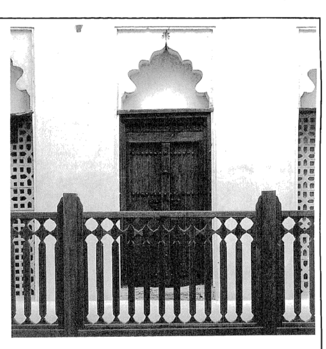
أسفل : بيت الفلج



أسفل : صور

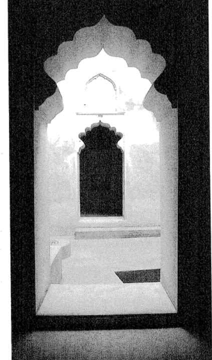






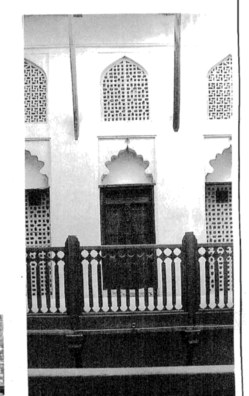
جبرين : فن الزخرفة الداخلية

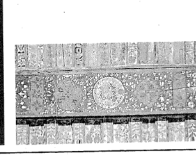
أسست دولة اليعاربة التي حكمت عمان من عام ١٦٢٤ حتى عام ١٧٤٨م حكومة مركزية قوية في عمان. ففي عام ١٦٧٠م تقريبا أي في أوج فترة حكم اليعاربة قام الإمام بلعرب ببناء حصن جبرين ، وكان أبوه قد قام بطرد البرتغاليين . صمم هذا الحصن الجميل كمقر ريفي أنيق للإمام الذي اتخذ من هذا المكان عاصمة له لفترة من الزمن. وقد افتتحت هناك مدرسة ذات شأن أيضاً أنشأها الإمام في ذلك الحصن. وقد خلف سيف أخاه بلعرب حيث دفن في قبر أسفل الحصن.

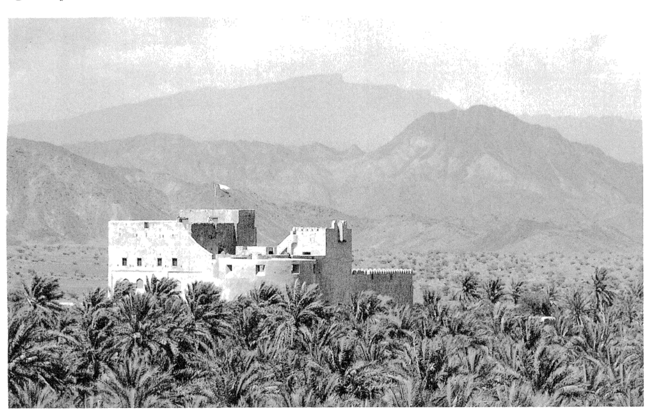


جبرين : زخارف السقف

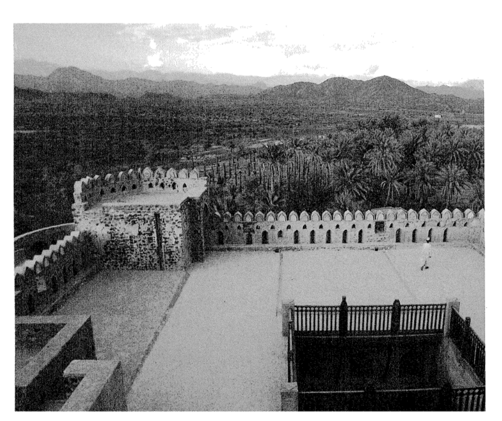
الفناء الداخلي الساحر المرمم (انظر جزءا منه يسارا) يطل بشرفاته ومداخله المقوسة الأنيقة (يمين بطرازه المغولي . النقش على أسقف المنازل يعد أحد مظاهر البيوت في عمان الداخل. حتى البيوت البسيطة نسبيا توجد بها أسقف ذات رسوم تبعث البهجة في النفوس ذات نقوش إسلامية متناسقة مع الأشكال الهندسية والزهور وأحيانا مع آيات من القرآن الكريم. تحتوي غرفة الإمام بحصن جبرين على أجمل هذه النماذج.

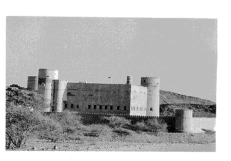






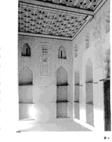
من بين أجمل الحصون العمانية حصن جبرين الذي تم بناؤه في القرن السابع عشر الميلادي. كان هذا الحصن مكانا لتلقي العلم ويقف شامخاً وسط واحة من أشجار النخيل (فوق) تطل على السهل (يمين) وقد تم ترميم حصن جبرين بشكل متقن.





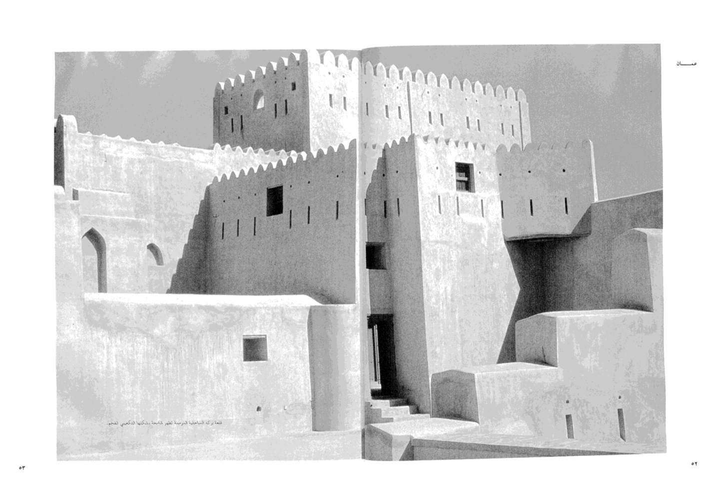
قلعة بركة الموز المرممة

قلعة بركة الموز في هذه الصورة التي تعود الى عام ١٩٧٠م (تبدو ساحتها إلى اليسار) حيث كادت الظروف أن تحرم الأجيال القادمة والحالية من مشاهدة هذه القلعة لكن إخلاص عمان في المحافظة على التراث اليوم قد ساعد على حمايتها. (الأعلى واليمين) القلعة المرممة ببركاه الواقعة على الساحل تقف شامخة بشكلها التكعيبي الفخم.



واثبت أنه حاكم شديد المراس، فقام بمحاربة البرتغاليين حتى في مستوطناتهم في شرق أفريقيا والهند. وقد أثارت قوة سيف العرب في شرق أفريقيا، ففي عام ١٦٩٨م (١١١٠هـ) أرسل إليه العمانيون المستوطنون في ممباسة التي ظلت في أيدي البرتغاليين منذ عام ١٥٠٣م (٩٠٩هـ) وفدا يطلبون منه المساعدة في طرد البرتغاليين من كل مستوطناتهم الواقعة في شمال (موزمبيق).

وقبل ذلك في حوالي عام ١٦٩٤م ١١٠٦هـ) قام العمانيون بمهاجمة المواقع البرتغالية في جزيرة



قلعة بركة الساحلية المرممة تظهر شامخة بشكلها التكعيبي الفخم.

(ساليسته) قرب (بمباي) فسلبوها وأحرقوها، ثم تحولوا إلى القرصنة في البحار العليا وإلى خوض المعارك البحرية، ولم يكن هذا النوع من الحروب حكراً على العمانيين فقد كان الأوروبيون (الفرنجة) يقومون بها في الخليج والمحيط الهندي بحماس بلغ حداً جعل البريطانيين وبقية الأوروبيين يتعرضون للمقاطعة في بلاط المغول العظماء.

وبهدف مكافحة انتشار الفوضى في البحار فقد اتفقت الدول الأوروبية الرئيسة على أن يحرس البريطانيون البحار الجنوبية والهولنديون البحر الأحمر بينما يتولى الفرنسيون الإشراف على الخليج ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مدى التعاون بين القوى الأوروبية على الرغم من أن هذا التعاون قد أجهض قبل ولادته.

واستفاد الإمام سيف من الحملات البحرية العمانية، حيث كسب العمانيون أموالا طائلة وامتلكوا سبعمائة من العبيد الذكور، مما مكنه من تطوير الزراعة عن طريق شق أفلاج جديدة وإصلاح أفلاج أخرى كأفلاج الرستاق والحزم وفلج البازلي في الظاهرة، وزرع أشجاراً كثيرة إلى حد أنه قد بات يقال إنه كان يملك ثلث أشجار النخيل في عُمان، حيث زرع في بركاء وحدها ٣٠٫٠٠٠ فسيلة نخيل و ٦٫٠٠٠ فسيلة نارجيل (جوز الهند).

وتدل بعض الروايات أن الإمام سيف كان أغنى أهل عصره حيث كان يملك ثماني وعشرين سفينة كانت إحداها وهي سفينة (الفلك) مزودة بثمانية مدافع كبيرة. وقد تألف الأسطول العماني عام ١٧١٥ كما ذكرت بعض المصادر الأوروبية من سفينة واحدة مزودة بأربعة وسبعين مدفعاً وسفينتين في كل منهما ١٢ إلى ٣٢ مدفعاً وعدد كبير من قوارب التجديف التي تحمل ما بين أربعة إلى ثمانية مدافع في كل قارب. وعند وفاته في عام ١٧١١ دفن في الرستاق ، وقد تولى الإمامة من بعده ابنه سلطان بن سيف الثاني الذي بنى قبة جميلة فوق قبره لكن الوهابيين دمروها في القرن التاسع عشر.

وواصل سلطان بن سيف الثاني القيام بعمليات حربية ضد البرتغاليين ونقل عاصمته من الرستاق إلى الحزم حيث بنى قلعتها الرائعة، وقد انفق كل ما ورثه من أموال أبيه إضافة إلى القروض التي حصل عليها من أموال الأوقاف ، وقد نال شهرة واسعة لقوته وعدالته، وحدث ذات يوم أنه كان يمشي متنكرا بزي رجل عربي يحمل قربة ماء كعادة كثير من الحكام العمانيين التي استمدوها من هارون الرشيد، فهدده أعرابي بسيف وطلب منه الماء، فسأل الإمام المتنكر الرجل " وإن لم أعطك الماء؟ " فقال الرجل سأبادرك بهذا السيف إن لم يكن هذا الماء لسلطان بن سيف!".

بيت الفلج

لزمن طويل ظل مركز القيادة العسكري بيت الفلج مسيطراً على سهل روي بمنطقة مسقط. السقف المزخرف والمنقوش يعد أحد جماليات هذا المكان.



هذه اللوحة المرسومة بالألوان الزيتية لسفينة أوروبية شراعية تجارية ضخمة رست في ميناء مسقط الطبيعي – حيث تبدو في الخلف قلعة الميراني – تنسب هذه اللوحة للرسام الهولندي "جان بيتر" (١٦٤٢–١٦٨٠م) ، ويبدو أيضاً محط سفن مبني من جرف عال خلف قلعة الميراني.

الحــرب الأهليـــة

بعد وفاة الإمام سلطان بن سيف الثاني في عام ١٧١٨م (١١٣١هـ) في الحزم حيث دفن، انتهت الوحدة التي عرفتها عمان قرابة قرن من الزمان ، وتبعتها فترة من الحرب الأهلية شبيهة الطابع بحرب الوردتين في إنجلترا، فقد بدأت المشكلة حين دب الخلاف بشأن الشخص الذي سيخلف سلطان في الإمامة ، وبعد تلك الفترة الطويلة الناجحة من الحكم الوراثي ، ظن القادة المتنافسون والسكان العاديون بأن سيف بن سلطان الذي ما يزال صغير السن هو الذي يجب أن يخلفه على الرغم من كونه صبيا لم يبلغ سن الرشد بعد ، وعليه فقد فضل العلماء مبايعة مهنا بن سلطان الذي اعتقدوا أنه يمتلك الصفات الضرورية لمنصب الإمامة ، وكانت الحجة القانونية التي احتجوا بها ضد تعيين سيف بأنه نظرا لصغر سنه فإنه غير قادر على التصرف بأمواله ، ونتيجة لذلك فليس بإمكانه كإمام أن يقوم بأعباء الدولة أو أن يشرف على أموال الأيتام.

وقد أدرك العلماء أن الناس كانوا يميلون لصالح سيف ولكن لم يجرؤوا على إعلان تفضيلهم لسيف على الملأ، لذا استعانوا بحيلة سياسية حيث جاءوا بالصبي سيف وقدموه للحشد المجتمع وأعلنوا مستخدمين في ذلك أسلوب التورية بما يمكن أن يفسر على وجهين قائلين " هذا سيف أمامكم " بفتح الهمزة أي مقابلكم، وعلى الرغم من ذلك فقد أعلن إماماً، وأطلقت النيران كدلالة تقليدية على الاعتراف به والقبول بإمامته. غير انه في مايو ١٧١٩م (١١٣٢هـ) وبعد أن هدأت العاصفة التي قامت حول الإمامة شعر العلماء أن لديهم من القوة ما يمكنهم من إعلان رأيهم صراحة على الملأ ، لذلك ادخلوا مهنا سراً إلى قلعة الرستاق ، وأعلنوه إماماً من هناك، فاستلم مهنا زمام الأمور وبدأ حكمه بداية طيبة حيث قام بإلغاء الجمارك في مسقط ، وبذلك أمكن تحقيق أرباح تجارية كبيرة، وأصبحت الأسعار رخيصة والثمار وفيرة ، وعلى الرغم من هذه البشائر فقد كان حكمه قصيراً في الواقع، لكن البلاد عاشت في عهده في طمأنينة لم تعشها لسنين طويلة.

وكانت المعارضة التي واجهها قوية حتى أن سكان الرستاق نفسها ظلوا معادين له، وكان يعرب ابن الإمام بلعرب قد ألقى بثقله إلى جانب المعارضة حيث حاصره في قلعة الرستاق وطلب منه الاستسلام ، وقد انخدع مهنا بوعد قطعه عليه المعارضون بإعطائه الأمان ، إلا أن يعرب نكث وعده وأمر بشد وثاق مهنا وأنصاره وجلدهم ، وبعد ذلك تعرض مهنا لدخول السجن حيث قتل فيه.

وربما لم يكن تدخل بلعرب خاليا من المطامح الشخصية تماماً ، فقد انتخب إماماً بعد أن أعرب عن أسفه العميق لمقتل مهنا وأظهر أنه ندم ندما عظيما ، ثم تحرك إلى نزوى ومعه الصبي سيف، لكنه بفعله هذا أسخط القبائل التي اعتقدت ان الإمامة يجب ان تحفظ لسيف حينما يصل إلى سن الرشد.ثم اندلعت ثورة أخرى بقيادة بلعرب بن ناصر اليعربي بدعم من قبيلة بني هناة الذين احتلوا الرستاق مسيطرين بذلك على طرق التجارة من الداخل للساحل، وانتشر التمرد كالنار في الهشيم، مما اضطر بلعرب إلى التنازل واختير سيف إماماً مرة أخرى.

وكان من المفروض أن يؤدي انتخاب سيف إلى استقرار الأوضاع ، غير أن ما حصل فعلاً كان نقيض ذلك، فقد اشتعلت حرب أهلية طال أمدها من جراء حادثة وقعت في الرستاق حين تجمع أفراد القبائل لمبايعة سيف ويمنحوه ولاءهم، وكان طبيعيا أن بلعرب الذي لعب دوراً كبيراً في إعادة الإمامة إلى سيف لم يختر وصياً عليه على غير العادة، ولكنه لسبب غير معروف استغل هذه المناسبة في ترديد التهديدات ضد قبيلة بني غافر وزعيمها محمد بن ناصر الغافري بدعوى أنهم معارضون للإمامة.

ولعل محمد بن ناصر قد شعر ان البيعة الرسمية الثانية لسيف لم تكن سوى بيعة صورية وأن بلعرب سيمارس السلطة في الواقع على نحو يماشي مصالح بني هناة على حساب بني غافر. وعلى أية حال فقد أرسل إلى الإمام السابق يعرب يحضه على استعادة مكانه، وذهب في الوقت نفسه إلى قبائل الشمال، الكائنة حاليا في دولة الإمارات العربية المتحدة طلبا للمدد والدعم، وما لبث الدعم أن جاء من قبيلة بني ياس وبني قتب وقبيلة بني نعيم التي كانت تقطن منطقة البريمي ، وما إن تم ذلك حتى اتجه محمد بالقوة التي حشدها نحو نزوى ، وبعد أن عزز موقعه هناك هاجم جيش بلعرب في منطقة فرق، وقد استسلم بلعرب ونودي بسيف الذي كان قد بلغ سن الرجولة إماماً مرة أخرى ، وكانت بيعته هذه المرة تحت رعاية محمد بن ناصر وبني غافر، وقد توفي يعرب بعدها بفترة قصيرة في ٢١ مارس ١٧٢٣ (١١٣٦هـ)، وبذلك اختفى عن مسرح الأحداث أحد المتنافسين على الإمامة.

وقد أدى الصراع على خلافة الإمام إلى زيادة الخصومات القبلية حتى أصبحت عمان بأكملها أتونا تستعر فيه حرب بين حلفين أولهما الحلف الهناوي الذي يقوم على قبيلة بني هناة وثانيها الحلف الغافري القائم على قبيلة بني غافر.

وعقب وفاة الإمام السابق يعرب التف الهناويون

حول زعيم جديد هو خلف بن مبارك الهنائي ، الملقب بـ " القزم " ، وقد أوتي خلف حنكة وإرادة قوية فما كان منه إلا ان استولى على مدينتي مسقط وبركاء الساحليتين ردا على ما قام به محمد بن ناصر من "أسر الملك".

وفي غضون ذلك قام محمد بن ناصر بتعيين الولاة باسم الإمام الصبي على مقاطعات عُمان المختلفة وحشد قوة من ١٥,٠٠٠ رجل من بني ريام وقوة كبيرة من شمال عُمان يقودها رحمة بن مطر الحوالي أمير جلفار (رأس الخيمة حاليا) هاجم بها الهناويين في بركاء، غير ان نتيجة هذا الهجوم لم تكن حاسمة ، وقد رد حلف الهناويين على ذلك بالتحريض على تحركات مناوئة في الظاهرة والاستيلاء على كل من الرستاق وصحار، بيد ان خلفاً تمكن من السيطرة على الممرات المهمة وأكثر الموانئ ثراء. أما محمد فقد استطاع حشد قوات أكثر عدداً ولكن اعتماده على قبائل الشمال اجج العداء، حيث أن الهناويين لم يستطيعوا أن يغفروا له إدخال أهل السنة في نزاع إباضي داخلي يدور حول الإمامة ومن يتولاها.

وإثر ذلك استطاع محمد بسط سيطرته على المنطقة الشرقية حيث تغلب على الحلف الهناوي بقوة السلاح مما مكنه من مهاجمة الهناويين في (عقر دارهم) بساحل الباطنة.

ثم قام في عام ١٧٢٤ بخطوة غير متوقعة ، حيث استدعى شيوخ القبائل والعلماء إلى نزوى وأبدى رغبته في التخلي عن مسئولية شن الحرب وإدارة شؤون الإباضية، واقترح تعيين وصي آخر على الفتى الإمام سيف. وكان مغزى فعله غامضاً، إذ ربما شعر بالكفاية مما مر به أو أن سوء حالته الصحية كان السبب وراء ذلك أو لعل مشاعره الوطنية جعلته يتساءل عن المآل الذي تنقاد إليه عُمان بهذه الحروب ، فقد كان على الدوام مؤيدا تأييداً كاملا للسلالة اليعربية ، ولعله كان في أعماق قلبه متعاطفاً معهم أكثر من تعاطفه مع الحلف الغافري، وقد يكون هدفه هدفاً شخصياً وأن ذلك ما كان سوى وسيلة يحتال بها للوصول إلى الإمامة ذاتها، وأيا كان السبب فلم يقبل الشيوخ والعلماء بتنحيه، وعوضاً عن ذلك فقد نادوا به إماماً ، وكان من سوء طالع عمان أن تعيينه هذا لم يضع حداً للحرب القبلية التي استمرت لأربع سنوات أخرى ، فقد عمل محمد بن ناصر على توطيد سلطته في القسم الأكبر من عمان في العامين التاليين ، ثم حاول مهاجمة قوات خلف في صحار ، وكانت هذه الخطوة هي الخطوة التي أسدلت ستار النهاية التي تشبه نهايات مسرحية شكسبيرية ، حيث مات كلا القائدين في الصراع تحت أسوار القلعة الشامخة.

وقبل حدوث ذلك كان محمد بن ناصر قد أرسل رسالة إلى الحامية الهناوية في صحار يطلب منها عدم المقاومة، غير أن رسوله بدل ولاءه فأخذ جانب الهناويين الذين خسروا المعركة رغم تأهبهم لمحاربة جيش محمد بن ناصر وعند ذلك أعلن أهالي صحار ولاءهم للإمام محمد، وفي هذه الأثناء كان خلف في مسقط حيث جمع قوة كي يسير بها نحو صحار، لكنه أدرك أنه لا قبل له بقوات محمد بن ناصر، ما لم يتمكن قبل كل شيء من فصل القوات الشمالية عنها، ومن أجل ذلك عمد إلى الحيلة فأغرى مزارعا لديه حقل مزروع بالدخن أن يخربه وأن يذهب للإمام محمد شاكيا من أن هذا التخريب كان من صنع عرب الشمال،

أمر سيف بتسريح حصان الشاه ثم امتطى ظهره بعنف في الوادي الكبير بمسقط

وهكذا حدث، فحين سمع محمد الدعوى أصدر حكمه بان يدفع للمشتكي ثمن الأضرار التي لحقت بحقله، ولكن بعد ذلك قام المشتكي تحت تحريض خلف برفض التعويضات وطلب معاقبة المعتدين ، فأمر محمد بجلد المعتدين على الرغم من أن شيوخهم أصروا على براءتهم، مما أثار حفيظة قبائل الشمال إلى حد أنهم قرروا مغادرة معسكرهم والعودة إلى بلادهم. وهكذا نجحت حيلة خلف، فاستغل الفرصة وشن هجوماً فورياً على خصمه إلا أن هجومه انتهى بهزيمته ومقتله، وكانت مشيئة القدر أن يلقى القائدان المتحاربان نفس المصير حيث مات محمد متأثراً بطلقة صوبت من القلعة حين كان يقتفي أثر الهناويين.

وهنا استسلم الهناويون لسيف بن سلطان الذي بويع إماماً مرة أخرى في نزوى في مارس ١٧٢٨ (١١٤٠هـ). ولربما ظن البعض أن الأمن والاستقرار قد عادا إلى عُمان غير أن الأمر كان عكس ذلك فقد احتدت الانقسامات والشقاقات وتأججت كما حدث عام ١٧٣٣م (١١٤٦هـ) حين بويع منافس يعربي آخر طامع بالإمامة هو بلعرب بن حمير. وهكذا انقسمت عُمان إلى إمامتين مرة ثانية وازداد الوضع سوءا ، وكان مستقبل عمان ينبئ بأيام أكثر ظلمة. ولما مات خلف ومحمد استولى الغافريون على نزوى ومعظم داخلية عُمان والظاهرة والشرقية بينما استولى الهناويون على الرستاق ومنطقة الباطنة وجبرين ، وبعد ذلك استولى سيف على الأرض التي في يد الهناويين بما فيها مسقط، بينما تولى بلعرب المنطقة التي كانت في يد الغافريين.

غير ان سيفاً قدر أنه لا يملك القوة إذا اعتمد على نفسه فقط ولذا أحضر بعض البلوشيين المرتزقة من مكران ، وهذه أول مرة يسجل التاريخ فيها مجيء البلوش إلى عُمان لهدف الخدمة العسكرية ، وبعد ذلك مني سيف بهزيمة على الرغم من العون البلوشي ، ولذا كتب رسالة إلى (نادر شاه) ملك فارس يطلب منه العون. ويروى أن الشاه رد بإرسال فرس قوي وشموس وبعث برسالة مفادها أنه سيرسل أي عدد من الجند يطلبه سيف إن هو استطاع التحكم فيه. وهكذا أمر سيف بتسريح الحصان ثم امتطى ظهره بعنف في الوادي الكبير بمسقط ، وقد تطايرت الحجارة من قوة جموح الحصان في كل جانب ، وبعد أن وصل باب المثاعيب قفز الحصان وتخطى الجدار الذي وقف فيه سيف على قدميه سليما، وأثار عرض الفروسية هذا رسول الشاه، غيران الحصان لسوء الحظ كسر قدميه ومات، ومما يؤثر عن سيف انه حزن على موت الحصان حزنا شديداً.

وقد انتهى عهد السلالة الصفوية بتنازل (الشاه حسين) بعد غزو الأفغان لفارس عام ١٧٢٢ (١١٣٥هـ) وظلت البلاد في حالة اضطراب حتى طرد الأفغان على يد قائد عبقري هو (نادر قولي) الذي تولى مقاليد الأمور باسم (نادر شاه) ، واستمر في الحكم لمدة إحدى عشرة سنة فقط واستطاع في هذه الفترة القصيرة من تحقيق الاستقرار وانتهاج سياسة توسعية. ورداً على الطلب الذي تلقاه من سيف ، فقد أرسل قوة مؤلفة من خمسمائة رجل و ١٥٨٠ حصاناً إلى جلفار وخورفكان وذلك بمساعدة الناقلات الهولندية إذ أن الإنجليز لم يبدوا رغبة في التدخل ، وقد أعلن السكان العرب ولاءهم لسيف فقامت قواته بالاشتراك مع قوات (لطيف خان) "اميرال الخليج" الفارسي بمحاربة جيش بلعرب وهزمته في (بيت سوميني) بالقرب من البريمي في عام ١٧٣٦م (١١٤٩هـ) ، غير ان بلعرب ما لبث ان استعاد قوته وتمكن من الوقوف على قدميه. وفي العام التالي (١١٥٠هـ) وصلت إلى جلفار قوة فارسية

جديدة مكونه من ٦٠٠٠ رجل ، عندها ندم سيف على استغاثته بالفرس مدركا أن أطماعهم قد تجاوزت تقديم العون له ، ولكن لات حين مندم ، فقد أخضع الفرس منطقة الظاهرة لسلطتهم، وأخذوا في فرض الجزية ، وقام سيف نتيجة للمعارك الطاحنة بين الفرس والعمانيين بالاجتماع ببلعرب في وادي بني غافر ووافق بنو غافر على أن يتنازل بلعرب عن الإمامة لسيف من أجل أن تندمل جراح الانقسامات العُمانية ، وتمكين كل من الحلفين من الاشتراك في محاربة الفرس، ومضت الأمور على ما يرام لمدة من الزمن وأعفى سيف الناس من الجزية التي فرضها عليهم الفرس، غير أن مرارة الأمور ما لبثت وأن ذاقها سيف مرة أخرى عام ١٧٤١م (١١٥٤هـ) حين نصب الشيوخ والعلماء سلطان بن مرشد اليعربي إماما، لأنهم لم يكونوا راضين عن سيف، أما سبب سخطهم عليه فغير واضح، اللهم إلا إذا كان ذلك قدراً إلهياً كما يرى ابن رزيق حيث قال: "ما كان أمام العمانيين سوى أن يتحملوا عواقب تقلبهم وتوقهم للتغيير".

وهكذا اندلعت شرارة الحرب بين الإمامين المتنافسين اللذين كانا في كر وفر حتى أن سلطان قد تمكن من السيطرة على مسقط.

وعلى الرغم من خيبة أمله السابقة فقد استغاث سيف مرة أخرى بالفرس الذين احتفظوا بحامية لهم في جلفار، وعرض سيف عليهم أن يسلمهم قلعة صحار التي كانت مركز قوتهم في العصر الساساني لتكون لهم على الدوام ، إلا أن الفرس أجابوا بشيء من الاستعلاء قائلين إن سيفاً كان صديقا وحليفاً مخلصاً لهم وأنهم ليسوا بحاجة إلى هدية كهذه ، لأن لديهم من كل شيء أوفره.

ثم جهز (نادر شاه) أسطولاً آخر وأبحر إلى جلفار في يونيو عام ١٧٤٢م (١١٥٥هـ) حيث تم هناك اجتماع بين سيف و(تقي خان) القائد الفارسي الذي كان والياً على إقليم فارس، وكان الغرض من اجتماعهما هو توقيع معاهدة وافق الفرس بموجبها على إعادة الإمامة لسيف مقابل اعترافه بسيادة الفرس على عُمان ، هذا على الرغم من تكتمهم على هذه الرغبة في السابق.

وبعد ذلك زحفت القوات الفارسية على منطقة الباطنة ، وهاجمت صحار التي كانت في يد أحمد بن سعيد الذي اصبح أول أئمة سلالة آل بوسعيد ، والذي تمكن من الصمود في وجه الفرس الذين استولوا على مطرح ومسقط، ثم ضاعفوا من جهودهم للاستيلاء على صحار ، لكن أحمد بن سعيد كان يخرج كل يوم ليكر عليهم مهاجما على الرغم من قلة الإمدادات التي كانت في يده.

وفي عام ١٧٤٣م (١١٥٦هـ) اختفى من المشهد العماني المعقد أحد أطرافه إذ بموت الإمام سلطان تجرع سيف طعم خيبة الأمل بالفرس حين رفضوا تسليم قلعتي مسقط ومطرح له، وتسلل من معسكرهم أثناء حصارهم لصحار إلى قلعة الحزم، وهناك مات كسير الفؤاد عقب فترة قصيرة من معرفته بهزيمة منافسه الإمام سلطان وموته في معركة مع الفرس قرب صحار.

ترى أية مشاعر مضطربة غريبة دفعت به إلى نهايته المأساوية؟ لقد قال لأحد مستشاريه قبل أن يموت "هذا حصني وقبري، وسأكون عاراً في كل عين، وإن الموت الهادئ لأحب إلى قلبي من أية سعادة أتتني من سيادة الملك".

ولم يظهر أي من اليعاربة على مسرح الأحداث بعد وفاة سيف وسلطان، إلا أن أحمد بن سعيد ظل بمفرده يقاتل الفرس الذين واصلوا حصارهم لصحار لفترة تسعة أشهر، لكنهم بعد وفاة سيف اتفقوا مع احمد على الانسحاب من هناك مع الاحتفاظ بمسقط، ولم يلبث أحمد أن وجد وسيلة لزيادة الضغط عليهم فانشأ سوقاً مزدهرة في بركاء أدت إلى تحويل الواردات والتجارة القادمة من الداخل بعيداً عن مسقط.

وعقد الإمام أحمد العزم بعدها على التخلص من الفرس نهائيا، فدعاهم إلى احتفال كبير في بركاء اتخذت له استعدادات ضخمة إلى حد جعل السكان المحليين يتذمرون ، وقد أرسلت أطباق لحم كبيرة إلى الخيام التي كان الفرس قد أقاموها في السهل ، ودعي خمسون ضابطا إلى مأدبة أقامها أحمد لهم وكانت مكيدته السريه شبيهة بالمكيدة التي أنهى بها محمد على باشا فيما بعد نفوذ المماليك في مصر عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ)، وأثناء تناول الضيوف الطعام دقت الطبول في القلعة ونادى المنادي "من كان له ثار عند الفرس فليقتص منهم الآن"، وكان هذا النداء إيذاناً بمجزرة جماعية لم ينج منها إلا قرابة مائتي جندي فارسي.

وهكذا وفي عام ١٧٤٧م (١١٦٠هـ) انتهت مغامرة الفرس في عُمان رغم بقاء حامية لهم في جلفار حتى عام ١٧٤٨م (١١٦١هـ)، وأصبح أحمد بن سعيد بطلا ذا شعبية كبيرة مما أدى إلى مبايعته بالإمامة.

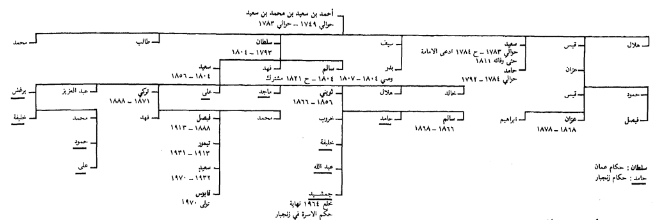
دولـــة البوســعيـد

كان أحمد بن سعيد يتصف بالشجاعة وقوة المراس وعلو الهمة وبروح المغامرة والكرم والشخصية القوية وكانت الحاجة ماسة كما كانت من قبل لتوفر هذه الخصال فيه بعد انتخابه إماماً ، وعلى الرغم من ذلك لم تختف الانقسامات التي عمقتها الحرب الأهلية بين عشية وضحاها، وبعد فترة قصيرة من انتخابه بدأ اليعاربة في التآمر ضده بمساعدة بني غافر ، وقد أغرى بلعرب بن حمير الإمام السابق سيف بن سلطان بإظهار نفسه بعد انتشار خبر مفاده أن أحمد بن سعيد قد توفي ، والواقع أن الإمام أحمد كان قد اختبأ في ينقل، وعندما سمع بما قام به بلعرب ظهر وجمع قبائل الهناوية وسار بهم في وادي سمائل حيث انضمت إلى جيشه قوات أخرى قبل أن يشتبك مع جيش بلعرب حيث هزمه في فرق قرب نزوى في معركة قتل فيها بلعرب نفسه، وقام الإمام احمد بمعاقبة الذين انضموا إلى بلعرب ضده ثم ما لبث أن عفا عنهم مظهرا كرم نفسه وأريحيتها.

وبعد ذلك واجهت الإمام أحمد متاعب داخلية في قرارة بيته حيث نافسه ابناه سيف وسلطان ، وتمكنا في وقت من الأوقات من الاستيلاء على قلعتين في مسقط، وفي هذه الأثناء استغل ابن رحمة الحوالي أمير جلفار الفرصة التي سنحت له جراء الخلاف العائلي فحاصر الرستاق بجيش قوامه ٣٠٠٠٠ رجل تقريباً غير أن هذا قد جاء بنتيجة عكسية حيث أدى إلى توحيد الصفوف وإلى إثارة الروح الوطنية ، وسرعان ما تصالح الاب مع ولديه على الفور فاضطر ابن رحمة إلى الانسحاب وكان قد خاض معركة غير حاسمة ضد أحمد في (بثنة) في بدايات الخمسينات من القرن الثامن عشر (في الستينات من القرن الثاني عشر الهجري).

وكان ثمة تهديد آخر واجه الإمام أحمد بن سعيد في بداية عهده وكان مصدره ناصر بن محمد بن ناصر الذي قاد فئة معارضة من بني غافر إلى أن تم الصلح بينه وبين أحمد بن سعيد بالزواج والمصاهرة.

وعلى الرغم من أن احمد قد واجه في البداية صعوبات في تحقيق السلام الداخلي عقب الحرب الأهلية إلا أن عُمان أثناء فترة حكمه كانت قد أصبحت قوة هامة يحسب حسابها على الصعيد الخارجي، وبحلول عام ١٧٧٥م (١١٨٩هـ) كان أسطوله يتألف



شـــجرة أســـرة آل بوســـعيد

من ٣٤ سفينة حربية ، من بينها أربع سفن تحمل كل منها ٤٤ مدفعا، وخمس فرقاطات تحمل ما بين ١٨ إلى ٢٤ مدفعا، في حين أن البقية كانت سفناً شراعية تتراوح حمولتها ما بين ٨ إلى ١٤ مدفعاً. وقد تدخل البريطانيون عسكرياً في شؤون عُمان حتى في هذه المرحلة، ففي عام ١٧٥٨م (١١٧٢هـ) قام قبطان سفينة شراعية حربية بريطانية بتأجير سفينة للإمام للقيام بحملة بحرية ضد سكان رأس الخيمة، وقد تمكن الإمام أحمد بفضل قوته البحرية من بسط نفوذ عمان في الخارج ومن نقل الحرب ضد الفرس إلى مواقع أكثر بعداً. وفي عام ١٧٥٦ (١١٧٠هـ) حاصر الفرس البصرة فكتب سكانها رسالة استغاثة إلى الإمام أحمد فما كان منه إلا أن قاد بنفسه حملة من عشر سفن كبيرة، بالإضافة إلى عدد من السفن الصغيرة ، وقوة تكونت من عشرة آلاف رجل، وتمكن من طرد الفرس بعد أن استطاعت سفينته المسماة "الرحماني" أن تقطع حاجز السلسلة الحديدية التي مدها الفرس في عرض النهر ، وقد سر السلطان العثماني الذي كانت البصرة تابعة لحكمه سروراً عظيماً ، وأمر والي البصرة أن يدفع الخراج للإمام، وقد استمر دفع هذا الخراج حتى عهد سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد ١٨٠٤ - ١٨٥٦م (١٢١٩ - ١٢٧٣هـ) .

كذلك كان إمبراطور المغول "شاه علم" ممتناً للعون الذي قدمه أسطول الإمام أحمد لمعاونته له في التصدي للقراصنة في ساحل الهند الغربي، ولذا فقد أرسل مبعوثاً إلى عُمان لعقد معاهدة تنص على موافقة المغول على مد الإمام أحمد بالمال والرجال ضد أعدائه، وتشكيل بعثة تقيم في مسقط في ما عرف لاحقا "ببيت نابوب".

أما على الصعيد الداخلي فقد أثبت الإمام أحمد كفاءة وجدارة في إدارة حكومة مركزية قوية مما أذاع شهرته في الآفاق. لقد كان يقوم بنفسه بتوزيع الحلوى على أطفال الفقراء وهو في طريقه من الرستاق إلى مسقط. وعلى الرغم من أن مقابلة الإمام كانت أمرا سهلا دائما لأبناء شعبه إلا أنه حافظ على بعض مظاهر الأبهة، حيث كان لديه حرس شخصي يتألف من ألف من الأحرار وألف من الزنجباريين ومائة من العبيد النوبيين، كما كان موكبه أثناء مسيرته يرفع أربع رايات مثبته على سوار منها اثنتان برأس ذهبي واثنتان برأس فضي، كما ضمت حاشيته أيضا القضاة والعلماء والوجهاء وحتى الجلادين الذين وصفهم المؤرخ العماني ابن رزيق بأنهم "جماعة قوية من الرجال الشجعان" . وكان دائم الاهتمام بالتفاصيل الإدارية، وقد زار مسقط التي كانت تحصل على دخل مرتفع من عائدات الجمارك، حيث كانت عائداتها تتراوح مابين مائة ألف روبية إلى ثلاثمائة أو خمسمائة ألف روبية، وكانت زياراته التي يقوم بها من الرستاق تستغرق مدة اثني عشر يوماً، وفي اليوم الحادي عشر حينما كان يقوم بتفقد قلعة الميراني كانت تلغى كل الرسوم الجمركية المستحقة على البضائع. ومن الغريب أن الإمام أحمد لم ينجح مطلقا في الاستيلاء على قلعة الحزم اليعربية حيث ظلت هذه القلعة في أيدي اليعاربة حتى عام ١٨٦١م (١٢٧٨هـ).

وقد توفي الإمام أحمد في الرستاق في عام ١٧٨٣م (١١٩٨هـ) فبويع ابنه سعيد من بعده إماما رغم وجود رغبة عامة بأن يتقدم للإمامة ابنه الأكبر والأكثر ذكاء هلال. لقد كان هلال يعاني من ضعف في البصر فسافر للهند طلبا للعلاج ولم يعد بعدها إلى عمان. وهذا مثال على الخيوط الواهية التي يتوقف عليها تعاقب الملوك ومصير الأمم. ولما لم يكن سعيد قائدا محبوبا فقد أثار حينما كان واليا على نزوى سخط أهلها باحتكاره مهنة الصباغة بمادة النيلة بالإضافة إلى أعمال أخرى قام بها قد أدت إلى نفور الناس منه، وعلى أثر ذلك توالت الجهود لتعيين أخيه قيس أولا ثم ابنه حمد إماما بدلا منه. والحقيقة أن حمداً قد أصبح في وقت لاحق الحاكم الفعلي لعمان حيث أقام في مسقط بينما بقي أبوه في الرستاق حيث ابتدأت هنا ثنائية الانفصام بين السلطنة والإمامة ، تلك الثنائية التي سببت اضطراباً في السياسات الداخلية في وقت لاحق، وربما كان حمد هو أول أفراد العائلة الذي لقب رسميا بلقب "السيد" حيث أحاط نفسه بالعلماء وأهل العلم والصلاح والورع كما اشتهر بعدله أيضاً. أما اتصافه بالشجاعة فلم يتمكن أحد من مجاراته فيها سوى عمه سلطان الذي تولى مقاليد الأمور لاحقا ، كما قام بتشييد برج الحقه بقلعة الميراني في مسقط بمواجهة خور المكلا وقام بتزويده بمدافع ضخمة . لقد كان ممن يتمتعون بالإرادة والعزيمة فبنى القلاع في روي وبركا، وكان يملك سفينة أطلق عليها اسم "الرحماني" تم بناؤها خصيصا له في زنجبار، كما استولى على "لامو" في شرق أفريقيا وخطط للاستيلاء على ممباسا إضافة إلى بومباي.

وقد أصاب الناس أيام حكمه قحط شديد فقام وصلى بالناس صلاة الاستسقاء في الوادي الكبير بمسقط فهطل مطر غزير صاحبه برق ورعد ، فسالت

الأودية وأعقب ذلك فترة من الازدهار. غير أن المنية فاجأته عام ١٧٩٢م (١٢٠٦هـ) بعد أن كان قد حشد جيشا كبيراً - ربما لإخضاع الحزم أو لمهاجمة عمه قيس في صحار أو لإشهار الحرب على والده أو مهاجمة ممباسة. وأيا كان فقد ظل هذا الأمر موضع تخمين ، وقد دفن حمد في مسقط وأقام أبوه مراسم العزاء في قلعة الجلالي وبعدها عاد إلى الرستاق وأهمل حكم شعبه إهمالا كليا .

ونتيجة لتراخيه فقد تولى زمام الأمور أخوه سلطان وهو إبن آخر للإمام أحمد بن سعيد ولم يمض وقت طويل حتى سيطر سلطان سيطرة قوية على مسقط ومعظم مناطق البلاد. كان سلطان طويل القامة مهيب المحيا شجاعاً ولم يكن يضاهيه في شهرته أحد. وعندما استولى على مسقط من يد الوالي الذي عينه الإمام سعيد هناك ، كان سلطان ورجاله يرتلون أثناء نزولهم إلى الوادي وسيوفهم مسلولة "جاء الحق وزهق الباطل". لقد جمع سلطان بين النظرة العملية والمثالية في آن معاً وعندما أدرك أهمية الاستقرار والإزدهار بالنسبة لمسقط سارع ليطمئن التجار والوجهاء فامنهم على أنفسهم وممتلكاتهم.

وخلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر كانت البضائع تحمل بين الخليج والهند على سفن عربية وأوروبية. وقد حظي تجار مسقط بنصيب الأسد من هذه التجارة. وكان لدى السيد سلطان خمس عشرة سفينة تتراوح حمولتها ما بين ٤٠٠ إلى ٧٠٠ طن ، وثلاث سفن شراعية كل منها بصاريين وكانت جميعها تقتصر في نشاطها على مسقط وحدها ، في حين كان في صور أسطول يتألف من حوالي ١٠٠ سفينة من مختلف الأحجام ، وقد بلغت الرسوم على الواردات إلى ٦ أو ٦ر٥٪ من قيمة حمولة السفينة من مختلف البضائع وكان حوالي خمسة أثمان تجارة الخليج الفارسي تمر بهذا الميناء الذي كانت تبحر منه السفن إلى مالابار والملايو وزنجبار والحبشة.

كان السيد سلطان يدعي أنه صاحب الحق الوحيد في حماية الملاحة في الخليج ، وبالفعل فقد سيطرت عمان في ذلك الحين على جانبي الخليج حيث استأجرت من فارس بعض مناطقها الجنوبية . لقد حاول السيد سلطان ولكن دون أن يحقق نجاحاً كاملاً أن يفرض على كل السفن المتجهة إلى الخليج أن تقوم بزيارة مسقط أولا، وهي طريقة حققت الازدهار للمراكز التجارية القديمة في الخليج حينما كانت في أوجها.

وقد حكم سلطان عمان بقبضة حديدية إلى حد جعلت القوى الأوروبية - وخصوصا البريطانيين والفرنسيين الذين أخذت مصالحهم تتعارض في الشرق كما كانت في أوروبا - أن تتعامل معه باعتباره الحاكم الفعلي ، وقد كانت الدولتان الأوروبيتان تخاطبانه وكأنه هو الإمام صاحب البيعة ، أما الوجود الضعيف للإمام نفسه في الرستاق فلم يكن له تأثير سياسي يذكر.

ومن ناحية أخرى أصبحت القاعدة الفرنسية في موريشوس (الجزيرة الفرنسية) مستعمرة مزدهرة، حيث حافظ حاكمها على علاقات طيبة مع حكام عمان، وكان الجانبان بين الفينة والأخرى يتبادلان الهدايا الجميلة ، وقبل ذلك أقام القنصل الفرنسي في البصرة علاقة صداقة شخصية مع أحمد بن سعيد ، أما في عام ١٧٨٥م (١٢٠٠هـ) فقد أرسل الفرنسيون بعثة برئاسة (الكونت دي روزيللي) إلى مسقط لطلب الإذن بإنشاء مصنع واعتماد قنصلية على الرغم من أن شيئا من هذا لم يحدث.

ثم ازدادت حدة التنافس بين البريطانيين والفرنسيين مع ظهور نجم نابليون الذي أخافت مطامحه الهادفة إلى إقامة إمبراطورية واسعة في المشرق البريطانيين الذين عملوا على دعم قوتهم في الهند منذ حرب الأعوام السبعة وكانوا في غاية الحساسية فيما يتعلق بأي أمر يمس خطوط مواصلاتهم مع وطنهم الأم، ولذا كان احتلال نابليون لمصر إيذاناً بصراع دبلوماسي بين القوتين على بسط النفوذ في عمان. وعلى الرغم من التأثير الذي خلفته حادثة قديمة تمثلت في استيلاء الفرنسيين على بارجة عمانية تدعى (الصالح) قرب صحار، فقد كانت حكومة مسقط تحسن الظن بالفرنسيين. وفي عام ١٧٩٩م (١٢١٤هـ) أرسل نابليون رسالة إلى السيد سلطان جاء فيها:-

" إلى إمام مسقط - اكتب إليكم هذه الرسالة لأبلغكم بأمر لاشك أن قد سبق لكم معرفته وهو وصول الجيش الفرنسي إلى مصر.

وبما أنكم كنتم دوما صديقنا في مختلف الظروف فاود أن تكونوا مقتنعين تماماً برغبتي في توفير الحماية لكل سفن شعبكم وأنها إذا قررت الوصول إلى السويس فسوف تجد الحماية اللازمة لما يتعلق بالتجارة ، وارجو منكم أيضا أن تعملوا على تبليغ نص هذه الرسالة إلى (تيبوصاحب) في أول فرصة يمكنكم فيها أن تتصلوا به في الهند ".

لكن البريطانيين كانوا أسبق إلى العمل فقرروا إحباط جهود الفرنسيين وكان مما أثار شكوك بريطانيا هو ما قام به عالمان فرنسيان شهيران من علماء الطبيعة هما "بروغيير وأوليفيه" اللذان قاما بزيارات إلى منطقة الخليج ، وقد مكنت هذه الشكوك عميلاً بريطانياً من كشف رسالة نابليون. وقد اشتد ذعر البريطانيين من جراء الإشارة إلى "تيبو صاحب" الذي كان يقود تمردا ضدهم في الهند. وفي عام ١٧٩٨م (١٢١٣هـ) عين (السير هارفرد جونز) - الذي ترأس فيما بعد بعثة إلى فارس - مندوبا مقيما في البصرة للحيلولة دون كسب الفرنسيين حظوة لدى باشا بغداد ، وفي نفس العام بعثت الحكومة البريطانية في بومباي "ميرزا مهدي علي خان" - وهو أحد أعيان الفرس ومن عائلة كانت تعمل لدى الإنجليز في ذلك الحين - إلى السيد سلطان في مسقط حيث قام بتوقيع معاهدة على صورة (قولنامة) تعهد بموجبها سلطان أن يقف مع الإنجليز في الشؤون الدولية، وأن لا يمنح الفرنسيين أو حلفاءهم الهولنديين "مكانا يثبتون فيه أنفسهم ..." مادامت الأعمال الحربية بينهم وبين الإنجليز مستمرة ، وأن يطرد من خدمته شخصاً فرنسيا كان قائدا على إحدى سفنه وأن يستثني السفن الفرنسية من الوصول إلى الميناء الداخلي في مسقط وأن يسمح للبريطانيين بتولي حماية بندر عباس التي كان السلطان يدعي ملكيتها ، وهو عرض لم يتم تنفيذه على أرض الواقع. وقد خشي الحاكم العام في الهند وأخوه "السير آرثر ولزلي" الذي أصبح فيما بعد "دوق ولنجتون" من أن يحاول الفرنسيون غزو الهند عبر فارس وظلا يشكان في مدى التزام سلطان تجاه بريطانيا ، ولهذا فقد أرسلا بعثة كبيرة في عام ١٨٠٠م (١٢١٥هـ) برئاسة القبطان "جون مالكولم" وهو من خيرة العناصر الشابة بين الموظفين في شركة الهند الشرقية وأكثرهم قدرة ، وقد أصبح فيما بعد يعرف "بالجنرال السير مالكولم" حاكم بومباي - لعقد معاهدات سياسية وتجارية مع "فتح علي خان" شاه فارس. وقد توقف مالكولم "الصبي" - وهو اللقب الذي عرف به طوال حياته - في مسقط أثناء طريقه للتفاوض بشأن معاهدة رسمية أفضل من سابقتها ، وقد أكدت هذه المعاهدة التزامات المعاهدة السابقة ، ونصت على أن "يقيم رجل إنجليزي يتمتع بصفة الاحترام في ميناء مسقط " ، وعلى أن تستمر الصداقة بين البلدين"إلى الأبد أو إلى أن تتوقف دورة الشمس والقمر عن الجريان". ولم يجد السيد سلطان أي صعوبة في الموافقة على هذه الشروط غير أنه كان منزعجا نوعا ما لأنه اضطر أن يفصل طبيبه الفرنسي من خدمته ، ولهذا السبب كان أول ممثل بريطاني عين طبيباً مقيماً في مسقط وهو الجراح المساعد "أ.هـ . بوجل".

وقد أدرك البريطانيون أن العمانيين هم القوة المسيطرة في المنطقة وقدروا أن التحالف معهم سيساعد في احتواء قوة القواسم المتنامية في رأس الخيمة والذين كانوا قد بدأوا في مضايقة السفن البريطانية والمحلية. وقد برزت المخاوف من جراء حادثة وقعت عام ١٧٩٧م (١٢١٢هـ) حينما دمروا الطراد (فايبر) التابع لبحرية بومباي والذي كان يحمل ١٤ مدفعا بالقرب من (بشهر) ، وفي هذا الوقت كان الشيخ صالح وهو أحد شيوخ القواسم - يخطط لاعتراض السفن العمانية المبحرة من البصرة إلى صور - فقام بزيارة للمقيم البريطاني ليؤكد صداقته لبريطانيا وطلب أن لا يوفر البريطانيون أية حماية للسفن العمانية وأن لايرسلوا اية بضائع فيها - وهو طلب ينم عن ذكاء ويوحي بأن البريطانيين كانوا يقومون بذلك من قبل. وقد لبى قبطان السفينة "فايبر" طلب الشيخ صالح فاعطاه كمية من الذخيرة والبارود ورغم ذلك فقد هاجم الشيخ صالح السفينة البريطانية على حين غرة ، ولعله فعل ذلك لأنه لم يتلق تأكيدات قاطعة حول الموقف البريطاني من السفن العمانية.

وقبل نهاية القرن الثامن عشر كانت هنالك حروب مستمرة بين العمانيين والقواسم الذين كانوا يسعون إلى الحصول على نصيب أكبر من تجارة الخليج والهند وأفريقيا التي كان يسيطر عليها العمانيون، وكان لهذه الحروب جذور تعود إلى اعتبارات الأحلاف القبلية وإلى التدخل المباشر لقبائل الشمال في الحرب الأهلية العمانية، وقد حاول أحمد بن سعيد عام ١٧٥٨م (١١٧٢هـ) إخضاع قبائل الصير - رأس الخيمة - وفي عام ١٧٦٢م (١١٧٦هـ) حصل على اعتراف بسيادته من كل القبائل باستثناء منطقة ميناء جلفار التاريخي ، وقد قام الشيخ صقر أمير جلفار بغزو عمان في عام ١٧٦٣م (١١٧٧هـ) وهدد الرستاق، إلا أن "نيبوهر" الذي زار منطقة رأس الخيمة في ستينات القرن الثامن عشر ذكر أنه (على الرغم من أن هذه القبائل اعترفت بالسيادة المطلقة للإمام إلا أنها في الواقع كانت مستقلة وكثيراً ما كانت في حروب مع ساداتها السابقين).

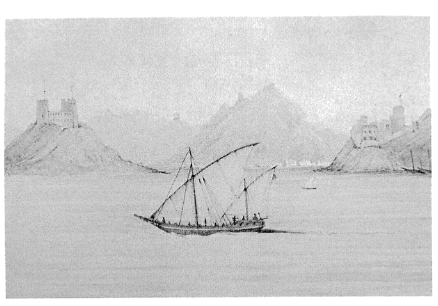
وفي تلك الأثناء ظهر عامل جديد في هذا المشهد البالغ التعقيد، إذ ولد صبي في العيينة بالمملكة العربية السعودية عام ١٧٠٣م (١١١٥هـ) ، كان له من بعد تأثير كبير على سير الأمور في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية. كان هذا الصبي هو محمد بن عبدالوهاب الذي بدت عليه في صباه سيما الورع الشديد ، وحينما أصبح رجلا غدا مصلحا أصوليا كبيرا فقام يدعو إلى توحيد الله والعودة إلى تعاليم الإسلام بصورتها النقية كما نزلت في القرآن الكريم. وقد استمال بدعوته شيوخ آل سعود في كل من الدرعية ونجد. وما إن حل الربع الأخير من القرن الثامن عشر حتى اتحدت قبائل نجد تحت لواء شيخ من آل سعود أصبح فيما بعد إماما للحركة الجديدة بعد وفاة محمد بن عبدالوهاب وقد أصبح هذا التحالف تحالفا دينيا عسكريا ضم أهالي الصحراء الذين أصبحت تؤلف بينهم قضية مشتركة تستند إلى التفافهم حول دعوتهم، وكان الوقود اللازم لهذه الحركة يتمثل في التوسع المستمر مما كان له تأثير كبير على عمان في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. ففي عام ١٨٠٠م (١٢١٥هـ) وصل الوهابيون إلى البريمي التي كانت جزءا من عمان بدون منازع لأجيال عديدة ، وقد أدى التحالف الذي تم بين الوهابيين والقواسم إلى دخول عمان في حروب برية وبحرية لعقود عديدة.

وفي هذه الأثناء قام الفرنسيون بمحاولات جديدة لكسب النفوذ في عمان على الرغم من المعاهدات التي كانت ترتبط بها عمان مع بريطانيا، فقد أشار "تاليران" على نابليون عام ١٨٠٣م (١٢١٨هـ) بقوله إن "مسقط بلد ذو أهمية وإن الإمام الذي يحكمها والذي يمتد سلطانه إلى داخل البلاد وحتى إلى بعض المناطق على ساحل موزامبيق أمير مستقل استقلالاً كاملاً من كل الوجوه".

وهذا ما حدا بنابليون إلى تعيين "م.كافنياك" قنصلاً في مسقط حيث وصلها في الثالث من أكتوبر عام ١٨٠٣م (١٢١٨هـ) ومعه أمتعته التي كانت تدل بوضوح على عزمه الإقامة في مسقط ، غير أن سلطان بسبب وفائه بمعاهداته التي عقدها مع بريطانيا رفض قبول "كافنياك" رفضا حاسما. ومما لاشك فيه أن "الرجل الإنجليزي ذا المكانة المرموقة كان ناجحا في مهمته على الرغم من أنه لم يبرز مظاهر الفخامة بل كان يعيش في منزل متواضع ".

ولا شك أن سلطان أدرك أن البريطانيين هم القوة الوحيدة الذين كان بمقدورهم أن يمدوا له يد العون والمساعدة ضد الوهابيين، ولذا لم يكن يرغب في أن يغضب بريطانيا لأجل الفرنسيين. ولاشك أن خيبة الأمل هي التي جعلت "كافنياك" يعلق بقوله : (إن هذه البلاد وسكانها في منتهى البؤس) وأن كل ما تحتاجه مسقط من التمثيل هو "وكيل تجاري من الدرجة الدنيا". وفي ذلك الوقت كان سلطان مشتركا في حروب ضد الوهابيين الذين وصلوا مدينة بركا في ساحل الباطنة وضد القواسم ايضا. ولما كان ذا شجاعة وعزيمة فقد قرر اجتياح الخليج بأكمله عام ١٨٠٤م (١٢١٩هـ) بأربع عشرة سفينة حربية ، كما زار البصرة سعيا وراء معونة أصدقائه الأتراك، وفي رحلة العودة انتقل إلى سفينة أصغر بالقرب من (لنجه) للعبور إلى عمان ، لكن القواسم هاجموا سفينته في وقت كانت فيه بقية سفن الأسطول العماني بعيدة لا تستطيع ان تهب لنجدته ، وقد قتل سلطان برصاصة أصابته في رأسه ودفن في (لنجه).وقد أدى هجوم القواسم على سفينتين شراعيتين بريطانيتين عام ١٨٠٥م (١٢٢٠هـ) إلى إثارة المخاوف مرة أخرى من احتمال التدخل الفرنسي في مسقط مما أثار قلقاً متزايداً في بومباي ، وعلى أثر ذلك تم إرسال القبطان "ديفيد سيتون " الذي كان معتمداً سياسياً في مسقط لفترة قصيرة من الزمن عام ١٨٠١م (١٢١٦هـ) مرة أخرى إلى الخليج لتقديم تقرير عن الوضع هناك ، وقد أوصى بإرسال سفن شركة الهند الشرقية لمساعدة أسطول بدر بن سيف الذي خلف سلطاناً في عمان في حربه ضد القواسم ، وقد أقر المجلس في بومباي هذه التوصية ولكن بعد تخوف وتردد كبير ، لأن هذا يعني الانحياز لطرف معين والتخلي عن السياسة التقليدية التي تستند إلى تجنب التدخل في الحروب العربية. وهكذا فقد أرسلت إلى "سيتون" تعليمات جديدة وهو ما يزال في الخليج تطلب منه أن يتصرف "بأكبر قدر من الاعتدال ، وأن يسعى إلى تهدئة الوضع من خلال التفاوض ، وأن يتجنب الدخول في أي قتال مهما كانت الظروف ضد أية سفن مسلحة مهما كان نوعها تتبع أياً من الجانبين في الخليج ... وتحترم العلم البريطاني". وفي نفس الوقت منعت سفن بحرية بومباي منعا باتا من إطلاق النار على السفن العربية ما لم تكن الأخيرة قد بدأت بإطلاق النار.

وبعد وفاة سلطان تعقد الوضع العماني الداخلي مرة أخرى فقد حدث انقسام عائلي حول من سيخلفه على الرغم من أن البريطانيين كانوا يتعاملون مع بدر ربما لأنه كان الحاكم الفعلي لمنطقة الساحل ، ويروي المؤرخون العمانيون أن الحكم انتقل إلى سالم وسعيد ابني سلطان بصورة مشتركة حتى مات سعيد بعد إصابته بالشلل في مسقط في إبريل عام ١٨٢١م (١٢٣٦هـ). غير أن قيسا أحد أبناء الإمام أحمد وأكثرهم قدرة كانت لديه مطامع شخصية وكان ما يزال حاكماً على صحار يشجعه في ذلك الإمام سعيد بن أحمد الذي كان يعيش في الرستاق ، أما بدر الذي كان يؤيد في البداية سعيداً وسالماً فقد لقي نحبه على يد سعيد في ظروف يكتنفها بعض الغموض حينما كانا يلعبان معاً بالسلاح في قلعة نخل.



ظلت مسقط على الدوام تخلب الباب الفنانين الرحالة . هذه اللوحة الأنيقة التي رسمها بالألوان المائية الرائد "هينتشكليف" في عام ١٨٥٧م تصور عصر السفن الشراعية عندما كانت مسقط مركزا تجاريا لتوزيع السلع.

عهـد السيد سـعيد بن سـلطان

شهد القرن التاسع عشر تعاقب حكام استمرت عهودهم لفترات طويلة ، فقد تولى السيد سعيد الذي ولد في سمائل عام ١٧٩١م (١٢٠٦هـ) الحكم لمدة اثنين وخمسين عاما من عام ١٨٠٤ إلى ١٨٥٦م (١٢١٩-١٢٧٣هـ) وهى فترة تعزز فيها نفوذ بريطانيا في المنطقة. وقد فضل سعيد على أخيه سالم بموافقة الأخير نفسه ، والسبب الرئيس في ذلك هو نفوذ عمته موزة بنت الإمام أحمد في الدرجة الأولى. وقد عقد سعيد معاهدة صداقة وتجارة عام ١٨٠٧م (١٢٢٢هـ) مع "دي كاين"، القائد الفرنسي العام في الشرق ، غير أن هذه المعاهدة لم تدم طويلاً إذ أخرج مع قواته من "الجزيرة الفرنسية موريشوس" على يد البريطانيين الذين بقي سعيد على علاقات وثيقة معهم طوال عهده وكان لتدخلهم المباشر ضد القواسم ودعمهم غير المباشر له ضد الوهابيين أثرهما في خدمة مصالحه على الرغم من الشكوك التي ساورت بعض المسؤولين البريطانيين كما مر معنا.

وقد أدت هجمات القواسم على السفن البريطانية إلى أن يكتب "اللورد مينتو" الحاكم العام للهند "بأن استقلال عمان يعتبر مصلحة مهمة تقتضي التعاون من جانب البريطانيين ضد القراصنة القواسم". وقد تم تنظيم عمليات مشتركة مع سعيد ، غير أن سعيداً لم يحرز النصر النهائي إلا في عام ١٨٢٠م (١٢٣٦هـ) حينما تم تدمير قوة القواسم تدميرا تاما وبعدها تم توقيع معاهدات مع المشيخات التي عرفت فيما بعد باسم مشيخات الساحل المتصالح .

وقد أدى النفوذ الوهابي على قبيلة بني بو علي وأعمال القرصنة التي كانت تقوم بها هذه القبيلة إلى أن يقنع السيد سعيد القبطان "ت.بيرونت تومسون" المعتمد السياسي في رأس الخيمة منذ توقيع معاهدات ١٨٢٠ إلى أن يشـن هجوماً بريطانياً ضد بني بوعلي ، غير أن الهجوم كان مغامرة فاشلة باءت بالخيبة والهزيمة أدت إلى تقديم القبطان "تومسون" إلى المحكمة العسكرية التي لم تصدر عليه حكماً يذكر بل بقي في الخدمة حتى وصل إلى منصب جنرال في الجيش البريطاني ، وبعد ذلك تم إرسال حملة ثانية عام ١٨٢١م (١٢٣٧هـ) تحت قيادة الجنرال "السير ليونيل سميث".

كان السيد سعيد حاكما قوياً فرض شخصيته على قضايا الحكم قبل فترة طويلة من وفاة الإمام الضعيف سعيد في حوالي عام ١٨٢١م (١٢٣٧هـ). وقد كتب صاحب ترجمته ابن رزيق عنه بقوله (الحمد لله الذي تفضل على سعيد أسعد الحكام بالازدهار والمجد الخالد وأناله مرتبة رفيعة في عالم السعادة والشهرة، فقد تمكن بفضل من العون الإلهي الذي من الله به عليه أن يخضع ملوك عصره وأن يحرز النصر في معارك خاضها ضد أعدائه، ففتح بالسيف بلاداً لم تكن معروفة وشق طريقاً فوق هامات العصاة التي تم ضربها).

غير أن سعيداً لم يستطع حكم دولة شاسعة الأطراف تتمتع بالأمن حتى بعد انتصاره على خصومه. لقد كان الوضع آنذاك شبيها بعض الشيء بوضع إنجلترا في عهد الملك "هنري الثاني" حينما كان يقوم حكام القلاع الكبيرة بالثورة ، وكان الوهابيون يحتلون مناطق تتراوح في مساحاتها من أراضي سعيد طوال فترة حكمه. وعلى الرغم من ذلك فلم يكن هنالك أدنى شك في سيطرته بعد السنوات القليلة الأولى من عهده، وعلى الرغم من أنه لم يبايع بصورة رسمية إماما كما دعاه الأوروبيون خطأ إلا أن شخصيته نالت إعجاب كثير من الرحالة الذين وصفوا تحرره وأنسه وبساطته مع شعبه. فقد كتب الملازم "ج.ر.ولستد" عام ١٨٣٥م (١٢٥١هـ) قائلاً " إنه شخصية تتسم بطول القامة والوقار ، وهو ذو ملامح دمثة لطيفه وجذابة في نفس الوقت ويتمتع بأسلوب في الحديث يجمع بين النبل والود والرفعة ". وقد لاحظ العرب دليلا على عمق عواطفه وهو زيارته اليومية لأمه التي كان يطيعها طاعة عمياء في كل ما تريد ، وفي تعامله مع الأوروبيين كان دائماً يظهر الاهتمام الكبير والطيبة الأصيلة ".

أما على الصعيد الخارجي فقد كانت لسعيد مطامح كبيرة تمتد من منطقة الخليج وجنوب فارس وبلوشستان إلى الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية ومدغشقر. كما طالب بالبحرين لكنه لم يستطع مطلقا إخضاعها أو السيطرة عليها لفترة طويلة من الزمن، غير أنه استعاد السيطرة على جنوبي فارس التي استولى عليها والده سلطان أثناء احتلاله "لهرمز وقشم وجزر هنجام (جزر قشم)" من سيطرة قبيلة بني معين عام ١٧٩٤م (١٢٠٩هـ) واستئجاره لبندر عباس وغيرها من المواقع الحصينة في ساحل كرمان الجنوبي التي حصل عليها أبوه من الشاه مقابل مبلغ سنوي قدره ٦٠,٠٠٠ طومان، كما استعاد "جوادر" التي ظلت جزءا من عمان حتى عام ١٩٥٨ ، بالإضافة إلى "شهبار" التي الحقها أبوه سلطان بالممتلكات العمانية. وكان هدف سعيد - مثلما كان هدف أبيه من قبل - هو تعزيز سيطرة عمان على التجارة التي تعبر مضيق هرمز. وقد تلقى صفعة قوية من جراء طرد الفرس لواليه وعماله الآخرين من شاطئ كرمان عام ١٨٥٤ ، وقد يكون ذلك قد عجل بوفاته. وعلى الرغم من أن المعاهدة التي تفاوض بشأنها مع الفرس عام ١٨٥٦ (١٢٧٣هـ) قد نصت على أن تعين عمان ممثلين لها لمدة عشرين عاما تالية مقابل إيجار سنوي يبلغ ١٦,٠٠٠ طومان إلا أن الفرس أنهوا

مطالبة عمان بالحق في السيطرة على هذه المناطق، ولربما كانت الصفعة أقوى لأن سعيداً كان قد تزوج من إحدى بنات الأمير الحاكم في شيراز (وهو زواج لم ينجب منه ذرية).

أما الأثر الأعظم لسعيد فقد كان في أفريقيا التي اتجه إليها بقلبه وجل اهتمامه منذ عام ١٨٢٩م (١٢٤٥هـ)، وقد استولى على ممباسا من المزروعيين الذين أقاموا فيها حكماً عمانيا محليا – وجعل من زنجبار عاصمة ثانية له، كما كان يطمح إلى بسط سيطرته ونفوذه من خلال تقدمه لطلب الزواج من الملكة "رانا فولانا" ملكة "مدغشقر" عام ١٨٣٣م (١٢٤٩هـ)، ولكنه رفض عرض الملكة التي رفضت الزواج منه واقترحت أن يتزوج من إحدى الأميرات الأصغر سنا. وبعد مرور خمسة أعوام تقدم لعرض حمايته عل الملكة "سينيكو نوسي بي" إحدى ملكات مدغشقر أيضا حيث قبلت هذا العرض وعقدت معاهدة بين الطرفين نصت على أنها ستدفع لسعيد ٣٠ ألف دولار سنويا مقابل هذه الحماية، غير أن هذا الاتفاق انهار حينما قبلت الملكة الحماية الفرنسية عام ١٨٤٠م (١٢٥٦هـ).

وقد اشتهر سعيد بأنه "سيد البحار" فقد ركب البحر لمسافات طويلة، وكان يملك عشرين سفينة لتجارته الخاصة، كما أولى عناية خاصة بقوة عمان البحرية البارزة، وقد شعر بسعادة غامرة وهو يقود بنفسه سفينة "شاه علم"، ولذلك فقد ارتأى أنه من المناسب أن يهدي إلى "ملك البحار" الإنجليزي "وليام الرابع" سفينة حربية كانت تعرف في البداية بالسفينة "ليفربول". وفي المقابل حصل على يخت بهي المنظر اسمه "برنس ريجنت" أي الأمير الوصي. وفي يوم تتويج الملك "وليام الرابع" في عام ١٨٣٠ قام السيد سعيد بإهدائه فرساً أشهب، كما أرسل حصانا عربيا إلى الملكة "فكتوريا" في حفل تتويجها، لكن لم تكن كل الهدايا المتبادلة مع التاج البريطاني ثمينة مثل هاتين الهديتين فقد أرسلت الملكة "فكتوريا" عربة ملكية مع طاقم من خيولها عام ١٨٤٢م (١٢٥٨هـ) على الرغم من عدم وجود طرقات تصلح لسير هذه المركبة في زنجبار، وفي عام ١٨٤٤م (١٢٦٠هـ) أرسلت إليه كهدية طقم شاي مطلي بالفضة ولكن سعيداً من جانبه أهدى للملكة جزر كوريا موريا (الحلانيات) لتكون ملكا دائماً لها في ١٤ يوليو عام ١٨٥٤م مما دعاها إلى إرسال هدية محرجة كانت عبارة عن علبة عطوس من وزير خارجيتها "لورد كلاريندون"، وقد أعيدت هذه الجزر إلى عمان عام ١٩٦٧.

زنجبــار

أحيا السيد سعيد بن سلطان من جديد الاهتمام العماني القديم بشرق أفريقيا، وخصوصا من خلال إدخال زراعة القرنفل كمحصول ذي قيمة نقدية في زنجبار وإنشاء حقول الأرز مما زاد من حالة الازدهار هناك، وقد خلف عدة رحالة كبار في أفريقيا مؤلفات عنه وعمن خلفه في الحكم، وكان كل من "بورتون وسبيك وليفنجستون وجرانت وستانلي" ممتنين للحكام البوسعيديين في زنجبار على العون الذي تلقوه منهم خلال رحلاتهم الاستكشافية في أفريقيا. وقد توغل عرب عمان في أفريقيا حتى وصلوا إلى الكونغو – على الرغم من أن ذلك التوغل كان يتم من أجل تجارة الرقيق والتجارة المشروعة – وقد ساعدت معرفتهم وكذلك كرمهم الوافدين الأوروبيين الجدد مساعدة عظيمة.

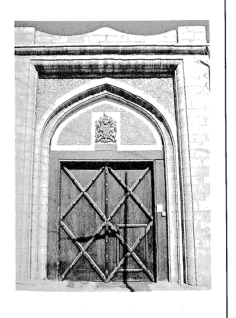
ومن المرجح أن علاقة عمان بزنجبار وساحل أفريقيا الشرقي تعود إلى عصور قديمة. إن أول ذكر ورد عن ذهاب العمانيين إلى شرق أفريقيا كان حينما فرّ سليمان وسعيد إلى "أرض الزنج" حينما طردتهم قوات الخليفة إلى خارج عمان في نهاية القرن السابع الميلادي. وقد وجد الرحالة البرتغاليون الأوائل أعداداً كبيرة من العمانيين المستوطنين هناك في مدن مزدهرة، وهذا ما ذكره ابن بطوطة أيضا في القرن الرابع عشر.

إلا أن أول ارتباط للحكم العماني بزنجبار يعود إلى فترة حكم الإمام سلطان بن سيف الإمام الثاني في السلالة اليعربية وذلك حين استنجد به عرب "ممباسه" طلبا لعونه بعد أن كان قد طرد البرتغاليين من مسقط، وفي عام ١٦٥٢م (١٠٦٣هـ) هاجم زنجبار فقتل عددا كبيرا من البرتغاليين كان من بينهم قسيس أوغسطيني، وبعد مرور ثماني سنوات – حينما استطاع بناء قوة بحرية أكثر كفاءة – حاصر سلطان بن سيف "ممباسة" وهزم البرتغاليين هناك على الرغم من أن ابنه الإمام سيف بن سلطان هو الذي استولى على "ممباسة وبيمبا وكلوا" وقام بطرد البرتغاليين من كل ممتلكاتهم الساحلية في شمال موزمبيق. وقد قام الإمام سيف بتعيين ولاة عمانيين في أماكن عديدة – فكان هناك والٍ مزروعي في "ممباسة" ونبهاني في "باتي" وحارثي في "زنجبار" – كما وضع حاميات عسكرية في زنجبار وبيمبا.

وفي عام ١٧٣٩م (١١٥٢هـ) نقض الوالي المزروعي ولاءه للإمامة التي كانت ضعيفة في تلك الفترة بسبب الحرب الأهلية، وتبعته في الاستقلال كل من "باتي" والمدن الأخرى. إلا أن الإمام أحمد بن سعيد كان أكثر صرامة فعمل على تقوية حامية زنجبار بصورة جيدة خصوصا وأن المزروعيين في ممباسة لم يكتفوا بتأكيد استقلالهم بل هاجموا زنجبار نفسها. وهكذا ظلت زنجبار في يد حكام عمان حتى منتصف القرن السابع عشر، غير أن هذا الجزء من الممتلكات العمانية لم يلق العناية الجديرة بالتنمية إلا بعد تولي السيد سعيد بن سلطان مقاليد الأمور.

العلاقة مع بريطانيا

أبرم الإمام اليعربي ناصر بن مرشد في عام ١٦٤٦م معاهدة مع شركة الهند الشرقية منح بموجبها "الإنجليز" حقوقا مقصورة عليهم للتجارة في صحار. حتى عام ١٨٠٠م لم يكن هناك أي ممثل بريطاني في مسقط بعد المعاهدة التي عقدت في تلك السنة والتي اشترطت بان "الرجل الانجليزي نبيل المحتد" يجب أن يقيم دائما في ميناء مسقط، وأن الصداقة بين البلدين يجب أن " تبقى حتى نهاية الزمان أو عندما يتوقف كل من الشمس والقمر عن الدوران في فلكيهما".



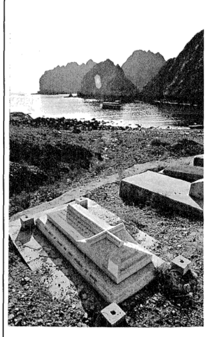
إنقسام السلطنة

بعد وفاة السيد سعيد عام ١٨٥٦ عن اثنين وستين عاماً في رحلة بحرية من مسقط، ثم نقل جثمانه ودفن في حديقة قصره في زنجبار ، وكان معه هناك اثنان من أبنائه هما ماجد وبرغش. وقد تولى ماجد السلطة في زنجبار وأقر تعيين جميع الموظفين الذين عينهم أبوه في الأراضي الأفريقية، أما ثويني بن سعيد فكان واليا على مسقط وابنه تركي والياً على صحار حينما حدثت الوفاة .

(أسفل) مدخل القنصلية التي بنيت عام ١٨٩٠م والتي تحولت فيما بعد الى سفارة حتى عام ١٩٩٤م.

شعار النبالة البريطانية الملكية يبدو فوق العتبة العليا للباب.

أول مبشر مسيحي قدم إلى عمان حديثا كان "توماس فالبي فرنش" (Thomas Valpy French) (١٨٢٥-١٨٩١م) أسقف لاهور سابقا، ويقع قبـره (اسفل الى اليمين) في خليج صغير شرقي مسقط.



وقد أعلن ثويني توليه السلطة في كل السلطنة بتأييد معظم أهالي عمان على الرغم مما فعله أخوه تركي من حيث إعلان استقلاله وكما فعل كثير من ولاة صحار في حالات كثيرة في الماضي، غير ان اعتراف أهالي زنجبار والممتلكات الأفريقية جعلت ماجداً في مركز أقوى حيث توصل مع ثويني إلى اتفاق ودي يدفع بموجبه ٤٠ ألف كراون سنويا، غير ان الخلاف ما لبث أن نشب بعد ذلك حول طبيعة هذا المبلغ أهو جزية أم معونة مالية، واتفق الجانبان على عرض قضيتهما على نائب الملك الحاكم العام في الهند "اللورد كاننج".

وقد عين العميد "وليم كوغلان" (الذي حمل لقب لورد فيما بعد) لتقصي حالات الخلاف، وقد قبل الجانبان المتنافسان عن طيب خاطر حكم "كاننج" عام ١٨٦٢م (١٢٧٩هـ) الذي يقضي بان يكون ماجد حاكما على زنجبار والأقاليم الأفريقية مع دفع ٤٠ ألف كراون سنويا إلى حاكم مسقط إضافة إلى مستحقات السنتين الماضيتين، وقد عوضت هذه التسوية حاكم مسقط عن مطالبته بزنجبار مشكلة عدم التوازن بين الوريثين حيث كانت زنجبار في ذلك الوقت تمثل الجزء الأغنى من مناطق النفوذ العمانية ، وبهذا الحل الغريب والحكيم في آن معاً سارت كل من السلطنتين وفق ما تراه مناسباً. وفي هذه المرحلة أعيد التمثيل البريطاني الدائم في مسقط بعد أن كان قد توقف منذ عام ١٨١٠م.

وقد ظن ثويني أنه هو الخاسر من عملية التحكيم مقارنة بماجد الذي كان يتلقى النصح والمشورة في مجريات أمور الحكم من الكابتن "هامرتون" المندوب البريطاني المقيم في زنجبار. وقد تم الاعتراف الدولي بتأسيس سلطنتين في بيان مشترك في باريس عام ١٨٦٢م (١٢٧٩هـ) تعهد على أثره كل من الإنجليز والفرنسيين باحترام استقلالهما وسيادتهما.

وفي منتصف القرن التاسع عشر كانت عمان توصف بأنها "قوة بحرية آسيوية من الدرجة الأولى" ، غير أنها انهارت سريعا بعد وفاة السيد سعيد من جراء عوامل اقتصادية وبسبب تقسيم السلطنة وعدم استقرار الأمور في عمان نفسها ، ومما زاد في مصاعب عمان هو فقدانها لاسطولها الكبير الذي صادف أن كان راسياً في زنجبار عند وفاة السيد سعيد ، كما أدى استخدام السفن البخارية عام ١٨٦٢م التي كانت تديرها شركة الملاحة البخارية البريطانية في الهند بين الهند والخليج إلى إصابة العمانيين بضربة ملاحية فادحة حيث لم تعد سفنهم قادرة على منافسة تلك السفن في نقل التجارة، حيث اضمحلت قوتهم البحرية خلال سنوات قليلة ولم تعد شيئاً يذكر .

ومن بين العوامل الأخرى التي ادت إلى ذلك التلاشي التدريجي هو القضاء تدريجياً على تجارة العبيد التي كانت تمارسها السفن العمانية خاصة أن الزراعة في عمان كانت تعتمد اعتمادا كبيرا على اليد العاملة من الرقيق.

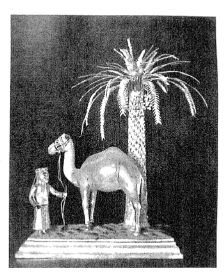
ولم يكن حكم ثويني بمنأى عن المتاعب الداخلية ، كما كانت هناك غارات متعدده للوهابيين عام ١٨٦٤م (١٢٨١هـ) الذين طالبوا بإلحاح بالحصول على مشاركات مالية. وبمدد من قبيلتي الجنبة وبني بوعلي قاموا بالإغارة على صور غير أن الإنجليز توسطوا لصالح العمانيين، أما ثويني فقد لقي مصرعه بمسدس ذي فوهتين على يد ابنه سالم في قلعة صحار أثناء نومه وقت القيلولة ، ولم يكن هدف سالم من ذلك واضحاً تماماً على الرغم من أن ثويني لم يكن محبوبا من قبل العمانيين أو من أسرة البوسعيد.

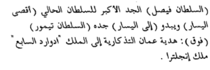
وسرعان ما أعلن سالم نفسه حاكماً خلفاً لأبيه ، ولكن بسبب الارتياع الذي عم من جراء قتله لوالده فقد كانت عملية الاعتراف به بطيئة جدا. لقد غدت الأمور غير مستقرة لبعض الوقت كما أصيبت الحركة التجارية بالتوقف. ومن ناحية أخرى أعلن تركي الذي تمركز في ينقل بالظاهرة المعارضة مرة أخرى كما توقفت معونة زنجبار توقفا مؤقتا – وهذه هي أول مرة تستخدم فيها هذه المعونة كاداة سياسية وهو ما حدث مرات عديدة فيما بعد. ومن ناحية أخرى ضعف النفوذ العماني في بندر عباس التي حافظ عليها العمانيـون لفترة طويلة من الزمن، حيث استغل الفرس الفرصة بشكل سريع عند تولي سالم مقاليد الحكم محاولين إنهاء الإيجار المتفق عليه ولكنهم قاموا بتجديده مقابل زيادة في قيمة الإيجار بلغت ثمانين ألف طومان لثماني سنوات.

ومن جانب آخر قام عزان بن قيس عام ١٨٦٨م (١٢٨٥هـ) بالاستيلاء على بركاء ومسقط ومطرح بحملات سريعة وأرغم سالماً على المغادرة بحرا ، وهكذا انتهى حكم سالم قصير الأجل الذي لم يحظ بشعبية وقبول.

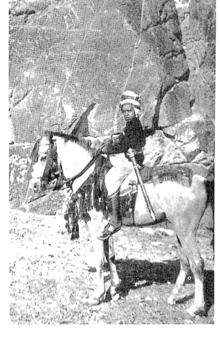
أما عزان فقد أظهر من القدرة وفرض الشخصية ما لم تعرفه عمان لفترة من الزمن حيث بسط سلطانه على كل البلاد بمعونة كل من عائلة الخليلي وصالح بن علي شيخ الحرث بالشرقية ، كما قام بطرد الوهابيين من البريمي التي كانت تخضع لسيطرتهم من حين لآخر منذ عام ١٨٠٠م (١٢١٦هـ) وقام بدفع معونة مالية لحليفه شيخ ابوظبي مقابل حمايته لحدود عمان عند البريمي.

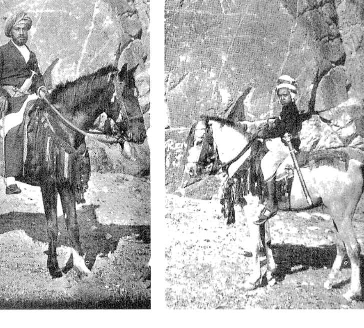
ولم تنل محاولات سالم لرفع راية العصيان ضد عزان إلا الفشل الذريع غير أن "تركي" الذي كانت تساوره أحلام السلطنة كان أكثر نجاحاً من سالم ،





(السلطان فيصل) الجد الأكبر للسلطان الحالي (أقصى اليسار) ويبدو (إلى اليسار) جده (السلطان تيمور)
(فوق): هدية عمان التذكارية إلى الملك "ادوارد السابع" ملك إنجلترا.





فمن خلال الدعم المالي الذي حظي به من سلطان زنجبار قام بالتحالف مع شيوخ دبي وعجمان ورأس الخيمة، ونزل في خور فكان مستميلا قبيلتي بني نعيم وبني قتب في طريقه، ثم التقت قوات تركي بقوات عزان في معركة جرت في وادي ضنك في الخامس من أكتوبر عام ١٨٧٠م (١٢٨٧هـ) وكانت المفاجأة أن قوات تركي قد حققت النصر فيها.

ونتيجة لذلك تراجع عزان وأخوه إبراهيم الذي قام بانتزاع قلعة الحزم من أيدي اليعاربة في صحار، ثم قام تركي بدعم من سيف بن سليمان الريامي بالاستيلاء على جزء من الشرقية قبل أن يتقدم نحو العاصمة، وقد قتل كل من عزان وسيف بن سليمان في إحدى المعارك في مطرح.

وقد تولى تركي مقاليد الأمور التي لم تخل من اضطراب حيث واجه معارضة من قبل أخيه الأصغر عبدالعزيز وكذلك من قبل سالم وإبراهيم ابني قيس وصالح بن علي الحارثي، غير أن هذه القوى المعارضة لم تتحد في وجهه وكان ذلك من حسن طالعه حيث اعترفت به بريطانيا سلطانا على عمان في نوفمبر عام ١٨٧١م (١٢٨٨هـ) وكان هذا الاعتراف حظوة لم ينلها عزان بن قيس على الإطلاق على الرغم من أن الاعتراف به كان سيتم قبل وقت قصير من إزاحة تركي له، أما إبراهيم بن قيس فلم يستسلم إلا عام ١٨٧٥م (١٢٩٢هـ) وبذلك يكون قد بدأ بتمهيد الطريق للخدمات المتعددة التي سيقوم بها ابنه أحمد لدى السلطان سعيد بن تيمور حتى عام ١٩٧٠م (١٣٩٠هـ) كوزير للداخلية. غير أن الصراعات بين بني غافر والهناويين استمرت حيث قام صالح بن علي بنهب مطرح في عام ١٨٧٤م (١٢٩١هـ) كما حاول الاستيلاء على مسقط، وقد حال هذا الإذلال الذي أصيب به تركي إضافة إلى تدهور صحته ووقوعه تحت نفوذ مستشار عديم الأخلاق يدعى "نميش" سرعان ما جمع لنفسه ثروة طائلة مشبوهة مما حال دون تحقيق تركي لآماله القديمة. وفي عام ١٨٧٥ (١٢٩٢هـ) اعتزل تركي الحكم وتوجه إلى "جوادر" فقام أخوه عبدالعزيز الذي كان قد تصالح معه بدور الوصي في عمان. وفي عام ١٨٧٣ (١٢٩٠هـ) حاول سالم العودة مرة أخرى لكن السفينة الملكية البريطانية (دافني) ألقت القبض عليه ونقلته إلى "حيدر أباد" في السند وهي منطقة كانت بينها وبين عمان علاقات لفترات طويلة، وهناك وافته المنية لما أصابه من إحباط عام ١٨٧٤م (١٢٩١هـ).

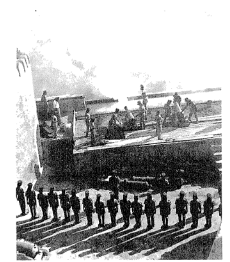
وسرعان ما استعاد تركي صحته وهمته فقام في عام ١٨٧٥م بالعودة إلى مطرح دون أن يعلن ذلك واستعاد السلطة في حين كان أخوه عبدالعزيز في ذلك الحين بوادي سمائل في المنطقة الداخلية. وفي عام ١٨٧٧م (١٢٩٤هـ) اتهمه صالح بن علي و"المطوعون" بالتهاون في أمور دينه ودنياه فشنوا هجوماً على مسقط. وقد استجاب البريطانيون لطلب السلطان المساعدة منهم، فقامت السفينة الملكية البريطانية (تيزر) بقصف الثوار في وادٍ خلف المدينة، وكان هذا كافياً لتقوية موقفه للاستمرار في الحكم، غير أن صالح بن علي كان قد عقد العزم عام ١٨٨٣م (١٣٠١هـ) على القيام بمحاولة عنيفة أخرى لخلع تركي، متحالفاً في ذلك مع عبدالعزيز بن سعيد.

وقد تم إشعار "الكولونيل مايلز"، المعتمد السياسي البريطاني، بالهجوم على مطرح وأنه قد أصبح وشيكا وطلبوا إبعاد الرعايا البريطانيين عن طريق الخطر. وفعلاً قام عبدالعزيز نفسه بقيادة هجوم ليلي سافر على أسوار مسقط، وكان المهاجمون يرتدون ثياباً سوداء إمعاناً في التمويه، وقد هب تركي للدفاع عن أسوار المدينة ونجح في صد الهجوم مما حدا بقوات عبدالعزيز إلى التراجع إلى سداب في الضواحي، ومن ناحيته استنجد تركي بالمعتمد السياسي البريطاني مرة أخرى، حيث تم إخراج الرعايا البريطانيين في قوارب إلى البحر، ثم أخذت السفينة الملكية (فيلومل) بقصف مواقع المتمردين. أدى هذا الإجراء بالإضافة إلى وصول قوات متحالفة من شيخي الحرث والمساكرة إلى انتصار تركي في ذلك اليوم، وقام ابنه الثاني فيصل بمطاردة فلول المتمردين وأعاد القبائل ثانية إلى دائرة الطاعة والولاء للسلطان. وفي الفترة الأخيرة من حكمه لجأ تركي مرة أخرى إلى الاعتماد على قبائل بني غافر الذين حققوا انتصارات في عدة معارك في ضنك ومسقط لصالحه، بدلا من قبائل الهناويين الذين اعتمد عليهم في الفترة الوسطى من

حكمه . لقد اعتمد تركي على أقربائه وعلى أشخاص يتميزون بالكفاءة لإدارة شؤون حكمه كان من بينهم سعيد بن محمد وشخص آخر قوي الشخصية من سلالة العبيد اسمه سليمان بن سويلم الذي تميز بآرائه الحكيمة. لقد كان تركي حاكماً طيب الذكر في حكمه وقد استفاد من صداقته مع السلطات البريطانية في الهند الذين قدروا هذه الصداقة فقاموا بتقديم بطاريتي مدفعية تتكونان من ١٢ مدفعاً من مدافع البارود لقلاع مسقط . وفي عام ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) عقد معاهدة مع "السير بارتل فرير" للقضاء على تجارة الرقيق، وقد قام منذ ذلك الحين بجهود مخلصة لتحقيق هذا الغرض .

وفي عام ١٨٧٩م (١٢٩٧هـ) تم استرجاع ظفار مرة أخرى على يد قوات من شمالي عمان بعد فترة انفصال دامت خمسين عاماً . وفي بداية القرن الثامن عشر كان يحكم ظفار محمد بن عقيل العجايبي الذي كان في السابق قرصاناً وتاجر رقيق ، وقد حكم ابن عقيل من خلال رؤية مستنيرة (وهذا أمر غريب) لمدة ربع قرن تقريباً غير أنه اغتيل عام ١٨٢٩م (١٢٤٥هـ) مما حدا بسعيد بن سلطان لإرسال قوة لاحتلال ظفار ، ولكن هذه القوة لم تمكث طويلا هناك حيث كانت الحاجة تدعو إلى توفر قوات للقيام بالمهام والواجبات في شرق أفريقيا. ولربما كانت ظفار خاضعة لأئمة اليعاربة قبل ذلك ولكن من غير الواضح مدى قوة سيطرتهم عليها. لقد كانت حضرموت وظفار فيما مضى جزءاً من الدولة الإباضية العمانية ، وعلى الرغم من قيام دولة حضرمية إباضية منفصلة لمدة من الزمن فقد تلاشت الإباضية من جنوب الجزيرة العربية بحلول القرن الثالث عشر الميلادي .

وبعد وفاة محمد بن عقيل قام أمريكي يدعى "عبد الله لورليد " – وهو الذي تم اختطافه من البحر عندما كان في العاشرة من عمره في إحدى عمليات القرصنة التي قام بها ابن عقيل واعتنق الإسلام – بممارسة نوع من الاستقلال الذاتي وذلك من خلال تنظيم حملات جريئة ضد قبائل القرا. ومع ذلك وبعد عام ١٨٢٩م (١٢٤٥هـ) فقد بدا أن شيوخ ظفار كانوا دائما يقدمون فروض الولاء والطاعة عند تولي سلطان جديد مقاليد الحكم في مسقط . وعلى الرغم من هذا فقد مرت فترة غريبة بين عام ١٨٧٥ (١٢٩٢هـ) وعام ١٨٧٩م (١٢٩٧هـ) حينما وقع الظفاريون تحت حكم فضل بن علوي وهو كاهن من (الموبلا) طرد من الهند للدور الذي قام به في تمرد (الموبلا) في عام ١٨٥٢م (١٢٦٩هـ) ، ويبدو أن شيوخ ظفار قابلوه في رحلة حجه إلى مكة وتأثروا بسمعته الدينية التي اشتهر بها ، ودعوه لزيارة ظفار ، وسرعان ما استطاع فرض سيطرة



تحية عسكرية رسمية ظلت تطلقها حتى عام ١٩٧٣م سرية المدفعية من مدفع قديم يعبأ من فوهته وذلك من خلال فتحات جدار قلعة الميراني.

مؤقتة هناك ، وقام بإرسال رسالة مليئة بعبارات الوقاحة إلى السيد تركي واصفاً نفسه بأنه حاكم ظفار نيابة عن الباب العالي العثماني ، غير أن حكم ابن علوي لم يستمر إلا لفترة قصيرة حيث شبت ثورة عامة في عام ١٨٧٩م (١٢٩٧هـ) انطلقت شرارتها من قبائل القرا وأجبرته على مغادرة البلاد .

ثم قام السلطان باسترجاع ظفار حين أرسل حملة بحرية بقيادة سليمان بن سويلم الذي كان عبداً مملوكاً في السابق. وكان حكم سليمان بن سويلم الذي مارسه بشكل شخصي أو من خلال ابنه علي حكماً اتصف بالقسوة وقد قامت القبائل بمحاولات تمرد عديدة ضده في ذلك الحين ، وفي هذه الأثناء مضى فضل بن علوي في التآمر مع الوالي العثماني في البصرة – الذي قام بإرسال علم تركي ومرسوم تعيين إلى صلالة – ومع خديوي مصر للتخطيط من أجل عودته .

كما قام تمرد آخر استمر من عام ١٨٩٥ (١٣١٣هـ) إلى عام ١٨٩٧م (١٣١٥هـ). وفي هذه الأثناء رافق المقيم البريطاني في الخليج الفارسي قوات السلطان في السفينة الملكية البريطانية "قوزاق" للسيطرة على الوضع والإمساك بزمام الأمور ، وبعد ذلك حدث تطور واضح في الإدارة العمانية غير أن فضلاً حاول مرة أخرى بدون نجاح إقناع الحكومة البريطانية للاعتراف به حاكماً على ظفار وأن يكون له علم وطني "أخضر ذو قاعدة مخمسة ".

وفي عام ١٨٨٨م (١٣٠٦هـ) مات السيد تركي فخلفه نجله السلطان فيصل البالغ من العمر حينذاك ثلاثاً وعشرين عاماً ، وقد قام الجميع بتقديم فروض الولاء له بمن فيهم صالح بن علي الحارثي الذي أثار متاعب كثيرة في وجه السلطان . وكان فيصل قد تزوج عام ١٨٨١ من ابنة عمه عليا بنت ثويني وقد ساعده هذا الزواج بالإضافة إلى استمرار الدعم من زنجبار على تعزيز موقفه. ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت المعارضة لحكمه حين حاول عمه عبدالعزيز الاستيلاء على مسقط وشاركه في تلك المحاولة حمد بن جحفي الذي كان ذا سمعة سيئة واضطرم الشقاق بين قبائل بني غافر والهناويين كما اندلعت الحروب القبلية . وحدثت في عام ١٨٩٥م (١٣١٣هـ) محاولة تمرد جادة بتأييد من سلطان زنجبار. وحتى ذلك الحين كانت العلاقات بين سلطنة عمان وسلطنة زنجبار علاقات ودية ، ولكن في عام ١٨٩٣م تولى حمد بن ثويني – الذي أمضى فترة من مقتبل العمر في عمان حيث كان له أصدقاء كثيرون – خلفاً لعلي بن سعيد في زنجبار التي هاجر إليها كثير من العمانيين عام ١٨٩٤م (١٣١٢هـ) وقاموا بتشجيع حمد على بسط نفوذه على سلطنة عمان .

وقد استولى المتمردون على مسقط التي ظلت في أيديهم لفترة من الزمن حتى وصلت التعزيزات البريطانية ، غير أن المتمردين أنذروا فيصلاً الذي قام بتعزيز دفاعات مسقط ومطرح إلا ان مشاكل حكمه تزايدت من جرّاء نقصان الأموال ومكائد وزيره الذي كان مرتبطا ارتباطاً سرياً بصالح بن علي ، ومع ذلك فقد استطاع بسط نفوذه تدريجيا مرة أخرى .

ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت عمان مركز صراع بين بريطانيا و فرنسا حين قرر الفرنسيون ومعهم الروس الاتفاق على محاولة كسر شوكة النفوذ البريطاني حول المحيط الهندي. وكانت الاختلافات الأساسية بين بريطانيا وفرنسا تدور حول رفع العلم الفرنسي لحماية السفن العمانية وهو أمر عارضه السلطان فيصل والبريطانيون لأن ذلك شجع على الاستمرار في تجارة الرقيق، على الرغم من أن هذا لم يكن في نية الفرنسيين إلا أن رغبتهم كانت تكمن في فتح محطة تزويد بالفحم الحجري في مسقط ، إضافة إلى القيام بتجارة السلاح.

وفي نهاية ذلك القرن ظهر نوع من المنافسة الدبلوماسية لبسط النفوذ بين القنصل البريطاني الرائد "كوكس" (لاحقا السير برسي) والقنصل الفرنسي "م. أوتافي" ، وقد حقق القنصل البريطاني الفوز فقام السلطان بإلغاء منحته للفرنسيين بفتح محطة تزويد بالفحم الحجري في بندر الجصة قرب مسقط غير أنه تم التوصل إلى حل وسط يتم بموجبه فتح محطتين للفحم الحجري واحدة فرنسية والأخرى بريطانية في منطقتين متساويتين بنفس التصميم في خليج مسقط،



منظر لمطرح قبل تولي جلالة السلطان قابوس مقاليد الحكم . توضح الصورة أسوار المدينة القديمة ، التي كانت بواباتها تفتح عند الشروق وتغلق عند الغروب حتى بعد أن تم عمل فتحات في الجدار لتعبيد شارع للسيارات. وقد انهارت البوابة في عام ١٩٧٣م.

ولم يتم هدم المبنيين اللذين شيدتهما الدولتان إلا في عام ١٨٧٢ حين تم بناء قاعدة بحرية عمانية جديدة في نفس الموقع. ولم تحلّ المشاكل الأخرى بين فرنسا وبريطانيا إلا من خلال الاتفاقيات الودية وبعد الرجوع إلى "محكمة لاهاي" لحل مشكلة رفع العلم.

وفي عام ١٩٠١ بدأت مسقط تتصل بالعالم من خلال مد خطوط البرق من مسقط إلى "جاسك" التي ارتبطت بالنظام البرقي الهندوأوروبي. وعلى الرغم من بقاء عمان مستقلة فقد تزايد النفوذ البريطاني من خلال زيارة اللورد "كورزون" الذي كان نائب الملكة في الهند عام ١٩٠٣ عقب ظهور الطاعون الدبيلي حيث كانت الوكالة البريطانية مسؤولة عن أمور الصحة والحجر الصحي في مسقط .

وقد أثقل كاهل إدارة فيصل بدين كبير وتضاعفت مصاعبه المالية بإغلاق دار سك النقود بالهند مما دعاه إلى سك (البيسة) في مسقط حينما تسببت ندرة (البايس) الهندية في معاناة الفقراء.

ولا بد من القول إنه لم يكن هناك أي منافس رئيس لفيصل على الحكم وهكذا تطورت إدارته مع تقدمه في السن.

وفي عام ١٩١٣م (١٣٣٢هـ) مات السلطان فيصل الذي تميزت الفترة الأخيرة من حكمه بالهدوء النسبي فخلفه ابنه السيد تيمور وهو النجل الذي أنجبه من اقترانه بالسيدة علياء. وفي نفس العام اتحدت قبائل الداخلية مرة أخرى تحت قيادة الإمام سالم بن راشد الخروصي حيث واجه تيمور الذي كان مهيأً لخلافة أبيه وضعاً خطيراً بتحالف الهناويين والغافريين ضد حكمه .

وفي عام ١٩١٥م قاد الإمام سالم قبائل الداخل في هجوم على العاصمة بدعم من عيسى بن صالح الحارثي، ولكن تم صدهم على يد قوة بلغ عددها ٧٠٠ من القوات الهندية البريطانية في بيت الفلج ، كما أخفق اجتماع عقد في السيب بين السلطان تيمور والإمام في نفس العام بسبب رفض الأخير تسليم القلاع التي استولى عليها في وادي سمائل عام ١٩١٣م (١٣٣٢هـ) باعتبارها من الأماكن التي تلعب دوراً هاماً في ازدهار مسقط. إن قدرة السلطان على فرض ضريبة على منتجات عمان الداخل قد أدت إلى حل وسط عرف خطأً باسم "معاهدة السيب" التي عقدت في ٢٥ سبتمبر ١٩٢٠م (١٣٣٩هـ) ونصت على أن لا يتدخل السلطان في " الشؤون الداخلية" لعمان الداخل ، وأن لا يفرض ضريبة تربو على خمسة في المائة (٥٪) على كل البضائع القادمة من الداخلية ، وأن يسمح للقبائل بالدخول إلى مسقط وجميع المدن الساحلية بحرية وأمان ، كما وافقت القبائل من ناحيتها على أن تبقى في سلام ومصالحة مع حكومة السلطان ، وقد نجح هذا الإجراء الإداري خلال إمامة محمد بن عبدالله الخليلي الذي خلف سالماً بن راشد الخروصي على الإمامة حينما قتل الأخير عام ١٩٢٠. غير أن الأمور تطورت إلى الأسوأ عقب وفاة الإمام محمد عام ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ). ومثلما كان حال حكم السيد فيصل فقد عانى حكم السلطان تيمور من المصاعب المالية التي أثر فيها الكساد التجاري الذي حدث عام ١٩٢٣م (١٣٤٢هـ) والعام التالي. وقد عين السلطان تيمور "برترام توماس" المؤلف والخبير بالشؤون العربية مستشارا ماليا ثم وزيرا لمساعدته في تجاوز العقبات التي كانت تعترض طريقه ، إلا أن السلطان الذي كان زاهداً في الحكم تنازل عن العرش لابنه السيد سعيد، وعاش بعدها في عزلة في "بومباي" بالهند حتى وافته المنية عام ١٩٦٥م (١٣٨٥هـ). وهكذا تولى السيد سعيد حكم بلاد كانت مثقلة بالديون وتمكن بصبره وجهوده من تعديل الوضع بصورة كبيرة. غير أن إشرافه الحريص الذي أدى إلى إيجاد دولة مزدهرة في مواردها المالية عند تولي جلالة السلطان قابوس مقاليد الحكم عام ١٩٧٠م (١٣٩٠هـ) – قد أدى في نهاية المطاف إلى عزله وابتعاده عن الشعب العماني.

لقد كانت الفترة الأولى من عهد السلطان سعيد تتميز بالهدوء النسبي، غير أن وفاة الإمام عام ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ) وظهور الحاجة إلى التنقيب عن النفط في منطقة الداخل أدت إلى إثارة قلاقل داخلية ، فقد حاول الإمام الجديد غالب بن علي جعل عمان الوسطى إمارة منفصلة مستقلة عن السلطان. ومما لاشك فيه أن احتمال اكتشاف النفط كان أحد العناصر التي أيقظت تلك الأحلام ، وقد ردت قوات السلطان على هذه المحاولة الانفصالية عام ١٩٥٥م (١٣٧٥هـ) بدخولها إلى المناطق المأهولة من عمان الداخل دون أن تواجه أي مقاومة تذكر. وقد سمح للإمام أن ينسحب ويعتزل في قريته، إلا أن أخاه الأقوى "طالب" تمكن من الفرار إلى المملكة العربية السعودية ومنها إلى القاهرة قبل أن يعود في عام ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ)، حيث استمال إليه عددا لا يستهان به من الأتباع كان من بينهم الشيخ سليمان بن حمير شيخ مشايخ بني ريام. وعلى الرغم من هزيمتهم في معركة فرق في شهر أغسطس من نفس العام بعد تدخل بريطاني، إلا أنهم استطاعوا المحافظة على قوتهم في حصون الجبل الأخضر.

السلطان سعيد بن تيمور ، والد جلالة السلطان قابوس، تولى الحكم من عام ١٩٣٢ حتى عام ١٩٧٠م . كانت السلطنة في العقود الأولى من تلك الفترة تمر بسنوات عجاف.

ولم يتم طردهم نهائيا إلا في عام ١٩٥٩م (١٣٧٩هـ) بمعونة فرقة الخدمات الجوية البريطانية الخاصة. وحتى بعد هذا فقد ظلت " القضية العمانية " موضوعاً حياً في السياسة الدولية والعربية حيث تم إدراجها في جدول أعمال منظمة الأمم المتحدة التي رفض السيد سعيد رفضاً قاطعاً أن يبعث لها بأي وفد يقوم بتمثيله.

ولم يتم حل المشكلة حلاً نهائيا إلا في عام ١٩٧١ (١٣٩١هـ) حينما تم السماح لعمان مع بداية حكم جلالة السلطان قابوس بالانضمام إلى الجامعة العربية والأمم المتحدة بعد أن توقفت الدول الأخرى عن دعم قوات الإنفصاليين. وقبل ذلك دعت الحاجة لتخطيط الحدود إلى دخول عمان في نزاع مع المملكة العربية السعودية لأغراض منح امتيازات التنقيب عن النفط، وقد أثر هذا النزاع إلى حد ما على الموقف السعودي من الإمام المنشق.

في عام ١٩٥٠م (١٣٧٠هـ) حين احتلت قوة سعودية بقيادة تركي بن عطيشان قرية الحماسة في واحة البريمي التي تقع ستة أجزاء منها داخل إمارة أبوظبي بينما تقع ثلاث أخرى ضمن حدود السلطنة ، وقد تنبه السلطان سعيد إلى أهمية إخراجهم فقام بحشد قبائل صحار بهدف التقدم نحو البريمي إلا أن الحكومة البريطانية اقترحت ضبط النفس، وأحيلت القضية إلى التحكيم الذي طالت إجراءاته دون تحقيق أية نتيجة حتى أكتوبر من عام ١٩٥٥م حين تمكنت قوات السلطنة بالتعاون مع قوات ساحل عمان المتصالح البريطانية من إخراج السعوديين.

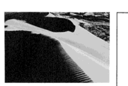
ولعل مأساة السلطان سعيد تكمن في أنه بعد ازدياد عائدات النفط بصورة كبيرة سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ) قد ظل عاجزاً عن تغيير ما درج عليه من التقتير وعدم الإنفاق لتحقيق رفاهية شعبه. لقد كانت بعض خطط التنمية التي وافق عليها لا تلبي تطلعات شعبه الطامح إلى التعليم وتوفير الخدمات الصحية ومرافق الحياة الأخرى.

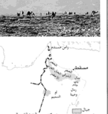
وقد أدى هذا كله إضافة إلى العزلة التي فرضها على نفسه بالبقاء في صلالة وعدم زيارة شمالي عمان مطلقاً بعد عام ١٩٥٨م (١٣٢٨هـ) والثورة التي بدأت في ظفار عام ١٩٦٥م (١٣٨٤هـ) إلى أحداث عام ١٩٧٠م (١٣٩٠هـ) وقيام جلالة السلطان قابوس بتولي مقاليد الأمور. وقد توفي السلطان سعيد في لندن عام ١٩٧٢م (١٣٩٢هـ) .

الباب الثالث
الأرض وطبيعتها

تضاريس عمان ثرية ومتنوعة، وتتميز بتبايناتها الرائعة: فهناك على سبيل المثال القمم الشاهقة لسلسلة جبال الحجر، والخلاء الفسيح الهائل لكثبان الربع الخالي، وجبال ظفار وسهولها الجنوبية التي تغدو خضراء مورقة عند هطول الأمطار الموسمية، وهناك المنحدرات الصخرية الشاهقة لمنطقة الساحل الجنوبي، والقرى الأنيقة المنتشرة في الأودية والمحفوفة ببساتين النخيل، إضافة إلى شريط ساحلي يمتد ألف ميل ويتفاوت بين الشطآن الرملية المنبسطة والتجاويف الصخرية عند مسندم ومسقط.











(أقصى اليسار) المياه الساكنة تتقيا الواجهات الصخرية بوادي شاب وما هي إلا عطاء مفاجيء يتكرر باستمرار في شمالي عمان. وإلى جانب جبالها الرائعة ومناطقها المزروعة توجد بعمان صحاري رملية (أعلى اليسار) وسهول شاسعة ترعى فيها الجمال (أعلى اليسار) شاطئ بحري متعرج (يسار). توضح الخريطة توزيع أنواع التضاريس.





خصب ، المركز الإداري لمسندم ، هي أقصى نقطة في شمالي عمان وتمثل كذلك نهاية أرض شبه الجزيرة العربية. تقع خصب في ميناء طبيعي تحيط به الجبال . (أعلى) يشرف الوالي من قلعته على سكان هم في الغالب من رجال قبائل الشحوح والبحارة.

الجغرافيا والمناخ وطبقات الأرض (الجيولوجيا)

عمان أرض ذات جمال ظاهر وتباين شديد الوضوح، فجبالها الرائعة ذات الأطياف الحمراء والرمادية والخضراء مدببة وشامخة في السماء الزرقاء الصافية، وهناك السهول المنبسطة على امتداد النظر، وقراها البكر المحفوفة ببساتين النخيل الشديدة الاخضرار تستلقي مسترخية في الأودية الجرداء على طول الشواطئ البحرية والتي كانت فيما مضى منعزلة عن بعضها وأصبحت الآن متصلة بواسطة شبكة من الطرق المعبدة، أما صحاريها فتمتد حتى تتداخل مع صحراء الربع الخالي ، ذلك البحر الرملي الهائل بكثبانه المتموجة الرائعة التي يصل ارتفاعها إلى (٦٠٠) قدم أو أكثر.

وتتغير ملامح شريطها الساحلي لمئات الأميال من شواطئ منبسطة إلى خلجان صخرية صغيرة بالقرب من مسقط. أما الجبال المثيرة والفريدة من نوعها في شبه جزيرة مسندم – المعروفة باسم رؤوس الجبال – فتتميز بمناظر منحدراتها البحرية الشاهقة الجرداء. وتتعرض جبال ظفار للرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال شهر مايو حتى سبتمبر لتكتسي حلة خضراء لا تضاهيها فيها أية بقعة من بقاع الجزيرة العربية، بينما ترتفع منحدراتها الشاهقة بجلالها على طول ساحل ظفار. وتبلغ مساحة عمان ٣٠٩٫٥٠٠ كيلومتراً مربعاً أما شريطها الساحلي البالغ طوله (١٧٠٠) متراً فيمتد في الاتجاه الجنوبي الغربي على شكل هلال عظيم يبدأ من جزيرة سلامة في أقصى الشمال – حيث تبلغ المسافة الفاصلة بين عمان وإيران عبر مضيق هرمز ٥٥ كيلومتراً – وينتهي بحدود عمان الجنوبية مع جمهورية اليمن. وتمتد خلال خط عرض ٢٦ من ١٧ درجة شمالاً في الأسفل إلى ١٦ درجة شمالاً في الأعلى: لا يفصل بينها إلا شريط من الأرض عرضه ٩٠ كيلومتراً تمتلكه لأسباب تاريخية دولة الإمارات العربية المتحدة ، لذا تعد عمان جزءاً هاماً من الجسر الواصل بين القارتين الكبيرتين: أفريقيا وآسيا.

وقد أوضح التعداد الوطني للسكان لعام ١٩٩٣م أن عدد سكان عمان يربو على مليوني نسمة بقليل، بزيادة سنوية معدلها ٣٫٥٪، في حين بلغ متوسط عدد الأطفال في العائلة الواحدة ٧٫٤ . والبلاد موزعة سكانياً بشكل متناثر إلى حد ما مع كثافة سكانية كبيرة تتركز في العاصمة مسقط التي تمتد من السيب في الشمال إلى بلدة قريات في الجنوب، وتقع في مسقط المراكز الحكومية والتجارية والصناعية على امتداد منطقة شاسعة ذات مبان تثير الإعجاب منسجمة مع البيئة الطبيعية بأشجارها وأزهارها الجميلة. وقد قدر عدد سكان منطقة العاصمة مسقط بما يزيد على ٦٢٢٫٠٠٠ نسمة، بينما يعيش ٥٣٩٫٠٠٠ من السكان على طول ساحل الباطنة.

تقسيمات جغرافية

فيما مضى كانت هناك خمس ولايات أو محافظات تعكس الأنماط الجغرافية لمناطق شمالي عمان وهي الباطنة متمثلة في صحار ، والشرقية متمثلة في سمد، والظاهرة متمثلة في الغبّي بالقرب من عبري، والعمر متمثلة في نزوى، والجوف متمثلة في البريمي .

وعلى أية حال فالطبغرافية والمناخ قسما عمان تقسيماً مختلفاً إلى حد ما إلى سبع مناطق تؤثر بيئاتها على توزيع الحياة البرية فيها.

أولا: **الجبال الشمالية** التي تمتد مسافة ٥٠٠ كيلومتراً في منحنى كبير يمتد بصورته الجرداء من الجهة الشمالية الغربية إلى الجهة الجنوبية الشرقية : من رأس مسندم إلى رأس الحد تقريباً. وفي مسندم – والتي يعني اسمها (سندان الحداد) الذي تضربه مطرقة الأمواج بنفخاتها المنتظمة – تنحدر سلسلة جبال الحجر إلى قسمين هما سلسلة جبال الحجر الغربي وسلسلة جبال الحجر الشرقي، وهي تتميز بسلاسل الجبل الأخضر

الجيرية التي ترتفع إلى ٢٩٨٠ متراً، وهي أعلى نقطة في شرقي الجزيرة العربية، ويشبه العرب الجبل الأخضر بالعمود الفقري، ويطلقون على المنطقة الواقعة على خليج عمان اسم الباطنة نسبة إلى "البطن" أما المنطقة التي تقع باتجاه الغرب فيسمونها الظاهرة نسبة إلى "الظهر". وينحدر عدد من ممرات الأودية الكبيرة من جهة البحر باتجاه الصحراء شاقة طريقها بصورة فسيحة من الشرق إلى الغرب خلال سلسلة جبال الحجر ، فوادي الحم مثلاً يقع ضمن حدود دولة الإمارات العربية المتحدة، ومن بين أهم الأودية إلى الجنوب وادي القر ووادي الحواسنة ووادي الجزي ووادي سمائل الذي يعد أكبر هذه الوديان بصورة تشد الانتباه ويعتبر القاسم الأكبر بين سلسلة جبال الحجر الغربي وسلسلة جبال الحجر الشرقي .

ومن المدن العمانية الهامة نزوى التي تقع في الغرب والرستاق التي تقع في الشرق وكلتاهما كانت عاصمة سابقة لعمان: حيث تقع كل واحدة منهما على هضبات منخفضة أسفل سلاسل جبلية محاطة بعدد كبير من مزارع النخيل الكبيرة التي تروى بواسطة قنوات مائية تدعى الأفلاج بنظامها القديم المعقد الذي يقوم أيضاً بتزويد العديد من القرى الصغيرة الواقعة بعيداً عن الجبال بالمياه.

وإلى الغرب من سلسلة جبال الحجر الشرقي والجنوب من سلسلة جبال الحجر الغربي تقع منطقة الشرقية بحواضرها العديدة مثل إبرا والمنترب والمضيبي وكلها تقع في منطقة سهلية تفصلها مسافات متفاوتة عن الجبال.

ثانيا: **منطقة السهول الساحلية القاحلة** حيث الجبال بعيدة نوعاً ما. وعلى الرغم من ذلك فإن سهل الباطنة الزراعي الذي تكون عبر القرون بفعل جريان العديد من الأودية المنحدرة من الجبال يمتد إلى نحو (٢٧٠) كيلومتراً من الجهة الشمالية الغربية باتجاه مسقط في عرض يتراوح من ٣ إلى ٣٠ كيلومتراً. ويعد هذا السهل من الناحية التقليدية المنطقة الزراعية الرئيسة لاسيما زراعة النخيل ، وقد كانت هذه المنطقة تروى بواسطة مياه الآبار التي تسحب منها المياه الجوفية المتغلغلة في أودية تحت الهضاب. وقد أدى الضخ المستمر بواسطة المضخات الميكانيكية في السنوات الأخيرة إلى ارتفاع معدل الملوحة في هذه المنطقة.



(أسفل) منذ القدم استخدم بحارة شبه جزيرة مسندم مياه الخليج من خلال مضيق هرمز.

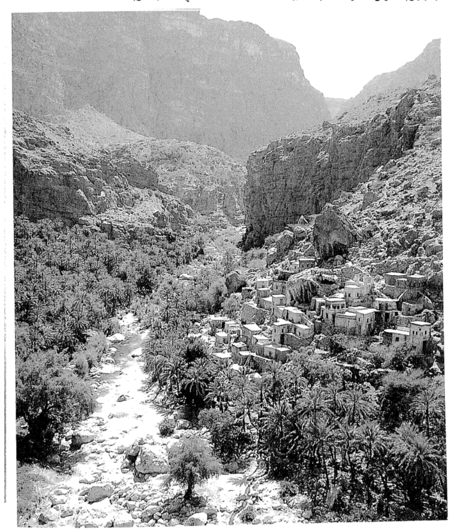
وتشتمل النباتات الطبيعية في ساحل الباطنة على نباتات السنط الشوكية خاصة تلك المعروفة علميا باسمي Acacia Tortilis و Acacia Ehrenbergiana .

وإلى الجنوب تقع جعلان على ساحل البحر بين سلسلة جبال الحجر الشرقي ورمال وهيبة، بينما تقع مدينة صور، ذلك الميناء البحري القديم، شمالي هذه المنطقة. أما إلى الغرب وعلى أطراف الرمال فتقع القرى الهامة في بلاد بني بوحسن وبلاد بني بوعلي. وفي محافظة ظفار يمتد سهل صلالة المزروع لمسافة ٥٠ كيلومتراً من طاقة في الشرق إلى ريسوت في الغرب ، وقد قدر التعداد الوطني للسكان لعام ١٩٩٣م عدد سكان ظفار بنحو ١٧٥٫٠٠٠ نسمة، يتركز ثمانون ألفا منهم حول صلالة نفسها.

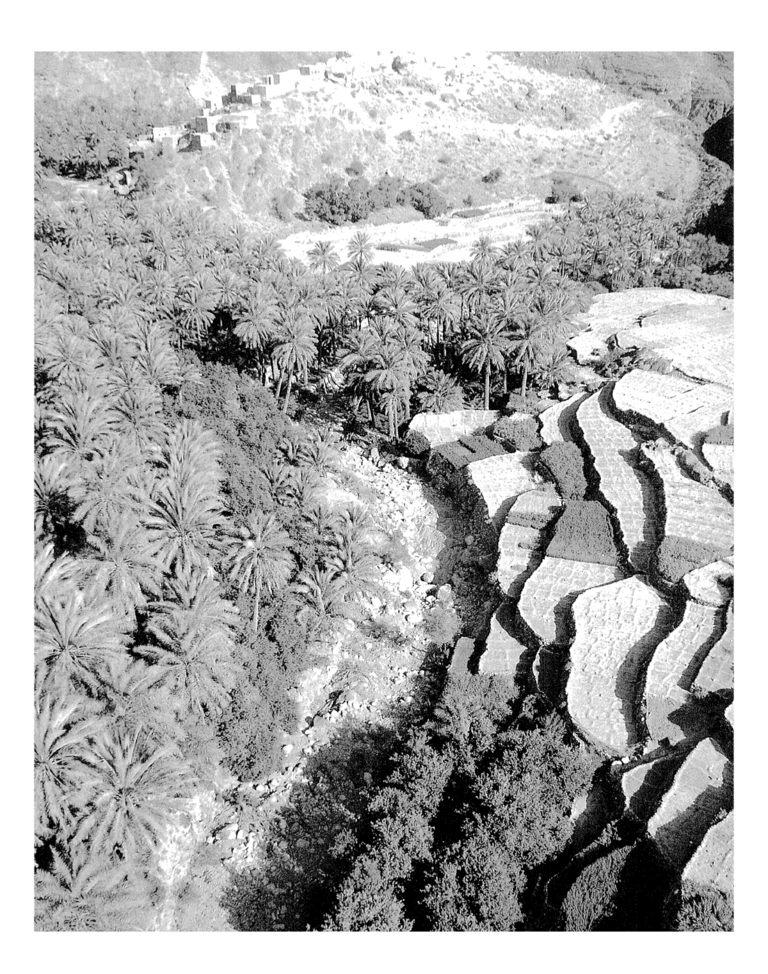
ثالثا: **سهل الرواسب الغرينية الحصوي** الممتد نحو الغرب وهو يقع داخل البلاد بين سلسلة جبال الحجر الغربي ورمال الصحراء . يمتد هذا السهل من البريمي ليلتقي مع صحراء الحصباء الوسطى في الجنوب ، ويضم سهل الرواسب الغرينية عدة مدن وقرى محاذية للجبال مثل عبري وضنك في الشمال وبعض قرى الشرقية التي تعتمد على أنظمة الأفلاج . وإلى الغرب من الأودية إلى الجنوب من (يبال) حيث يوجد أحد حقول عمان المنتجة للنفط بالقرب من الحدود مع المملكة العربية السعودية تقع منطقة من الرمال الرخوة تسمى أم السميم، وهي عبارة عن بحيرة ملحية فسيحة تصبح مليئة بالأوحال عند تشبعها بالمياه، وتخلف تلك الأوحال عند جفافها تربة لينة غادرة تسمى السبخة. وقد وصفها "ويلفرد ثيسيجر" الرحالة الأوروبي الذي كان أول من شاهدها بقوله : " كانت الأرض التي تتكون من الجبس الناعم الأبيض – مغطاة بطبقة من الملح المختلط بالرمال وتبرز أحياناً من خلالها أغصان صغيرة ميتة من شجرة العراد الملحية، وتشير تلك الأغصان المتناثرة إلى صلابة الأرض أما وراء ذلك فثمة دكنة بسيطة على السطح تشير إلى وجود مستنقع في الأسفل، حين تقدمت بضع خطوات إلى الامام ، وضع سطيعون وهو الدليل من قبيلة الدروع – يده على ذراعي وقال: "لا تقترب أكثر من ذلك فهي خطرة." فدهشت لذلك وعندما سألته عن مدى الخطورة أكد لي أن عدداً من الناس قد لاقوا حتفهم في هذه الرمال بمن فيهم جماعة من الغزاة العوامر، كما أخبرني أنه شاهد بنفسه مرة قطيعاً من الماعز يختفي تحت السطح". وتعادل مساحة هذه السبخة – كما يقول عرب الصحراء – مسيرة يومين ولا يعرف الطرق الآمنة لاجتيازها إلا بعض أفراد قبيلة الدروع. ويعبر الناس هذه الصحراء في الوقت الحاضر بواسطة عربات ذات دفع رباعي في غضون ساعات

رابعاً: **صحراء الحصباء الوسطى**، وهذه المنطقة ذات التلال الصغيرة عبارة عن سهوب قاحلة ذات ارتفاع يتراوح من مائة إلى مائتي متر ، وتمتد من الاتجاه الجنوبي الغربي عبر نجد شمالي جبال ظفار إلى حدود اليمن ، وتعد هذه المنطقة الأكبر والأكثر جفافاً حيث أنها معرضة للحرارة والبرودة الشديدتين. أما جدة الحراسيس، تلك الهضبة الجيرية التي يعيش فيها بدو الحراسيس، فتقع في هذه المنطقة ذات الواحات المبعثرة التي تروى من آبار ارتوازية يرجح أن يصل عمق بعضها إلى ٣٦ قامة إنسان. وكما ذكر "بيرترام توماس" فإن هناك اعتقاداً محلياً يقول إن مكامن المياه التي تدعى خسفة تكونت نتيجة "سقوط شهاب وليس من صنع أبناء آدم". وفي عام ١٩٥٢م وصف "ثيسيجر" الحياة البرية التي رآها في جدة الحراسيس بقوله إن "الغزلان ترعى بين أغصان السنط المسطحة الرؤوس. وذات مرة رأينا من بعيد قطيعا من المها بدا مميزاً ببياضه الناصع عما حوله من حصباء السهل الداكنة ، وكانت هناك بعض السحالي تركض في الأرض طولها حوالي (١٨) بوصة ولها ذيول على شكل قرص، وهو الأمر الذي حدا بالعرب إلى تسميتها بـ (أبوقرش)" . ومن المحزن أن المها قد أبيدت كما قتلت الغزلان بواسطة جماعات الصيادين غير المرخصة ، إلا أن مشروع المها وإجراءات الحماية التي وضعت بعد ذلك أعادت الوضع إلى طبيعته.

خامساً: **الصحراء الرملية**، ومن أبرزها منطقة الربع الخالي تلك الصحراء الرملية الفسيحة التي تمتد أجزاؤها ما بين عمان والمملكة العربية السعودية. أما بعيداً إلى الشرق نحو الساحل فتقع رمال وهيبة التي تبلغ مساحتها



سلاسل جبال الحجر تمتد في اندفاع هائل من مسندم إلى رأس الحد ، مسيطرة بذلك على طبيعة جغرافية شمال عمان. يصل ارتفاع قمم هذه الجبال الى ١٠٫٠٠٠ قدم. بالعزم والإبداع ، أقام العمانيون لأنفسهم حياة في أكناف الجبال وتأقلموا مع طرائق العيش هناك.
فقرات هذا النطاق الجبلي يفصل بينها أودية عميقة ، مثل وادي بني خالد (أسفل).



حوالي (٩٤٠٠) كيلومتراً مربعا. وتمتد هذه الرمال على الجانب البحري القريب من مناطق رأس الحد والمضيرب بالشرقية إلى الجنوب قليلاً من نوقدة الواقعة على ساحل خليج مصيرة. وترتفع كثبان هذه الرمال إلى (٢٠٠) قدم وتتألق قاعدتها بلون أحمر نحاسي بينما تتألق أجزاؤها العليا باللون الذهبي، وتقع تحت هذه الرمال أكبر منطقة في العالم للصخور الرملية التي تترسب بفعل الرياح. لقد كانت هذه المنطقة موضوع استطلاع علمي تفصيلي أجري بين عامي ١٩٨٥م و١٩٨٧م من قبل الجمعية الجغرافية الملكية بلندن بدعم كبير من حكومة السلطنة.

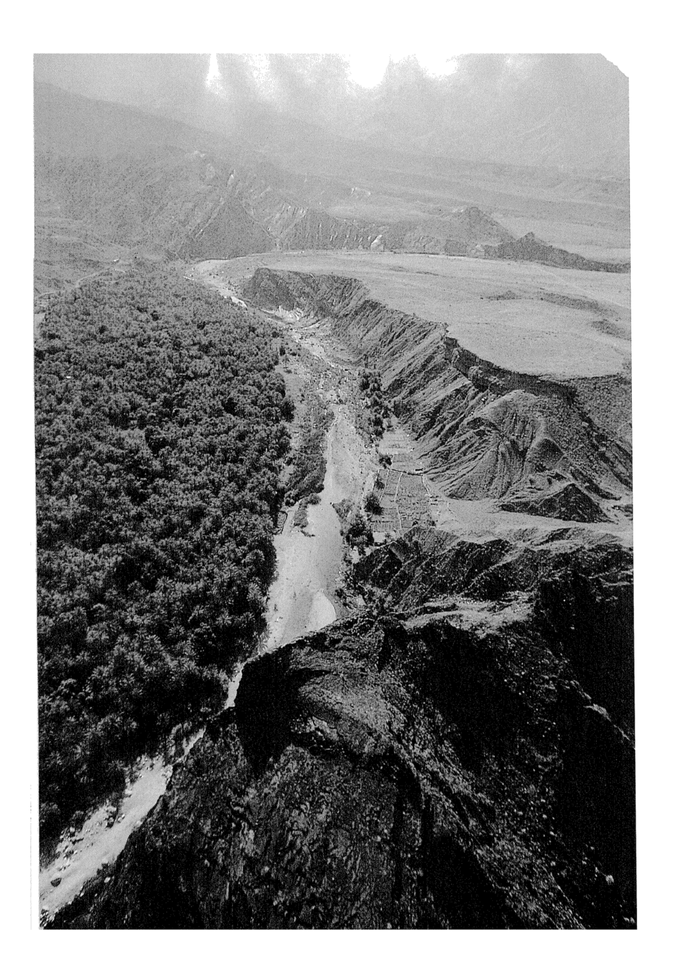
سادساً: **مرتفعات ظفار**، التي تمتد لمسافة (٢٩٠) كيلومتراً إلى الغرب من حاسك على خليج جزر الحلانيات (كوريا موريا سابقاً) حتى حدود اليمن. وتشمل سلسلة المرتفعات هذه كلاً من جبل سمحان وجبل القرا وجبل القمر. ويبلغ ارتفاع جبل سمحان (١٨١٢) متراً أما جبل القرا فيصل ارتفاعه إلى (٩٦٠) متراً في حين يبلغ ارتفاع جبل القمر نحو (١٤٠٠) متراً. وتنحدر الحافة الشمالية لهذه الجبال بشكل انسيابي نحو منطقة صحراء نجد. أما المنحدرات الجنوبية الشاهقة التي توجد ينابيع مياه عند قاعدتها فتنحدر باتجاه البحر. وتمتاز ظفار بالعديد من مظاهر الطبيعة النادرة فهي تتعرض في الشهور ما بين مايو وسبتمبر للرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تحمل معها فصل الخريف الذي يغطي الجروف الجنوبية بغيوم محملة بالرطوبة مكوناً منطقة متميزة من الاحراج الخضراء يبلغ طولها (٢٤٠) كيلو متراً، بينما يتراوح عرضها من (٣) إلى (٣٠) كيلومتراً فقط.

ويجعل فصل الخريف هذه المنطقة تبدو منبسطة كتلك الأراضي الخضراء ذات المنحدرات المكسوة بالعشب. وعلى الرغم من ذلك فإن المنحدرات الشمالية تبقى جرداء نسبياً. وتتنوع نباتات ظفار بشكل واضح بين الساحل وسهل نجد الجاف.

وتبعد صلالة، عاصمة المنطقة، الف كيلومتر تقريبا عن مسقط بطريق البر. وحتى وقت قريب كان هذا الطريق البري الذي يربط مسقط بصلالة يمر عبر أراض غير مألوفة إلا للبدو وفرق استكشاف النفط. وعلى أية حال، فالطريق الآن إلى كل من مسقط ودولة الإمارات العربية المتحدة مرصوف بالأسفلت، وقد حل محل البحر كوسيلة رئيسة لنقل المسافرين والبضائع التجارية إضافة إلى أن الاتصالات الجوية قد أصبحت الآن متوفرة للرحلات الداخلية والدولية.

على الرغم من ندرة الامطار (ماعدا في ظفار) تحوي جبال عمان الشمالية العديد من البرك والأحواض ذات المياه الدائمة التي تكون الحاجة إليها ماسة مثل تلك التي نراها في بلادسيت (أعلى). لضمان استمرارية الزراعة يقوم القرويون الشماليون بإدارة مجاري الأودية ذات الرواسب الطينية بكفاءة خصوصا في فترات الفيضانات الشديدة وهذه احد أهم المهارات البارزة التي يمتلكها هؤلاء بفطرتهم.

سابعاً: **السواحل**، الشريط الساحلي ظاهر للعيان ماعدا في الأجزاء التي توجد بها الجروف الساحلية الشاهقة، وغالباً ما يحتوي على شعاب من الصخور المسطحة قرب سطح الماء تنكشف عندما يحدث الجزر: وتساندها كثبان رملية صغيرة كما أنها محاطة بأعشاب ونباتات ذات قدرة على العيش في البيئات المالحة. وتنتشر مسطحات المد والجزر في عدد من المناطق مثل شبة جزيرة بر الحكمان والدقم وعدد من مداخل الأودية. ويكتسي بعض هذه المسطحات بأشجار القصب المائي (Phragmities) وأشجار القرم (Avicennia) وأعشاب الديس المائية (Typha). أما عن الجزر فتعتبر جزيرة مصيرة أكبر الجزر العمانية، وهناك







أيضا جزر الحلانيات الواقعة في جنوب بحر العرب. إضافة إلى ذلك هناك مجموعة من الجزر الأخرى تشمل جزر الديمانيات الواقعة في شمالي خليج عمان وبعض الجزر الصغيرة الأخرى البارزة بالقرب من شبة جزيرة مسندم.

المدن

إن وقوع المدن العمانية على الساحل أو في الداخل له ما يبرره، فالمدن الساحلية ولأجيال مضت يصعب تحديدها قد وفرت سبل العيش لصيادي الأسماك والبحارة والتجار ممن لهم علاقة بالاستيراد والتصدير وصيد اللؤلؤ. أما مدن الداخل الرئيسة فقد اعتمدت على المناطق الزراعية المهمة وهذه بدورها تشكل مراكز لتصدير المنتجات إلى الساحل واستيراد البضائع لتوزيعها في الداخل.

كما أن هناك مدناً أخرى مثل نزوى والرستاق ومسقط اكتسبت أهميتها الخاصة في الماضي نظراً لقوتها العسكرية (حيث احتوت على حصون كبيرة ذات منعة) ولأنها كانت أيضاً عواصم سابقة لعمان في فترات مختلفة.

إلى الشرق والجنوب من الأرض الشمالية المرتفعة، تكشف التضاريس عن سهوب قاحلة، ثم تمتد بعد ذلك تدريجيا رمال صحراء الربع الخالي. حتى الآن لا يوجد جزء من مناطق عمان غير مأهول بالسكان.

وتعد طيوي التي تقع بين قلهات وصور من المدن الساحلية الصغيرة التي تعتبر نموذجاً لعمان وكان قد وصفها ابن بطوطة خلال زيارته للسلطنة في القرن الرابع عشر، بما يلي: "إنها واحدة من أجمل القرى الرائعة فهي ذات جداول جارية متدفقة وبساتين وفيرة"، وواديها الذي يمر عبر العديد من القرى الممتدة على طوله تصل نهاياته إلى البحر، وهو واحد من أجمل الأودية في عمان، كما أنه يعكس مدى انتشار الزراعة بشكل واسع في العديد من الأودية الأخرى في الماضي.

وهو كذلك واد ذو ماء ينساب باستمرار وفيه أشجار نخيل كثيفة تمتد إلى الداخل لمسافة أميال على ضفتيه، لكن الميزة النادرة لهذا الوادي هي أن المناطق المزروعة توجد فوق عدد من المصاطب الصغيرة التي وصلت في أوائل السبعينات إلى أعظم ارتفاع لها فوق قاعدة الوادي بالمقارنة مع بقية الأودية الأخرى في البلاد.

المنـــاخ

تقع عمان على الحد الفاصل بين تيارين رطبين من الهواء يهب الأول من البحر الأبيض المتوسط، أما الآخر فمن المحيط الهندي الأمر الذي يؤدي إلى عدم انتظام سقوط الأمطار. كما تهب على عمان في بعض الأحيان تيارات من البحر الأبيض المتوسط ونتيجة لذلك فان كثافة تلك التيارات تكون أقل من المعتاد. كما أن مطر الصيف الذي تجلبه تيارات المحيط الهندي الهوائية قد يتأخر في إحدى السنوات إذا لم تصل تلك التيارات البر العماني.

ومن ناحية أخرى تحدث أحياناً بعض الزوابع والأعاصير على الرغم من أن شهري ديسمبر ويناير هما الشهران اللذان يفترض أن يصل فيهما هطول المطر لأعلى معدل غير أن نسبة الهطول تبقى متذبذبة، وعلى سبيل المثال في عام ١٩٧٢م بلغ إجمالي كمية المطر ١٠٨ ملم

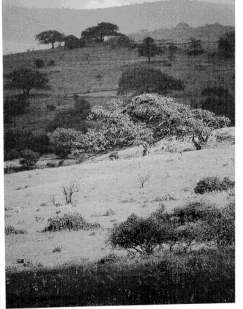
منها ٩٢٫٩٥ ملم سقطت في فبراير. ويبلغ معدل هطول المطر في مسقط نفسها (٩٠٫٣) ملم وفي بعض السنوات قد يزيد على ذلك بشكل ملحوظ.

أما في الجبل الأخضر فان كمية هطول المطر قد تصل إلى (٢٥٠) ملم أو ربما من (٤٠٠) إلى (٥٠٠٠) ملم في بعض السنوات الاستثنائية. أما في صلالة فإن أعلى كمية لهطول الأمطار قد تم تسجيلها في شهري مايو ونوفمبر. وفي بعض الأحيان تهطل الأمطار بغزارة ولا تستمر إلا بضع ساعات لكنها تحول الطبقات الجافة إلى سيول مندفعة تجرف كل شيء أمامها من أشجار وصخور وماشية وحيوانات أخرى، وأحياناً تجرف الناس والسيارات.

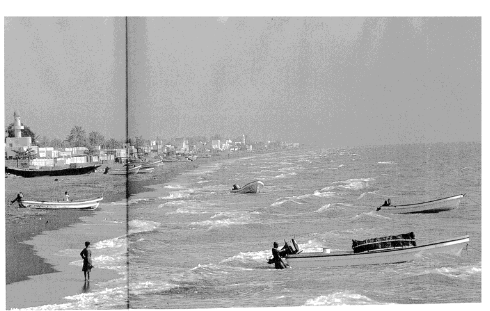
قد تستقر تلك المياه المندفعة بعد بضع ساعات مخلفة بعض الدمار، لكن على الرغم من ذلك تبقى للمطر منفعته حيث يرتفع مستوى مخزون آبار المياه الجوفية. إن المثال المأساوي لتلك الفيضانات الهادرة قد حدث في يونيو ١٨٩٠م عندما ضرب عمان إعصار شديد: إذ ما بين منتصف ليل اليوم الرابع ومنتصف ليل اليوم الخامس من ذلك الشهر هطل ١١٫٢٥ بوصة أو ما يعادل ٢٧٫٣ ملم من الأمطار، وقد أدى ارتفاع منسوب المياه بشكل عنيف إلى غرق سبعمائة شخص. وقد غرق الإمام الوارث بن كعب نفسه في عام ٨٠٧م/١٩٢هـ مع سبعين من جماعته عندما كانوا يحاولون عبور وادي كلبوه بالقرب من نزوى.

لقد اعتبر مناخ عمان أسوأ مما هو عليه في الحقيقة، فالجغرافي العربي عبدالرزاق كان قد كتب عن مسقط في القرن الرابع عشر بشيء من المبالغة قائلا إن "الحرارة كانت شديدة بحيث تحرق النخاع في العظام، وينصهر السيف في غمده ليتحول إلى شمع، والمجوهرات التي تزين مقبض الخنجر تتحول إلى فحم. وقد أصبح الصيد في السهول مربحاً للغاية، لدرجة أنه كان بالإمكان رؤية الصحراء مليئة بما تناثر من بقايا الغزلان المشوية".

وقد أشار "ألكساندر هاملتون"، و"جون أوفينجتون"، اللذان زارا عمان في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي إلى أناس يطبخون السمك في حرارة الصيف على الصخور



ظفار الواقعة في الجنوب ، بالمقارنة مع بقية مناطق السلطنة ، هي الوحيدة التي تتمتع بالخريف الموسمي الذي يحول أجزاء من جبالها الواقعة على الساحل إلى أرض يظن من الوهلة الأولى أنها غينيا الجديدة (أسفل). هذه المنطقة ذات الإنتاج الزراعي الوفير وعلى الرغم من ذلك الاخضرار الذي يزول إلا أنها تعد أراض من المراعي المنبسطة تستخدم لرعي الماشية وقطعان الخراف.



الى الخلف من شاطيء صحار الطويل تقع المدينة التجارية العمانية العظيمة التي اشتهرت بالتجارة في القرون الوسطى.

الداكنة المحيطة بمسقط. أما "جراتان جيري"، رئيس تحرير "جريدة التايمز" الهندية الذي زار مسقط في عام ١٨٧٨م فقد لاحظ أنه عندما كانت تهب رياح الشمال الساخنة من الصحراء كانت المياه ترش خلال الليل على وجوه النائمين كما لو أنهم نباتات في آنية. وهناك أدوات أخرى استخدمت لتلطيف الجو قبل ظهور أجهزة التكييف كما هو الحال في مسقط، حين دأب الناس على النوم على أسطح المنازل بداخل ملاءات رطبة. وقد أصيبت السيدة "كوكس"، زوجة المعتمد السياسي البريطاني في نهاية القرن التاسع عشر بالتهاب رئوي لاستبدالها الملاءة ببطانية رطبة. إن مثل هذه الكتابات وغيرها تشير إلى مسقط وكأنها أكثر الأماكن حرارة على سطح الأرض وهي بذلك تعطي دلالة عن انطباع الناس في الماضي حول مناخ عمان.

وفي الواقع هناك فترتان متباينتان في عمان هما شهور الصيف الحارة التي تبدأ في مايو وتنتهي في سبتمبر وشهور الشتاء الباردة التي تمتد من شهر نوفمبر حتى شهر مارس. إن متوسط درجة الحرارة اليومية القصوى في مسقط قد يصل أحياناً إلى ٤١ درجة مئوية وذلك في ذروة الصيف، في حين أن أعلى متوسط لدرجات الحرارة اليومية قد سجل في صلالة بظفار حيث وصل إلى أقل من ٣٠ درجة مئوية، وكان ذلك في مايو الذي يعتبر أكثر الشهور حرارة هناك.

أما أدنى متوسط لدرجة الحرارة في مسقط فهو ١٦٫٣ درجة مئوية وفي صلالة ١٨٫٥ درجة مئوية. أما الرطوبة النسبية في مسقط فتتراوح ما بين ٩٤٪ في يوليو و ٢٠٪ في مايو بينما تتراوح في صلالة بين ٩٦٪ في أغسطس و٥٤٪ في ديسمبر.

الجيـولوجيـا

تكوين الأرض

قبل ٨٠٠ مليون سنة مضت ضغطت الصفائح التكتونية الصخور والرواسب المحيطية القديمة جداً لتكون القشرة القارية التي تقع الآن تحت سطح عمان والجزيرة العربية. وتشكل عمان في الوقت الحاضر الجزء الجنوبي الشرقي من سطح الجزيرة العربية وهي ليست ببعيدة عن مكان التقاء الصفائح الأرضية الآسيوية الأوروبية بالصفيحة الأرضية الهندية لكنها لا تتأثر بعمليات تصادم هاتين الكتلتين وانفصالهما، والتي عادة ما تؤدي إلى حدوث زلازل في الدول المجاورة : لذلك ظلت أرض عمان خلال العشرين مليون سنة الماضية مستقرة جيولوجياً. إن

كلما اقتربت الأودية من البحر فإنها تنشر عطاءاتها بسخاء مكونة (كما في وادي طيوي في الأعلى، شمال صور) أمكنة سياحية جذابة.

التضاريس المتميزة لأرض عمان لم تأخذ شكلها الحالي إلا بعد أن تعرضت القشرة الأرضية بها في الفترات الماضية إلى عمليات ضغط وتقلص وامتداد، حيث شكلت قشرتها الصلبة الجبال التي تعرض بعضها إلى عمليات تعرية أدت إلى جعلها مسطحة مرة أخرى، كما كان لحركات الصفائح الأرضية دور في تغير موقع عمان على سطح الكرة الأرضية عبر الأزمنة الجيولوجية، إذ أدت تلك الحركات إلى تغيير في موقع عمان على سطح الكرة الأرضية لتنتقل من خط الاستواء إلى المنطقة شبة القطبية. وبالإضافة إلى ذلك فإن التغيرات العامة في مناخ الكرة الأرضية يدل على أن عمان كانت في أوقات معينة مغطاة بثلوج العصور الجليدية بينما كانت في أوقات أخرى حارة جداً مثل المناطق الاستوائية. وكانت آخر فترة مطيرة مرت بها عمان قبل العصور الجليدية وبعدها، تلك الفترة الممتدة بين مليونين إلى عشرة آلاف سنة خلت. وقد تغير كذلك مستوى سطح البحر في مراحل مختلفة بحوالي (١٥٠) متراً علواً أو انخفاضاً عن مستواه الحالي.

كان مستوى سطح البحر في العالم أقل بـ ١٣٠ متراً بالمقارنة مع مستواه الحالي قبل ٢٠٫٠٠٠ سنة مضت، وبالتحديد في نهاية آخر عصر جليدي. لذلك فإن عمان كانت في أزمنة محددة مغمورة بالمياه في حين كانت مساحتها أكبر مما هي عليه في أزمنة أخرى. ومما يثبت ذلك وجود المناطق الضحلة حول سواحل عمان والتي تحتوي على آثار لأنهار وقنوات قديمة. كذلك كان الحال مع الحواف البحرية المنحدرة نحو قاع المحيط البالغ عمقه ٣٠٠٠ متر. وربما ظهر الخليج الذي يفصل حالياً بين الجزيرة العربية وإيران قبل حوالي ٩٠٠٠ سنة مضت حين كان مليئاً بالأنهار والبحيرات. أما آخر حدث في التاريخ الجيولوجي للمنطقة فهو دخول العصر الجليدي الأخير إلى البحر. هذا وقد مرت على عمان فترات بيئية ساعدت على انتشار الكثير من الأحياء المتنوعة بينما كانت هناك فترات انعدمت فيها الحياة نهائياً.

وتعد بعض صخور الجرانيت والصخور المتحولة – داخل مسقط وإلى الغرب من صلالة بما فيها جزر الحلانيات – من الصخور التي أنتجتها أقدم العصور الجيولوجية الغابرة حيث يبلغ عمرها من ٦٥٠ إلى ٨٠٠ مليون سنة. وعلى الرغم من ذلك إلا أن صخور جبل جعلان التي قدر عمرها من ٨٥٠ إلى ١٠٠٠ مليون سنة تعد من أقدم الصخور في عمان.

لقد تكون الكثير من صخور عمان نتيجة لانصهار المواد الصخرية الذائبة في جوف الأرض وانبثاقها عندما كان وضع الأرض – عند أطراف الصفائح الأرضية القارية – في حالة ثوران شديد. وقد نتج عن هذه الظاهرة صخور ذات بُنيات متبلورة ومتماسكة بأسطح غير مستوية تبدو واضحة جلية في تضاريس عمان. وتشكل صخور "الفيولايت" في سمائل التي تقع ضمن نطاق سلسلة جبال الحجر أكبر مساحة من تلك الصخور المتبلورة.

كما تنتشر أيضاً الصخور الرسوبية وهذه عادة ما تنقلب أو تنعكس أو تلتوي أو تميل على جوانبها. وتتكون هذه الصخور إما نتيجة لعوامل التعرية أو بواسطة عمليات كيميائية وبيولوجية مكونة الحجر الجيري والصخور الكربونية الكلسية أو المغنيزية والجبس. وقد يستغرق ترسب كل طبقة من هذه الصخور عصوراً متفاوتة حيث أن ترسب طبقة واحدة قد يستغرق عصراً جليدياً بأكمله.

وتحتوي مثل هذه الرسوبيات على الكثير من بقايا حيوانات ونباتات عاشت عبر العصور، ويمكن رؤية مثل هذه المستحاثات حتى على قمة الجبل الأخضر.

لقد كان للالتواءات الضخمة التي تعرضت لها القشرة الأرضية دور في تغيير شكل سطح الأرض إذ كونت تلك

الالتواءات الجبال في الشمال والجنوب قبل ٣٠ إلى ٤٠ مليون سنة في الفترة اللاحقة التي تعرضت عمان خلالها لكثير من الضغط الجيولوجي نتيجة لحركة الصفائح الارضية. ويدل شكل جبال عمان المدببة على العديد من عمليات التعرية التي تعرضت لها هذه الجبال منذ نشأتها. كما شكلت المياه الغزيرة الجارفة إحدى الظواهر الدالة على عصر مضى، إذ كان لانسيابها الشديد دور في وجود الكثير من الكتل الصخرية الهائلة المبعثرة في الأودية. كما كان للشمس والرياح كذلك دور كبير في تلك العمليات التي أدت إلى حدوث التعرية.

الجبال والنطاق الوسيط والسهول

تتكون سلسلة جبال الحجر الرائعة من صخور رسوبية كانت دفينة في أعماق الأرض، ولذلك فهي تتميز بصلابتها ومقاومتها العالية. كما توجد صخور رسوبية أخرى هشة وصخور نارية متبلورة حيث تعتبر صخور "السربنتين" (حجر معدني أخضر أو بني) أكثرها بروزا. ويتكون الجبل الأخضر – ذو القمم العالية – من طبقات سميكة من الحجر الجيري السميك الذي تفتت صخوره الرسوبية الهشة بسرعة كبيرة مكونة الأرضية السفلية للأودية، أما الصخور النارية المتبلورة فتبدو عادة جبالاً مسننة حادة لكنها ذات قمم منخفضة.

وقد تكون الجبل الأخضر في الأساس نتيجة لانبساط أرضي ضخم تسبب في وجود الأراضي المنبسطة الكثبانية في الغبرة وتجاويف وادي السحتن ووادي مستل، وقد تكونت مرتفعات هذه السلسلة الجبلية من نجد ضخم ينحدر تدريجيا باتجاه الجنوب الغربي، لذا فإن الوصول إلى القمة من هذه الجهة أيسر مما هو عليه الحال في الجهة الشمالية الشرقية. وتسود في جبال شبه جزيرة مسندم – بارخبيلاتها العظيمة التي لا نظير لها سواء في شبة الجزيرة العربية أو في إيران – صخور ذات التواءات كبيرة يبلغ سمكها (٥٠٠٠) قدم، تنتمي للعصر الجوراسي أو الطباشيري الأخير وتعرف "بصخور مسندم الجيرية".

أما جبال ظفار فتتكون من كتلة صخور ضخمة من الحجر الجيري تنتمي للعصر الرباعي وهي تميل بدرجة بسيطة إلى جهة الشمال. أما حافتها الجنوبية فتنحدر بشدة ناحية الساحل في سلسلة من الكتل الصخرية. وقد لعبت عوامل التعرية دوراً في نحت كثير من صخورها الجيرية مما أدى إلى انكشاف ما يقع أسفلها من صخور نارية قاعدية. إن هذا الجزء البالغ ارتفاعه (١٠٠) متر يشكل الآن المنحدر الرأسي لجبل القرا، الذي يتأثر بموسم الخريف الآتي من الجهة الجنوبية الغربية، ونتيجة لذلك فإن هذه المنحدرات المواجهة للجنوب تكون مخضرة لعدة شهور من أشهر السنة. أما الجزء الشمالي لهذه الجبال فتجري خلاله الأودية باتجاه الربع الخالي، ولذلك فلا غرابة أن تحتوي هذه النطاقات الجبلية على العديد من المعادن كالنحاس والإسبست والمغنسيوم والبوتاس والفوسفات والفحم والكروم والمنجنيز.

وتنتشر بين الجبال والسهول مبعثرات من الصخور الغرينية التي جرفتها عوامل التعرية فاصبحت صخوراً رسوبية ذات شكل مروحي تصغر في الحجم تدريجياً كلما بعدت عن الجبال. إن نسق توزيع هذه الصخور يدل على وجود قنوات مائية قديمة سببتها الأمطار الغزيرة في السابق. كما أن تواجد المصاطب المرتفعة نسبياً والمتبقية من العصور السابقة والقطاعات العرضية كلها توضح كيف تماسكت الحصباء لتكون الصخور: إذ عند تبخر المياه الغنية بالكالسيوم بعد كل فيضان يسببه الوادي ينتج أسمنت الجير الذي يساعد على التحام المبعثرات الصخرية الصغيرة والحصى بعضها ببعض. وتتكون السهول التي تحتل الأجزاء الكبرى في وسط عمان من صخور الحجر المنتمي للعصر الرباعي المتوسط الذي ترسب في العصور اللاحقة والعصر الثلثي الأوسط. كما تدل أسطح هذه السهول على أن البحر كان يغطي هذه المنطقة حين ترسبت الصخور الجيرية في شكل حجر رملي وطيني جيري. ويتميز كثير من الحصى الجيري الصلب المتناثر على الارض بأشكاله الجميلة التي تكونت بفعل الرياح المحملة بالاتربة والتي كانت تقوم بعملية صقله. وفي بعض المناطق تعترض السطح قباب ملحية ما هي إلا أعمدة من الملح تنبثق من عمق ستة كيلومترات أو أكثر كما هو الحال في الصخور الرسوبية المنتمية لمجموعة الحقف القديمة. إن أحواض الملح أو (السبخة) تتشكل أيضاً عند جفاف البحيرات المؤقتة التي تتسبب عادة من الأمطار الغزيرة المتقطعة. إن سبخة أم السميم هي اشهر هذه السبخات وقد سميت بذلك الاسم الذي يعني السم أو السموم نظراً لرخاوة أرضيتها الملحية التي قد تغدر بكل من يحاول اجتيازها. كما تغطي الرمال عدداً من مناطق السهول وأبرزها البحر الرملي الغربي الذي يقع على حافة الربع الخالي والبحر الرملي الشمالي المعروف برمال وهيبة. ومما يجدر ذكره أن رمال وهيبة قد تمت دراستها من قبل علماء عملوا تحت إشراف الجمعية الجغرافية الملكية بلندن، وقد أوضحت محصلة دراساتهم الماضي الجيولوجي المعقد لهذا المنطقة. كما يشكل بحر الرمال الغربي حافة صحراء الربع الخالي.

روائع وبدائع

توجد في عمان عدد من الروائع الجيولوجية النادرة التي تستحق الذكر، ولعل أكثرها روعة كهف الحجر الجيري الهائل الذي يقع في حيل سلمى في سلسلة جبال الحجر الشرقي. ويسود الاعتقاد بأن هذا الكهف هو الاكبر في العالم وأنه تكون نتيجة تفتيت الصخور بواسطة مياه الأمطار. ويمكن الدخول إلى هذا الكهف – الذي يعرف الآن باسم مجلس الجن – من فتحات سبع تعرف محلياً بالخشلات. ويوجد بعمان أيضاً عدد من الفوهات البركانية مثل حفرة لهوب (حبحب) في جدة الحراسيس وطوي عتير في ظفار. كما تم تحديد شظايا متناثرة لنيازك وشهب كانت قد سقطت فيما مضى. وهناك أيضاً أحجار ذات تجاويف مبطنة ببلورات أو مواد معدنية ويوجد أكبرها وأفضلها غرب ثمريت في ظفار، وهذه الاحجار هي عبارة عن صخور صغيرة مجوفة جدرانها الداخلية مبطنة بالبلورات، وتوجد على شكل كرات صلبة متناثرة في صحراء ذات طبيعة صخرية.

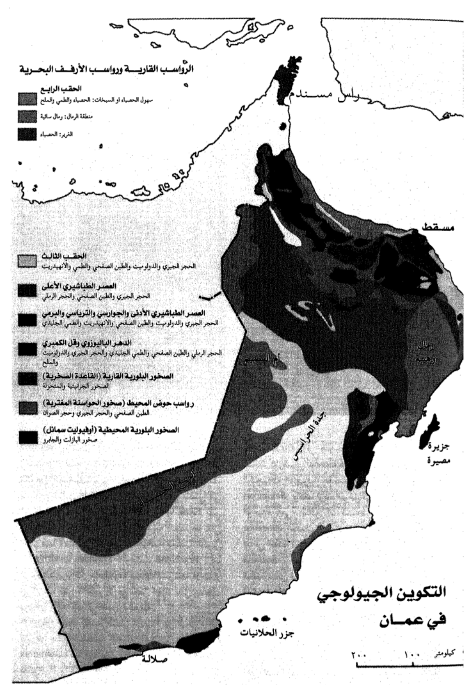
النباتـات

يعتبر هطول الأمطار من العوامل التي تغير مظهر عمان كما أن العديد من نباتات الصحراء تعتبر سنوية قصيرة العمر، بذورها من النوع الذي يقاوم الجفاف. أما بعد الأمطار الغزيرة التي تجعل الصحراء مزدهرة، فتظهر بوفرة نباتات وزهور صغيرة تضم أزهاراً من الأنواع الشمالية مثل زهرة الثالوث البري الصغيرة وزهر الربيع العطري الصغير جداً.

إن العديد من نباتات شمالي عمان هي أفريقية الأصل والطابع وليس ذلك بغريب لان انفصال شبة الجزيرة العربية عن القارة الأفريقية من جانب البحر الاحمر لم يحدث إلا في الأزمنة الجيولوجية الأخيرة. ومن النباتات التي انتشرت في الجزيرة العربية قبل هذا الانفصال الجيولوجي نباتات السنط السائدة التي تمتد جذورها الطويلة كالأشجار الكبيرة لتصل إلى الماء تحت سطح الأرض حتى في فصل الصيف.

وهناك نبتتان غريبتان تتبعان هذه المنطقة: الأولى شجرة من فصيلة حشيشة اللبن ويبلغ ارتفاعها يبلغ ٢٫٥ متراً وتسمى محلياً "شخر" أو "عشر" كما في مناطق أخرى من الجزيرة العربية. إن هذه الشجرة، التي يطلق عليها علمياً Calatropis procera تنمو في تربة خالية تماماً من مواد التغذية وتخرج سائلاً أبيض غزيراً شبيهاً بعصارة الأشجار. أما النبتة الاخرى فهي الذانون Cistanche phelypaea المنتمية إلى عائلة الجعفيل Orobranchaceae عديمة الأوراق. وتظهر هذه النبتة بعد المطر الشديد وتمتص غذاءها من سيقان متصلة بجذور نباتات أخرى وتنتج عنقوداً زهرياً طويلاً عطرياً من الزهور الصفراء ويبلغ ارتفاعها متراً واحداً. وتشكل الأودية الجبلية في الارتفاعات ما بين ٣٥٠ و١٠٥ متراً منطقة متميزة من الارتفاعات المنخفضة والصحراء. وتنمو في هذه المنطقة رغم ارتفاعاتها البسيطة نباتات السنط والسدر Ziziphus spina christi التي تنتج ثمرة صالحة للاكل تسمى النبق، وكذلك نباتات الغاف Prosopis.

وحيثما يكون الماء قريباً من السطح تنمو نباتات الدفلى Nerium mascatense مع الحشائش والاعشاب المائية ونبات السعادى. وتحتوي أفلاج المناطق المزروعة



التكوين الجيولوجي في عمـان

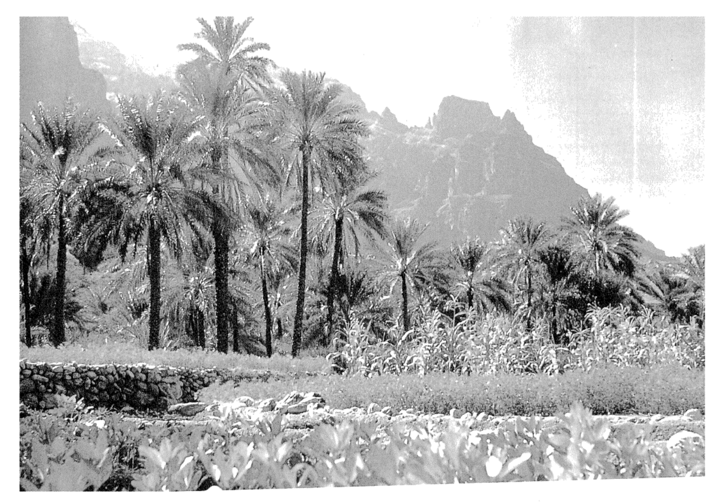
على نبات كزبرة البئر إضافة إلى سرخسيات أخرى Pteris وفي أوائل الربيع يمكن مشاهدة ثمار الدراق والمشمش وزهرة اللوز بجانب كزبرة الثعلب Anagallis arvensis– Primulaceae المميزة بزهورها الزرقاء والحمراء، ونباتات الهندباء البرية ونباتات أخرى Compositae.

وفي هذه الارتفاعات يمكن كذلك رؤية نباتات الفرفار Tecommella بزهورها البرية ونباتات القفص Acridocarpus. وتتغير النباتات فوق الأودية، وفي جوانبها وعلى المنحدرات. أما أشجار السنط فهي الأكثر سحراً إلى جانب أشجار الأسبق Lacandula subnuda بزهورها العلوية البنفسجية. وعلى ارتفاع يتراوح بين ١٢٠٠ إلى ١٣٠٠ متر، في الواجهة الشمالية للجبل الأخضر وعلى الأخص في الارتـفاعات العليا تبدأ في الظهور نباتات البوت Reptonia mascatense والزيتون البري Olea ofricana أو ما يسمى بالعتم وعلى ارتفاع ١٥٠٠ متر تنمو شجرة العرعر Juniperus macropoda حيث تنتشر بصورة واسعة حول القمم. وفي الارتفاعات المتوسطة هناك النمت Sageretia spiciflora بثمرته الصالحة للأكل، والحنقلان Euryops، العضو الأصفر الساطع من عائلة Compositae، والكلبان او الكعمل Ebenus بزهوره الصفراء، والشحص Dodonaea مع السرخس القزم Cheilanthes الذي ينمو في ظل الجلاميد الصخرية. ومن النباتات الأخرى في هذا النطاق نبات البنفسج Viola cinerea وشجرة Dionysia mira الصفراء الساطعة والشبيهة بزهرة الربيع، وهذه الشجرة مرتبطة بحيوان عمان النادر (الطهر)، لذلك يطلق عليها السكان المحليون إسم شجرة الوعل. وعلى ارتفاع يزيد على ٢٣٠٠ متر تنمو أشجار العرعر إلى علو ١٠ أمتار مع مجموعة من حشائش وشجيرات منخفضة في الوسط. أما في الارتفاعات العليا فتنبت أشجار عدة، آسيوية الأصل وغير أفريقية مما يبرهن على وجود جسر يصل ما بين هذه المناطق حتى وقت حديث نسبياً.

أما الحناء فتستخرج من العصفر Carthamus tinctorius المعروف محليا بالشوران، هذا النبات الذي ينمو في البرية كما يزرع كذلك في القرى وضواحيها. كما يوجد في القرى الجبلية وبالقرب منها نبات مشابه هو نبات الآس العطري Myrtus communis وفي الجبل الأخضر توجد أيضاً أشجار القطن والبطاطا البرية وبضع فصائل ذات صلة بأشجار جبال الألب التي يبدو أنها بقيت منذ العصر الجليدي الأخير. وتوجد أيضاً في تلك المنطقة فصائل من نباتات شمالية وهندية تشمل زهرة الربيع والبنفسج وزهرة العسل.

إن نباتات ظفار تتباين بشكل كبير بين الساحل وسهل نجد الجاف، حيث توجد ستة أماكن متميزة هي:

أولاً: **السهل الساحلي**، الذي يكون عادة أجرد ما عدا في الأماكن المزروعة. وقد كان السهل في الماضي مزروعاً على نطاق واسع وينتج أنواعاً عديدة من المحاصيل والخضار. وعلى سبيل المثال كانت تزرع في مناطق هذا السهل كميات لا بأس بها لفرق عسكرية بريطانية في العراق أثناء فترة الحرب ما بين ١٩١٤–١٩١٨م. ومثلما تتميز مناطق عمان الشمالية بأشجار النخيل فإن سهل صلالة يتميز بوجود أشجار جوز الهند. وبعد نزول المطر الذي يكون متقطعاً في العادة – بخلاف أمطار الرياح الموسمية – يتحول سهل صلالة باكمله إلى مرج أخضر ذي أعشاب وحشائش وبخاصة العشب السريع الزوال Dichatium micrathum كما تتواجد بين شقوق الصخور النباتات الفربيونية Euphorbia



hadramautica بوفرة.

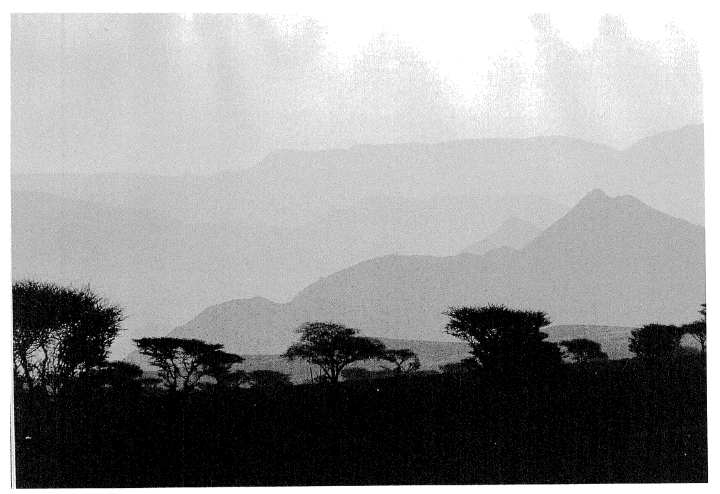
ثانيا: **قرب الجبال** هناك مجموعات مبعثرة من نباتات السمر Acacia tortilis وفي سفوح التلال يمتلىء المشهد بنباتات المسيمر Boscia arabica المظلية الشكل والدائمة الخضرة.

ثالثاً: تحتوي نباتات الأحراش الواقعة **حول الجرف** على العديد من الشجيرات المنزوعة الساق مثل شجرة السنط Acacia Senegal ونباتات الصمغيات Comophora بما فيها شجيرة شربيث الشوكية Maytenus dhofariensis. وفي الأودية الكثيفة الأشجار توجد نباتات interalia، وأعشاب عترية المعترش المنزوعة الساق Cissus quadranularis ، وعشبة كوم Cyphostemma ternatum وأصناف متعددة من نبات الضيرغ الزاحف Ipomaea . كما تحتوي الوديان على مساحات كبيرة من نبات الغبضة Ficus sycamorus، ونبات Vasta ، ونبات Lutea. وفي ناحية السهل تكثر نباتات Acacia nilotica كما تنتشر أيضاً مجموعة عشبية غنية تشمل أعشاب جنيجنة Withania qaraitica وهي من النباتات المستوطنة في الارتفاعات العليا حيث تكون الاحراش دائمة الخضرة نوعا ما وذلك لوجود عدد من النباتات مثل نباتات ميطان Olea europea وشجيرات كيليت schimperi Euclea، الجنيبات الصحراوية Commiphora، وشجيرات الشرص الصغيرة Dodonea angustifolia، وأشجار ضرفين somaliensis Rhus التي تنتمي إلى فصيلة البطميات. أما شجرة الطيق Ficus vasta فهي أكبر شجرة على قمم الأراضي العشبية المتدرجة التي تكثر فيها أعشاب Apluda mutica، والعشب الطويل Themeda quadrivalvis ، وعشب Brachiarid . أما شجرة الصابونيات Pappea capensis الواسعة الانتشار في أفريقيا فهي لا تنمو إلا في بعض أجزاء جبل سمحان دون أي مكان آخر في الجزيرة العربية.

رابعاً: عندما يصبح المطر – بعيداً عن البحر – أقل تأثيراً، تنتج **الهضبة الجافة** أعشاب Euphorbia balsamifera والراتينجات Commiphora ذات الجمال الفائق.

خامساً: **في الأودية الجافة** الشمالية حيث تحتل النباتات مساحة أقل تكون الأشجار الأكثر تواجداً هي Acacia etbaica والشجرة الوردية Dracaena serrulata.

سادساً: في **المناطق الصحراوية والمجاورة** تنمو نباتات Boswellia sacra التابعة لفصيلة شجرة اللبان Burseraceae. وفي المنخفضات الضحلة تنمو كذلك النخلة الأرضية Nanarrhops ritchieana وعدد من الشجيرات الفربيونية عديمة الأوراق مثل Euphorbia Schimperi. وكلما ازداد التوغل في الصحراء تظهر النبتة الوحيدة التي يمكن أن تشاهد وهيZygohpyllum qatarense العصارية التي تنتمي إلى فصيلة القديسيات. أما في أمكنة أخرى فيمكن رؤية أشجار الغاف Prosopis cineraria الواسعة الانتشار ، حيث تمتد بجذورها البالغة ستين قدما أو أكثر إلى الأسفل لتصل إلى مستوى الماء. أما أفضل لبان اشتهرت به ظفار طوال التاريخ فيأتي من نجد الواقعة وراء المنطقة التي تتأثر مباشرة بالرياح الموسمية. وينمو اللبان على شجرة يصل ارتفاعها إلى خمسة أمتار ، فيها عدد من الجذوع الصمغية العالية في كل أجزائها. إن هذه الشجرة تسمى Boswellia sacra وهي تابعة لفصيلة Burscraceae. وتنتج هذه الأشجار بعد جرحها كريات صمغية تجمع بعد ذلك على شكل صمغ . وعلى الرغم من أن بعض هذا الصمغ كان يصدر عن طريق البحر إلا أن الكثير منه كان يحمل إلى الشمال بواسطة قوافل الجمال في طرق الصحراء الطويلة. ويعتقد بدو المنطقة أن المدينة المفقودة (أوبار) المدفونة تحت الرمال إلى الشمال من نجد تنتمي إلى القبيلة العربية



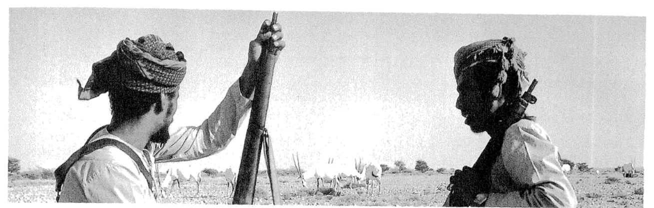
(عاد) ، التي هجرتها عندما شحت مواردها المائية ، كما يعتقد بعضهم الآخر أن ما حدث لتلك المدينة كان نوعاً من العقاب السماوي الشديد لقوم عاد الذين وقع عليهم بسبب خطاياهم. إن التنقيبات الأثرية في منطقة (شيصور) عام ١٩٩١م قد كشفت عن وجود حصن منيع مع حوض كبير منهار على طريق قوافل اللبان وقد ساعد هذا على إثبات أسطورة مدينة (أوبار). أما في مداخل الأودية وممراتها المؤدية إلى البحر فتتواجد أشجار القصب والمانجروف (شجر استوائي) والأعشاب المائية.

الحيـــاة البريـــة

الثدييـات

"حيوان أسطوري يرسم في شعارات النبالة" وصف لوحيد القرن ، هذا الوحش الذي قد تكون أسطورته ذات صلة بالمها العربي الأبيض Oryx leucoryx ذلك الحيوان الخجول الذي يبدو قرناه كقرن واحد إذا نظرنا إليه من أحد جانبيه. وقد وجد آخر قطيع للمها العربية الأصيلة في جدة الحراسيس لكنه كغيره من القطعان تعرض للإبادة على يد جماعة صيد قدمت بعرباتها من خارج عمان في أكتوبر ١٩٧٢م. لقد أولى جلالة السلطان قابوس اهتماماً شخصياً جاداً بحماية الحياة البرية في بلاده ، فقرر جلالته بعد عامين من ذلك أن يترجم حلم إعادة توطين هذه الحيوانات الجميلة في البرية إلى واقع. وهكذا كانت بداية مشروع المها العربي الأبيض في (يعلوني) وهو المكان الذي شوهدت فيه المها آخر مرة. وكان الهدف هو متابعة العمل المثمر الذي نفذه منذ عام ١٩٦٢م الصندوق العالمي للحياة البرية وجمعية المحافظة على الحيوانات بلندن وذلك بتشجيع من القادة العرب ممن تميزوا ببعد النظر ولم يكلل هذا الجهد بالنجاح ، لكن لحسن الحظ بدأ المشروع يرى النور مع توفر تسعة رؤوس من تلك الحيوانات تم الإمساك بها في وقت سابق وأرسلت إلى حديقة حيوان العنقاء في (أريزونا) : واحدة منها من حديقة الحيوان بلندن كان قد أهداها السلطان سعيد بن تيمور وثلاثة رؤوس أخرى تم الإمساك بها قبل سنوات في حضرموت ، وأنثى واحدة أرسلها الشيخ جابر بن عبدالله الصباح أمير دولة الكويت ، وأربعة من الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية. وقد قام مستشار جلالة السلطان حافظة على البيئة "رالف ديلي" بالتنسيق مع الصندوق العالمي للحياة البرية ومع الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة والموارد الطبيعية وكذلك مع جمعية المحافظة على الحيوانات لتحقيق هذا الهدف. لقد قام المهتمون بالمها العربي في العالم بالتبرع برؤوس منها من الولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلى حيوانات أخرى تم إحضارها من محمية الشومري للحياة البرية في الأردن. ويتم تكاثر هذه الحيوانات التي أحضرت من هذه الدول في المركز السلطاني لتربية الثدييات العمانية قرب مسقط ومن ثم ترسل إلى (يعلوني) حيث تربى هناك قبل وضعها في بيئتها الطبيعية الخاصة. في يناير ١٩٨٢م أطلقت في البرية الحيوانات العشر الأولى بنجاح. وبحلول ديسمبر من عام ١٩٩٤م كان هناك ما يقارب من ٢٢٨ رأساً من المها تعيش بحرية في قطعان تتألف من اثنين إلى خمسة وثلاثين رأساً في منطقة مساحتها حوالي (١٦٠٠) كيلومتر مربع . وقد اشتمل العدد على حوالي أربعة وتسعين ذكراً ومائة وسبعة إناث وسبعة وعشرين عجلاً .

(أعلى) ساعة الغروب ، تصطف الجبال خلف إبرا . أشجار السنط تنمو بكثافة في السهول.
في أعلى الصفحة اليمنى يبدو وادي مستل الذي يرويه ويحميه جرف صخري شديد الانحدار . تظهر الصورة بساتين النخيل والذرة.



تعهدت عمان بالحماية والمحافظة على الحياة البرية المتنوعة بها ، والتي تضم عددا من الأنواع النادرة. وقد يكون حيوان المها العربي أكثر تلك الانواع التي يجب الإشارة إليها : إذ ان هذا الحيوان كان حتى عام ١٩٧٢م يتعرض لعمليات الصيد الجائر الذي كاد أن يوصله إلى درجة الانقراض. وفي عام ١٩٧٥م قام جلالة السلطان قابوس بتدشين عملية إعادة توطين المها إلى بيئتها الطبيعية في جدة الحراسيس البعيدة الواقعة في المنطقة الوسطى من عمان. الصندوق العالمي للحياة البرية شارك في إجراء الدراسات العملية ، وفي عام١٩٨٢م وصل بالطائرة من حديقة حيوان "فينكس" باريزونا أول زوجين من سلالة المها ، إضافة إلى حيوانات أخرى من حديقة الحيوان بلندن وأخرى من حكام الدول المجاورة. واليوم يوجد في المحمية قطيع يزيد عدده على ٢٠٠رأس يحميها جوالة مدربون من جدة الحراسيس (أعلى).

أما البرامج الحالية فتهدف إلى إيجاد ثلاثمائة من هذه الحيوانات البرية على الأقل إضافة إلى سبعة أو ثمانية رؤوس من حديقة قصر بيت البركة ليتم من خلالها تقديم عينات وراثية جديدة من وقت لآخر يتوخى من استخدامها حماية الحيوانات من الموت المبكر الذي تسببه عادة فترات الجفاف الطويلة الأمد أو مرض السل البقري.

ويتواجد المها في موطنه الطبيعي على شكل قطعان تتكون من خمسة وعشرين رأساً يقودها ذكر مهيمن، أو ما يعرف بثور القطيع ، وأنثى مهيمنة، وبإمكان هذه الحيوانات أن تغطي مساحات شاسعة ولديها مقدرة فائقة على الاستجابة لإشارات الرياح المنبئة بالمطر . وهذا ما



ساعدت الاجراءات المتخذة في الحفاظ على الطهر العماني من الانقراض، كما حولت الصيادين السابقين إلى قيمين على حماية انواع هذا الحيوان.

يمنحها القدرة على العيش في الصحراء بشكل مستمر بحثا عن المراعي النقية ، وتلد الإناث للمرة الأولى في الشهر الثاني والعشرين كما أن الأنثى الممتازة ربما تلد عجلاً مرة في كل سنة ، ويتراوح وزن المها من ٧٠ إلى ٩٠ كيلوجراماً ويعيش الواحد منها لفترة قد تمتد من ١٣ إلى ١٧ عاماً.

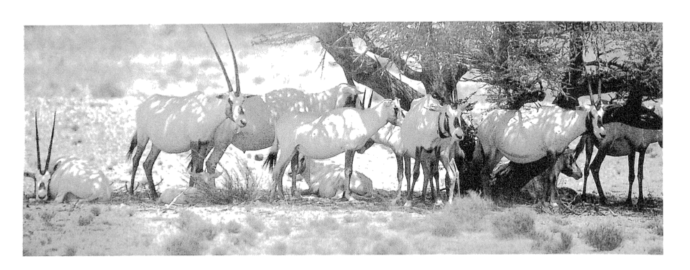
وبعد اطلاقها في البرية يقوم بمراقبتها بشكل مستمر حراس من بدو جدة الحراسيس، الذين يعتزون كثيراً بعملهم ويمتلكون مهارات في تعقب الآثار حيث يمكنهم تعقب أدق الآثار فوق أرض صخرية لعدة أميال

وقد سمي الطهر العماني Hemitragus jayakari بهذا الاسم تيمناً باسم الملازم العقيد (أي . إس جي. جاياكار) من الخدمات الطبية الهندية وجراح الوكالة البريطانية في مسقط في النصف الثاني من القرن الاخير حيث قام (جاياكار) بالتعريف بالطهر كفصيلة نادرة ذات صلة بماعز الشامواه Chamois وثور المسك musk ox الذي يعني إسمه "نصف الماعز". ويتميز الذكر بقرنين معقوفين وعلامة مميزة داكنة فوق ظهره كما يصبح فروه خشناً في فصل الشتاء إضافة إلى وجود سيقان ذات أطواق. أما الأنثى فقرناها أصغر ولها علامات مميزة أقل عدداً مما عند الذكور. يبلغ عرض هذا الحيوان عند كتفيه ٦٠ سم بينما يبلغ طوله الكلي ٩٠ سم. وقبل العصر الجليدي الأخير ما بين مائة ألف سنة ومليون سنة مضت كانت غابات البلوط الاوروبية ماهولة باعداد كبيرة من الطهر الذي لم يستطع كاقربائه من الوعول والماعز الحقيقي أن يتاقلم مع البيئة. أما الآن فيبلغ عدد حيوان الطهر العربي حوالي الفين منتشرة في جبال عمان الشمالية. وفي هذا ما يشير إلى أنه من أكثر الحيوانات ندرة في العالم.

لقد شدد جلالة السلطان قابوس على وجوب المحافظة على حيوان الطهر وذلك لحبه للحياة البرية، كما أمر في عام ١٩٧٦ بإصدار إجراءات لحمايتها ، ومنذ ذلك الحين تزايدت تدريجياً أعداد هذه الحيوانات ، وقد تضمنت خطوات الحماية تلك إقناع بعض القبائل التي تستوطن الجبال بالمحافظة على هذه السلالة الأليفة خارج مناطق الحماية الخاصة بها ، وذلك لان الطهر بحاجة إلى ماء جار ونباتات متنوعة لغذائه ، كما أنه بحاجة أيضاً إلى كهوف تؤويه في فترات الطقس السيء. إن حيوانات الطهر تفضل العيش في مناطق يتراوح ارتفاعها ما بين ١٠٠٠و١٨٠٠ متر. وتجري الآن المحافظة على هذه الحيوانات في محمية وادي السرين الطبيعية.

أما الوعل النوبي Capran ubiana فيتواجد أيضاً في عمان، ويخلط السكان المحليون بينه وبين الطهر إذ أن كليهما يعرف بالوعل. ومهما يكن من أمر فالاثنان يواجهان منافسة من الحمار الوحشي ، سليل الحيوانات الأليفة التي هربت إلى البرية. وهناك بعض الدلائل الضعيفة التي تشير إلى تواجد ماعز الأروى الآسيوي Ovis Ammon على أرض عمان في السابق ، ولإثبات صحة ذلك فإن الأمر يحتاج إلى بحوث ميدانية .

لقد كانت الغزلان في فترة من الفترات مهددة بالانقراض ، إلا ان الإجراءات التي اتخذت بعد ذلك قد ساعدت على الحفاظ عليها ، وفي الوقت الحالي يوجد حوالي مائتا رأس في جدة الحراسيس وأعداد أخرى كبيرة في الجبال والمناطق الساحلية جنوب قريات. أما الانواع الرئيسة من الغزلان فهي غزال الجبل Gazella وغزالة الريم (Gazell subguttorosa marica). كذلك توجد بكثرة الثعالب الحمراء arabica Vulpes، وثعالب روبيل الرملية



Vulpes ruppelli sabaea المنتشرة في المناطق الصحراوية ، كما لا يزال كل من القط البري والفهد العربي Panthera pardus nimr يعيشان في هذه البيئة.

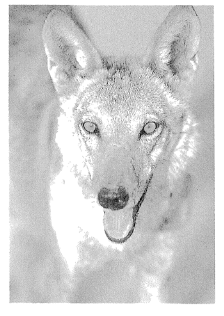
أما الذئب العربي Canis lupus arabs فيمكن سماع عوائه في الجبل الأخضر وظفار حيث يتواجد أيضاً الضبع المخطط Hyaena sultana . وهناك الوبر Procavia capensis jayakar وهو الأرنب الأوروبي الذي يرتبط اسمه بالكتاب المقدس ، والأرنب البري العربيLepus capensis omanensis . ومن بين الفصائل الحيوانية المتبقية ينتشر القنفذ الأسود Parraechinus hypomelas niger والقنفذ الإثيوبي Paraechinus aethiopicus dorsalis على نحو واسع. وهناك عدد من قوارض العضل وهي من فصيلة الفأر وتشمل: عضل الشيهم Gerbillus chessmani arduus ، وعضل جالاهار Gerbillus dasgurus gallagheri ، والجربوع Jaculus jaculus vocator كما أن هناك قوارض أخرى تشمل الفأر العادي Acomys dimidiatus ، والفأر الشوكي الأبيض Acomys whitei الذي عرف بأنه فصيلة علمية جديدة ، والجرذ الأسود Rattus rattus. وهناك العديد من أنواع الخفافيش من بينها خفاش عمان الذي يشبه ذنبه ذيل الفأرRihinopoma muscatellum، والخفاش البالغ الدقة المعروف باسم Bodenheimer Pipisterelle.

الزواحف وأسماك الأفلاج

تنتشر السحالي في جميع أنحاء عمان ويكون بعضها عدوانياً ومن بين هذه السحالي العظاء المعروفة بالحبينة Phrynocephalus arabicus والسقنقورات صغيرة الحجم مثل Mabuya tessallata ، ورتبية عظائيات Lacertids والسحالي المعروفة بالورل. وتتوافر أعداد كبيرة من السحالي في أغلب الأمكنة ، وقد تم تمييز اثنتين منها هنا في عمان الأولى هي Pristurus celerrimus minimus والثانية هي Teratoscinus



على الرغم من ان الذئب العربي ظل يشكل خطرا على الحيوانات الأليفة كالاغنام والماعز إلا انه بقي محتفظا بمنطقته البرية داخل جروف منطقة الحقف.



(أعلى) تستظل قطعان المها العربي من حرارة الشمس وهي تشعر بالطمأنينة.

– (يمين) ثعلب "بلاندفورد" Blandford's Fox تم العثور عليه حديثا في جبال ظفار ، بينما يرى ثعلب "روبيل" الرملي Ruppellis Sand Fox فوق الأسطح الصخرية بجدة الحراسيس.

scincus . ومن بين الزواحف الأقل جاذبية هناك العديد من الأفاعي القرنية Cornutus Cerastes في أنحاء عديدة من عمان إضافة إلى الأفاعي النافخة والأفاعي الأخرى القرنية Persicus Pseudcerastes التي تم العثور عليها في الجبل الأخضر. وهناك أفعى البوا التي تعيش في الرمال وهي أفعى ضخمه لكن الموجود منها في عمان يعتبر صغير الحجم Eryx jayakari. إضافة إلى أعداد كثيرة الانتشار من الأفاعي غير المؤذية.

ومن بين الزواحف الشائعة أيضاً عناكب الجمل ذات اللدغة المؤذية ، ويبلغ طولها ثلاث أو أربع بوصات وهي تتميز بسيقانها الطويلة ذات الشعر الكثيف وأجسامها المتدلية. كما تشيع أيضاً أنواع أخرى كأم أربع وأربعين والعقارب ، والخنافس ، والزنابير ، والعديد من أنواع الذباب والبراغيث التي تكثر حول البرك ، والنمل القارص والنمل الأبيض الذي يتميز بأنه يبني بيوتاً في شكل أكوام مخروطية في سهل صلالة شبيهة بتلك الموجودة في أفريقيا.

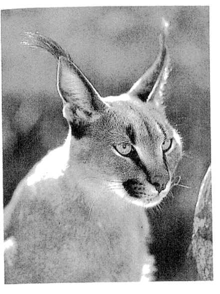
ومن بين الكائنات الأخرى الأسماك الصغيرة المسماة aphanius dispar المنتشرة في الأفلاج وبرك الأودية، وهذه الأسماك لها أسنان تستخدمها في أكل نفايات الطعام الصغيرة وفي عض أقدام المستحمين. أما فائدة هذه الأسماك فإنها تساعد على إبقاء الأفلاج نظيفة وخالية من يرقات البراغيث. أما الجراد فإن وصول حشوده في الماضي كان يلاقي ترحيباً حاراً من قبل البدو حيث كانوا يقومون بالإمساك به وأكله ، لدرجة أنه كان يباع في الأسواق عندما تصل أعداده الهائلة إلى هذه البقاع.

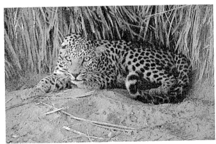
الفـراش

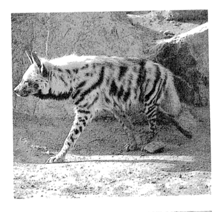
يوجد في عمان ما يزيد على سبعين فصيلة من الفراش، وسبب ذلك هو أن عمان واقعة في نقطة التقاء ثلاث مناطق جغرافية مميزة فيما يتعلق بالحيوانات وهي أفريقيا الاستوائية وآسيا الاستوائية، ومنطقة الأقاليم المعتدلة المناخ الممتدة من أوروبا إلى الشرق الأوسط، ويتوفر في عمان أمثلة نموذجية عن كل منطقة من تلك المناطق إضافة إلى بعض الفصائل المستوطنة التي تكيفت تكيفاً خاصاً مع المناطق شبه الصحراوية، مع العلم بأن الأنواع ذات القدرة على التحمل هي الوحيدة التي يمكنها مقاومة جفاف المناخ. وهناك العديد من النماذج الجميلة جداً التي ترفرف حول الحدائق والمزروعات وخصوصاً حول الجبل الأخضر وجبال القرا في ظفار ، كما هاجر إلى عمان أنواع عديدة من الفراش مثل الفراشة الشرقية ذات اللونين الأبيض والأسود. أما الفراشة Papilio demoleus والتي تتميز بنفس الألوان فهي إثيوبية كانت قد وصلت إلى ظفار دون سائر مدن عمان الأخرى.

ومن بين الأنواع الأخرى ذات التوزيع المعقد للفراشات الإثيوبية المنتشرة في عمان: الفراشة البنية الصفراء المنقطة والفراشة Spialia colotes والفراشة phisadia Colotis والتي تعتبر واحدة من أكبر وأجمل فراشات عمان حيث تتميز بعلامات مميزة تحفها خطوط بالوان صفراء شاحبة، وكذلك الفراشة العربية المنقطة Spialia mangana. ومن بين الأمثلة الأخرى أيضاً فراشة الصحراء ذات الطرف الأسود Elphinstonia charlonia وفراشة الصحراء البيضاء التي تستوطن عمان في كل الأوقات. وهناك فصيلتان أخريان هما الفراشة القرمزية البسيطة وفراشة البحر المتوسط Tarucu rosaceus s المتميزة بلونها الأزرق الأرجواني ذي الخط الأسود الذي يحف بجناحيها مباشرة.

من الأنواع التي تمثل فراشات Palaearctic : فراشة اللؤلؤ الإثيوبية Melitaes abyssinica ذات اللون البرتقالي المنقط ، وفراشة الجبل البيضاء المزركشة krueperi Artogeia، وفراشة الغسق البسيطة البنية اللون ذات الحواف البيضاء وفراشة مسندم الزرقاء الساطعة Pseudophitlores vicrama. إن فصائل الفراش الموجودة أصلاً في عمان تنحدر من فصيلتي خطافيات الذيل والكرنبيات ومن بين مجموعاتها الصغرى فصيلة Perinae وفصيلة Coliadinae وتشتمل فراشة العشب الصفراء الساطعة Eurema hecabe، وفصيلة فراشات النباتات الجبلية Danaidae التي يتواجد منها نموذج واحد فقط هو فراشة الشخر Danaus chrysippus ذات الألوان الحمراء الهادئة والبنية والصفراء المحفوفة بسواد وبياض. وهناك أيضاً فصيلة Charaxinae وفصيلة Nymphalianae وفصيلة سمراوات الحقول Satyridae وفصيلة رهيفات الجناح Lycaenidae ومن مجموعاتها الصغرى (Polymmatinae, Aphnaeinae, Theclinae). وأخيراً هناك فصيلة الحوريات الفراشية Hesperidae، ومن مجموعاتها الصغرى (Coelidinae, Hesperinae, Pyrginae).









تم اتخاذ حيوان الوشق *Caracal lynx* كشعار لمتحف التاريخ الطبيعي العماني.
لهذا الحيوان القدرة على التمويه، وعدم الخوف من الصيادين. كذلك الفهد العربي *Arabian leopard* في الصورة الثانية على الرغم من أنه نادر جداً إلا أنه يشاهد في العديد من المناطق ما بين مسندم وظفار. الضبع المخطط *Striped hyena* في الصورة الثالثة يلجأ إلى الكهوف كمخابيء له، كما ان له عواء متقطعاً ومميزاً. غزلان الرمل *Sand gazelles* حجمها أكبر ولونها أكثر شحوباً من الغزالة العربية المنتشرة في منطقة جدة الحراسيس (أسفل).

الطيـور

سلطنة عمان غنية بمختلف أنواع الطيور المقيمة منها والمهاجرة. وقد تم حتى الآن اكتشاف نحو ٣٧٢ فصيلة أغلبها من طيور عمان الاصيلة Palaearctic إضافة إلى فصائل أخرى تشمل الطيور الهندية ، والأفريقية والقطبية والطيور المستوطنة. وعلى الرغم من أنها تتكاثر في عمان إلا أن أغلبها يعد من الطيور الزائرة في الصيف والشتاء أو من الطيور العابرة. ويمكن لعشاق الطيور أن يقتنوا كتاب "طيور عمان" لمؤلفيه "مايكل جالاهار ومارتن وودكوك" وهو خلاصة موجزة لا غنى عنها للمهتمين بهذا المجال على الرغم من عدم ثراء الموضوع. على أية حال ، كانت النعامة هي الطير الأكبر في عمان إلا أنها انقرضت في الثلاثينات أو ربما قبل ذلك. ولكن لا تزال الطيور الكبيرة الجارحة موجودة ومنها: فصيلة العقابيات Accipitridae كصقر العسل ، والحدأة ، والعقاب، والهارّ، والصقور ، والنسور مثل نسر العقاب الأبيض والأسود verreauxii Aquila. ويمكن رؤية طائر الشماط أو العقاب النساري haliaetus Pandion الشبيه بالنسر وهو يغطس في الماء لالتقاط غذائه من أسماك البحر.

وهناك عشر فصائل من البازيات Falconidae من بينها الباز الرمادي الادهم Concolor Falco، والباز البربري المعروف بالباز المغربي pelegrinoides Falco وكلها من الصقور التي تتكاثر محلياً كما توجد تسع فصائل من طيور البوم من نوع Strigidae و Tytonidae حيث تتكاثر ست فصائل منها في عمان.

أما بالنسبة لطيور البحر العديدة فيتوفر في عمان أربع فصائل من طيور النوء وطيور جلم الماء Procellariidae : وما بين ثلاث إلى خمس فصائل من طيور النوء العاصفة Hydrobatidae : وأربع فصائل من طيور الكركر





تدخر عمان مكنوناتها من الحياة البرية أيضا في بعض الجزر البحرية الصخرية ، حيث يستوطن الطائر الاستوائي ذو المنقار الاحمر *(Red billed Tropic Bird)* تلك الجزر (فوق).
اقصى اليسار: طائر الأطيش المقنع المثير اثبت ان عمان هي الموطن الوحيد الذي تتناسل فيه أنواع هذه الطيور في الخليج العربي. (في الاسفل) : يبدو نسر العقاب في حالة طيران.
(يسار) : في أعماق الأشجار والكهوف بجبال ظفار يمكن رؤية طائر البوم المنقط *(Spotted Eagle Owl)*.

Stercorariidae : وثماني فصائل من طيور النورس Laridae: وسبع عشرة فصيلة من طيور خطاف البحر Phaetontidae Sternideae ذات الذيل المميز بريشتيه الرائعتين : وطيور بنية اللون مقنعة من فصيلة الأطيش Sulidae وفصيلة السقطري وطائر الغاق المائي الضخم Phalacrocoracidae. وهناك أيضاً أربع عشرة فصيلة من طيور الواق والبلشون (مالك الحزين) تتكاثر فصيلتان أو ثلاث منها في عمان كطيور الكركي والرهو المنتشرة، واللقلق ذي اللونين الأبيض والأسود ، وطائر النحام المائي إضافة إلى ثلاث فصائل من طيور أبومنجل والملاعقي .

وتوجد بعمان ثماني عشرة فصيلة من البجع ، والأوز، والبط. والبجع نادر الوجود ، أما الأوز فيعتبر من طيور الشتاء التي تهاجر من حين لآخر بينما تتواجد فصائل البط الأربع عشرة في الغالب قرب الساحل كطيور مهاجرة. وهناك أيضاً ثلاث فصائل من الطيور الغطاسة تتكاثر في ظفار منها طائر الغطاس الصغير Tachybaptus ruficollis. كما أن هناك ثماني فصائل أخرى من طيور التفلق وهي: طيور المرغة المائية ودجاجة الماء التي تتكاثر في صلالة، وطيور اليقينة والطول التي من بينها الطائر ذو الجناح الأسود Himantopus himantopus ، وطيور النكات، والطيور آكلة المحار، والكروانات الحجرية. ومن بين هذه الفصائل يكتسب طائر زقزاق السرطان Dromas ardeola من خلال تكاثره أهمية خاصة لكونه الفصيلة الوحيدة في العالم والتي توجد في عمان.

وهناك عدة طيور أخرى منها الزقزاق ، والزقزاق الشامي، والعداء ، وزمار الرمل ، وطائر الشنقب ، وطائر الليموزية ، والكروان ، ودجاجة الأرض ، والطيطوى الصغير، والطيطوى الاحمر الساقين ، والطيطوى الأخضر الساقين. كما تتواجد خمس فصائل من الطيور الدراجة من بينها طيور الحجل العربي الاحمر الساقين Alectoris melanocephala التي تتكاثر عادة بشكل واضح في الجبل الأخضر وظفار . أما الدجاجة البرية الصغيرة وطائر الحبارى المتموج Chalmydotis undulata فهي من الطيور التي تعيش في المناطق شبه الصحراوية وفي الأرض العشبية وهي من الفصائل التي تخضع للحماية في عمان . كما تتكاثر في عمان إيضاً أربع فصائل من القطا والهدهد المتميز Upupa epops واثنان من فصائل الرفراف الثلاثة وهي الرفراف الرمادي الرأس Halcyon leucocephal والرفراف ذو الطوق الأبيض Halcyon chloris.

وتوجد أيضاً ثلاث فصائل من طيور الوروار تتكاثر في عمان ، ويتواجد هذا الطائر ذو الخد الأزرق Merops superciliosus بألوانه اللامعة، في منطقة العاصمة . ومن بين الطيور الأخرى هناك الحمام ، واليمام ، والوقواق، وطيور الذعرة، والبلبل، وأبو الحناء ، والحميراء، والأبلق، وطيور الدج ، وطيور الشادي ، وصائد الذباب، والثرثار، والعصافير، والمير، والصفارية وهو الصفار الاصفر الذهبي الساطع Oriolus oriolus والصرد، والغراب، والزرزور، والدوري، والحباك، والصغنج، والدرسة. وهكذا فإن غنى الحياة البرية في عمان وتنوعها بحاجة إلى وقت كاف ومهارة لاستكشافهما.

الحيــوانات الأليفــة

الحيوانات الأليفة في هذا الجزء من الجزيرة العربية تشمل الماعز ، والأغنام ، والماشية في أعداد صغيرة ماعدا في ظفار. كما توجد الكلاب مثل كلب القنص السلوقي الرشيق ، إضافة إلى القطط. أما طبيعة البلد عموماً فهي مناسبة لوجود الماعز أكثر من الأغنام. وفيما يتعلق بالجمال العمانية فتعد من أجود أنواع الإبل وأسرعها وأكثرها رشاقة في الجزيرة العربية. إن قيمة هذه الجمال في الوقت الحاضر تكمن في استخدامها لأغراض السباق أكثر منها للعمل. وهناك حمير الجبل الأخضر القوية السريعة الشديدة الاحتمال أكثر من حمير السهول والأراضي المنخفضة المعروفة بصبرها وتحملها للعمل. ولعدة أجيال كانت الخيول تصدر من عمان إلى الهند في أعداد لا بأس بها فقد أشار ابن بطوطة وهو مؤلف من القرن الرابع عشر، إلى تصدير خيول أصيلة من ظفار. وفي القرن الثالث عشر ذكر الرحالة "ماركوبولو" أن تصدير الخيول العربية الرائعة لم يكن من ظفار فحسب





بل ومن قلهات أيضاً . أما "البوكيرك" في القرن السادس عشر فقد ذكر تصدير الخيول من كل من قلهات ومسقط وخور فكان كما أشار إلى تربية الخيول والماشية في منطقة صحار. وتبين الإحصائيات التجارية أن عمان – في النصف الأول من القرن التاسع عشر – كانت لاتزال تصدر الخيول إلى الهند حيث كان العديد منها مطلوباً كركائب للجيش ، وذلك على الرغم من أن بعضها قد

يكون من أصل فارسي. وكانت قبيلة بني بطاش ، التي تقطن منطقة وادي الطائيين إلى الداخل من قريات، من أكثر مربي الخيل شهرة. وكذلك بنو جابر ، القبيلة الأكبر في عمان، والتي يرجع نسبها إلى القبيلة العربية القديمة ذبيان المشهورة في الشعر العربي، قد اشتهرت أيضاً بتربية الخيل. وهناك اعتقاد عماني يزعم بأن الإمام اليعربي سيف بن سلطان ، كان لديه في جيشه النظامي ما لا يقل عن (٩٠،٠٠٠) من الخيول ، ناهيك عما كان يملكه الأفراد. وإذا ما سمحنا ببعض المبالغة فإن ذلك يظل عدداً هائلاً في بلد لا يملك الآن سوى عدد قليل من الخيول. وتشير مصادر أخرى إلى أن آلافاً من الخيول كانت تستخدم في الحملات المختلفة في عمان في القرون الماضية.

لقد كانت عمان في الماضي من دون شك بلداً هاماً في تربية الخيول وتصديرها. وفي هذا دلالة على أن المنطقة المزروعة ولأجيال عديدة كانت أكبر من تلك التي تقلصت خلال عام ١٩٧٠م. ومن المؤكد أن تلك المناطق التي تروى بالماء هي التي كان يأتي منها الطعام والمرعى والتبن بصورة كبيرة. لقد كان للحكام العمانيين اهتمام كبير بتربية الخيل. وقد وصف "ويلستد"، الذي زار عمان في عام ١٨٣٥م ، مزرعة الخيل الخاصة بالسيد سعيد بن سلطان كما يلي "إن العديد من خيول الإمام تعتبر من أنبل السلالات في نجد وإن بعضاً من أفراسه يقدر ثمنها بما يتراوح من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ دولار. لقد كان أحد تلك الأحصنة وهو من أكمل وأجمل المخلوقات التي رأيت ، قد قدرت قيمته بما يعادل ذلك المبلغ أيضاً.

أما جلالة السلطان قابوس ، الذي يعتبر فارساً بارعاً فقد قام بإعادة الاهتمام بالخيول في عمان، حيث قام بإنشاء إسطبل متميز ومزرعة خيول جميلة تستحق من كلمات الثناء أكثر مما قاله "ويلستد".

كما شجع جلالته الفرسان على الاشتراك بمهرجانات الفروسية. وقد اهتم آخرون أيضاً بانشاء مزارع للخيول، كما تم تشكيل اتحاد نشط باسم الاتحاد العماني للفروسية يشرف عليه صاحب السمو السيد شبيب بن تيمور.

السلاحف الخضراء

الحيـاة البحـرية

يمكن رؤية الحوت ، ذلك الحيوان البحري العملاق ، على الشريط الساحلي الطويل. ان دور عمان لم يقتصر على دعم الحظر العالمي على صيد الحيتان التجاري فحسب بل لعبت السلطنة دوراً قيادياً في تأسيس ملاذين لحماية كل من حوت المحيط الهندي وحوت المحيط الجنوبي.

وكثيراً ما ترى الدلافين بالقرب من الميناء في مسقط وهي تثب في أسراب لتلهو حول مجاديف السفن الخشبية ، و من المعروف أن الحيتان في كثير من الاحيان يمكن أن تكون مرحة. فهذا "بيرترام توماس" يصف كيف أن حوتاً مرحاً قام ذات مرة بتسليتهم:

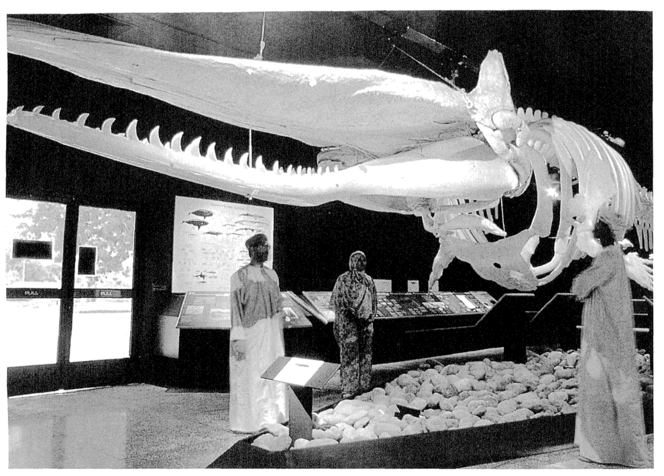
" حيوان ضخم ذو لون أخضر غامق أتى وتمدد إلى جانبنا كغواصة بجانب سفينتها الام، فخور بأن يثبت لنا أنه ليس بأصغر كثيراً من (فتح السلام) – المركب المحلي الذي كان توماس مسافراً عليه – وقد بدا لي ودوداً وخطراً في آن معاً عندما غاص تحتنا مباشرة لكي يظهر ثانية من على بعد بضعة أقدام شاقاً سطح الماء بصوت كالشخير قبل أن يغوص مرة أخرى مخلفاً وراءه موجات وفقاعات كثيرة تعلن عن ذهابه. أما البحارة فكانوا في غاية الاهتمام حيث كانت عيونهم على الزورق وعندما ارتطم بنا الحوت من الخلف، أخذوا يرعبونه بالضجيج الناتج عن قرع صفائح البنزين الفارغة. وبعد ذلك انتعشت الريـح لتحملنا، وعند الظهر وصلنا بعد أن تم سحب مركبنا بالقرب من ريسوت حيث نزلت".

وتوجد في مياه عمان عشرون فصيلة من الحيتان والدلافين من أصل ثمانين فصيلة موجودة في العالم. إن هذه المخلوقات التي تثير إعجاب العالم بحياتها وعاداتها الغامضة تصنف في اللغة اللاتينية بالحيتانيات Cetaceans وهو الاسم المشتق من الكلمة اليونانية "وحش البحر". وحيتانيات مياه عمان إما أن تكون ذات أسنان Odontoceti أو ذات فك عظمي Mysticeti وهذا النوع الثاني يقوم بتنقية طعامه بواسطة ألواح صلبة تشبه المشط تتدلى من سقف فمه الضخم ثم يستخدم بعد ذلك لسانه ليدفع الطعام إلى الخلف. وحيتانيات الفك العظمي في عمان كلها كبيرة الحجم وتنتمي إلى عائلة Balaenopteridae. ومن الحيتانيات ذوات الأسنان الموجودة في مياه عمان حوت الدلفين Delphinidae الذي ينتسب إليه الحوت الهندي – الباسيفيكي الأحدب، وحوت الريسو Risso's وحوت انف الزجاجة ، والحوت الاستوائي المنقط ، والحوت الغزال ، والدلافين بصورة عامة والحيتان القاتلة ، وتلك التي تتظاهر بأنها قاتلة Globicephalidae. كما توجد أيضاً حيتان العنبر القزمة المنتمية لفصيلة Kogiidae، وحيتان Cuvier ذوات المنقار.

وهناك ست فصائل من ذوات الفك العظمي آكلات الأسماك سجلت في المياه العمـانية وهي: الحوت الأحدب، وحوت Brydes، وحوت Sei، وحوت المنكي، والحوت الأزرق، والحوت ذو الزعانف. أما حيتان Sei و Brydes والحوت الأحدب فيصل طول كل منها إلى عشرة أمتار. وقد يتجاوز طول حوت Sei ١٤ متراً وهو أقصى ما يمكن أن يصله طول حوت Brydes في حين أن حيتان العنبر متقاربة الحجم. ويقوم متحف التاريخ الطبيعي العماني بتوضيح قصة حيتان عمان بصورة جيدة وذلك بواسطة استخدام معروضات حية.

وبين الفينة والأخرى تزور عمان فقمة الفيلة الجنوبية Mirounga leonina، والأطوم الثديي المائي الشبيه بالأسماك Dugong dugong الذي يعتقد أنه يوحي بمشاهدة حوريات البحر وغرائق الماء البحرية الخرافية. وتمتلئ المياه العمانية بالأسماك التي يكتظ بها البحر: هذه الأسماك التي كان يقوم الصيادون العمانيون الماهرون بصيدها حيث كانوا يذهبون إلى البحر وفي حوزتهم صفيحة ماء وحفنة تمر وخطافات وخيط ، وكانوا يبتعدون حوالي خمسة أميال في زوارقهم المجوفة الطويلة التي تسير بواسطة المجاديف. ودون أية مساعدة كان هؤلاء يستطيعون اصطياد سمكة أبوسيف التي يبلغ طولها ثمانية أقدام إضافة إلى أسماك الكنعد ، وأسماك القرش الصغيرة ، وأسماك الفرخ.

أما السردين الذي كان له دور هام في الاقتصاد العماني منذ القدم فهو نوعان: سردين الزيت الهندي Sardinella longiceps وسردين الأنشوفة Stolephorus heterolobus. أما السمك الرئيس في مجموعة التونا فهو سمك التونا ذو الزعنفة الصفراء Neothumus، وسمك الكنعد Scomberomorus ، وسمك التونا الصغير Gynosarda alleterata، وسمك الراموح الضخم ذي الشكل السيفي وسمكة الشراع الهندية الضخمة Istiophorus. وتشيع في مياه عمان أيضاً أسماك التونا المنتمية إلى فصيلة Carangidae وأسماك Trachurus. وهناك عدد كبير ومتنوع من فصائل أسماك القرش ، والورنك أو السفن ، وسمك الراي ، وسمك شيطان البحر الذي يذكر منه أنواع القرش الاسقمري Garcharinus Isurus ، والقرش أبومطرقة G. Sphyrna ، والراي الشيطاني الأصغر G. Mobula. ومن الأسماك المهمة الأخرى سمك البوري Mugalidae ، وسمك الأخفش المعروف محلياً بالهامور ، وسمك الابراميس Lethrynus nebulosus. وقد ذكر مؤلف كتاب رحلات في البحر الأحمر في القرن الأول الميلادي بأن جزيرة مصيرة أنتجت لأغراض التصدير كميات جيدة ومعتبرة من الذبلي (عظام ظهور السلاحف) حيث لا يزال في مصيـرة العـدد الأكبر من السلاحف ذات الرؤوس الضخمة Carreta Caretta في العالم والتي قدرت أعدادها في عام ١٩٧٩م بـ ٣٠،٠٠٠ سلحفاة. وتوجد أيضاً السلاحف الخضراء Chelonis mydas باعداد كبيرة في مصيرة وفي شواطىء أخرى يبلغ عددها حوالي ٢٧٥ شاطئاً. ويحتمل أن يكون في عمان دون أي بلد آخر من بلدان المحيط الهندي أكبر عدد من السلاحف الخضراء. والفصيلـتـان الأخريـان مـن السلاحـف التي تضع بيضها على ساحل عمان هما



متحف التاريخ الطبيعي بالخوير ، يقدم خدماته كمركز كبير للبحث والتصنيف العلمي ، وكذلك كمركز لتعريف الشباب العماني بتراث بيئته . ويحتل قارعته هيكل عظمي كبير للحوت الذي تم إحضاره من بحر العرب المجاور.

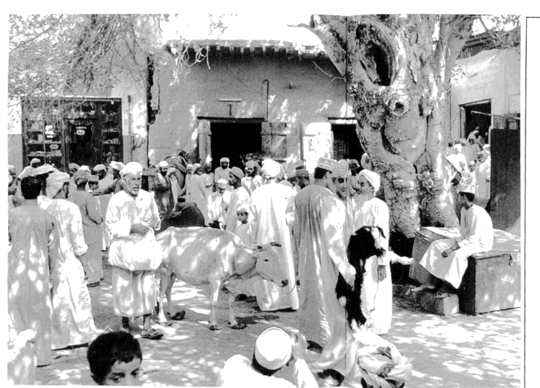
سلحفاة البحر imbricata Eretmochelys، وسلحفاة Olive Ridleys (lepidochelys) التي تتوفر بأعداد أقل بكثير من غيرها.

وعمان غنية بالمرجان بدءاً من أشكاله المنقرضه منذ أمد طويل والتي يمكن العثور على بقاياه فوق قمة الجبل الأخضر وانتهاء بالمرجان الذي يسمى بالمرجان الصخري Scleractinian لان هيكله العظمي مصنوع من الحجر الجيري – الذي ينمو الآن في البحار العمانية . وتنحدر هذه المرجانيات من شعبة اللاحشويات. كما تتواجد بكثرة الأنواع الاخرى المرتبطة من بعيد بهذه الحشويات ومن بينها : شقائق النعمان البحرية ، المرجان الأملس ، المرجان الأسود وقناديل البحر اللاسعة. ومن أنواع المرجانيات الصخرية ذات الجمال الفائق : الزهري ، والمتفرع والمسطح و knobbleystar، النجم الأملس ، الدماغي، الكاسي. إن مرجانيات الشعاب الصخرية القريبة من سطح الماء الغنية بالوانها المختلفة تعتبر موطناً للعديد من الاسماك والأحياء البحرية الرائعة : ومن أنواعها مرجان التاج الخطر ذو الاشواك ، وقنفذ البحر الشوكي الطويل Diadema ، قنديل البحر ، اليرقانه ، الإنقليس ذو الأسنان الوحشية ، سرطان البحر ، السمك الصخري ، سمكة الأسد الجميلة ، سمكة العقرب ، سمكة الألعاب النارية، سمكة الدجاجة ، سمكة قد الفراشة سمكة الديك الرومي، سمكة التنين، سمكة الزرد، سمكة النار ، سمكة الريش.

ويغص البحر في بعض السنوات مع بداية الصيف بقناديل البحر التي تعتبر كرجال حرب برتغاليين زرق وأفاع طويلة من الهلام الارجواني يصطفون معاً. كما توجد أيضاً وبكثرة عدة أنواع من الرخويات كالأصداف ، ورخويات البطلينوس ، بينما يصطبغ البحر في بعض الفصول باللون البرتقالي للعوالق ويصبح لونه فوسفورياً لامعاً في الليل. ولكي يكتمل المشهد فلا بد من القول بان شاطىء الباطنة الرملي الممتد زاخر بسرطانات البحر التي تخرج من جحورها منطلقة إلى البحر، بقرون استشعار نائتة تبدو كزوار من كوكب آخر. أما أبناء عمومتها وهي السرطانات الناسكة فتتجمع في حشود وتستبدل صدفاتها محدثة صوت طقطقة غريب عند احتكاك الصدفات بعضها ببعض.

اللآلىء

على الرغم من تواجد المحار على ساحل عمان ، إلا ان صيد اللؤلؤ لم يكن على قدر من الأهمية مثلما كان في بقية مناطق الخليج ، حيث المياه ضحلة ولا تندفع بشكل سريع إلى أعماق المحيط. ومع هذا فقد كانت مهنة صيد اللؤلؤ تمارس بشكل بسيط حتى الستينات ، وكانت مدينة مسقط في أوقات مختلفة سوقاً مهماً لكل من اللآلي وعرق اللؤلؤ ، تلك المادة الصلبة الشديدة اللمعان.



الباب الرابع

السكان في عمان

خاض العمانيون من قديم الزمان عباب البحار وحرثوا الأرض ونقبوا عن ثرواتها وحولوا جبالهم إلى مرتفعات مدرجة وقاموا بري الأرض مستخدمين في ذلك نظام الافلاج المعقد. كما تاجر بدو الصحراء مع تجار المدن وتاجر هؤلاء بدورهم مع العالم وبذلك انفتحت أمامهم آفاق جديدة. أما الصناعة الحديثة فلم تكتف بتقديم فرص وآمال جديدة فحسب بل أمدت البلاد بالثروة لتعزيز التطور الهائل في المستشفيات والمدارس والكليات. وتكمن الطاقات القديمة لدى العمانيين في تحقيق ذلك بالعقيدة الإسلامية العميقة الجذور التي شكلت في الماضي ولاتزال تشكل في الحاضر المشهد الجديد.

بهلا – العاصمة القديمة الحصينة – تعتبر سوقاً من الأسواق التاريخية العتيقة بخلاف ما عليه الحال في بقية بلدان المشرق وليست المساومة في عمليات البيع والشراء من عادات العمانيين: إلا أن البائع يميل إلى الإصرار على السعر الذي يقدمه.

الأصـــول

العمانيون شعب يتميز بدرجة عالية من التجانس حيث ينتشر السكان في بقعة كبيرة من الأرض بمساحة المملكة المتحدة وايرلندا. وكانت الاختلافات بين الناس في الأصل والثقافة والحرف أكثر وضوحا في زمن التنقل بواسطة الجمل والحصان والحمار قبل اختراع السيارة والطائرة. إن الاختلافات في الأصول والثقافة ونمط الحياة وحتى في اللغة كانت جلية واضحة. ويصور الوصف في هذه الصفحات نمط الحياة حتى منتصف السبعينات كما توضح الخلفيات التاريخية والجذور المختلفة التي تشكلت منها عمان الحاضر. ومنذ تلك الفترة كانت التغييرات هائلة لاسيما في مجالي التعليم والصحة. ومما لاشك فيه أن العادات قد تطورت أيضاً إلا أن التصوير الحي للماضي قد يساعد في فهم عمان الحديثة.

لنبدأ إذا قسمنا هذا بتتبع العناصر السكانية التي شكلت شعب عمان الحديث ومن ثم تصف تلك العناصر التي كان لها بلا شك أثر في تلك الفترة التي تلاشت على أثرها الفروق في الثقافة والعادات واللهجة والسلوك بصورة مطردة والتي لا يمكن التغاضي عنها منذ منتصف السبعينات، تلك الفترة التي سنعتبرها إطارنا الزمني الوصفي. كانت تلك التغيرات بعيدة الأثر وقد تمثلت في التوسع في مجالات التعليم والصحة المذكورين في هذا القسم. لقد طغت هذه التطورات على الاختلافات القديمة وخصوصا بين صغار السن كما أنها قوّت بشكل واضح مفهوم الولاء والإخلاص.

ونظن أن السكان كانوا قد وصلوا إلى درجة عالية من الحضارة في الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، كما كان ازدهار الحضارة في عمان ظاهرة سريعة جدا شبيهة بتلك التي ظهرت في العراق. ومن التفسيرات البديلة أنه ربما كانت هناك هجرات لأناس ذوي ثقافة مسيطرة. وفي الأيام المبكرة للاستيطان السكاني، ربما كان هناك نطاق بشري من جماعات الفدى vedda ذوي الشعر المجعد يعبرون العالم القديم من افريقيا وحتى ميلانيزيا محتلين بذلك كل الأراضي المتوسطة بما فيها شبه الجزيرة العربية وبلوشستان والهند. وربما تحولت الأجزاء المتوسطة من هذا النطاق فيما بعد مؤدية بذلك إلى ظهور الحاميين في افريقيا وأبناء عمومتهم في شبه القارة الهندية.

وهكذا فإن السكان الأصليين لشبه الجزيرة العربية ربما كانوا من الكوشيين Cushites وهم شعب حامي من المحتمل أن يكون قد سبق إلى فتح طرق القوافل والرحلات البحرية من الموانئ الساحلية. وقد حدث في تاريخ غير محدد – ربما في نهاية العصر الجليدي – أن تحركت سلالة غرب آسيوية جنوبا نحو شبه الجزيرة العربية ونحو المنطقة التي تربط بلاد ما بين النهرين بالبنجاب وفارس و بلوشستان وافغانستان. وقد كانت شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت منطقة خصبة كثيرة المياه تغري بذلك مجموعات من الصيادين المغامرين لاقتحامها. وبعد ذلك استقر شعب له ملامح أرمنية يتميز بطول الأنف وصغر الجمجمة في شمالي عمان. وقد انتقلت هذه الصفات إلى حدما إلى سكان الجنوب في ظفار من خلال الهجرة والتزاوج بين الأجناس. وعلى الرغم من ذلك فقد احتفظ سكان الجنوب ايضا ببعض ملامحهم الأصلية مما جعل الكثيرين منهم شبيهين من ناحية المظهر بالصوماليين والدناقل والهاديندوة والمصريين وجعل سمة صغر حجم الجمجمة لديهم فريداً من نوعه.



الفينيقيــون

قد تكون عمان هي الموطن الأصلي للفينيقيين – ذلك الجنس المتميز الذي ارتاد البحر الأبيض المتوسط. وقد استشهد المؤرخ الإغريقي "هيرودتس" الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد برأي علماء الفرس الذين قالوا إن الفينيقيين قد هاجروا من البحر الأريثيري واستقروا في البحر الأبيض المتوسط الذي بدأوا منه القيام برحلاتهم البحرية. ويحتد النزاع حول المقصود بالبحر الأريثيري عند القدماء والذي ينسب الى "إريثراس" وهو الملك الذي يفترض ان يكون قبره في جزيرة هرمز في الجهة

> وصف رحالة القرن التاسع عشر جيمس سلك باكنجهام العمانيون بأنهم "أكثر العرب نظافة" وترتيباً وأفضلهم هنداماً وأحسنهم سلوكاً ويظهرون قدرا عاليا من الشعور بالثقة والود والاحترام. ورغم أنه كان يشير بتعليقاته هذه الى أبناء مسقط على وجه التحديد إلا أن العديد من زوار عمان يقرون صحة ذلك ويعممونه على جميع العمانيين.

الشمالية من مدخل الخليج. غير أن مصطلح إيرثيري (أي البحر الأحمر) ينطبق في الظاهر على الجزء الغربي من المحيط الهندي بالإضافة إلى الخليج الفارسي والبحر الأحمر.

وقد اعتقد البعض أن التشابه في مسميات الأماكن في المشرق من جهة وفي عمان والخليج من جهة أخرى – مثل اسم صور واسم الشام مثلاً – إضافة إلى التشابه الجغرافي في الموقع والشكل بين صور في عمان وصور في منطقة البحر المتوسط قد يشكل دلالة على الأصل الفينيقي المشترك. كما أن المقياس التاريخي يلعب دوراً في ذلك أيضاً حيث أن الفينيقيين كانوا قد برزوا بصورة متميزة في المشرق في الألف الثاني قبل الميلاد وهو الألف الذي تقل فيه الدلائل الاثرية نسبيا في عمان، مما يشير إلى احتمال تدهور الحضارة في تلك المنطقة مما أدى إلى النزوح والهجرة . ولذلك فليس من المستحيل القول إن بناة السفن العمانيين كانوا أسلافاً أنجبوا أولئك الذين بنوا "سفن الترشيش" Ships of Tarshish وخاضوا بها عباب البحار.

عُمان والاستيطان القبلي

لعبت القبائل والأسر الكبيرة في الأزمنة الماضية دوراً بارزاً في إنجازات عمان التاريخية داخل الوطن و خارجه، كما لعبت دوراً لا يقل عنه في جنوب العراق في الأيام التي شهدت ظهور الإسلام. وقد تغير المجتمع الآن تغيرا كبيرا، ولكن على الرغم من ذلك فإن الحفاظ على التوازن بين المناطق المختلفة في عمان يبقى أمرا مهما. لقد تركزت الخيوط الأساسية لتاريخ عمان الداخلي منذ الفترة التي بدأت منذ قرنين ونصف من الزمان حول قبيلتي بني هناه وبني غافر. وقد أعطت هاتان القبيلتان اسميهما للحلفين الكبيرين الهناوي والغافري اللذين اقتسما عمان وهيمنا على مجرى السياسة فيما بعد.

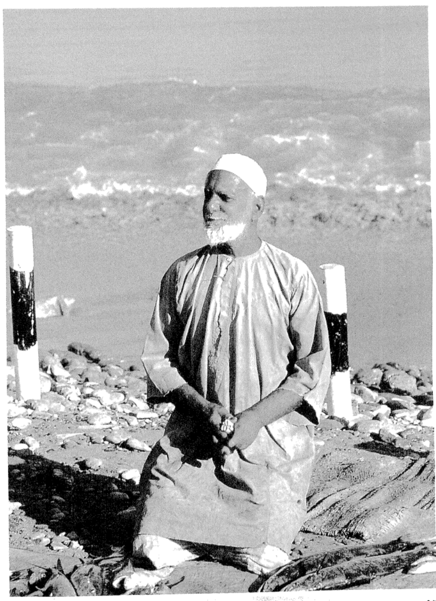
وحسب آراء علماء الانساب العرب فإن سكان عمان الحاليين ينحدرون من سلالتين عربيتين رئيسيتين هما القبائل اليمنية أو القحطانية القادمة من جنوبي شبه الجزيرة العربية، والقبائل العدنانية أو النزارية التي هاجرت من شمالي غرب شبه الجزيرة. ويمثل الحلف الهناوي القبائل اليمنية بينما يمثل الحلف الغافري القبائل العدنانية، على الرغم من أن قروناً من التناحر والتباعد والتقارب قد خففت من حدة الانقسامات السابقة. وكما كان الانقسام المرير بين أسرتي "جلبس" Guelps و"غبلنز" Ghibellines في "فلورنسا" في العصور الوسطى فقد تعدى تأثير هذا التحزب المرير سياسة عمان الداخل ليشمل المنطقة الجنوبية في ظفار والمنطقة المعروفة حالياً بدولة الإمارات العربية المتحدة.

ويمكن تقسيم الجماعات الأساسية في شمالي عمان إلى حضر وبدو وهذا هو التقسيم العربي القديم بين قاطني المدن وقاطني الصحراء. وإضافة إلى قبيلتي بني غافر وبني هناه فهناك العديد من القبائل المهمة التي استقرت في مناطق وسط عمان. ومن الناحية التاريخية فإن وادي سمائل هو المكان الذي اقامت فيه قبيلة بني رواحة التي ينحدر منها شيوخ عائلة الخليلي التي ينتسب إليها الإمام محمد بن عبدالله الخليلي (١٩٢٠ – ١٩٥٤ : ١٣٣٨ – ١٣٧٣هـ). أما بنو ريام فقد سيطروا على الجبل الأخضر ومداخله من ناحية الجنوب وحتى تنوف وبركة الموز، فيما عاش عبريو الحمراء في الجهة الجنوبية من الجبل. أما بنو خروص فيشكلون إحدى الجماعات الأخرى المهمة التي سيطرت على أحد الأودية الاستراتيجية في المناطق الجبلية الوسطى ، وقد حكم بنو خروص المدخل الشمالي للجبل الأخضر كما لعبوا دوراً مهماً في تاريخ شرق افريقيا. كما سكنت قبيلة المعاول الوادي المزدهر الذي يحمل اسمها وأنجبوا ملوك عمان من آل الجلندى قبل ظهور الإسلام وبعده. وأما قبيلة الحواسنة فقد حكمت الوادي المسمى باسمها أيضاً حيث يشكل معبراً يمكن من خلاله اجتياز الجبال من الشمال إلى الجنوب. وقد جرت العادة أن تقدم هذه القبيلة حراس العائلة المالكة وحراس عدد كبير من الولاة. أما وادي الجزي الذي يشكل الفجوة الكبيرة الأخرى في الجبال فقد استوطنه بنو كعب ، في حين أن المنطقة الشرقية جنوبي وادي سمائل كانت موطناً للحرث الذين لعبوا دوراً مهماً في سياسة عمان الداخلية وفي إنشاء المستوطنات التي أقامتها الجاليات العمانية في شرق إفريقيا. أما العوامر الذين اشتهروا ببناء الأفلاج وصيانتها فقد سكنوا أيضاً في هذه المنطقة كما سكنوا في بعض أجزاء البريمي وفي الباطنة. وإلى الجنوب من منطقة الحرث توجد المنطقة المعروفة بجعلان وتيابتا بلاد بني بوحسن وبلاد بني بوعلي اللتان أرسلت إليهما حملات بريطانية تأييداً لسعيد بن سلطان في عام ١٨٢٠ و ١٨٢١ .

أما بنو خالد فقد سكنوا واديا نائيا يشكل احد أكثر وديان عمان مياهاً إلى الشمال من منطقة الكامل وصور في المنطقة الشرقية.

أما قبائل منطقة الظاهرة في شرقي منطقة الحجر وحتى شمال الجبل الأخضر فتضم بني كعب الذين ظهر من بينهم عدد من النوابغ في عمان ويقع مركزهم القبلي في محضه. ومن بين القبائل الأخرى بنو بطاش الذين سكنوا المنطقة الواقعة جنوب مسقط واشتهروا في الماضي بتربية الخيول، وبنو جابر الذين كانوا في فترة من الفترات يعتبرون القبيلة الأكثر أهمية في البلاد وقد سكنوا وادي سمائل وعلى امتداد ساحل الباطنة. أما قبائل الصحراء فقد شملت الدروع الذين قطنوا المنطقة الواقعة جنوبي شرق عبري ، والنعيم بفرعيها آل بو شامس وآل بو كرايبان، وهما القبيلتان الوحيدتان في عمان اللتان مارستا رياضة الصيد بالصقور.

على امتداد الشاطيء من ناحية الشرق يبدو صياد من بركاء وهو يامل في بيع ما حصل عليه من الصيد.



تصنيـف السـكان

قسم السكان العمانيون في السابق الى ستة فئات رئيسية: الفئة الاولى هم سكان مسقط ومطرح وصحار وصور وسكان المناطق الساحلية الأخرى التي يقطنها الناس منذ أجيال عديدة وهم يمارسون الملاحة والتجارة وصيد الأسماك، الفئة الثانية هم مزارعو ساحل الباطنة التي تعتمد الزراعة فيها اعتمادا كبيرا على مياه الآبار، والفئة الثالثة المزارعون أو الحضر الاصليون الذين يسكنون في المدن مثل نزوى والرستاق وقرى الداخل الصغيرة والذين يعتمدون على نظام ا لافلاج لري مزروعاتهم بواسطة قنوات على غرار القنوات المائية الموجودة في إيران، الفئة الرابعة هم البدو الذين يسكنون في السهود الواقعة الى جنوب وغرب البلاد، الفئة الخامسة هم الصحوح وهم سكان المناطق الجبلية في شبه جزيرة مسندم، أما الفئة السادسة فهم سكان ظفار الذين ينحدر بعضهم من نسل حام بن نوح وهم يشتركون عرقيا ولغويا مع سكان المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية وأجزاء من شرق افريقيا.

وإلى جنوبي المنطقة الشرقية يسكن بدو آخرون هم آل وهيبة والحراسيس والجنبة وقد ملكت هذه القبيلة الأخيرة مدنا على حافة الصحراء مثل أدم، التي تعتبر الموطن الأصلي لآل بو سعيد. ويتحدث الحراسيس اللهجة المهرية على الرغم من اصولهم غير المهرية.

أما القبائل الرئيسة في ظفار فتشمل المهرة الذين استوطنوا في كل من شرقي المنطقة وغربها، وآل كثير الذين سكنوا الجبال والسهول من ناحية الشمال، وقبائل القرا الذين سكنوا في المنطقة الوسطى. وبالإضافة إلى استخدام اللغة العربية لا يزال الناس هناك يتحدثون بعدد من اللهجات كالمهرية ، والجبالية واللهجة المهرية المسماة بالبطحرية .

أما في أقصى شمالي البلاد فتستوطن قبائل الشحوح الذين يتحدثون فيما بينهم بلهجة إيرانية. ويحتمل أن يكون قد ظهرت من بينهم شخصية بارزة في الأزمان السالفة وهي شخصية بلداد الشحي الذي ذكر في الكتاب المقدس كأحد من كانوا يواسون النبي أيوب في محنته .

لقد كان العمانيون من أكثر الجند الإسلامي أهمية عندما قاد المهلب بن أبي صفرة القبائل العربية لفتح خراسان وكرمان، وفيما بعد برزت من بينهم السلالة الحاكمة في سيراف وقيس وهرمز التي كانت مركزاً تجارياً كبيراً في الخليج قبل قدوم الاوروبيين.

وعبر التاريخ كانت هناك حركة تنقل واسعة بين شواطيء الخليج الشمالية والجنوبية حتى أن التاثير



العماني والعربي كان واضحاً للغاية في جنوب فارس مثلما كان التأثير الفارسي على الشواطيء العربية.

سكان المناطق الساحلية

خضعت كل من مسقط ومطرح وصحار وصور وغيرها من الأماكن الساحلية إلى تغيرات كبيرة خلال الخمسة وعشرين عاماً التي تلت عام ١٩٧٠. وقد عمل القسم الأكبر من السكان بالتجارة والأعمال الحكومية والخدمات الصناعية اللازمة لقيام مجمعات تجارية حديثة كما حلت السيارة والشاحنة محل الركائب كوسيلة للتنقل. وكانت حياة الناس في السواحل في الماضي مختلفة جداً.

لقد تطورت مطرح من منطقة تقليدية صغيرة إلى ميناء حديث قادر على استقبال السفن الكبيرة وكل أنواع البضائع باستخدام أحدث الإمكانيات وتجهيزات الموانيء الجيدة. أما ميناء الفحل الذي يبعد بضعة أميال عن مطرح فقد تحول إلى ميناء يصدر النفط بسبب قربه من مصفاة التكرير وغيرها من التجهيزات النفطية الحديثة. وبسبب توسع التجارة بشكل كبير في مطرح وروي لم تعد مسقط مدينة تجارية وانما أصبحت بمثابة القلب للهيئة الحكومية حول القصر السلطاني. كما توسعت مدينة صحار التي أصبحت اليوم مدينة ساحلية حديثة تسر الناظرين بطريقها المخصص للمشاة قرب البحر. كما اتخذت مدينة صور مظهرا حديثا حافظت من خلاله على صناعة السفن التقليدية. وقد حصل الصيادون على امتداد ساحل المحيط الهندي على قوارب حديثة، كما تبنوا طرق صيد أكثر تطوراً.

ويتحدد نمط الملاحة في المحيط الهندي أيام الإبحار بالرياح الموسمية الشمالية والجنوبية الغربية ، وبدءاً من ديسمبر وحتى فبراير من كل عام تهب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية بصورة دائمة ، وفي هذه الأثناء تبحر السفن العربية جنوباً إلى زنجبار وساحل أفريقيا الشرقي محملة بالتمور ، ثم تبحر عائدة مستعينة مرة أخرى بالرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تهب بدءاً من ابريل وحتى سبتمبر وهي محملة بالعاج وشمع العسل وعظام ظهر السلاحف والرقيق إلى أن تم فرض الحظر على هذه التجارة. وفي الحقيقة فقد كانت مسقط لفترة زمنية طويلة الميناء الرئيس في المنطقة العربية لاستقبال العبيد الأفارقة وبيعهم ونقلهم. وعلى الرغم من سوء سمعة هذه التجارة سواء أكان ذلك في عمان أو في المنطقة العربية بأكملها إلا أن العبيد كانوا يعاملون معاملة حسنة ، كما أن نظام الرقيق عند العرب لم يكن نظاماً قاسياً مثل ذلك الذي كان في الأمريكيتين. وقد لاحظ الكولونيل "جون جونسون" الذي زار مسقط في ١٨١٧ أن وضع العبد في الأسرة المسلمة يشبه كثيراً وضع طفل متبنى يحق للعبد فيه أن يرث جزءا من أملاك سيده عند موته وكثيراً ما كان ينال نصيبه قبل وفاة سيده. ويهتم العبيد المتبنون كثيراً بمصلحة أسيادهم كما أنهم مستعدون دائما للتضحية بأرواحهم دفاعاً عنهم، كما يضع الأسياد ثقتهم بهم ، ولانفتقر إلى الأمثلة التي تبين أن عبيداً كانوا الورثة الوحيدين لممتلكات أسيادهم لأنهم ساعدوهم منذ البداية في تنميتها.

وعلى الرغم من ذلك فقد تعاون سلاطين عمان وزنجبار مع البريطانيين في القضاء على تجارة العبيد، وبالفعل فإن الصداقة الحميمة والتنظيم مع البريطانيين قد جعلت عمان تتأثر بصورة حتمية بالآراء البريطانية ، وقد أدت تجارة الرقيق إلى ظهور عدد من المصلحين في بريطانيا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر وزادت حماسة هؤلاء المصلحين كما تزايد تأثيرهم بعد حظر الرقيق في بريطانيا نفسها عام ١٨٣٣ ، ومن المصادفات العجيبة أن يكون أحد أبرز الشخصيات في حركة الإصلاح هو الجنرال "ت. بيرونت تومبسون" الذي كان عضواً في البرلمان والمعتمد البريطاني السياسي الأول في الجزيرة العربية بين عامي ١٨١٩ و ١٨٢٧ وكان مقرباً من سعيد بن سلطان وهو الذي قاد الحملة البريطانية على بني بوعلي في ١٨٢٠.

وقد قام أهالي مسقط ولأجيال عديدة بتوفير الطعام والماء والبضائع للسفن الزائرة على الرغم من تناقص هذا النشاط بعد أن ساءت الأحوال الزراعية بصورة مؤقتة في عمان في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وفي الواقع كان من الصعب حتى وقت قريب جداً تمييز وصف مدينة مسقط من خلال ما كتبه الرحالة السابقون عن هذه المدينة . لقد أكد "جراتان جيري" محرر جريدة "تايمز أوف إنديا" الذي زار مسقط في عام ١٨٧٨انطباعات "البوكيرك" حول وفرة الطعام في مسقط حيث قال : " يشاهد التمر في كل مكان ، كما أن الفواكه والخضروات من المحاصيل المزروعة في الداخل موجودة بشكل وفير". إلا أن وفرة الإنتاج هذه قد عانت لبعض العقود ، لكن الزراعة الآن ومنذ ذلك الحين قد عادت إلى سابق عهدها من الازدهار . وعلى كل حال فإن سكان مسقط ومعهم عدد من التجار الهنود الذين استقروا لأجيال عديدة قد أصبحوا أغنياء ، كما زادت ثروتهم التي اعتمدت على التجارة بالإضافة إلى القيام بعملية

شاركت فرق الكشافة العمانية بنجاح في الانضمام إلى الهيئات المحلية والعالمية.

التصدير والإستيراد المباشرين على الرغم من أن حركة المراكز التجارية الأن لا تماثل في أهميتها الحركة التي وجدت في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

وقد تنوعت أحجام سفن مسقط في فترة ازدهارها لتصل في حمولتها من ٣٠٠ إلى ٦٠٠ طن . أما أفضلها فكانت تسمى (البغلة) المتميزة بمؤخرتها العالية ذات النقوش الجميلة والتي تشبة سفن الغليون. وقد جلبت هذه السفن الموسلين والسلع التي تباع بالقطعة من





البنغال، والعقاقير والبهارات من الشرق الأقصى، والأخشاب و الأرز والورق من جزر "مالابار"، والسلع المستوردة الأوروبية مثل الرصاص والحديد والقصدير من بومباي. كما شاركت السفن العمانية في التجارة المزدهرة للقهوة تجلبها من مخا على البحر الأحمر وجزر "موريشيوس". أما من زنجبار فقد جلبت السفن العمانية مسحوق الذهب وريش النعام والتمر الهندي والعاج. وقد جمعت منطقة السوق في كل من مسقط ومطرح وحتى السبعينات جمعاً طريفاً بين ما هو تقليدي وما هو حديث. ولا يزال في شوارع مطرح الضيقة أناس من كل لون يختلط بعضهم ببعض حيث يشاهد العمانيون المتميزون بوجوههم الفاتحة اللون التي يعلوها الوقار وبلحاهم ولباسهم الوطني. أما الهنود والباكستانيون فيتميزون بلونهم المائل إلى السمرة وبملابسهم البيضاء كما يعتمرون طاقية على رؤوسهم. وعلى الرغم من ارتداء الملابس الأوروبية في هذه الأيام، فإن الناس الأشد سمرة ينحدرون كما يدل لونهم من أصل افريقي ، كما تمر النساء مرتديات رداء قد يكون أسود اللون ذا الوان مشرقة تحت " العباية " والخمار ويأتي الرجال الى أسواق مسقط للتسوق او الحلاقة او لزيارة الأصدقاء وتبادل الأحاديث، وتتجمهر النساء حول محال بيع الفضة ومحال بيع الذهب للبحث عن قطعة جميلة، ويقمن بالاستفسار عن السعر، كما يقلبن القطعة لمعاينتها قبل أن ينتقلن إلى محل آخر ليعدن العملية نفسها. ويطغى الأدب على المناخ العام للسوق إضافة إلى أن المساومة الطويلة غير موجودة، وفي الحقيقة تميل مسقط ومطرح لأن تكونا أسواقا ذات أسعار ثابته لا مجال فيهما للمساومة كغيرهما من الأسواق الشرقية ولكن ذلك لايعني أن باب المساومة موصد دائما.

وهناك عدد قليل من الحيوانات ماعدا الحمار الذي يشاهد في الشوارع العريضة وقرب سوق الخضروات كما لايتم إحضار الجمل إلى مسقط ومطرح أبداً . أما الزوار المحملون بمنتجات من الداخل ومن الباطنة قاصدين العودة بالسلع الاستهلاكية فإنهم يتركون مطاياهم في مواقف الجمال خارج المدينة ، وعلى كل حال فإن منظر الجمل أصبح الآن نادرا في المدن إذا أن انتشار السيارات كان سريعاً جداً.

لقد اعتاد التجار في المراكز التجارية بعمان ومنطقة الخليج عبر عصور متعددة أن يمتلكوا بساتين يلجأون إليها خلال أشهر الصيف ، وقد أصبحت منطقة السيب تقوم بسدّ هذه الحاجة لتجار مسقط ومطرح ، ولا يستطيع أحد أن يؤكد تاريخ نشوء هذه العادة ولكن من الأهمية بمكان أن نعرف أن هذه العادة كانت تمارس في مملكة هرمز التي كانت مسيطرة لفترة زمنية طويلة على ساحل عمان حتى مجيء البرتغاليين، وقد علق "ماركوبولو" على هذه العادة وكتب ما يلي : "يتجنب السكان العيش في المدن بسبب حرارة الصيف المرتفعة جداً حتى تكاد أن تقضي عليهم ، لذلك كانوا يخرجون

على امتداد السواحل البالغ طولها ١٠٠٠ ميل ، تغير شكل قوارب الصيد واختلفت من حيث قدراتها . وعلى الرغم من ذلك فإن للصيادين مهارات وخبرات عريقة بالبحر كجزء متمم لنمط حياتهم. إن اغلبهم لايزالون يقومون بالصيد قرب الشاطيء. وقد قامت عمان باتباع طرق علمية بشكل سريع لتطوير عمليات التحكم في صيد الاسماك من أعماق المحيطات.

للنوم في بساتينهم الريفية حيث تكثر الجداول والمياه الوفيرة. أما "دوراتي باربوسا" Barbosa Duarte البرتغالي الذي زار هرمز في عام ١٥١٨م (٩٢٤ هـ) فقد لاحظ أن تجار هذه الجزيرة والمدينة هم من الفرس والعرب ، ويمتلك هؤلاء النبلاء من كبار التجار بيوتاً ريفية في البر الرئيس حيث يستجمون فيها خلال أشهر الصيف". ومع الوقت نما عدد سكان السيب وتوسعت رقعتهم ورغم ذلك فإن هذه العادة قد استمرت ولم تتوقف.

وإذا كانت الأهمية التجارية لمسقط قد تقلبت من فترة لأخرى إلا أن أهمية الصيد البحري في ساحل الباطنة لم تضعف على الإطلاق. لقد كان السمك على الدوام جزءاً مهما من غذاء الناس ليس في مناطق الساحل فقط وإنما في الداخل أيضاً. وقد تضمن النمط التقليدي للتجارة الداخلية تبادل السمك مع المنتجات الزراعية للمزارعين المقيمين في الداخل، أما القوارب وتقنيات الشباك التي استخدمها الصيادون المحليون فقد تغيرت مع الزمن بعد أن منذ أوائل السبعينات تم تزويد القوارب الطويلة الرشيقة والمصنوعة من جذوع الأشجار بعد تجويفها والمسماة بالهواري بمحركات حديثة تعطي القارب قوة أكبر ، وفي الحقيقة فقد تمت إضافة أنواع جديدة من القوارب. وفي عام ١٩٧٥م كان لا يزال من المشاهد المألوفة رؤية أعداد لا حصر لها من قوارب الصيد في مسقط منتشرة فوق مياه البحر الساكنة وتشع منها مشاعل الليل التي يحملها الجميع لتبديد الظلام، أما سمك الصيد فيباع للاستهلاك المحلي كما يشكل بعضه جزءاً مهماً من صادرات البلاد في صورة جلد سمك القرش والسمك المجفف .

مزارعــو الباطنــة

تمتد على طول شاطئ الباطنة المزارع الغنية بالبلح لأكثر من مسافة ٢٠٠ ميل تقريبا بشكل متصل دون أن يعترضها أي عائق من مسقط وحتى خور فكان حيث تعترضها مرة أخرى سلسلة جبال الحجر الغربي، أما سكان هذه المنطقة فتجري في عروقهم دماء مختلطة ، وعلى مر القرون كان هناك تدفق بشري ملحوظ من الهند وافريقيا. وعلى الرغم من وجود آثار قنوات قديمة في سهل الباطنة اثر عليها سوء الاستخدام إلا أن الماء لا يزال يستخرج بواسطة المضخة الميكانيكية ، اما في الماضي فقد كانت هذه العملية تتم بواسطة نظام ربط دلو البئر بحبل يدور حول بكرة خشبية ويسحب بواسطة ثور أو حمار أو جمل يمشي عبر منحدر تم شقه لهذه الغاية.

أما المزارع هنا فخصبة وأنواع الرطب فيها تختلف عن تلك التي تزرع بالداخل، ولا يتم فيها زراعة بعض أنواع الفواكه التي تزرع في الجبال كالخوخ والمشمش وإنما تزرع أنواع أخرى فيها مثل اللوز الهندي والتين ، وهناك سهل واسع بين الأراضي المزروعة في الباطنة والجبال توفر الغذاء الجيد للجمال والماعز والحمير، وقد وصف "برترام توماس" في كتابه (أخطار ورحلات في بلاد العرب)



Alarms and Excursions in Arabia طبيعة ساحل الباطنة قائلاً: "أخذتني رحلتي مع السلطان إلى هذا الإقليم الكثيف السكان فكنا نسير على تلك الشواطىء الذهبية مارين عبر موانيء عربية صغيرة طالما ارتبطت باسم السندباد البحري وقرى صيد صغيرة يذهب رجالها ليغوصوا تحت البحر بحثاً عن لآليء ثمينة، وكنا أحياناً نعبر بساتين البلح الظليلة، وأحياناً أخرى نتجول في السهول الحارة لنشاهد مناظر خلابة تخطف الأبصار".

سكان المناطق الداخلية

تعتبرسلسلة جبال الحجر التي يقع فيها الجبل الأخضر بمثابة القلب في عمان ، وقد كانت كل مدينة من مدنها الكبيرة لفترة من الزمن عاصمة لعمان قبل أن تنقلها الأسرة الحاكمة الحالية من آل بوسعيد إلى مسقط في أواخر القرن الثامن عشر. أما المذهب الإباضي الذي قامت عليه الإمامة العمانية والذي يقتصر على عمان وشمال غرب أفريقيا فتمتد جذوره إلى الأعماق في هذا المكان.

وقد تطورت مدن المناطق الداخلية وقراها كمثيلاتها منذ عام ١٩٧٠م. أما الحياة اليومية للرجال والنساء والأطفال فقد شهدت تطوراً في كل مناحي الحياة تقريباً خاصة بعد توفير الخدمات الصحية والتعليمية ومد شبكة للمياه والكهرباء في المناطق الريفية. أما مغادرة رجال المناطق الداخلية لمنازلهم للبحث عن فرص عمل في مكان آخر فليس جديداً إلا أن الأمر قد اختلف الآن عما كان عليه في العقود التي سبقت عام ١٩٧٠م ، إذ يسعى الناس إلى مناطق بعيدة عن منازلهم ولكن لا يتعدى ذلك في معظم الأحيان حدود بلادهم ، ويعود الفضل في ذلك إلى عملية التنمية في الاقتصاد الحديث. وقد وجد معظم الشباب وظائف في الجيش وسلاح البحرية وسلاح الجو والشرطة أو في القطاع الخاص ، أما في إجازات نهاية الأسبوع فيعود معظمهم إلى مناطقهم التي جاءوا منها.

لقد تزايد عدد المباني الحديثة والبيوت في كل مكان علماً أن وسط المدن والقرى القديمة التي تبدو كما كانت في السابق لا يزال محتفظاً بمزاياه دون أن تمتد له يد التغيير. لقد كانت عمان السبعينات أكثر بساطة ، أما الوصف المذكور أدناه حول كيفية الأشياء في

الصورة أعلاه تذكر بعمان السبعينات عندما كانت عمليات الصيد تتم تحت أسوار قلعة الجلالي ، كما كانت السفن في ذلك الحين تنقل الركاب والسلع ليلاً بين مسقط وصور. لقد حلت الآن الحافلات السريعة محل تلك السفن.

ذلك الحين فلا يزال ينطبق على المناطق الداخلية بدرجات متفاوته على الرغم من هيمنة مشاريع التنمية الحديثة والتكنولوجيا العصرية.

المشاهد في السبعينات

يشاهد في أسواق المناطق الداخلية التجار العمانيون بوجوههم الوقورة وهم جالسون خارج محلاتهم على الكراسي أو القرفصاء كما كان يفعل أسلافهم دائماً. وفي محلات صياغة الفضيات تشاهد المصابيح النارية المخصصة لعملية الأنصهار وهي تتوهج كما يحدث ارتباك في كل المحل بسبب تعدد أغراض الصياغة. أما الخناجر والبنادق المزينه وغيرها من الحلي من الخطاف والقضيب فتشاهد معروضة بشكل معتدل بينما تعرض الأدوات الأكثر حداثة في صندوق زجاجي صغير.

وتتنوع تجارة المحلات الأخرى ، إذ يعرض بائع ما أواني الطبخ ومنتجات الصناعة التقليدية من النحاس والألومنيوم والمواد المطلية المستوردة، كما يشاهد صانع البنادق مشغولاً بآلاته التي انتهى استخدامها منذ فترة طويلة في أوربا بصنع الفتيل وبنادق "مارتيني هنري" Martini Henrys ، أما محلات البهار فتعرض أكواما من حب الهال والفلفل وجوز الطيب والبازلاء المجففة وغيرها من المنتجات التي تم تجفيفها والتي تضفي على السوق رائحة مميزة، أما بائع السمك فيشاهد وهو يمسك قطعا منه وقد تلطخت بالدم بعد أن تم إخراج السمك من الماء وهو اليوم طازج غير ما كان عليه حينما كان يتم نقله بواسطة الجمل.

أما صانع الحلوى فلديه أوعية كبيرة يسخن فيها ذلك السائل اللزج المميز الذي يعتبر جزءاً من الحياة العمانية، وقد يعرض محل آخر نوعاً من السكر المحلي البني اللون وأكياساً من الأرز بينما تجد القهوة والخضار المجففة في محلات أخرى ، أما الغطاء المنسوج للجمل والحصان والحمار فيباع في بعض المحلات بالإضافة إلى عدل الخرج والبسط وغيرها من الأشياء الصوفية اللازمة للخيمة أو البيت. ويقوم باعة الفواكه بعرض فاكهتهم من البرتقال والليمون والبلح والموز بالإضافة إلى المشمش والدراق (الخوخ) في مواسمها. أما العلف ذو الخضرة اليانعة فيباع دائماً طعاماً للحيوانات. وفي نزوى يقام مزاد لبيع الحيوانات تحت شجرة عظيمة متصلة بالسوق حيث تقاد



يجد هذا المزارع الذي يعيش في المنطقة الداخلية أن الحراثة بواسطة الثور عملية لايمكن الاستغناء عنها بينما يحصل جيرانه المزارعون على جرارات زراعية حديثة.

الأبقار والأغنام والخراف إلى الساحة المخصصة للبيع بينما يقوم المسؤول عن المزاد بالمناداة معلناً تفاوت الأسعار. وبالقرب من ذلك المكان توجد المنطقة التي تربط فيها الجمال بينما يزور أصحابها السوق، وطوال الوقت تجد أناسا غادين ورائحين ممتطين حيواناتهم. (لقد حلت السيارة والشاحنة بشكل سريع محل الوسائل التقليدية للنقل). أما صناعات هذه المنطقة فتشمل الملابس والفخار والحلوى. ويعيش سكان المناطق الداخلية على الزراعة وعلى مزارع النخيل وأشجار الفواكه، ويتم ري المزارع بواسطة سحب المياه من مستوى الماء في باطن الأرض وتوجيهه عبر قنوات خاصة حتى يصل إلى الأرض الزراعية. (تزرع مناطق شاسعة باتباع هذا الاسلوب رغم أن النظر إلى عمان من الطائرة يعطي انطباعاً مفاده ان الارض الزراعية كانت في يوم ما أكبر بكثير مما هي عليه الآن). حقاً لقد وصفت عمان ذات مرة بأنها ارض تفيض بالحقول والغابات المليئة بالاعشاب وعيون المياه التي لا تنفذ ، وتحتوي المزارع بصورة رئيسة على أشجار النخيل التي يقال إنها أكثر من مئة صنف، كما تتم فيها زراعة ثمار المانجو والرمان والدراق (الخوخ) والمشمش والعنب والحمضيات والبرسيم والقمح والتبغ.

ولكل مدينة من مدن المناطق الداخلية شخصيتها المميزة إلا ان منطقة السوق في كل منها تتشابه مع غيرها تشابهاً كبيراً. إن هناك طابعاً عمانياً مميزاً للسوق شبيهاً بالطابع اليمني، وفي معظم الأماكن تكون منطقة السوق عادة مسورة بالجدران التي تتم حراستها أثناء الليل، ويكون موقع السوق في العادة قريباً من القلعة التي تعتبر مركز الدفاع والسلطة، أما الشوارع فضيقة بينما تكون المحلات على شكل صفوف وهي مربعة الشكل تؤدي مباشرة إلى الشارع وعادة ما تكون على منصة مرتفعة، ويتم إغلاق المحل باكمله أثناء الليل حيث لا توجد واجهات زجاجية وبالتالي يستطيع كل مالك ان يحمي محله بواسطة قفل بسيط بينما تكون بعض المحلات الأخرى مغطاة تماماً ، وهناك محلات ذات شرفات واسعة تبرز من المحل نفسه أما البناء فيختلف من مكان لآخر، وغالباً ما تكون المحلات مبنية من الطوب الطيني.

لقد استحوذت المدن العمانية الصغيرة في النمطقة الداخلية على تفكير "إيان سكيت" Ian Skeet في كتابه "مسقط وعُمان" حيث يصف كيف أن الغافات تقع في منطقة ملتوية في الجبال حيث يبرز جبل كور من الزاوية اليمنى للسلسلة الرئيسة تقريباً ، وهي معلم ضخم للمكان ومن أكبر المعالم إثارة في العالم. ويميل الجيولوجيون إلى الجدال حول ما إذا كانت هذه الجبال قد ظهرت من باطن الأرض في العصور الجيولوجية الاولى أم أنها قد برزت من البحر. والغافات وهي عاصمة بني



هناه ، عبارة عن سلسلة ممتدة من مزارع البلح بأفلاجها التي تنساب بينها ، وفي الوسط هناك مجموعة منظمة من البيوت الطينية المكونة من طابقين أو ثلاثة توحي بالمتانة والرخاء .

كما يشير الكاتب الى حمراء العبريين التي تقع بالقرب من الغافات في الجانب الجنوبي من الجبل ويعتبرها من أكثر المدن العمانية جاذبية حيث يقول: "وهناك طريق يحيط بالمزارع وبجانبه الفلج ، بينما المزارع كلها في مستوى منخفض قليلاً ، حيث تحتاج إلى أن تخطو درجتين إلى الأسفل لكي تصل اليها ، وعلى الجوانب تجد طرقاً ضيقة حسنة التنظيم. كما أن المزارع منسقة بشكل منظم على الجانبين وهي ذات أشكال هندسية ومنظمة تعلو فوقها الجدران وأشجار الليمون والبلح المنتشر كالالعاب النارية في السماء والبرسيم المخضوضر الذي لا يخلو منه مكان ويعتبر الغذاء العالمي للحيوانات في عمان. أما في وسط المدينة فتجد البيوت الطينية المرتفعة والجميلة بنوافذها الخشبية التي تنشر ظلالاً ثابتة. وهناك سلسلة عريضة من الدرجات التي تقودك من مكان يشبه الميدان إلى مكان مرتفع من المدينة. أما مجلس الشيخ فهو عبارة عن غرفة طويلة ضيقة (مع آيات من القرآن الكريم منقوشة على الجدران والأسقف)، فتطل النوافذ مباشرة على بستان من أشجار الليمون ، ومع تدفق الماء من الأفلاج في الأسفل وزقزقة العصافير على الأشجار يزول كل ما علق في ذهنك عن حقائق الصحراء ، ثم تعاود التركيز والنظر في غرفة مليئة بالرجال العمانيين الملتحين الممسكين ببنادقهم وعصي جمالهم فلا تلبث أحلامك ان تتبدد . وخلف الحمراء ترتفع الجبال عن أسطح المنازل وحتى الزاوية المنحرفة ذات الشكل الغريب في تلك السلسلة الجبلية باتجاه أعلى قمة يصل ارتفاعها الى ١٠,٠٠٠ قدم تقريباً" .

وفي مثل هذه المجتمعات يتم توزيع العمل بين الرجال والنساء والاطفال ، ويتضمن دور الرجل المشاركة في أعمال الأسرة والمجتمع، والذهاب إلى المسجد، والإشراف على زراعة النخيل أو العمل في هذه المهنة أو ازدادت فرص المرأة للعمل ، لكن دورها كزوجة وأم وانثى يبقى هو الدور الاهم.

في الحقول والحراثة بواسطة استخدام الثور ، أو امتلاك محل وحمل الإنتاج إلى السوق ، وزيارة الأماكن المجاورة للتجارة ، أو التسوق والتجمع مع الآخرين عند استدعاء الشيخ لهم وبناء البيوت ، وحفر الآبار وشق الفلج أو صيانته ، وصيد الطيور والألعاب وممارسة الرماية ، وكثير منهم يتمتعون بالتصويب على الأهداف بصورة ممتازة ، والحياكة وصناعة الملابس وسياسة الخيل وركوبها واستخدام حمار الأسرة.

أما الصغار ذكوراً وإناثاً يلتحق الأطفال بالمدارس بدءاً من عمر ٦ سنوات على الأقل – فقد يرعون الماعز والخراف والطيور الداجنة التي تعتبر النساء مشاركات تقليديات في العناية بها. أما الأولاد الأصغر سناً فيبقون مع الأم ويشاركون في الأنشطة التي تقوم بها في البيت حتى يصل عمرهم الى ٨ سنوات وبعدها ينخرطون أكثر فأكثر في أنشطة الذكور.

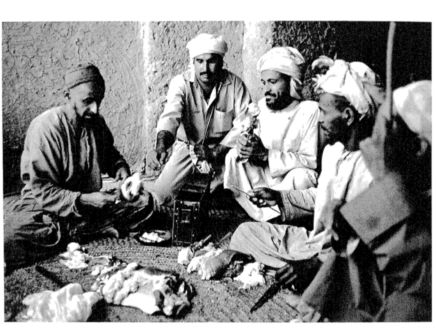
أما تقسيم العمل بين البدو فيكون مختلفاً إلى حد ما حيث يرعى الرجال عادة الجمال وغيرها من الحيوانات كما يقومون بتحضير القهوة خاصة عندما يكونون مرتحلين ، وحتى في مناطق استقرار البدو هناك رعاة للقطعان الكبيرة من الماعز كما تسمع نداءهم وأصواتهم المميزة وهم يحثون الماعز على الحركة وهي أصوات تصدر صدىً غريباً حول التلال.

الحياة في عمان الداخل

إن وصف وادي بني خالد يعطي بعض الانطباع عن الحياة في عُمان الداخل ، فاسماء الأماكن العمانية تخبرنا عن عهود قديمة زاهرة ، وكما اقترح "بيرترام توماس" في كتابه (أخطار ورحلات في بلاد العرب) Alarms and Excursions in Arabia فقد يكون إسم الوادي دالاً على ترابط قديم غابر مع الكلدانيين. إن وادي بني خالد من أفضل الأودية في عمان من حيث وفرة المياه أو على الأقل يوجد في مناطقه العلوية نبع دائم ينبعث من نهر يجري في باطن الأرض ، كما أن جريانه قوي جداً حتى ليشاع بين الناس المحليين أن الوادي يأتي من البصرة في العراق. أما في مناطقه السفلى فيجري تحت باطن الأرض حتى الكامل والوافي وغيرهما من مناطق جعلان في بلاد بني بو حسن وبلاد بني بوعلي.

ما أشد اخضرار هذا الوادي ! إن الجبال تعلو فوقه وهي جرداء موحشة رائعة في شكلها الخارجي ذي اللون البني والبنفسجي ، أما في قاعدة الوادي نفسه فهناك برك كبيرة ومساحات عريضة من طحالب الماء الخضراء مع لفائف عظيمة من نباتات الدُفلى ذات الأزهار الوردية، وأشجار طويلة من مختلف الأنواع، كالحلف (الصفصاف) ، وشجر السنط بزهوره الصفراء الشبيهة بالسلم وغيرها من الأشجار الشوكية في المنطقة العربية بالإضافة إلى النخيل في البساتين التي تخضع للعناية .

أما الناس فلهم خصائص سكان المناطق الجبلية في العالم كله. وفي إجازات العيد يقومون بالاحتفال فينزلون رجالاً ونساءً من قراهم في أعلى الوادي وهم يرتدون ملابس العيد ليؤدوا رقصات العيد التقليدية، كما يأتي بعضهم مشياً على الأقدام وبعضهم الآخر على الحمير بأجراسها التي ينبعث منها رنين بهيج. أما الرجال



كما هو الحال عند أصحاب الثقافات السلتية القديمة في الغرب ، عرف العمانيون منذ القدم الجلسات الدائرية التي تعد جزءا من طبيعة تكوينهم الاجتماعي. في الأسواق (أعلى) يلتقي الرجال ليشتركوا في تناول المشاكيك (الكباب) الذي هو عباره عن لحم يشك على أسياخ حاده ، ثم يشوى بالنار. (أسفل) على الرغم من توفر أجهزة التكييف اليوم لا تزال مدرسة القرآن التي يتم فيها تدريس الطلاب تحت ظلال الأشجار واحدة من مظاهر التعليم الأولى في عمان.



تقوم المرأة منذ القدم بأعمال كثيرة في الحقول وتشاهد هذه المرأة هنا وهي تحصد محصول القمح كما كان الحال في السبعينات.





في ملابسهم البيضاء المشرقة فيتمنطقون الخناجر الفضية، والأحزمة وقطعاً أخرى من أدوات الزينة الفضية، كما يحملون البنادق وخاصة بنادق "مارتيني هنري" وعلى رؤوسهم العمائم الكشميرية ذات الألوان البرتقالية والحمراء والبنفسجية المشرقة التي تلفت الأنظار بتعارضها مع الخلفية البنية للصخور. أما النساء والبنات فيرتدين ملابس ذات ألوان مشرقة تخاط حوافها بخيوط فضية مزركشة، وأما رؤوسهن فمغطاة بقماش شبيه بذلك المنتشر في المشرق ولكنهن غير مبرقعات. ويتبادل الرجال تحية العيد بصورة صادقة فيقدمون عبارات التهنئة مثل "السلام عليكم" ، "عيد مبارك" ، " بارك الله لكم في عيدكم" وغيرها بالإضافة إلى التحية التقليدية عند الوداع " في حفظ الله". وتستطيع سماع الناس وهم يقرعون الطبول للرقص ويغنون بطرب بأعلى صوتهم مما يعطي صدى متناسقاً مع أصوات الجبل والطبول وأصوات الناس والأجراس التي تختلط ببعضها، أما البنادق القديمة فلها أيضاً دورها الذي تقوم به في أوقات الأعياد.

العادات والتقاليد وكرم الضيافة

لقد سارت عجلة التطور في عمان بصورة سريعة في العقود الأخيرة من القرن العشرين شأنها في ذلك شأن بقية دول العالم، وقد غير هذا التطور الاجتماعي والمادي بدرجات متفاوتة نسق العادات وطرق ممارستها ، ولكن حياة العماني العصري تقوم على تقاليد وممارسات ضاربة في القدم في تاريخ عمان مما يشجع على دراستها واستقصاء جوانبها. إن الأخلاق الحميدة والإنسانية كانت دائماً سمة مميزة لعمان مما حدا بالعديد من الرحالة عبر العصور للكتابة عنها ، فمثلاً كتب "الكسندر هاملتون" Alexander Hamilton قائد المركب التجاري الإسكتلندي الذي كان يمارس أعمال التجارة مع جزر الهند الشرقية والذي أبحر إلى مسقط في عام ١٧٢١م (نفس العام الذي سبق وفاته عن عمر يناهز ١٣٥) قائلا إن "عرب مسقط متميزون بتواضعهم وتحضرهم" ثم يروى انه كان يمشي في أحد الأيام في الشوارع عندما قابل بالمصادفة والي المدينة. ويضيف قائلاً: "وطبقاً للواجب ولأنني غريب توجهت إلى باب المحل لأفسح له ولحراسه الطريق التي تعتبر ضيقة بصفة عامة ولكنه بعد أن لاحظ لون بشرتي وملابسي طلب من حراسه التجمع في جانب واحد وأومأ إلي بالتقدم ووقف هو حتى مررت به". ويستمر "هاملتون" في مقارنة معاملة الأسرى لدى كل من العمانيين والبرتغاليين في عام ١٦٥٠م قائلاً: "يستغل البرتغاليون أسراهم بوحشية كبيرة حيث يأمرونهم بالعمل المضني ويعودونهم على التقيد بالأوامر عن طريق استخدام السوط ، أما العرب فيعاملون أسراهم بطريقة إنسانية عظيمة ويعتبرونهم سجناء من غير إجبارهم على العمل الشاق كما يمنحونهم مالاً لشراء الغذاء تماماً كما يمنحون جنودهم".

ولا تزال الأخلاق الحميدة الأصيلة باقية بين العمانيين رغم الظروف والأحوال المختلفة ، وفي الماضي كانت هذه الأخلاق الحميدة متمثلة بوضوح في البساطة والوجاهة والأدب الذي كان يتسم به الصبية الصغار في مجالس آبائهم في بيوتهم. أما كرم الضيافة فهو شيء آخر، اذ يشعر كل عُماني أن من الواجب عليه أن يدعو الغريب لتناول القهوة على الأقل معه. وفي واقع الأمر تعتبر الضيافة واجباً مقدساً حتى أن أشد البدو فقراً يتقاسم وجبته البسيطة مع الغريب كما يصف "ولفرد ثيسيجر" Wilfred Thesiger في كتابه "الرمال العربية" Arabian Sands (١٩٥٩م) كيف أنه عندما مرّ ببعض الخيام في الصحراء العمانية إذا برجل يخرج صائحاً " قف! قف !... لماذا تمر من أمام خيمتي ؟ تفضل، سأقدم لك السمن واللحم " ثم أخذ زمام ناقتي وقادها نحو الخيام... كانت الخيام صغيرة أقل من ثلاث ياردات طولاً وأربعة أقدام ارتفاعاً كما امتلأ نصفها بأسرجة الخيل وغيرها من المعدات وكانت هناك إمرأة عجوز وأخرى شابة وثلاثة أطفال يشاهدوننا ونحن نقوم بإنزال الأمتعة.. ثم قاموا بذبح جمل صغير خلف الخيام "

وهناك مثال آخر يدل على الكرم العماني وهو ما قام به رجل كهل عندما وصلت ثلة من الجند إلى قريته بهدف القبض عليه ، ولم يكن الرجل ليسلم نفسه حتى

حبوب القمح والذرة ، تنمو أحيانا أسفل أشجار النخيل التي تنتج - إضافة إلى البلح - سعفاً يستخدم في بناء البيوت وفي صنع قوارب الشاشة.

كل قبيلة في عمان - مهما كان عدد أفرادها - تفتخر بحفاظها على تقاليدها.

قبـائل شـمال عمـان

"يقدم القهوة لآسريه ولكن فور قيامه بذلك سلم نفسه طوعاً.

أما آداب الحديث التقليدية التي يتبادلها العمانيون فهي عميقة الجذور في التقاليد الإسلامية. إن كل العبارات المستخدمة تقريباً تذكر كلمة الله تعالى مثلما هو سائد في التقليد الأوروبي. أما العبارة التي تحتمل حدوث فعل في المستقبل فتسبق بعبارة "إن شاء الله" ومثلها: "الحمد لله" التي تستخدم مرتبطة بكل الظروف الحاضرة أو في العفو عما سلف . ومن الآداب السائدة خارج المدن الكبيرة تحية الغرباء وغالباً ما يرفع الناس صوتهم عندما يحيي بعضهم بعضاً لمسافات بعيدة في الصحراء أو الجبال، وتعكس التحية المشاعر والاحترام بصورة أكبر مما هي عليه في الغرب . أما آداب الحديث فهي متعددة ويكتنفها التفصيل كما يشوبها التكرار في القول، وفي الواقع فإن هناك درجة من التكرار ضرورية أثناء الحديث ، وقد يقضي شخصان وقتاً غير قليل في الإصرار بلطف على أن يبدأ الشخص الآخر بشرب القهوة أو أن يبدأ بالطعام والمشي عبر الباب وذلك باستخدام كلمة "تفضل".

الطعـــام

تتكون العناصر الرئيسة للغذاء العماني من التمر والأرز والسمك واللحم والكعك المصنوع من القمح، والفواكه



مثل : الموز، والحمضيات والمانجو. وعادة ما تبدأ الأسرة يومها بتناول الرطب والقهوة. وقد يتكون الفطور من الخبز واللبن الحامض أو الروب أو ربما مرق الخضار، وتؤكل رقائق الخبز الرقيقة المصنوعة من القمح مع الزبدة و العسل وأحياناً يوضع البيض على الخبز السميك الدائري أو الخبز الرقيق ، أما الوجبة الأساسية اليومية التي يتم تناولها في منتصف النهار فهي الأرز مع السمك أو اللحم أو الدجاج بالمرق. أما وجبة العشاء فخفيفة وشبيهة بوجبة الفطور، كما يتم تناول القهوة التي يضاف اليها حب الهال، بينما يتم تناول التمر في أي وقت من النهار وكذلك الحلوى – الحلاوة العمانية المميزة – التي تصنع بصورة تقليدية في الصباح الباكر وتتكون من السمن والنشاء والسكر الأسمر وحب الهال والعسل ويمكن تقديمها أيضاً للضيوف.

من النادر ان تجد عمانيا لا يجد متسعا من الوقت لاستضافة الغرباء، والذي غالبا ما يتمثل بفنجان من القهوة وتبادل الأخبار.



أما إذا طرق طارق بيت عماني فيتم إدخال الرجال إلى المجلس المخصص لهم بينما يتم إدخال النساء الى الأماكن المخصصة للحريم، ويقوم المضيف دائما بتقديم واجب الضيافة الذي لايقتصر على فنجان أو اثنين من القهوة بل يتعداه الى تقديم وجبة كبيرة نسبياً.

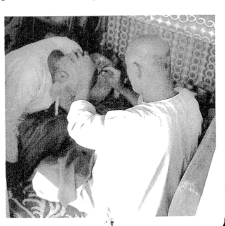
وقد يشمل ذلك أيضاً تقديم الشاي والفواكه والمشروبات الغازية والخبز المصنوع من القمح وطبق خفيف من اللحم والبسكويت والحلوى، وقد تكون الوجبة المقدمه للضيف عامرة أكثر من ذلك إذ قد تشتمل على القوزي وهو ماعز أو خروف محمّر يقدم على الأرز، بالاضافة الى أطباق جانبية من المرق واللحم والخضروات وربما لحم الضأن أو الماعز، كما أنه من المعتاد شرب ما يقرب من ثلاثة فناجين من القهوة قبل مغادرة المنزل ، ويستمر المضيف او خادمه بملء الفنجانين الصغيرة حتى يقوم الضيف بهز الفنجان دلالة على أنه قد نال كفايته من القهوة.

لقد كان رش ماء الورد على يدي الضيف ورأسه وحمل البخور والدوران به في مبخرة مصنوعة من الفضة أو الطين عادة متبعة على الرغم من تلاشيها تدريجياً. وفي هذا اشارة إلى إنتهاء الزيارة وهنا يسري المثل القائل: "لا قعود بعد العود".

الملابـس

تحدث "جيمس سيلك باكنجهام" James Silk Buckingham الصحفي والرحالة المشهور الذي زار مسقط عام ١٨١٦م بإعجاب عن بساطة ملابس الناس وعن "تساوي قيمة ملابس كل من الأثرياء والطبقات الاقل ثراء " .

والرجل العماني الذي يمثل المدرسة القديمة في المنطقة الداخلية له لحية طويلة كما يرتدي عمامة من قماش أبيض زاه ودشداشة لها ربطة صغيرة مميزة عند الرقبة ، كما يرتدي حزاماً حول خصره ويكون مصنوعاً في غالب الأحيان من خيط فضي لحمل الخنجر العماني المزين بالفضة في الغالب ، كما قد يحمل بعض الرجال علبة صغيرة فضية للكحل الذي يستخدمه كل من الرجال والنساء على السواء إضافة إلى علبة ملاقط فضية على

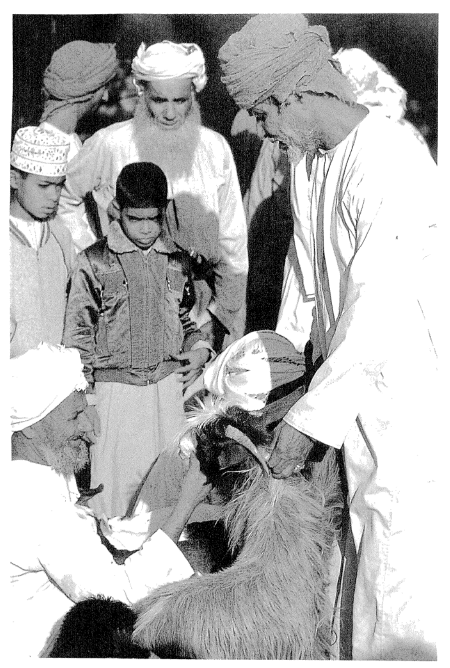


بسبب شمس الصيف اللاهبة فإن قص الشعر بكامله هو النوع المفضل من الحلاقة (اسفل). ما يعتمره المرء في عمان من غطاء للرأس قد يدلك على المنطقة التي ينتمي اليها. كالملابس الصورية،هذا مثلا (يمين).

شكل أنبوب لأخذ الحيطة في أرض تكثر فيها الأشواك المتساقطة من الأشجار. أما اللباس الداخلي المعتاد فهو الوزرة أو "اللنجي" وغالباً ما يكون زاهي الألوان يلف حول الجسم ويقوم مقام الزي النهاري الوحيد الذي يرتدية الرجال أثناء عملهم تحت الشمس المحرقة.

وغالباً ما يرتدي الرجل العماني فوق دشداشته البيضاء بشتاً وهو عبارة عن عباءة قد تكون سوداء أو صفراء أو بلون القهوة الفاتح أو الأبيض السكري وتكون حوافها مشغولة من الخيوط الذهبية . كما ينتعل خفاً مصنوعاً من الجلد في قدميه. أما غطاء الرأس فمختلف : إذ بينما يرتدي رجال الداخلية عمامة من قماش أبيض يرتدي سكان الساحل في معظم الأوقات طاقية أو ما يسمى بالكمّة . ولكن بعض الناس سواء في الداخلية أو في مناطق الساحل قد يرتدون عمائم مصنوعة من صوف الكشمير أو من أصناف أخرى تبعاً للمكانة الاجتماعية ومستوى الثراء. كما يقوم البدو في غالب الأحيان بارتداء عمائم كشميرية ذات ألوان زاهية كاللون البرتقالي أو البنفسجي أو الأصفر أو الأخضر وهي ألوان مقابلة للمناظر الطبيعية بصورة بديعة ، كما يقوم الناس بارتداء اللباس العماني التقليدي في المناسبات الرسمية سواء في داخل الوطن أو خارجه. وقد ساعد الزي العماني المميز سفراء عمان في عواصم كثيرة من العالم على ترك بصمات واضحة في كثير من القضايا والأمور . أما لباس النساء العمانيات فيختلف الى حد ما من مكان لآخر. إن كل النساء يقمن بتغطية رؤوسهن بغطاء على شكل معين ، وقد كان ارتداء الخمار أو العباءة السوداء المصنوعة من قماش جيد تقليداً شائعاً في المدن ، كما أن هناك على سبيل المثال مناطق من الباطنة وظفار وبين قبائل البدو ترتدي النساء فيها البرقع الذي يأخذ أحياناً شكلاً متقناً ويغطي أنوفهن مضفياً عليهن مظهراً شبيهاً بالطيور ، وترتدي بعض نساء البدو رداءً طويلاً أسود اللون مع برقع أسود أيضاً له فتحتان صغيرتان للعينين فقط ، أما في عمان الوسط فلا ترتدي النساء الخمار بشكل عام وإنما يبدأ ارتداؤه مع سن البلوغ. ومما يزيد من جاذبية الخمار إن النساء يمسكن خمار الرأس (اللحاف) بأسنانهن ويظهرن عيناً واحدة فقط.

وبصفة عامة فإن ملابس النساء في عمان أكثر ألواناً منها في أي مكان آخر في شرق الجزيرة العربية وحتى كردستان شمالاً . وفي الحقيقة فإن النساء غالباً ما يرتدين الألوان الصارخة. إن نمط الملابس السائدة هو ارتداء ثوب طويل بأكمام طويلة يلبس فوق السروال الذي يكون في العادة ضيقاً حول الكاحل ، كما ترتدي نساء الباطنة اللحاف الذي يصل إلى الأرض من الخلف ، أما الألوان الشائعة هناك فهي البنفسجي والأسود ويتم تفصيل الثوب من نفس القماش ، أما نساء الداخلية في مناطق كنزوى وسمائل وإزكي فيرتدين ملابس مشابهة على الرغم من أن الألوان قد تكون أكثر إشراقا عما هي عليه في الساحل حيث يسود البرتقالي والاصفر والأخضر ، وهناك لباس خارجي إضافي يتكون من قطعتين كبيرتين من القطن وتخاط الواحدة منها بالاخرى ويسمى "ليسو" حيث يتم ارتداؤه في هذه المناطق ، أما في المناطق الشرقية وصور فترتدي النساء لباساً يسمى "شادر طرحه" وهو شال يتكون من قطعتين من القماش متصلتين بشريط زينة



التفحص الدقيق للحيوانات المعروضة للبيع هو الذي يجعل المساومات مربحة في سوق بيع المواشي.



الولادة والبلوغ والوفاة

على الرغم من أنه حتى يومنا هذا تكون الفرحة بمولود ذكر أعظم من الفرحة بميلاد أنثى إلا أنه لم يعد هناك صدمة أو غضب لولادتها كما كان الحال في الماضي في أجزاء أخرى من العالم العربي (تعود جذور عادة وأد البنات الى فترة ما قبل الإسلام في بعض مناطق الجزيرة العربية وهي عادة حرمها الإسلام تحريما قاطعا). وفي الوقت الحاضر تزايد عدد الولادات في المستشفيات حيث كانت الولادة حتى وقت قريب تتم على يد قابلة محلية عادة ما تكون إمرأة كبيرة السن. وبعد الولادة يتم دهن الطفل بالكحل والرماد أو بكليهم ، ويستخدم الملح في شفاء جروح المرأة أو في الوقاية على الرغم من آثاره الجانبية الضارة. ويتم ختان الأولاد إما عند بلوغهم ١٥ يوماً أو ست سنوات تقريباً. وليست هناك طقوس معينة عند البلوغ في الشمال ولكن قد يكون هناك إحتفال بهذه المناسبة وقد يرافقه الرقص. أما في جبال ظفار فقد تواكب ختان الصبي عند سن الخامسة عشرة إحتفالات كبيرة وقد وصف "برترام توماس" هذه الإحتفالات وصفاً تصويرياً في كتابه "الصحراء العربية" Arabia Deserta الذي كتبه في الثلاثينات فقال:

"وتجتمع أعداد غفيرة من الرجال والنساء حول مساحة مكشوفة وواسعة حيث يجلس صبي في الخامسة عشرة من عمره على صخره في الوسط يحمل في يده سيفاً قد ثلّم حده كي لايقطع ثم يرميه في الهواء ويمسكه مرة أخرى فور سقوطه ماسكاً بكفه النصل المسلول، وإلى جانبه يجلس المطهر (وعادة ما يكون شيخاً أو رجلاً من عائلة كبيرة) وتقف خلفه فتاة بكر سافرة قد تكون إبنة عم الصبي أو أخته تمسك هي الأخرى بسيف في يدها وترفع سيفها وتهوي به مهتزاً براحة يدها اليسرى. أما الساحة فتكون مهيأة عند ذلك حيث يجلس الصبي ماداً ذراعه اليسرى جاعلاً راحة يده للأعلى في هيئة المستغيث منتظراً العملية الجراحية . وحال انتهاء هذه العملية يتوجب عليه أن يقوم فورا وأن يمشي وهو ينزف حول الجمع رافعاً سيفه ثم يهوي به كما لو انه لايعير الالم شيئاً من اهتمامه وتنتهي الطقوس بالغناء والجري وإطلاق الأعيرة النارية".

أما النساء فكن يقمن بحل الأزرار العليا من أثوابهن



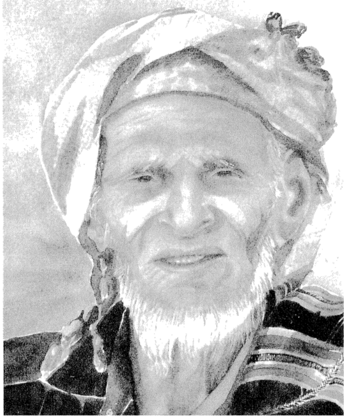
شكل غطاء الرأس التقليدي الذي يلبسه الرجال (المصر) يختلف لونه من منطقة لأخرى ، ومن شخص لآخر ، ومن زمن لآخر ، ومن مناسبة لمناسبة أخرى – كما يبدو الراعي الظفاري (أعلى اليسار) ، وقروي من شمالي عمان(أعلى اليمين). من اليسار إلى اليمين : عسكري كبير السن من قريات ، رجل كبير من الرستاق، ورجل من قبائل آل وهيبة.

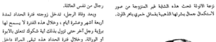


كعلامة على تعرية صدورهن. وأما ختان الذكور والإناث في ظفار فشبيه بتلك العادات المصرية القديمة .

أما شكل الشعر فله أيضاً مدلول جنسي قديم إذ أن الصبية في ظفار يعقصون شعورهم مثل الإله المصري هوراس حيث يتم فرق الشعر على أحد الجانبين. ولكن بعد عملية الختان يسمح للشعر أن ينمو بشكل طبيعي. وفي حالات الوفاة فإن جثمان المتوفى يغسل بعناية حيث أن الغسل جزء هام جداً من الشعائر الدينية للأحياء والأموات على حد سواء، كما يتم رش الحنوط خاصة على الجسم وبين أصابع اليدين والقدمين لتفوح رائحة مثل رائحة الليلك والكافور وهو مسحوق جاف أبيض له رائحة عطرية زكية ، بعد ذلك تغلق فتحات الجثمان بالقطن، ويلف بعدها في قطعة جديدة من القماش الابيض. أما الفترة الزمنية بين ساعة الموت وعملية الدفن فقصيرة جداً، حيث يتم الدفن في نفس يوم الوفاة إلا إذا حدثت الوفاة أثناء الليل، ويتم الدفن عادةً أثناء النهار ، أما النعش الذي يوضع فيه جثمان الميت فيحمله إلى القبر







نزعة الانوثة تحث هذه الشابة غير المتزوجة من صور لاستكمال جمال بشرتها الذهبية بقماش خمري باهر اللون.

رجال من نفس العائلة.

وبعد وفاة الرجل، تدخل زوجته فترة الحداد لمدة اربعة اشهر وعشرة ايام ، وخلال هذه الفترة لا يسمح لها برؤية رجل آخر حتى تزول بذلك اية شكوك تتعلق بالأبوة او الوراثة. وخلال فترة الحداد هذه تبقى المرأة داخل البيت ولاترى إلا افراد العائلة المقربين كما تقوم بارتداء ملابس قديمة وليس بالضرورة ان تكون هذه الملابس سوداء. ولاتفعل شيئا سوى قضاء حاجتها إذ انها لا تتزين في شعرها ووجهها ولا تلبس المجوهرات. اما الليلة التي تسبق خروج الأرملة من فترة الحداد فتقام فيها مناسبة للاغتسال ليتسنى لها بعد ذلك استقبال الزوار.

الـزواج

إن عملية الزواج وإنشاء اسرة من الأمور التي يحث عليها الإسلام بشدة ، وعلى الرغم من اعتبار الزواج عقداً مدنياً في الشريعة الإسلامية إلا ان تحليل وإمكانية إنهاء الزواج الإسلامي تتم بقول الزوج لزوجته: "انت طالق" ثلاث مرات مما خلق انطباعاً بأن الطلاق امر سهل وشائع في الإسلام. وفي الحقيقة فإن الطلاق ليس شائعاً وهناك عديد من الأزواج العمانيين مقترن كل منهم بزوجة واحدة على الرغم من انه قد شرع للرجل الزواج من أربع في وقت واحد. وعلى كل حال فقد كان هذا مقصوراً في العادة على الاغنياء ، ومع ذلك فقد كان على الرجل القيام بمهمة صعبة إن هو أراد ان يتبع ما أمر به رسول الله صلى

غطاء الرأس البرتقالي (اسفل) من الكشمير المحلي والحرير لخفته.





الله عليه وسلم من حيث ضرورة المساواة بين الزوجات في كل الأمور ، كما ان عقوبات الطلاق هي في حد ذاتها تشكل رادعاً حيث يجب على الزوج ان يدفع لمطلقته نفقة شرعية كما قد تنشأ صعوبات تتعلق برعاية الأطفال، وبالإضافة إلى ذلك لا يمكن للمسلمين الإستخفاف بامر الطلاق ويمينه لانه اكثر انواع الايمان إلزاماً ، ويعتبر الطلاق امراً لا رجعة عنه بدون بعض الأمور الشرعية. وقد كان من المعتاد ان تخطب الفتاة وتزوج في سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة إلا ان هذه العادة قد انمحت بشكل سريع. إن مثل أمور الزواج هذه كان يتم ترتيبها مسبقاً حيث يتزوج الرجل عادة من ابنة عمه كزوجة اولى (الزواج من امرأة غريبة كشرب الماء من إناء من الفخار ، والزواج من ابنة العم كالشرب من إناء انت تعرف ما فيه)،

وإذا كان الرجل والفتاة من نفس القرية فيكون احدهما قد شاهد الأخر ، اما إذا كانا من قريتين متباعدتين فمن المحتمل انهما لم يتقابلا ابداً حتى يوم زواجهما.

وفي حالة الزواج من فتاة بكر يتم الاتفاق بين أقارب الطرفين على الرغم من ان الفتاة يجب أن تبدي موافقتها على عرض الزواج ، ويستطيع الرجل نفسه ان يعرض الزواج من امرأة ارملة او مطلقة عن طريق ذكر الموضوع لقريب للمرأة التي ينوي الزواج بها، كما يجب عليه ان يدفع المهر لعقد الزواج الصحيح، وتختلف القيمة المتعارف عليها من منطقة لاخرى، فقد تصل إلى (١٥٠٠) ريال عماني في بعض المناطق. وعلى كل حال فإن تحديد مهر العروس ليكون (٣٠٠) ريال عماني في انحاء البلاد كان من الخطوات التي قام بها جلالة السلطان قابوس بعد تولية الحكم ، والمهر هو هدية من الزوج للزوجة يصبح بعدها من ممتلكات الزوجة كما ان لها كل الحق لتتصرف فيه كما تشاء ويبقى المهر ملكاً لها حتى في حالة الطلاق.

وقد يأخذ المهر أشكالا متعددة كما قد يكون على شكل مال يدفع نقداً. اما المهر الأكثر شيوعا فإنه يتألف من مجموعة من الهدايا تتضمن المجوهرات والملابس وربما السرير والفراش أيضاً ، وقد يستخدم جزء من المهر في شراء المشمشة أو اطعمة توضع حول غرفة الاستقبال في العرس ، وقد يضاف إليه اكياس من الطحين والأرز والسكر والبن والبصل والملابس والأحذية المزينة ، وغالبا ما يتم دفع نصف مهر العروس من الذهب ليكون من الاسهل لها الاحتفاظ به في حالة الطلاق.

الناس الذين يقومون بتربية الجمال ويعيشون على منتجاتها يجتمعون في كل عام بالسبب لعرض انواع من إبلهم على سكان المدن.

أما الإجراءات الرسمية للزواج فواضحة . إن المرحلة الاولى كما رأينا سابقاً هي "الطلب" يتبعه التقيّد أو ما يسمى بالملحة ، والذي ينص على قيمة المهر وجهاز العروس الذي سيقدمه العريس وعائلته كما قد يحدد فيه أيضاً يوم العرس. أما إتمام الإجراءات الشرعية فتكون بتوقيع عقد الزواج أو الموافقة عليه شفوياً أمام قاضٍ يسأل العريس في حضور الشهود إن كان يقبل الفتاة زوجة له وعندما يوافق والد الفتاة أو من يمثله يتم توقيع العقد.

وبعد انتهاء الإجراءات الشرعية تقام عادة الافراح

ان التحاق المرأة بحركة التعليم المستمرة، كما هو الحال عند طالبات الجامعة (أسفل)، لم يؤثر كثيراً على احتفالات الزواج التقليدية.





وذلك بإقامة حفلات للرجال واخرى للنساء يقدم فيها الطعام والشراب الخالي من الكحول ، وفي بعض المناطق يصاحب ذلك رقص وغناء، كما قد تقام احتفالات لايام عدة حيث تزين الفتاة خصيصاً لهذه المناسبة. اما في مناطق الداخلية فيتم صبغ يديها وقدميها ووجهها بالحناء التي يستخدمها كل من الرجال والنساء في جميع الاحتفالات، وجدير بالذكر ان الحناء تستخدم في عمان لصبغ بعض اعضاء الجسم فقط وليس لصبغ الشعر. ويستخدم بعض الناس لصبغ الاطراف معجوناً اصفر مطحونا من زهور برتقالية اللون من شجيرة تسمى شوران ويرسم تصميم زهري احيانا على اليدين. اما الفتاة فغالباً ما ترتدي في ليلة الزواج الاولى ملابس خضراء ترمز للخصوبة.

وتكون خاتمة حفل الزواج حينما يتم مرافقة العروسين الى منزلهما سواء آكان بيتا او خيمة وهي أول مناسبة ينفرد فيها العروسان معاً إلا إذا كان احدهما يعرف الآخر قبل بلوغ السن حين تحتجب الفتاة وترتدي العباءة.

وفي حالة الطلاق يجب على المرأة ان تنتظر فترة زمنية محددة تسمّى "العدة" قبل ان تتزوج مرة أخرى، ومثل هذا الامر واجب في الشريعة الإسلامية للتاكيد على عدم وجود اية شكوك حول أبوة اي طفل قد تلده المرأة فيما بعد ، ثم تعود الزوجة إلى عائلتها تصطحب معها في



العادة كل الأطفال الذين لم يتجاوزوا الخامسة من العمر، أما بعد ذلك فيحق للاب ان يحتضن اطفاله وعادة ما يفعل ذلك ، وفي الحقيقة فإن معدل الطلاق في مدن الساحل اعلى بكثير عما هو عليه في عمان الداخل .

ويعامل العمانيون نساءهم معاملة طيبة حسنة ولعلها الطف معاملة من اي مكان آخر في شبه الجزيرة العربية. إنهم لايحتجزون نساءهم اسيرات في مقاصير الحريم، كما ان المرأة العمانية في الاغلب لاترتدي الخمار بل تبرز سافرة مرتدية ملابس خارجية متعددة الألوان أكثر بهاءً مما في اماكن اخرى ، وعلى عكس مما هو سائد في معظم اجزاء المنطقة العربية فإن الرجل العماني يسمح للمرأة ان تركب الحمار دونه ويرضى هو بالسير على قدميه ، وفوق ذلك يسمح للنساء مثلهن في ذلك مثل الرجال بقيادة المركبات. وقد لاحظ رحالة القرن التاسع عشر البريطاني "ويليام جيفورد بالجريف" هذا الجانب في عمان ، وعلق عليه قائلا: "في عمان .... نادرا ما يكون نساء الحريم اقل انفتاحا على الزوار عن بقية افراد البيت بينما في الحياة اليومية فتتمتع نساء العائلة بالحرية ويظهرن انفسهن ويتحدثن كمخلوقات عاقلة تختلف كثيرا عن التماثيل الصامتة والقابعة في اماكن اخرى".

تغير دور المـرأة

إن الدور التقليدي للمرأة في عمان يتميز بنمط حياة يومي له مزاياه ويتفاوت بدرجات مختلفة لاسيما في القرى ، ويبدأ يوم المرأة عادة عند الفجر او قبل ذلك: وواجبها الأول هو تسخين الماء الذي تم إحضاره من البئر او الفلج في اليوم السابق ، وبعد ذلك تقوم بتحضير اللبن ثم تتوضأ وتصلي قبل ان تعد القهوة وتوقظ زوجها وأطفالها ، اما بعد الفطور فتؤدي المرأة وأطفالها اعمال المنزل التي قد تشتمل على رعاية الحيوانات من الجمال والماعز والدجاج إضافة إلى تنظيف البيت وإعداد وجبة الغداء ، وبعد القيلولة يأتي وقت الواجبات الاجتماعية كزيارة الأصدقاء والأقارب وتناول القهوة والتمر ، اما في المساء فتاوي العائلة إلى فراشها مباشرة بعد حلول الظلام وتناول وجبة العشاء.

ويؤمن جلالة السلطان قابوس بالدور الهام الذي يجب ان يفتح امام المرأة العمانية في هذا العالم الحديث دون الخروج على التقاليد الإسلامية وان لايقتصر دورها على العائلة إذا كانت هذه هي فرصتها ورغبتها ، وتكتفي الكثير من النساء بدورهن التقليدي حيث يساعدهن في ذلك التحسن الكبير الذي طرأ على مستوى المعيشة بينما تستفيد غيرهن من الفرص الجديدة ، وقد شكلت الطالبات العدد الاكبر من بينهن في جامعة السلطان قابوس. اما أوائل الطبيبات العمانيات اللواتي حصلن على الشهادة هناك فقد تأهلن وبدأن العمل فعلا بممارسة مهنة الطب في منتصف التسعينات. لقد كانت عمان





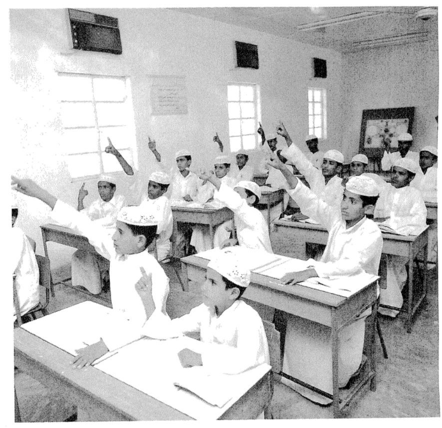
اول دولة في المنطقة يتوفر فيها نساء يعملن كشرطيات. اما في مجال الخدمة المدنية فقد كان هناك بالفعل اثنتان برتبة وكيل وزارة في عام ١٩٩٤ بالإضافة إلى وصولهن إلى رتبة مدير عام ومديرات اقسام، كما وصلت المرأة ايضا إلى مجلس الشورى وهو مجلس نواب البلاد كما شاركت النساء في انتخابات هذه الهيئة النيابية. وإلى جانب مجال الطب فإن دور النساء وقدراتهن في مجال التعليم كان واضحاً كما ان اشتغالهن في هذين الميدانين امر شائع جدا بين الفتيات الشابات ، وقد أصبح التمريض على وجه الخصوص مطلبا في السنوات الاخيرة. إن مثل هذا "التحرر" في عملية اختيار المرأة للمهن الحديثة التي اكتشفت بها مواهبها ونمتها قد تطور طبيعيا بدون عقبات، وقد نبع هذا من ثقافة عميقة الجذور ومن تقاليد بعيدة عن موضوع المناداة "بتحرير المرأة" في الغرب.

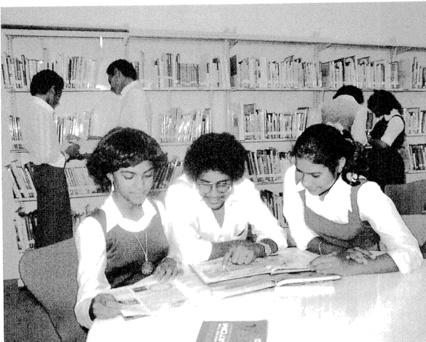
السلطة المحلية

تقوم الحكومة المركزية بتعيين الولاة او الحكام في كل المراكز الرئيسة كما تعين القضاة الذين يقومون بالاعمال الشرعية القانونية ، وقد شكلت هذه البنية البسيطة هيكل الإدارة لقرون عدة . وينحدر الولاة والقضاة من عائلات قدمت خدماتها للدولة لاجيال واجيال . وقد تقلد أمثال هؤلاء في مناصب عدّة داخل البلاد ، اما في الايام السابقة فقد كانوا يتقلدون أحيانا مناصب في خارج البلاد مثل "جوادر" وغيرها في الساحل الجنوبي من إيران والساحل الشرقي من افريقيا. وقد كان لشيوخ القبائل سلطة كبيرة في بعض المناطق حيث كانت شؤون الحكومة تدار جزئيا بواسطة الولاة مباشرة بينما في أحيان أخرى كانت تدار بطريقة غير مباشرة بواسطة اكثر شيوخ القبائل نفوذاً .

إلا ان الربط بين أشكال الحكومة في الماضي والحاضر قد أحيا في التسعينات نظام البرزة التي يقيمها الوالي مرة في الشهر في القلاع التي استعادت مركزها الوظيفي السابق والتي كانت مقرا للحكومة المحلية ، ويقوم الوالي الذي يصحبه قاضي المحكمة الشرعية في الولاية باستقبال المواطنين لينظر في أمورهم ويناقش القضايا مع الشيوخ المحليين.

وقد ترك ابن بطوطة وصفا لكيفية إدارة الحكومة في عمان عندما زار نزوى في القرن الرابع عشر بعد الميلاد (القرن الثامن الهجري) حيث كان القسم الداخلي من عمان آنذاك تحت حكم بني نبهان الذين ينتمون الى الفرع "الأزي" من القبيلة العربية الجنوبية "الازد" حيث قال : " وسلطان عمان عربي من قبيلة الأزد بن الغوث ، ويعرف بأبي محمد بن نبهان ، وأبو محمد عندهم سمة لكل سلطان يلي عمان كما هي آتابك عند ملوك اللور ، وعادته ان يجلس خارج باب داره في مجلس هناك ، ولا





حاجب له ولا وزير ، ولايمنع أحداً من الدخول اليه من غريب أو غيره ، ويكرم الضيف على عادة العرب ويعين له الضيافة ويعطيه على قدره"

ويصف هذا المشهد كيف كانت تساس الأمور في عمان فيما مضى ، وحتى وقت قريب جدا كان ولاة المناطق الداخلية يقومون بمقابلة الناس خارج بوابات قلاعهم تماما كما كان يحدث أيام ابن بطوطه.

أما في عمان الحاضر فإن دور الوالي قد تغير مع أنه ظل ممثلاً للسلطان والحكومة في ولايته ، وهو يقيم في منزل عصري حسن التصميم يحتوي على مكتبة عصرية ومزود بالهواتف والأجهزة الحديثة ، كما يتوفر في الولاية أيضاً مسؤولون حكوميون مثل مدراء الصحة والتربية وكبار ضباط الشرطة إضافة إلى مسؤولي البلديات ذات التنظيم الكامل ، وقد كان لزاما على الحكومة المحلية أن تتطور لتتناسب مع حاجات الولاية الحديثة.

وهكذا فقد تغير نمط حياة الناس في السلطنة تدريجيا مع انتشار الخدم ات التربوية والصحية المتطورة وسهولة الاتصال السريع السلكي واللاسكي.

التعليم

لنعرض الآن المشهد الحاضر في سياق التاريخ الحديث حيث لم يكن في البلاد سوى ثلاث مدارس حتى تولي جلالة السلطان قابوس مقاليد الحكم وهي المدارس السعيدية للذكور في مسقط ومطرح وصلالة وكانت تضم ٩٠٠ طالب فقط. وقد كانت هناك أيضا مدارس القرآن التقليدية التي كانت تتألف من معلم ومجموعة من الصبية يجلسون على شكل دائرة تحت شجرة ترافقهم أحيانا مجموعة من الفتيات الصغيرات اللاتي يجلسن بنفس الطريقة وراء إخوانهن .

وقد تلقى عدد قليل جدا من العمانيين التعليم في الهند وذلك بموافقة الحكومة غير أن كثيراً منهم وجدوا طريقة ليبدأوا أو يكملوا تعليمهم في دول أخرى في البحرين وبغداد والقاهرة أو حتى في موسكو، ولانعدام فرص العمل في الوطن فقد ظل هؤلاء يقيمون في الخارج.

أما الحكومة الجديدة فقد استجابت في عام ١٩٧٠مباشرة إلى رغبة السكان الجامحة للتعليم فقامت بافتتاح عدد كبير من المدارس في كل البلاد ، وقد كانت معظم هذه المدارس في البداية عبارة عن خيام مؤقته مما يبرهن بشكل قوي على الحاجة إلى التعليم والرغبة فيه ، كما تم على عجل إحضار معلمين ومعلمات من مصر ودول عربية أخرى لأن توفر المعلمين العمانيين المؤهلين

(الرياضيات ، اللغات ، العلوم والدين) من مناهج التعليم في السلطنة.

كان نادراً جداً. كذلك افتتحت للمرة الأولى مدارس حديثة للبنات، وقد كان حماس الطلاب والطالبات ملموساً فأحيانا قد يلتحق طلبة في الثامنة عشرة من عمرهم بالصفوف الابتدائية حتى يبدأوا في محو أميتهم، ولم يكن بوسع أحد أن يحلم بمثل هذا التطور الهام الذي حدث منذ تلك الأيام بما فيه إنشاء جامعة السلطان قابوس.

لقد كان انتشار التعليم عاما إلا أن الفرص الجديدة التي توفرت للإناث من الفتيات والنساء كانت من أبرز علامات الإصلاحات التي قام بها جلالة السلطان قابوس. لم يقتصر الأمر على اتاحة الفرص للفتاة أسوة بأخيها ، بل لم تعد تترك عملها في حالة الحمل أو اذا ما انتقل الزوج إلى منطقة أخرى لأن وظيفتها تبقى محفوظة لمدة سنتين. وهكذا كان باستطاعة النساء العمانيات أن يبدأن من النقطة التي تحققت في دول أخرى قامت بحملات إعلامية شاقة لتحقيق هذا الغرض ، والكثير من النساء اللاتي اكتفين في الماضي بالقيام بدور منزلي بحت قد تقلدن اليوم مناصب عالية في الوظائف الحكومية وفي ميادين كثيرة.

ويبدأ التعليم الابتدائي عادة في سن السادسة ويستمر حتى يجتاز الطالب امتحان الصف السادس الابتدائي بين سن الثانية عشرة والرابعة عشرة ، وبعدها يلتحق التلاميذ بالمدرسة الإعدادية ، أما الطلاب الذين يجتازون امتحان الشهادة الإعدادية العامة فيلتحقون عادة بالمدارس الثانوية بين سن الخامسة عشرة والسابعة عشرة ويخصص لهم نوع محدد من التعليم الثانوي اعتمادا على نتائج امتحاناتهم. وبعد إتمام التعليم الثانوي يؤهل الطلاب للاختيار بين الالتحاق بجامعة السلطان قابوس أو غيرها من مؤسسات التعليم العالي التي يتلقى فيها الطلاب تدريبا متخصصا.

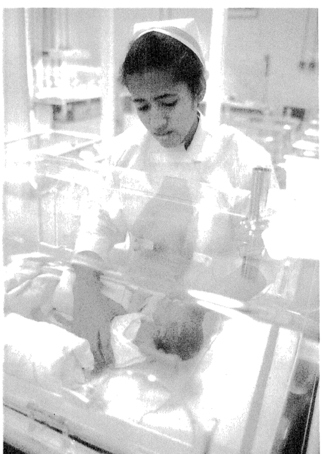
أما المنهج فقد روعي فيه جانب التوازن ، وأما لغة التعليم فهي العربية ما عدا في المواد العلمية التي تدرس في جامعة السلطان قابوس. واللغة الانجليزية على كل حال هي اللغة الثانية في البلاد وتدرس عادةً بدءاً من المرحلة الابتدائية كما أن استخدامها واسع الانتشار ، أما المواد التي تدرس في المدارس الثانوية فتتضمن التاريخ والجغرافيا والعلوم والرياضيات والحضارة والفلسفة والفن والموسيقى، كما يتم تعليم فن الخياطة والطبخ في مدارس البنات، ويتم تدريس كل هذه المواد من المنطلق الإسلامي لأن مادة الدين في حد ذاتها مادة هامة من مواد المنهج المدرسي.

وتؤكد الكتب الدراسية التي تؤلف وتطبع في عمان ارتباط القرآن الكريم بالدراسات العلمية الحديثة ، أما مقررات التربية البدنية واللياقة الجسمانية فمرغوبة كثيرا لدى الشباب وهناك فرص كبيرة لممارستها في المدارس نفسها وفي النوادي ومراكز الشباب الرياضية، كما تولى أهمية كبيرة للأنشطة المدرسية غير المنهجية من مثل الحركة الكشفية وهي حركة رائجة جدا حيث أسست أول جماعة كشفية في عام ١٩٤٨ ، كما يستمتع الأطفال أيضا بالعروض الممتعة التي تقام في المدرجات بمناسبة احتفالات البلاد بالعيد الوطني وقد أتاحت مثل هذه الاحتفالات الفرصة لهم للمشاركة في برامج كبيرة معدّة تمنحهم الإحساس بالانتماء الوطني ، كما يولي جلالة السلطان نفسه أهمية كبيرة بتعليم الناشئة كل ما يتعلق بشؤون البلاد بما في ذلك الدراسات المتعلقة بالطبيعة والبيئة.

ومع التوسع المطرد للسكان (متوسط عدد الأطفال في العائلة يتراوح بين ٤ إلى ٧ و ٦٠٪ من مجموع السكان هم دون سن الخامسة عشرة) أصبحت الزيادة الكبيرة في عدد المدارس ضرورة ملحة. لقد كانت هناك ٩٢٠ مدرسة في نهاية سنة ١٩٩٤ ومجموع طلاب معاهد وكليات تأهيل المعلمين ٤٥٤،٠٠٠ طالب (ما يقرب من ٢٠٠،٠٠٠ طالبة وأكثر من ٢٥٥،٠٠٠ طالب في المدارس) وأكثر من ٢٠،٠٠٠ معلم. أما نسبة المعلمين العمانيين الذين تم تعيين الدفعات الأولى منهم في بداية الثمانينات فقد زاد في نهاية سنة ١٩٩٤ ليتجاوز عددهم الإجمالي ٨،٥٠٠ معلم.

ويحضر الطلاب في العادة إلى هذه المدارس يومياً ، ولكن روعي أيضا حاجة الأطفال التواقين للتعليم في مرحلة ما بعد الابتدائية في المناطق النائية فتم توفير وحدات سكنية داخلية لهم ، كما تم أيضا توفير الوسائل المناسبة للأيتام والعمي وغيرهم من الأطفال المعاقين ، كما تقدم مدرسة السلطان الخاصة منهجاً تعليمياً ممتازاً واسعاً مما يساعد الطلاب على أن يتلاءموا مع النظم التربوية المطبقة في الخارج إذا ما أرادوا إكمال الدراسة في دول أخرى ، و إضافة إلى ذلك فقد كان هناك ثمان وسبعون مدرسة خاصة في عام ١٩٩٤.

وقد شجعت الدولة تعليم الكبار على نحو عام بهدف



شغلت المرأة العمانية معظم الوظائف في قطاع الخدمات الصحية المتطور – كممرضة التوليد هذه بمستشفى خوله.

افتتحت جامعة السلطان قابوس في عام ١٩٨٦م. (مبنى إدارة الجامعة يبدو في وسط الصورة).



محو الأمية فتم لأجل هذه الغاية تدريب المعلمين والمعلمات على التخصص في تعليم الكبار، وقد كان هناك ٢٥٢ مركزا لمحو الامية في نهاية ١٩٩٤ بمجموع ٨٤١٧ طالبا و١٧٦ مركزا للكبار بمجموع ٩٧٠٨ طلاب و ٩٠١٢ طالباً ملتحقين ببرنامج الدراسة المنزلية. وشتان ما بين الحاضر وبين بداية السبعينات عندما كان الكبار يضطرون أحيانا إلى الالتحاق بالصفوف الدراسية العادية ومعهم في نفس الصف أطفال يبلغون من السن نصف أعمارهم.

وقد بدأ أول معهد لتاهيل المعلمين العمانيين في عام ١٩٧٧، أما اليوم فهناك ثماني كليات متوسطة لتدريب المعلمين في السلطنة: خمس منها للطلبة و ثلاث للطالبات. وفي عام ١٩٩٤ كان هناك ١٦٨٤ طالباً و١٤٥٥ طالبة في هذه الكليات التي افتتحت ثلاث منها عام ١٩٩١ في صحار ونزوى ومنطقة الظاهرة. كما يقوم الخريجون أيضا بالتدرب كمعلمين ليحلوا محل الأجانب في المدارس الإعدادية والثانوية على وجه الخصوص.

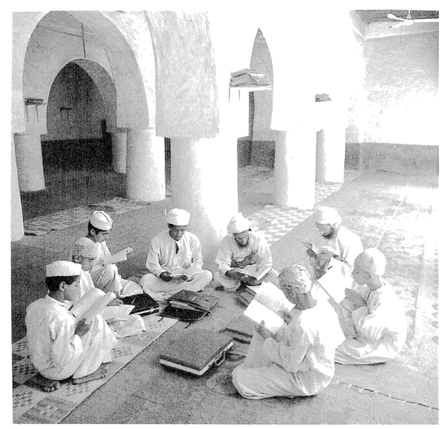
أما جامعة السلطان قابوس التي أنشات في الخوض فهي في قمة هرم النظام التعليمي، وقد أعلن جلالة السلطان عن إنشاء الجامعة في احتفالات البلاد بالذكرى العاشرة للعيد الوطني، وقد استقبلت الجامعة الدفعة الأولى من طلابها في سبتمبر عام ١٩٨٦ ، وهي تضم ست كليات : العلوم، الطب، الهندسة، الآداب، الزراعة، والتربية والعلوم الاسلامية (أضيف لها بعد ذلك كلية التجارة والاقتصاد). وفي عام ١٩٩٤ كان هناك ٣٦٠٠ طالب وطالبة شكل عدد الإناث منها أكثر من النصف ، ويقطن الطلاب والطالبات في مساكن داخلية منفصلة على شكل وحدات سكنية صغيرة تتسع الواحدة منها لمائة وخمسين طالبا تقريبا ويقوم عليها مشرف يعمل كمرشد للشؤون الاجتماعية والدينية والسلوكية.

وينقسم العام الاكاديمي إلى فصلين دراسيين : يبدأ الأول منهما في سبتمبر والآخر في فبراير بينما هناك إجازة قصيرة بين الفصلين في يناير، أما الإجازة الطويلة فتبدأ في يونيو. وقد تخرجت أول دفعة من طلاب الطب في عام ١٩٩٤ في احتفال أقيم في المدرج المصمم على صورة مسرح إغريقي صغير ولكن بمواصفات إسلامية واضحة.

ويدير الجامعة مجلس يترأسه وزير التعليم العالي الذي يضطلع بمهام رئيس الجامعة أيضاً ، وتشرف وزارة التعليم العالي على الجامعة ومراكز البحوث العلمية ومتابعة التطور العلمي والتقني وتدبير سياسات التعليم العالي وتنفيذها وتشجيع العمل والتاليف العلمي وإقامة علاقات علمية وثقافية عالمية.

أما بقية مؤسسات قطاع التعليم فتقع ضمن مسؤولية وزارة التربية والتعليم التي أصبحت مسؤولة أيضا عن كل شؤون الشباب منذ عام ١٩٨٢ . وكان مما زاد من مستوى أنشطة الشباب إعلان جلالة السلطان عام ١٩٩٣ عاما للشباب الذي تكمن أهميته في تهيئة الشباب العماني للمستقبل بصورة لامبالغة فيها حيث أن ٦٠٪ من إجمالي السكان هم تحت سن الخامسة عشرة حسب ما أوضحه اول تعداد وطني (تم في ديسمبر ١٩٩٣) ، أما برامج الشباب فتتسم بأنها عملية تم تصميمها بحيث تبث في الشباب الدوافع السليمة لحياة مليئة بالانتاج والمساهمات .

لقد كانت عمان ولاتزال عضوا منتظما في أحداث الشباب العالمية فبالإضافة إلى الأنشطة الكثيرة التي تقام على أرض الوطن فقد كانت السلطنة على سبيل المثال واحدة من ثلاث دول عربية شاركت في معسكر الكشافة



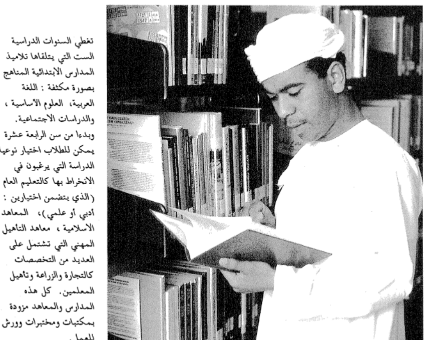
الثالث عشر الذي أقيم في الولايات المتحدة عام ١٩٩٣، وقد جاءت هذه المشاركة بعد الرحلة البحرية التاريخية إلى نيويورك عام ١٩٨٥ والتي قامت بها سفينة التدريب "شباب عمان" وهي أول سفينة عمانية تزور أمريكا منذ عام ١٤٨٠ عندما قام أحمد بن النعمان برحلته إلى هناك، كما استضافت عمان أيضا اجتماع المسؤولين عن الحركة الكشفية في دول مجلس التعاون لمناقشة طرق تطوير الحركة الكشفية ، وفي عمان نفسها أقيم معسكر لكبار الكشافة عام ١٩٩٣ بالتعاون مع شرطة عمان السلطانية ومعهد العلوم الصحية لتدريب ٥٠ كشافا كبيرا على الإسعاف وإطفاء الحريق والدفاع والأنشطة البحرية.

ويعتبر التعليم المهني جانبا مهما من جوانب التعليم بمفهومه الواسع على الرغم من أن مسؤوليته تقع على عاتق نائب رئيس الوزراء للشؤون المالية والاقتصادية، وتعتبر كلية عمان الفنية الصناعية الأداة الرئيسة لتحقيق هذا الغرض ، ففي عام ١٩٩٤ استوعبت هذه الكلية ٥١٠من الطلاب والطالبات وطرحت لهم مقررات دراسية لمدة عامين ، أما المقررات فتتضمن علوما تقنية مثل دراسة الكمبيوتر والرياضيات والعلوم وأعمال المختبرات الطبية والهندسة الكهربائية والإلكترونيات وهندسة الإنشاءات والهندسة الميكانيكية. أما المقررات التجارية فتشمل حفظ الكتب والإدارة والتأمين والتسويق.

الصحـــة

قد يكون تطور الصحة العامة للعمانيين من أكثر التغيرات إثارة للاهتمام في عمان منذ عام ١٩٧٠. وعندما تولى جلالة السلطان قابوس مقاليد الحكم لم يكن في البلاد سوى مستشفيين غير خاضعين للإدارة الحكومية وهما المستشفى التبشيري الأمريكي ومستشفى صغير تحت اشراف القنصلية البريطانية ، أما اليوم فإن منظر رجل مسن أشيب يحمل بيده عصا جمله في غرفة الانتظار بالمستشفى قد يبدو نفس الرجل العماني التقليدي الذي كان يجلس من قبل. وبينما كانت الشكاوى العامة آنذاك مرتبطة بالفقر وعدم التطور في "العالم الثالث" فإن توفير حياة صحية ذات مستوى عال مرتبط "بالعالم الاول" هو ما كان ينتظر أن يقدمه أطباء عمان من خلال الرعاية والاهتمام في عام ١٩٩٥ . وبينما كان هناك طبيب واحد لكل ٢٨.٠٠٠ شخص أصبح هناك طبيب لكل ٤٨٠ شخصاً بالإضافة إلى ممرضة واحدة لكل ٣٣٠ شخصاً في عام ١٩٩٥م. واليوم يسكن خمسة بالمائة فقط من الناس على بعد مسافة لاتتجاوز الساعة الواحدة عن بعض المراكز الصحية إلا أن كل هذا العدد تتم رعايته طبياً بواسطة الفرق الطبية المتحركة.

وفي بداية السبعينات استسلم كل الناس لمرض واسع

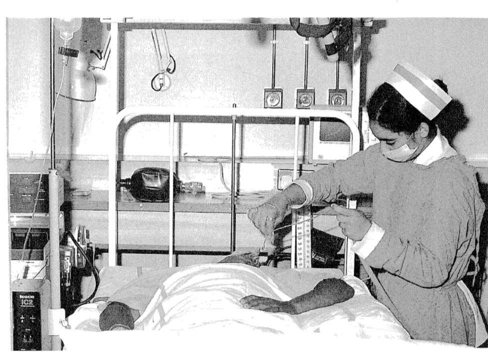


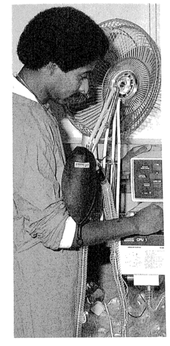
تغطي السنوات الدراسية الست التي يتلقاها تلاميذ المدارس الابتدائية المناهج بصورة مكثفة : اللغة العربية، العلوم الأساسية ، والدراسات الاجتماعية. وبدءا من سن الرابعة عشرة يمكن للطلاب اختيار نوعية الدراسة التي يرغبون في الانخراط بها كالتعليم العام (الذي يتضمن اختيارين : أدبي أو علمي)، المعاهد الاسلامية ، معاهد التاهيل المهني التي تشتمل على العديد من التخصصات كالتجارة والزراعة وتاهيل المعلمين. كل هذه المدارس والمعاهد مزودة بمكتبات ومختبرات وورش للعمل.

هذه التلميذة (يسار) توحي بالرضا التعليمي المنتشر في أنحاء البلاد – بينما تظهر في الصورة على اليمين نخبة من طلاب المدارس الثانوية الذين سيلتحقون بالدراسة الجامعية.



جامعة السلطان قابوس الواقعة إلى الشمال من منطقة العاصمة يتعادل فيها عدد الطلاب والطالبات في مختلف التخصصات بكليات الآداب والتربية والعلوم الإسلامية والزراعة والهندسة والطب والتجارة والاقتصاد.





في المستشفى السلطاني الفخم بالغبرة يوجد حوالي ٢٧٦ من الاستشاريين والأخصائيين والأطباء وما يزيد على ٢٢٥٠ من الممرضين والممرضات حيث يقوم كل هؤلاء بتقديم العناية الطبية المتطورة. ساحة المستشفى البالغة ١٠٦٫٠٠٠ كم٢ تشكل محور الخدمات الصحية في البلاد بما فيها الرعاية الطبية للمناطق النائية (أسفل).

الانتشار وهو مرض التراخوما الذي يصيب العين بالعمى، وهو آفة تهدد الصغير والكبير على السواء، والحالة الصحية لعيون الناس في عمان اليوم شاهد على التطور العام الذي حدث لمواجهة هذا المرض اللعين، رغم بقائه كمشكلة. إن الإنجازات المتعلقة بالخدمات الصحية المحلية المجانية وحملات الطب الوقائي والتربية الصحية في جميع أنحاء البلاد ليست دليلاً فقط على وجود المستشفيات الكثيرة المؤهلة بأمهر الأطباء والتسهيلات الصحية وإنما على التوجه العام للمحافظة على صحة الإنسان العماني.

إن الهدف المعلن "الصحة للجميع" يتطلب مقاييس وقائية وعلاجية وإعلامية وتقوم وزارة الصحة بتحمل كل الأعباء والمسؤوليات. إن اتباع سياسة صحية لامركزية قد أدى إلى كفاءة وقدرة إدارية بصورة أفضل. ويقوم مدير عام إقليمي بإدارة الشؤون الصحية في منطقته كما في مديرية مسقط، مديرية ظفار، شمالي وجنوبي الباطنة، شمالي وجنوبي الشرقية، الظاهرة، والداخلية. أما مسندم والمناطق الوسطى فيتم تغطيتها بصورة مستقلة إدارياً، وهناك مشرف في كل ولاية يكون مسؤولاً أمام المدير العام.

وفي نهاية عام ١٩٩٥ كان هناك مستشفى إقليمي في كل منطقة مجهز بأفضل الاجهزة لتوفير الرعاية الخاصة دون اللجوء إلى تحمل مشاق السفر إلى مسقط كما كان الحال يستدعي في الماضي، وتضم هذه المستشفيات ما يقرب من ٢٤٨ سريرا أو أكثر كما أنها قادرة على توفير معظم التخصصات الطبية. كما تخدم المستشفيات العامة أو المراكز الصحية الكبيرة خمس مناطق في أقاليم مختلفة. وهناك أيضا مراكز صحية يوجد في بعضها أقسام للولادة في ١١٥ موقعا. لقد كان هناك ٥٠٠٠ سرير في المستشفيات في نهاية عام ١٩٩٥. إن كل ما يتوفر من

اللوازم الصحية الحديثة يبدو رائعاً وتتم إدارة هذه اللوازم بطريقة ممتازة.

أما المستشفى السلطاني في مسقط والذي يضم ٦٣٠ سريرا فيقع داخل حدائق جميلة مما يضفي جواً من الهدوء والراحة على كل من المرضى والزوار والموظفين. إنه مستشفى رائع في تصميمه وفي أجهزته المتطورة ، أما الموظفون فهم من ذوي الكفاءة العالية يكرسون وقتهم لعملهم ويقومون بتوفير العناية للمرضى ، كما يقومون بتغطية جوانب تخصصية مختلفة تفي باحتياجات السلطنة كلها. وعلى سبيل المثال يغطي قسم الطب الباطني أمراض الجهاز الهضمي وأمراض الجهاز العصبي وأمراض الكلى وأمراض الجهاز التنفسي والغدد الصماء، وأمراض الروماتيزم والأورام. وبالإضافة إلى الجراحة العامة يغطي قسم الجراحة أمراض الجهاز البولي والعظام وقسم الأطفال وقسم جراحة القلب وجراحة الصدر وجراحة الأوعية الدموية كما أن هناك قسماً ممتازاً ومتقدماً لعمليات التوليد وجراحة النساء. أما الطب الإشعاعي وغيره من الأجهزة المساندة فهي ذات مواصفات عالمية. وفي عام ١٩٩٥ كان هناك ٤٢استشارياً ستة منهم عمانيون . إن أي دولة في العالم لتفخر بامتلاك مثل هذا المستشفى، وقد تمت معالجة أكثر من مليون مريض في المستشفيات في ١٩٩٣ كان من بينهم ٢٢٦٥٠ مريضاً قد أقاموا في المستشفى. وقد حظيت عملية الوقاية من الأمراض بأهمية خاصة مع التركيز على توعية الأمهات والأطفال إضافة إلى إعداد برامج الصحة المدرسية. إن البرنامج الموسع لعملية التحصين ضد الأمراض قد غطى ٩٦٪ وذلك عن طريق تطعيم كل المواليد ضد السل والدفتيريا والسعال الديكي والكزاز وشلل الأطفال والحصبة والتهاب الكبد الفيروسي قبل إكمال السنة الأولى من أعمارهم. لقد بلغ معدل وفيات المواليد 23 لكل ألف في عام ١٩٩٥ مما يدل على التحسن الكبير الذي طرأ على الجوانب الصحية منذ ١٩٧٠.

وفي عام ١٩٩٤ قدمت الوزارة برنامجين كبيرين. ففي البرنامج الأول يتم تحصين الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ شهراً و٦ سنوات ضد الحصبة والحصبة الألمانية والحمى القرمزية في أجنحة الأطفال في العيادات الخارجية التابعة للمستشفيات وفي المراكز الصحية ، بينما يتم تحصين الأطفال بين سن السادسة والثامنة عشرة في مستشفياتهم ، كما أن هناك برنامج الصحة المدرسية الذي بدأ عام ١٩٩٣ وقد أدى إلى الوقاية الشاملة لـ ٩١٫٠٠٠ طفل في المدارس الابتدائية.

أما الخطة الثانية فكانت عبارة عن وضع برنامج يهدف إلى المباعدة الزمنية بين الولادات والأخرى وقد وضعه قسم صحة الأسرة والمجتمع ويدعو إلى تبني طرق طبيعية لمساعدة تقليل حجم الأسرة من حيث العدد.

كذلك قامت حملات مكثفة ضد الملاريا عندما تم تطوير برنامج السيطرة على المرض في عام ١٩٩٢ ليصبح برنامج القضاء على الملاريا للتخلص من هذا المرض في السلطنة قائماً بحلول عام ٢٠٠٠ ، وفي عام ١٩٩٣ عقد اجتماع في عمان ضم دولاً مجاورة حضرته كل من اليمن والمملكة العربية السعودية تمخض عنه تبني الدول الثلاث للخطة التي اقترحتها عمان في حل هذه المشكلة. ويوجد في وزارة الصحة أيضا برامج خاصة للتعامل مع



يقضي طلاب كلية الزراعة بالجامعة أربع سنوات دراسية يدرسون خلالها تخصصات متعددة. في هذه الصورة تبدو دراسة عملية لأشجار النخيل.

سوء التغذية والسيطرة على مجموعة من الأمراض المنتشرة كأمراض صحة الفم ، وصحة الأمراض العقلية ومنع الحوادث والسيطرة عليها. وحتى نهاية عام ١٩٩٥ كان هناك على الاقل ١٥٣٨ طبيبا و٧٣ طبيب أسنان و٥٠ صيدلانياً و ٨٠٠٠ ممرضة وموظف صحة. وحتى فترة التسعينات كان على الوزارة أن تعتمد وبشكل كبير على الاطباء والممرضين الوافدين، لكن هذا الاعتماد بدأ يتغير بسرعة حينما تخرجت أول دفعة أطباء عمانيين من جامعة السلطان قابوس عام ١٩٩٤ وبدأ تدريبهم في المستشفيات العمانية ، وقد تألفت أول مجموعة من هؤلاء الخريجين من ٤٨ طبيبا وطبيبة تخرجوا في عام ١٩٩٤. وبدءاً من عام ١٩٩٥ يتوقع أن يتخرج ٨٠ طبيباً سنويا وذلك حتى عام ٢٠٠٠ الذي يتوقع أن يشهد تخرج ١٠٠ طبيب. وتعترف الكليات الطبية الملكية البريطانية بالتدريب الذي يتلقاه الأطباء الخريجون في المستشفيات العمانية كاساس تاهيلي للتخصصات المختلفة. إن الطريق الآن مفتوح للعمانيين في جامعة السلطان قابوس للحصول على أعلى الدرجات والمؤهلات العالمية.

لقد تزايد منذ منتصف التسعينات عدد العمانيين في كل الميادين الطبية. وتشير إحصائيات شهر سبتمبر ١٩٩٣ إلى الأرقام والنسب المئوية التالية من بين الوظائف التي يشغلها العمانيون: ١٤٨ طبيبا (١٠ ٪)، ١٠ أطباء أسنان (١٥٪)، ٥١٨ ممرضاً (١١٪) ، ٢٥ أخصائي معالجة طبيعية (٣٨٪)، ٣١ خبير تصوير بالاشعة (١٩٪)، ١٣٥ فني مختبرات (٢٧٪)، ٧ صيادلة (١٤٪)، و٥٣ اختصاصي في علم الوقاية الصحية (٣١٪).

لقد لاقت معاهد التمريض في نزوى وصلالة وصحار وصحم وتنعم والرستاق وعبري قبولاً كبيراً لدى جيل الشباب ممن أتموا التعليم المدرسي وحصلوا على شهادته. ويميل كثير من الفتيات للاتجاه نحو مهنة التمريض ، ونتيجة لذلك أصبح عدد الممرضات اللواتي يتخرجن سنويا منذ عام ١٩٩٤ يصل إلى ٢٠٠ ممرضة. لقد كانت سياسة التعمين تهدف إلى توفير ٤٠٪ حتى حلول عام ٢٠٠٠. وقد بدأ معهد الصحة العامة العماني بتدريب الأخصائيين في علم الصحة في عام ١٩٩١ حيث تخرجت الدفعة الأولى المكونة من ٣٠ أخصائياً في سنة ١٩٩٤ ، وتبعا لذلك وصل معدل التعمين إلى ٦٥٪ حتى ١٩٩٥ ، كما أن هناك قطاعا خاصاً لابأس به يتضمن ٣٤٢ عيادة عامة، و٢٩ عيادة متخصصة و ٣٦ عيادة أسنان لتكتمل بذلك الخدمات الحكومية الممتازة. ويحق لعمان اليوم أن تفتخر بمستواها العالي في مجال الرعاية الصحية التي يحظى بها كل الناس.

ظفــار

يشارك سكان المحافظة الجنوبية ظفار بدور فعال في التشكيل الحكومي العماني بشكل عام حيث يوجد من بينهم وزراء وموظفون مدنيون وأفراد في القوات المسلحة، كما أن نشاطهم التجاري والاقتصادي يعتبر هاماً في عملية التكامل الاقتصادي الوطني ويمتلك عدد كبير من سكان هذه المحافظة منازل في العاصمة بالإضافة إلى بيوتهم في الجنوب.

وقد تغيرت ظفار نفسها بصورة تفوق المقاييس منذ بداية السبعينات عندما تأثر اقتصاد المنطقة بالحرب بصورة سيئة ولم يكن مسموحا بدخول منطقة الجبل إلا تحت الحماية العسكرية ، أما الآن فان شبكة الطرق الجيدة لاتمتد في سهل صلالة فقط وإنما في الجبل أيضاً، كما تم إنشاء العديد من المباني الجميلة التي تميز بعضها بروعة البنيان داخل صلالة وخارجها ، وقد امتدت هذه المباني بشكل ملحوظ لتغطي جزءا كبيرا من السهل الذي كانت تزرع فيه الخضار بكميات كبيرة لعقود خلت. وقد تطورت حياة الناس في الجبل بشكل ملحوظ عن طريق إقامة المستوطنات ذات البيوت الجميلة وإنشاء المساجد والمدارس وتوفير مراكز التسوق، كما تم تمديد شبكة كهرباء وأما الماء فمتوفر بغزارة لكل من

الناس والدواب، كما زاد عدد قطعان الماشية إلى درجة أن عملية توفير المرعى قد أصبحت مشكلة بحد ذاتها. وهناك ميناء بحري في ريسوت ومطار حديث جميل تنطلق منه رحلات منتظمة إلى مسقط وإلى مطارات دولية عالمية.

لقد انتهت عزلة ظفار إلا أنها لم تكن عزلة دائمة كما يصور الوصف التالي لظفار التقليدية.

يفصل ما لا يقل عن ستمائة ميل من الصحراء بين المنطقتين الشمالية والجنوبية من عمان، وبالتالي فإنه ليس من المدهش أن يختلف سكان ظفار عن مواطني الشمال. وعبر التاريخ قامت بعض الصلات بين الظفاريين وبين بعض سكان اليمن الجنوبي كما تشير إلى ذلك حفريات سمهرم قرب صلالة، أما الصناعة العامة فقد تركزت على اللبان الذي كانت ظفار المنتج الرئيس له. وعلى كل حال فقد كانت هناك دائما صلات حكومية وقبلية عميقة الجذور مع شمال عمان. وترجع وحدة ظفار الحالية مع الشمال إلى القرن الماضي. إن الروابط قوية اليوم خاصة وأن والدة جلالة السلطان قابوس بن سعيد كانت ظفارية.

ويتكون سكان ظفارمن أهالي الجبال وأهالي السهول، وقد حباهم الله ذكاء شديداً. أما أهالي الجبال فينقسمون إلى قبائل القرا الذين كانوا يشكلون الطبقة القبلية حسب التقاليد، وقبائل الشحرة الذين كانوا فيما مضى يشكلون طبقة غير قبلية وعرب آل كثير، بينما يقطن المهرة في مناطق السفوح المتاخمة للصحراء، كما أن هناك أيضا تقسيمات صغيرة أخرى. لقد تطلع الجميع بحكم العادة إلى واحدة من المدن الساحلية لأغراض التجارة والإمدادات الأخرى.

وسكان الجبل مرتبطون كثيرا بحيواناتهم وهو ارتباط شبيه بارتباط بعض القبائل الأفريقية بحيواناتهم، ويقوم هؤلاء برعي قطعانهم الصغيرة وجمالهم والماعز والخراف في المناطق الحشيشية حيث ينمو الحشيش بغزارة بعد هبوب الرياح الموسمية عندما تتحول الأودية القاحلة إلى بساط أخضر، ويعود الفضل في ذلك إلى الضباب وهطول الأمطار الغزيرة التي حبت ظفار بهذه الميزة الخاصة.

لم يتجاوز العدد الكلي للظفاريين ٢٥٫٠٠٠ أو٣٠٫٠٠٠ نسمة في عام ١٩٧٠ وأظهر التعداد السكاني في عام ١٩٩٣ أن عدد سكان ظفار ١٧٥٫٠٠٠ نسمة من بينهم ٧٥٫٠٠٠ يتركزون في صلالة نفسها، ويتحدث الناس في القبائل الكبيرة والقبائل الصغيرة باللغات التالية: المهرية والجبالية (الشحرية) والبطحرية إلى جانب العربية أيضاً، كما يتحدث الكثيرون بإحدى اللهجات العربية، وتتوزع بعض القبائل بين المناطق الجبلية ومناطق البدو في الصحراء الشمالية أو في نجد.

ولازالت شجرة اللبان مزدهرة في أجزاء من ظفار حيث يستفاد من هذه الشجرة في صناعة العطور في العاصمة، أما الصمغ فيستخدم محلياً حيث أن تجارته العريقة التي ازدهرت لقرون عديدة قد توقفت في حقيقة الأمر.

في سوق الأسلحة بصلالة، الأسلحة الشخصية المدخرة عبارة عن رموز يثمنها الباعة كأدوات للزينة أو كأسلحة قديمة يتزين بها الرجال أوقات السلم.



وفي صلالة عاصمة ظفار هناك عدد كبير من الناس الذين تعود جذورهم الأصلية إلى أفريقيا ويلاحظ التأثير الافريقي عندما يقوم هؤلاء الناس بالرقص خلال الاجازات الدينية في الشوارع وحين ترتدي النساء أزهى الألوان كما أن الإيقاع الموسيقي قد تم إحضاره من الساحل الأفريقي.

مســـندم

أطلق الملاحون السومريون على شبه جزيرة مسندم بقممها الشامخة ولسانها الذي يشبه زقاقا بحريا تكتنفه الاجرف منذ ٥٠٠٠ سنة اسم خور مجانا، وقد جعل الموقع الجغرافي من مسندم جزيرة ذات حضاره. والشحوح هم سكان محافظة مسندم التي كانت منعزلة عن بقية المنطقة حتى وقت قريب جدا بل حتى عن الجزء الأساسي من عمان ، وقد بقيت مسندم منعزلة بسبب نقص مواردها الطبيعية والسلع التي قد تجذب الناس من خارجها حتى بدأت التنمية في السبعينات، وقد تقلصت هذه العزلة منذ ذلك الوقت كثيرا بسبب حركة النقل الجوي برحلاته الداخلية المنتظمة وحركة الطرق البرية التي تربط بين المدن الرئيسة – خصب، بخا، ليما ومدحا – مع دبا ومع رأس الخيمة في الإمارات العربية المتحدة . وكما حدث في أجزاء أخرى من عمان فقد تغيرت أنماط الحياة الصعبة في القرون الماضية لتشهد إنشاء المباني الحديثة والمساجد والمدارس والمستشفيات وتوفير مرافق الحياة الحديثة كالكهرباء والماء، بالإضافة إلى ظهور السيارات.

ويعتقد البعض أن الشحوح هم البقية الباقية من السكان الأصليين لشبه الجزيرة العربية الذين سيقوا إلى معاقلهم الجبلية كما سيق البريطانيون القدامى من "السلتيين" القدامى إلى مقاطعتي "ويلز وكورنول" في بريطانيا.

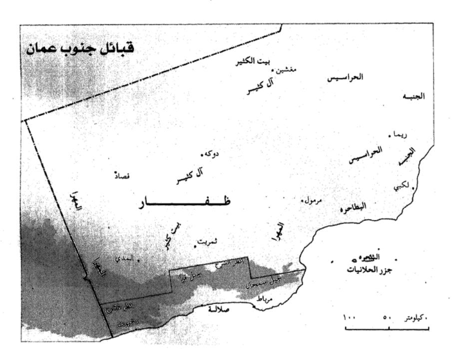
ويحمل الشحوح معهم في العادة فأسا ذا رأس صغيرة مثبتة على قضيب طويل من الخشب المحلي وهو (الجرز) الذي يعتبر رمزهم الخاص كالخنجر الذي يعتبر رمزاً لمعظم العمانيين. ولهذا (الجرز) استخدامات عملية حيث يمكن استخدامه كعصا في البقاع الجبلية بينما كان في الماضي يستخدم كسلاح للدفاع عن النفس في مواجهة الفهد والنمر العربي الذي يقطن المنطقة بأعداد قليلة.

أما السكن الجبلي النموذجي، المعروف ببيت القفل، فيتناسب جدا مع الهجرات الموسمية لمعظم الشحوح الذين يضطرون لتركه لفترات زمنية طويلة ، وهو في واقع الأمرعبارة عن بناء منخفض منيع جدرانه وسطحه من الحجارة المنتقاة محلياً رغم أن بعض الأسقف قد تكون من الخشب والطين ، أما الأساس فمساحته متر ونصف أو أكثر تحت الأرض ، وهناك مدخل منخفض ضيق يمكن إغلاقه بأبواب خشبية متينة بمزاليج وأقفال بارعة التصميم مما يجعل منه بيتا فريدا من نوعه، وترك البيت خلال أشهر الصيف من يونيو وحتى سبتمبر مأمون عندما يدفع نقص المياه والحاجة للاعتناء بمزارع النخيل وعملية قطاف محصول التمر السكان من الشحوح لهجر قرى أجدادهم القبلية إلى المناطق الساحلية. ويتم بناء المساكن على الساحل من المرجان والصخور وسعف النخيل والخشب المستورد وهي تشبه غيرها من المساكن في أماكن أخرى في المناطق العامة.

وفي الشتاء يعود الشحوح إلى الأراضي المرتفعة لزراعة الشعير والقمح. وتبقى مجموعة صغيرة من الناس فقط لرعاية القطعان وسوقها إلى المراعي والتنقيب عن أماكن المياه الغائرة في مناطق نائية من الجبال. وعلى الدوام كان يتم جمع مياه الأمطار في أحواض مصممة بصورة جيدة ، وتعتبر قلعة هضبة بخا مثالاً جيداً لذلك حيث يوفر الماء للمسافرين بواسطة (الخير) وهو إناء فخاري كبير يتركه بعض فاعلي الخير على طول الطريق الرئيسي أو بين مجموعة من المنازل.

ويتالف الشحوح من بطنين كبيرين : بنو شاطر وبنو هدية وهما أصحاب السيادة الفعلية في المناطق الجبلية، أما الكمازرة فيشكلون مجموعة بارزة في قبيلة الشحوح، ومع أن بعض أفخاذهم يعيشون في دبا وخصب ومناطق أخرى فإن مركزهم الرئيس في أقصى الخلجان الشمالية للجزيرة هو بلدة كمزار الواقعة في شق صخري ضيق ولايكاد يحيط بها أية أراض منبسطة.

ومع أن غالبية الشحوح يتحدثون بلهجتهم العربية الخاصة، فإن الكمازرة يتحدثون بلهجة مختلفة هي عبارة عن مزيج من العربية والفارسية. وإضافة إلى ذلك فقد انقرضت حضارتهم أيضاً. ولعدم توفر الأراضي الفسيحة فإنهم يقومون بدفن موتاهم تحت بيوتهم بطريقة تشبه تلك العادة المتبعة في بعض مناطق القاهرة. إن عزلتهم واعتمادهم الكلي على البحر قد جعل منهم صيادي أسماك وبحارة وبناة قوارب تعرف باسم (بتيل) تتميز بزينتها من الأصداف الصفراء لترمز إلى ثرائهم فيما مضى. ومع أن تربية قطعان الماعز قليلة نسبياً وتعتمد على البحر



يقطن المناطق الجبلية البعيدة عن الساحل في أقصى الجزء الجنوبي من عمان العديد من القبائل التي تستفيد من هطول الأمطار الموسمية، ويعرف بعضهم إجمالاً بالقرا الذين يتالفون من قبائل العمري والمعشني وبيت خشوب وبيت تبوك وبيت سعيد وبيت حردان وبيت عكاك والعويد وبيت قطن والبرامي وبيت جعبوب وبيت شماس وجميع أبناء قبائل آل كثير والمهرا والشحرا والمشايخ. ولا تبين هذه الخارطة بدقة الأراضي التي تقطنها قبائل الكثير وبيت كثير والمهرا في المناطق الصحراوية الشمالية.



يتميز سكان جدة الحراسيس الوسطى بانهم يمكن الاعتماد عليهم في المحافظة على الحياة البرية في البلاد وخصوصا على حيوان المها الذي اعيد توطينه حديثا.

إلا أنهم يأخذون هذه القطعان لترعى في فصول معينة في جزيرة الغنم.

البـــدو

لقد تغيرت الحياة اليومية للبدو منذ عام ١٩٧٠ وخاصة بعد أن امتلكوا العربات الكبيرة والسيارات التي لم يتمكنوا من الحصول عليها حتى ذلك الحين ، كما أن أعدادا متزايدة منهم قد التحقت بالخدمة الحكومية. إن حياة البدو جزء هام في دائرة الوعي العماني والعربي عامة لذا فمن الضروري معرفة كيف كانت حياتهم قبل عملية التنمية الحديثة

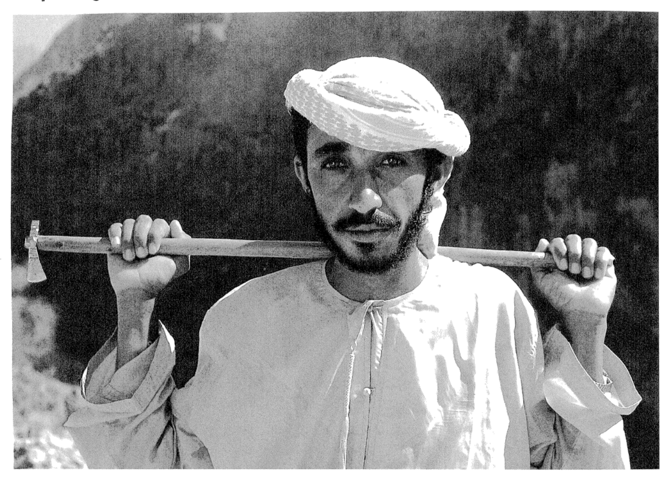
يسكن بدو عمان في المناطق الصحراوية إلى الغرب والجنوب من مسقط ، كما أن بعضهم سكان صحراء بكل ما في الكلمة من معنى بينما يعيش بعضهم الآخر عند حافة المناطق المزروعة، وتملك بعض القبائل مثل قبيلة الدروع مزارع نخيل يعملون بها خلال أشهر الصيف، وهناك ميل تدريجي نحو الاستقرار الدائم. وفي الحقيقة فإن درجة من الاستقرار قد تحققت لدى البدو منذ عهود بعيدة حيث يمكن أن نعتبرهم "عائلات تملك مأويين" : خيمة بدوية لمعظم أيام السنة ومنزلا طينيا أو من سعف النخيل لأيام الصيف وقد تتفاوت خيمة البدو من خيمة كبيرة حسنة التجهيز، رغم أن هذا غير منتشر كثيراً ، إلى مأوى بسيط بدائي، وفي كلتا الحالتين يستخدم سجاد منسوج من صوف الجمال والأغنام بخطوطه الحمراء والسوداء تتميز به مناطق غربي عمان وهو ما يعرف عند بيعه في الأسواق بسجاد عبري أو نزوى ، وتقوم النساء بحياكة القماش المستخدم في بناء الخيام والسجاد وعدة الجمال والخيل ، ولا يوجد في هذه المنطقة تلك الخيام السوداء المستخدمة في مناطق نجد، أما القماش فيعلق عادة على أشواك الأشجار لجعل المكان ظليلاً.

وقد رسم الرحالة "ولفرد ثيسيجر" لوحة رائعة وصف بها حياة الصحراء حيث قال: " إن كل الفضائل في حياة العرب مستمدة من الصحراء، كنزعتهم الدينية العميقة التي وجدت تجسيداً لها في الإسلام ، وإدراكهم لمعنى الأخوة الذي يؤلف بينهم في عقيدة واحدة ، واعتزازهم بأصلهم، وكرمهم وتقديرهم لواجب الضيافة ، إلى جانب الحفاظ على كرامتهم وتقديرهم للآخرين كرفاق من بني البشر إضافة إلى مرحهم وشجاعتهم وصبرهم ، واشتراكهم في اللغة التي يتحدثون بها، وعشقهم للشعر"

ويقول العمانيون إنهم ينحدرون من السلالتين الرئيسيتين من القبائل العربية وهما القحطانية القادمة من جنوب الجزيرة العربية والنزارية القادمة من شمالها. وهذا القول يفترض أنهم مروا بمرحلة من الهجرة من مكان إلى آخر في الصحراء قبل وصولهم إلى عمان، وهي حقيقة تؤكد طبيعة عملية الاستيطان الطويلة الأمد. ويرعى البدو عادة قطعانهم من الماعز والجمال في مساحات واسعة من الأرض، وتمر حياتهم الآن بمرحلة منن الانتقال حيث تم توظيف أعداد كبيرة منهم في شركات النفط أو في الأعمال الإنشائية الآخذة في الازدياد ، وحتى في نهاية السبعينات لم يكن البدو يشكلون أكثر من ٣٪ من السكان

وهنا نعود مرة أخرى إلى كتاب "ثيسيجر" (الرمال العربية) لنجد هذا الوصف الساحر لطبيعة الحياة البدوية

(في صباح يوم قارص من أيام فصل الشتاء ركبنا قاصدين مضارب قبيلة صعر. وفي الطريق لاحت لنا



قطعان النوق السمينة التي تربى للاستفادة من حليبها وقد أطلقها الرعاة لترعى الاعشاب في المنطقة. كما رأينا خياماً صغيرة سوداء اللون من شعر الماعز منتشرة في السهل الفسيح كما ظهرت النساء بملابسهن السوداء وهن جالسات يمخضن اللبن ليستخرجن الزبدة منه أو يقمن بجمع الأغصان الصغيرة أو يرعين قطعان الماعز . أما الأطفال الصغار فكانوا جالسين على بعر الجمال.

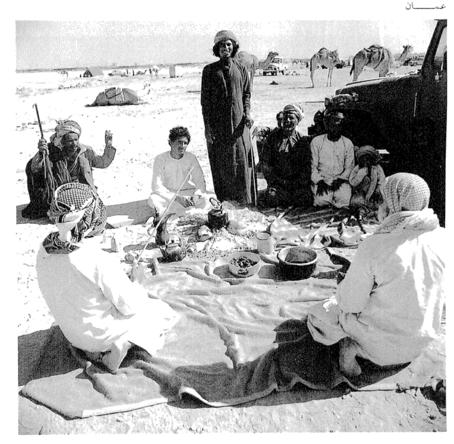
ثم قضينا اليوم التالي في خيمة علي المصنوعة من شعر الماعز والتي لم يزد طولها على أثني عشر قدماً وقد ضربت تحت شجرة صغيرة.

وعند البدو لافرق بين غني وفقير إذ أنهم جميعاً متشابهون في معيشتهم وفي ملبسهم ومآكلهم كما ان معظمهم لايطمحون إلى شيء سوى الحصول على ضروريات الحياة مما يسد رمقهم من الطعام والشراب ومما يغطي عريهم من اللباس وتوفير مأوى يقيهم حر الشمس والرياح بالإضافة إلى بعض السلاح وقدور الطبخ والسجاجيد الصغيرة وقرب الماء وأسرجة الخيل. إنها حياة تمخضت عن صفات نبيلة لايجد المرء أكرم منها).

والبدوي ثرثار بطبيعته ويحب استعادة ذكريات الماضي مستعذباً الحديث عنها ليملأ ساعاته الطويلة التي يقضيها سائراً في الأراضي الفسيحة الجرداء ، وهو على الرغم من حياة التقشف والمشقة التي يحياها إلا أنه شديد الانتقاد وقاس في حكمه على الذين يفتقرون إلى الصبر وروح المرح والكرم والأدب والإخلاص والشجاعة. إن من أعظم عبارات الثناء لدى البدوي إذا ما أراد ان يمدح شخصاً ما هي قوله (ماقصرت) ليدل على ان ذلك الشخص لم يتصرف تصرفاً أقل مما كان يتوقعه هو منه. إن مستوى البدوي في المعاملات الإنسانية رفيع جداً. وينشأ رجال البدو منذ ولادتهم على تحمل مشاق حياة الصحراء والشرب من مياه الآبار الصحراوية التي قد تسبب الغثيان ، وتناول الخبز الفطير اليابس ، وتحمل المعاناة من جراء هبوب الرياح الهوجاء التي تسفي الرمال الساخنة فتلفح الوجوه دون أن يتوفر لهم ملجأ يأوون إليه أو غيمة يستظلون بظلها ، إضافة إلى تحملهم البرد القارص وشدة

يستخدم رجال قبيلة الشحوح في مسندم هذا الفأس المرن. تنزح قبائل الشحوح عادة من القرى الجبلية التي يسكنونها إلى مناطق الصيد البحرية.

الهجير ، ومع انبلاج الفجر يستيقظ البدوي لينطلق إلى خارج الخيمة بثيابه البسيطة التي تغطي جسمه دون أن يتلفع برداء آخر يقيه من برودة الطقس أو من الصقيع إن كان يغطي الأرض من حوله ، وفي الصباح الباكر يقوم البدو بإيقاظ جمالهم التي تنهض وهي ترغي وتزبد كأنها تحتج على هذا الإزعاج المبكر ، فينادي الواحد منهم الآخر بصوت أجش عال يصل إلى مسافات بعيدة ، وما تلبث أن تخرج الجمال وكأنها تقفز إلى الخارج قفزاً لأن أرجلها الأمامية تكون مقيدة حتى لاتبتعد كثيراً ، ويبدو تنفسها واضحاً بسبب برودة الهواء المحيط بها ، ثم ينادي البدو بعضهم بعضاً لأداء الصلاة، وفي بعض قبائل البدو يصلي الرجال فرادى ، بينما يصلون صلاة جماعة



بالنسبة للبدو (أقصى اليسار) العلاقة مع الجمل علاقة حميمة ، حتى ولو كانوا ، كما يبدو اعلاه ، يمتلكون سيارات ذات دفع رباعي.

في قبائل أخرى فيستقبلون القبلة شطر المسجد الحرام ، وكما يصف "ثيسيجر" فإن كل فرض من فروض الصلاة يجب ان يؤدى على الوجه الأكمل (فهو يغسل وجهه ويديه وقدميه، ويستنشق الماء من منخريه، ويضع أصابعه المبللة في أذنيه ويمرر يديه المبللتين فوق رأسه، ثم يكنس الأرض ويضع بندقيته أمامه ثم يؤدي فريضة الصلاة مستقبلا القبلة، ثم يقف منتصباً وينحني للأمام ويداه على ركبتيه في الركوع ثم يسجد حتى يلامس جبينه الأرض ، ويؤدي هذه الركعات بخشوع وهو يتلو الآيات القرآنية").

وحينما تدق القهوة في هاون نحاسي تصدر اصوات شبيهة بصوت الجرس ، وتتفاوت هذه الدقات لتنتج أصواتاً أشبه بالنغمات ، وعندما لا يكونون في عجلة من أمرهم ، يقوم الرجال بتحضير الخبز للإفطار إذا كانوا في السفر وحدهم وإلا فالنساء إذا كانت العائلة مجتمعة الشمل في مكان إقامتها، وهم يشربون الشاي محلى كثيراً أو بدون حليب ثم تتبعه القهوة السوداء المركزة المسماه بالمرّة . وشرب القهوة أمر له أهميته الاجتماعية الخاصة حتى لو كانوا في منتصف الصحراء عندما يكون بعض الرجال في سفر، ويقف من يقدمها ليصب قليلاً منها في فناجين صغيرة دائرية الشكل يقدمها بطريقة احتفالية للآخرين بانحناءة بسيطة، ويستمر في ذلك حتى يهز الشارب فنجانه إشارة إلى اكتفائه وعدم رغبته في المزيد من القهوة، وفي العادة لايتناول المرء أكثر من ثلاثة فناجين قهوة.

وغالباً ما تكون خيام البدو مؤقتة ركيكة الصنع ، وقد يبلغ حجمها ثلاث ياردات طولا وأربعة اقدام ارتفاعا، وهي في العادة ليست كبيرة الحجم كتلك الموجودة في شمال شبه الجزيرة العربية، وتحتوي الخيام على السروج وغيرها من المعدات الضرورية لحياة التنقل الشاقة، أما أواني الأسرة البدوية فتتكون من إبريق شاي وآخر للقهوة وغالباً ما يلطخان بالسواد من أثر النار تحتهما، كما تتوفر أواني طبخ متنوعة مختلفة الأحجام ، مع صينيتين دائرتي الشكل كبيرتين، وبضع صحون وأكواب. ولا يترك هؤلاء الرحالة المتنقلون خلفهم سوى آثار قليلة. وقد وصف "جون فلبي" H St John Philby " العلامات المميزة لمخيمات البدو القديمة حيث تتوفر قرون غزلان المها، وحقائب لأمشاط السلاح، وقطع من الجلد وما شابه ذلك" وهذه المواد هي التي وجدها في مخيمات البدو الصحراوية.

ويمتطي العماني جمله على نحو مختلف تمام الاختلاف عن الأسلوب المتبع في شمال شبه الجزيرة العربية ومعظم مناطق العالم العربي، حيث يجلس الراكب على سرج خشبي ثقيل يوضع فوق سنام الجمل. ويصف "ثيسيجر" كيف سرّج جمله بالسرج العماني الصغير فيقول :-

"التقط سلطان سرجي الذي كان على شكل ملزمة خشبية مثبتة فوق حشوة من ألياف النخيل وحزمه بإحكام في أعلى مكان على ظهر الناقة، وتحديدا في مقدمة السنام ، وقد كانت هذه الملزمة الخشبية هي الأساس الذي بنى عليه سرجه فيما بعد ثم أخذ سلطان حشوة من الألياف تشبه الهلال وترتفع على شكل نتوء من الخلف وبعد أن ثبتها حول مؤخرة سنام الجمل وجوانبه ربطها بأنشوطة حبل في هذه الملزمة، ثم وضع بعدها بطانية فوق هذه الحشوة، وطوى بطانيتي عليها ووضع حقائب سرجي على البطانية، وأخيراً وضع صوفا أسود اللون فوق حقائب السرج.

وكان قد عقد رباطا صوفيا تحت بطن الجمل حتى يصله بالحشوة الموجودة في الخلف ثم تناول أحد أطراف هذا الرباط ولفه حول الملزمة، ومرة أخرى حول الناحية الأخرى من السرج، إلى أن وصل إلى العقدة الأصلية. وعندما عقد الرباط بشدة ثبت كل شيء في مكانه بقوة. لقد أقام الآن منصة فوق سنام الجمل وحشوة الالياف التي كانت تحته، ويشعر الراكب عند الجلوس على هذه المنصة أنه في اقصى مؤخرة الجمل أكثر مما لو كان راكبا على السرج الشمالي".

ويقف البدوي الذي يحاول امتطاء ناقة ناخت على الأرض خلف ذيلها ، ثم يميل بعدها إلى الامام ويمسك اللوح الخشبي بيده اليسرى بينما يثبت ركبته اليسرى على السرج، وعندما تشعر الناقة بثقله تهب قائمة – حيث أنه غالبا ما يتسنم البدو النياق في هذه البقعة من الجزيرة العربية – رافعة ساقيها الخلفيتين عن الأرض بينما تتدلى ساق الراكب اليمنى من السرج، وتقف الناقة عقب ذلك بعدها على ركبتيها وبحركة أخرى تثب واقفة على خفيها ، وقد يجلس البدوي ورجلاه على جانبي السنام أو ينحني على السرج ممسكاً به بأطراف أصابع قدميه، وفي الحالتين يجلس البدوي معتمدا كل الاعتماد على توازنه، ويفضل البدو ركوب الجمل وهم في حالة انحناء ، خاصة إذا كانوا ينوون العدو السريع.

ولا يقتصر نبل حياة البدو على الجوانب البدوية، بل تتبدى أيضاً في طرق التحية عندهم، وكما يقول "فلبي" Philby "التقاء العرب في الصحراء أمر في غاية الدماثة



حيث يحيي بعضهم بعضاً – وهي تحية رسمية جدا وطويلة ومليئة بالتكرار، حيث يتبادل كل فرد من المجموعة نفس التساؤلات الحميمة والاطمئنان على السلامة مع كل فرد من المجموعة الأخرى إلى أن يحيي الجميع، ثم يتفرقون بعدها أو يستمرون في القيام بما كانوا يفعلون ، ومن الأمثلة على التحية: السلام عليكم، وعليكم السلام، كيف حالك يا صالح؟، بخير، كيف حالك يا علي؟، بخير، الله يعطيك العافية، عافاك الله كيف حالك؟ بخير ، ويعقب هذه التحيات انتقال مفاجيء إلى السؤال عن الأعمال بقولهم "ما هي اخبارك؟".

إن هذه الدماثة في الخلق سمة من السمات التي تميز البدو.

سكان الجـزر

ويختلف نمط الحياة في المناطق التي تقع على الحدود الخارجية كما في جزيرة مصيرة وجزر الحلانيات (كوريا موريا سابقا) عن نمط الحياة في معظم مناطق شمالي عمان، وتوجد في مصيرة صورة مصغرة لمعظم ملامح الأرض العمانية من جبل وسهل وساحل وشجيرات صغيرة كثيفة ونخيل ، غير أنه لم يكن يسمح للناس في العقود الماضية حتى فترة تولي جلالة السلطان قابوس مقاليد الحكم ان يشيدوا المباني باستخدام المواد الثابتة وهو عقاب للمجزرة البشرية التي تعرض لها جماعة التاجر "بارون انفرديل" Baron Inverdale في عام ١٩٠٤.

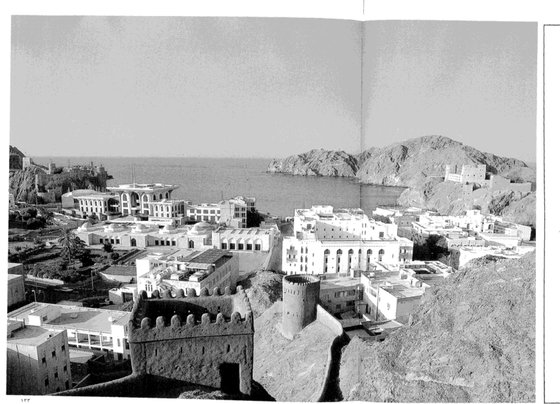
وقد تسبب العمل في محطة سلاح الجو الملكي البريطاني منذ الأربعينات وحتى السبعينات في تغيير الناس لطرق معيشتهم حيث تحولوا من مساكنهم المبنية من سعف النخيل إلى بلدة نامية قامت على أطراف المعسكر، حيث قاموا ببناء بيوتهم من صفائح الزيت، وغدا التقدم في مستوى البناء ملحوظا منذ تولي جلالة السلطان قابوس حكم البلاد، وأصبح للجزيرة حياتها المستقلة من خلال التسهيلات التي تقدمها قوات سلطان عمان الجوية. لقد لعبت هذه التسهيلات، إضافة إلى تلك الموجودة في السيب، دورا بارزا أثناء حرب الخليج عام ١٩٩١.

ولا يقل تاريخ جزر الحلانيات غرابة، حيث تسمى هذه الجزر الخمس الصغيرة التي تقع خارج نطاق ساحل ظفار بالحلانية والجبلاية وسدى وحسكية وجرزوت. وقد قام السيد سعيد بن سلطان بالتنازل عن هذه الجزر للتاج البريطاني في الرابع من يوليو عام ١٨٥٤ دون أي مقابل على الرغم من أن "اللورد كلارندون" Clarendon وزير الخارجية قد بعث إلى السيد سعيد بعلبة من السعوط تقديراً لكرمه، كما منح الكابتن "أورد" Ord وهو تاجر بريطاني ترخيصا لاستخراج السماد المتراكم من زرق طيور البحر من الجـزر. وقد استخرجت شركته ٢٦٠١٩١ طنا في الفترة ما بين ١٨٥٧ – ١٨٥٨ (١٢٧٤–١٢٧٦هـ) و١٤٠٢٥٠ طنا في الفترة ١٨٥٨–١٨٥٩(١٢٧٥–١٢٧٦هـ) ، إلا انه تم الغاء هذا الترخيص عام ١٨٦١ عندما فشلت الشركة في سداد ديونها. وفي حقيقة الأمر فقد كان يسكن هذه الجزر قلة صغيرة من الصيادين الذين قطنوا لاحقا في جزيرة واحدة فقط هي جزيرة الحلانيات.

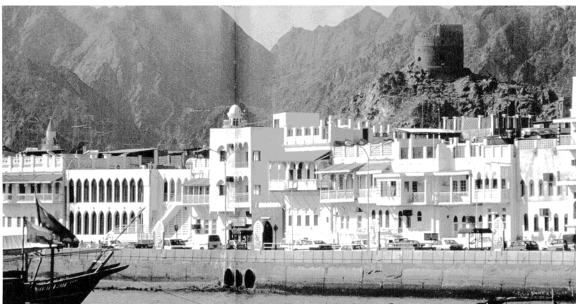
وقد كانت السيادة البريطانية اسمية إلى حد كبير، فعندما زار الجزر في عام ١٩٦٠ حاكم عدن "السير رتشارد لوس" Sir Richard Luce و"السير جورج ميدلتون" Sir George Middleton المقيم في منطقة الخليج سألهما كثير من الناس عما إذا كانا يحملان تصريحا من السلطان. وقد استردت عمان سيادتها على هذه الجزر عام ١٩٧٦ (١٣٨٧هـ).

الباب الخامس
المسكن والبيئة المعيشية

تعيش الغالبية العظمى من العمانيين في المدن والقرى مع التباين في أساليب الحياة فهناك الشمال والجنوب، الأراضي المنخفضة والمرتفعات، التجارة والفلاحة. ومن بين الموانىء والمرافيء الساحلية وأواسط المنطقة الداخلية التي تعلوها القلاع ومن بين مساكن الباطنة وتجمعات المرتفعات نهضت عمان الحديثة فكانت المنشآت العامة والمنازل بهوائها المكيف وبأشجارها ونوافيرها مع احتفاظها بطابعها التراثي الفخم.



تعتبر مسقط فريدة بين المدن حيث انها محور منطقة العاصمة، وهي محصورة بين الجبال العالية والبحر وتطل على خليج عميق وجميل مزدان بالواجهة البراقة لقصر العلم الواقع بين قلعتي الميراني (يسارا) والجلالي (يمينا) اللتين بنيتا في القرن السادس عشر الميلادي.



ميناء مطرح الطبيعي الممتد لبضعة اميال على طول الساحل من مسقط جعل من هذه المنطقة على مدى سنوات عديدة المركز التجاري الطبيعي للعاصمة ، كما يبدو في ساحات مبانيه ذات التصاميم الانيقة التي ترجع إلى القرن التاسع عشر والموجودة على امتداد الكورنيش.

يعيش العماني اليوم في بيئة تختلف كثيرا عن تلك التي كانت عام ١٩٧٠ . لقد كانت المدينتان التوأمان مطرح ومسقط آنذاك تمثلان العاصمة التجارية والسياسية إلا أن مجموع سكانهما لم يكن يتجاوز خمسة عشر الف نسمة . أما اليوم فعدد سكان منطقة العاصمة يربو على ٦٢٢ الف نسمة وتمتد من بلدة قريات إلى السيب في مساحة تبلغ ١٣٤ كم.

لم يكن يبلغ الفخم منزل في مسقط أو مطرح في بداية السبعينات من حيث مستوى الراحة منزلا متوسطا في شاطيء القرم أو مدينة قابوس اليوم، وبالمثل في صلالة عاصمة المنطقة الجنوبية حيث كان الفرق شاسعا بين مظهر منزل متوسط في عام ١٩٧٠ وبين اليوم. إن المبتكرات الحديثة وليدة الاقتصاد المزدهر القائم على النفط قد ألقت بظلالها على جوانب عديدة من جوانب المسكن العماني الحديث . وقد تغيرت ملامح الدولة بسرعة مذهلة منذ عام ١٩٧٠ هذا التغير الذي بدا واضحاً في المباني الجديدة والمنشآت التنموية التجارية والصناعية والمناطق الحضرية الجديدة ، وقد حدث أكبر تحول في العاصمة نفسها .

إن مدينتي مسقط ومطرح اللتين كانتا متصلتين بطريق ساحلي ضيق جميل قد احتفظتا بملامحهما التقليدية الخاصة بكل واحدة منهما ولكن سرعان ما اعتبر المخططون والمواطنون على السواء أن منطقة العاصمة هي الشريط الساحلي الواقع بين قريات والسيب التي أنشيء بها المطار الجديد في عام ١٩٧٣ بديلا عن ذلك الذي كان في بيت الفلج والذي كان الوصول إليه عن طريق الجبال ثم ما لبث أن احتوته مدينة روي.

ظلت مسقط مركزا للعاصمة السياسية ولذا كانت هي الموقع للقصر الجديد الرائع الذي بني لجلالة السلطان في عام ١٩٧٢ على الواجهة البحرية بين قلعتي الميراني والجلالي اللتين أنشئتا في القرن السادس عشر. أما المنازل فقد احتفظت بأجمل ما في معمارها القديم رغم تجديدها كما أنشئت بوابات ومبان جديدة من بينها الديوان ووزارة المالية على طراز المباني القديمة المتناسقة.

وهكذا احتفظت مسقط بطابعها القديم بعد أن غير البناء الحديث طبيعتها بصورة ملحوظة. لقد كان الانهيار المفاجيء لبوابة مطرح في ١٩٧٢ رمزا للتغيير الشامل، وحتى ذلك الحين كانت تلك البوابة الخشبية الضخمة تفتح عند الفجر وتوصد بعد الغسق رغم وجود طريق كان يؤدي إلى داخل المدينة على بعد ياردات قليلة. ولاشك أن الاهتزاز الناجم عن حركة المرور المتزايدة أدى إلى زوال ذلك المعلم البارز كما أن الأعداد المتزايدة من السيارات كانت السبب في تغيير كثير من ملامح الدولة وأسلوب الحياة فيها.

لم يكن هناك أكثر من عشر سيارات "صالون" في السلطنة في عام ١٩٧١ بينما وصل عددها إلى حوالي ٢٧٥ الف مركبة في عام ١٩٩٥. لقد سارت عملية التنمية بخطى متقدمة مع زيادة إنشاء الطرق، وعلى سبيل المثال خصصت الأراضي في وادي روي خلف مطرح حسب خطة مدروسة لقيام مواقع تجارية وصناعية وحكومية. كما شمل التخطيط مواقع للفنادق والمساكن والمستشفيات، ونتيجة لذلك تطورت عدة أماكن لتصبح مدنا حديثة جميلة تزينها الأشجار والحدائق والمستديرات ذات المروج الخضراء والزهور التي تعلوها الشعارات العمانية المصممة من الحجارة والفخار.

لقد قامت وزارة البلديات في باديء الأمر بمنح الأراضي للمواطنين حيث أدخلت نظاما للتسجيل كما كانت تشرف على المباني والمنشآت الجديدة للتأكد من أنها تبنى حسب المخططات المرسومة . لقد كانت معايير منح الأراضي تخضع للشروط التالية : أولا أن يكون مقدم الطلب مواطنا بالمنطقة. ثانيا: أن لا يملك منزلا آخر إن كان يرغب في الحصول على قطعة أرض سكنية. ثالثا: أن يثبت مقدرته على البناء طبقاً للمعايير والمواصفات المبينة في اللوائح والقوانين وينطبق هذا الشرط أيضا على قطع الأراضي التجارية والصناعية.

لقد استمر التخطيط والبناء وسار بصورة منتظمة وبدأت مشاريع رئيسة عديدة في الخطة الخمسية الثانية شملت منطقة روي التجارية ومدينة الإعلام ومجمع الاتصالات السلكية واللاسلكية ومجمع السلطان قابوس الرياضي الذي بلغت تكلفته ٤١ مليون ريال عماني حيث تم افتتاحه في عام ١٩٨٥ في العيد الوطني الخامس عشر ، وتبلغ مساحة هذا المجمع الرياضي ٤٤ هكتارا ومن معالمه الرئيسة ملعب ومدرج يتسع لحوالي ٣٠ الف مشاهد وصالة كبيرة صالحة لممارسة ٢٣ لعبة رياضية . كما افتتحت ملاعب مدرجة رياضية كبيرة أخرى منها الملعب المدرج في كل من صحار ونزوى اللتين شهدتا احتفالات العيد الوطني في عامي ١٩٩٢ و١٩٩٤ على التوالي ، وقد شرفهما جلالة السلطان بحضوره الكريم. ومن المشاريع التنموية الرئيسة التي تم إنجازها جامعة السلطان قابوس بالخوض والتي انشئت في عام ١٩٨٦، وهي مجموعة مبان حديثة ذات طراز معماري تقليدي ومن معالمها الجميلة المدرج المسرحي المفتوح الذي تقام فيه احتفالات التخرج وهو مزيج من المعمار الشرقي واليوناني القديم . وفي عام ١٩٨٧ افتتح بالغبرة المستشفى السلطاني الفاخر بسعة ٦٣٠ سريرا وهو مشفى يسترعي الانتباه بمعداته الحديثة وبنائه الذي يحيط به جمال الطبيعة.

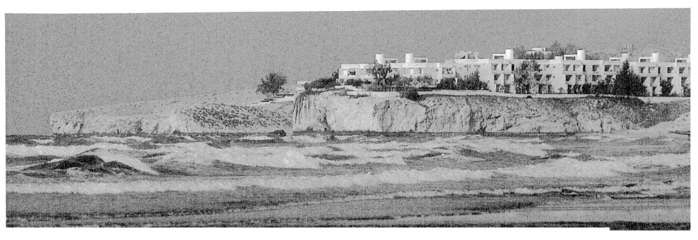
ومن جانب آخر بدأ تنفيذ برنامج للإسكان في عام ١٩٧٣ لذوي الدخل المحدود حيث تم تشييد ٧٣ منزلا. وفي نفس العام امتد برنامج الإسكان إلى أقاصي عمان حيث تم بنهاية عام ١٩٩٣ تسليم أكثر من ثمانية آلاف منزل للمستحقين من ذوي الدخل

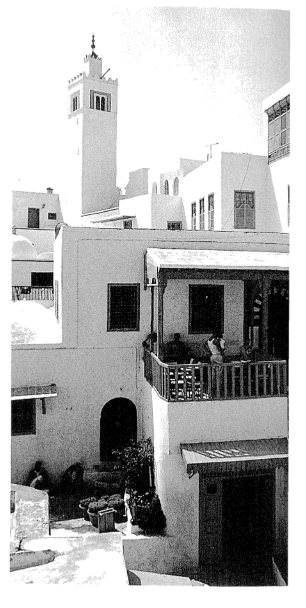
معظم أجزاء مسقط محاطة بأسوارها القديمة التي يصرح لسكانها حتى عام ١٩٧٠م بالتحرك بعد حلول الظلام وبدون اصطحاب قنديل. مازالت بوابة مسقط إلى الآن تحتفظ بنفس الشكل التقليدي السابق (أعلى).

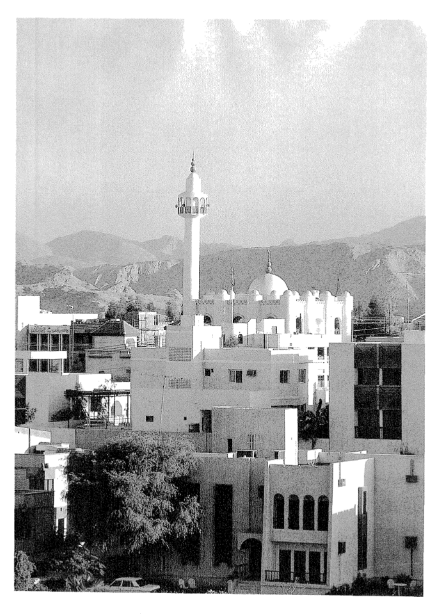
المحدود، ويبلغ متوسط تكلفة المنزل في هذا المشروع ما بين ١٤ – ١٦ ألف ريال عماني. ويهدف البرنامج إلى توفير المسكن للجميع بحلول عام ٢٠٠٠، وفي نفس الوقت تم توفير الدعم المالي للقادرين على امتلاك المنازل للعاملين في القطاع الخاص وذلك من خلال بنك الإسكان منذ عام ١٩٧٧.

كان برنامج الإسكان في الشمال موازياً لما كان يقوم في الجنوب حيث شهدت صلالة قيام حركة تنموية رائعة على طول الطريق الحديث المؤدي إلى ريسوت غربا وطاقه شرقا. وبخلاف المدارس والمستشفيات والأسواق فإن المباني الجميلة في المنطقة ازدادت عدداً بإنشاء الوزارات المختلفة في عاصمة ظفار كما في مسقط، أما الجبل في ظفار فقد توسعت فيه التجمعات المعمارية الصغيرة وتطورت من مناطق تضم مدرسة ومسجداً وعيادة ومركز تزويد للمياه إلى مدن حسنة التشييد جيدة المعمار ذات خدمات أساسية متطورة.

كما حظيت منطقة مسندم أيضاً بعناية خاصة حيث أشرفت لجنة التنمية على بناء المدارس والعيادات والمرافيء والمطار والمساكن في كل من بخا وخصب والبيعة. كما أنشئت بها محطة أقمار صناعية لتزويد المنطقة بنظام حديث للاتصال مما جعل سكانها أكثر ارتباطا بالمواطنين في بقية أنحاء السلطنة.







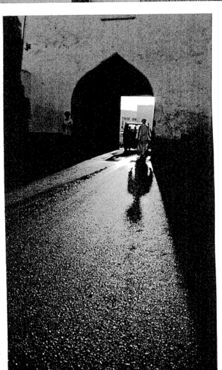
توسعت العاصمة بشكل كبير في اتجاه الشمال على امتداد الساحل وراء مسقط ومطرح ووراء التلال وأحياناً بمحاذاتها للشاطيء مباشرة غرب مطرح . وتعتبر منطقة القرم من الأماكن المفضلة للسكن (يمين وأعلى اليمين) وقد زاد من جمالها الفن المعماري الأنيق وبراعة سكانها في تنسيق حدائقهم.

البنـاء والمعمـار

لقد حتم كل هذا التطور والبناء توظيف خبرة معمارية هائلة ويتضح من الوهلة الأولى أن طراز البناء الحديث في عمان متجانس ومتناسق بدرجة ملحوظة رغم تباين أساليب البناء وذلك نتيجة للاهتمام الشخصي لجلالة السلطان في هذا المضمار. وكما برزت الجهود في النواحي المختلفة الأخرى فقد كانت هناك جهود واضحة في كل مكان للحفاظ على الأشكال والملامح والألوان والروح التاريخية للمباني العمانية القديمة من أجل تصميم وتشييد المباني الجديدة منذ عام ١٩٧٠ بما في ذلك القصور والوزارت والمباني الحكومية والخاصة وحتى المنازل المصممة لذوي الدخل المحدود.

لقد زينت المناطق السكنية والشوارع الكبيرة في المدن بالأشجار والزهور إلى أن أصبح من الملامح البارزة لعمان الحديثة ذلك التباين المشهود بين مناطق المروج الخضراء النضرة والمناطق الصحراوية والجبلية التي ظلت على الدوام ترمز إلى أمجاد عمان الطبيعية.

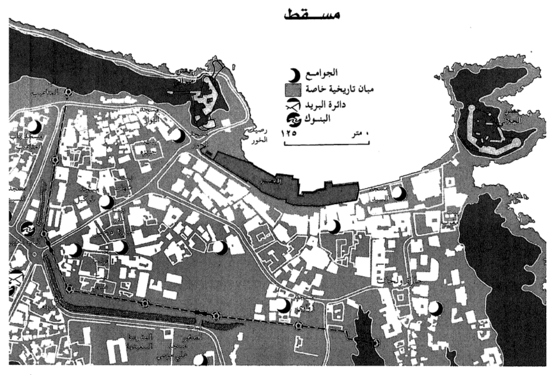
وتشتمل منطقة الوزارات في العاصمة على مجموعة من المباني المميزة، فهناك وزارة التراث القومي والثقافة التي تستحضر بتصميمها صورة القلاع والحصون العمانية العريقة ، كما تضم متحف التاريخ الطبيعي ، وهناك وزارة الخارجية التي تحيي بتصميمها الرائع ذي اللون الأبيض تصميم منازل مسقط القديمة مثل بيت جريزة وبيت نادر كما أن تصميمها الهاديء يتناسب مع أغراضها الدبلوماسية.

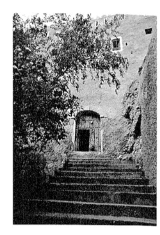


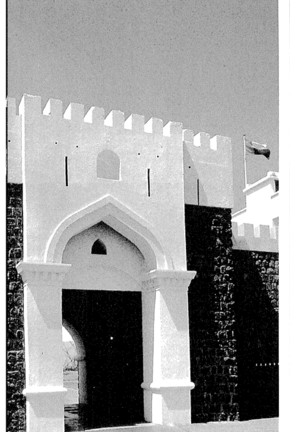
أما مساجد عمان القديمة فتتميز بالتناسق حيث تعكس البساطة والزهد في تصميمها. لقد تم انشاء مساجد عديدة في كل أنحاء الدولة بنفقات حكومية أو خاصة، وهذه المساجد أكثر زخرفة وتنميقا وأكبر من المساجد القديمة وهي تعكس أهمية الإسلام للشعب العماني في بيئة عصرية أكثر تعقيدا ، كما تتصف زينة هذه المساجد وزخارفها دائما بأنها خلابة إضافة إلى أن مآذنها وقبابها رائعة الشكل والتصميم.

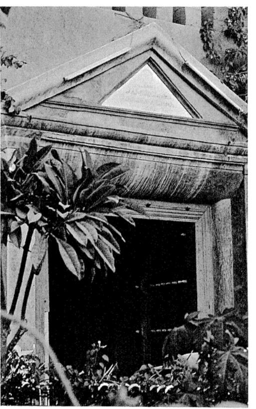
وأما فندق قصر البستان فهو مثال متميز للفنون المعمارية الإسلامية المتآلفة مع متطلبات العصر الحديث، حيث ينتصب شاهقا على شاطيء البحر قرب مسقط.

إن الدخول إليه يتطلب المرور بطريق دوار نصبت عليه سفينة صحار التي قامت بالرحلة التاريخية إلى "كانتون" كما تخيلها "تيم سيفرين" Tim Severin في عام ١٩٨٠، ويبدو الفندق بقبته النحاسية في ذلك الموقع المميز من على البعد وكأنه إحدى قلاع عمان، أما عن قرب فيراه الناظر على حقيقته: بناء ضخم ذو ثمانية أضلاع بملحقات متجانسة، تتكون كل واجهة من الواجهات الثمانية من سلسلة من الشرفات المتراصة فوق بعضها وبها أقواس إسلامية مدببة ترتكز على أعمدة رخامية رمادية وسوداء تعيد ذكرى كاتدرائية "سالزبري" من القرن الثالث عشر. وتحيط بالفندق أيكة من أشجار النخيل والمروج الخضراء، ومن خلال سعف النخيل المقلم بطريقة مزخرفة تظهر الجبال المثلمة الخشنة بالوانها غير المتناهية، كما تزهو الحدائق الغناء وتتألق بشجيراتها المزهرة من كل لون ، وتتوسط الفندق ردهة تخلب الألباب برحابتها وأقواسها الثمانية الشاهقة ذات الطراز القوطي والتي يحف بها إطار ذهبي على شكل حبل ومرآة رفيعة، وتمتد الأقواس إلى الأعلى لتعانق شرفات خشبية صممت فوقها بينما ترتكز هذه الأقواس على أعمدة مزينة برقاقات زرقاء









على الرغم من أن بعض الطرق السرية المؤدية إلى مسقط (أعلى) قد شملتها روح العصر إلا أن التصاميم القديمة للمباني بمسقط وقد تمت المحافظة عليها على الرغم من التطور المتلاحق الذي ساد العاصمة حديثا.

يسار ، يمين: ثلاثة من البوابات الواقعة على طول سور المدينة (فوق ، يمين) بيت جريزة الأبيض يتميز بموقعه تحت الواجهة السفلى لقلعة الميراني.

وخضراء وصفراء.

وتأخذ الزخرفة في تصميمها طابعا هندسيا وزهريا من أسفل المبنى إلى القبة في الأعلى ، وتوجد في وسط المبنى نافورة ماء رائعة على قاعدة رخامية . وهكذا فالمبنى في مجمله معلم يعكس عظمة المعمار الإسلامي حيث تمتليء أرجاء الفندق بعبق بخور ظفار وتتردد في أرجائه الموسيقى الحالمة التي قد تكون في بعض الأحيان موسيقى حية يؤديها عازف على البيانو او القيثارة.

لقد شيد قصر البستان في عام ١٩٨٥ متزامنا مع احتفالات العيد الوطني الخامس عشر لاستضافة قمة دول مجلس التعاون ، وقد صمم خصيصا ليتسع لكل قادة دول المجلس في آن واحد حيث خصص لكل منهم جناح منفصل خاص به ، ويضم هذا المجمع الفاخر بالإضافة إلى أجنحة وحجرات فخمة مزينة بالرقاقات الإسلامية قاعات ضخمة وأخرى صغيرة للمؤتمرات إضافة إلى مسرح رائع وقاعة للاحتفالات بها آلة أورغون ضخمة. وهكذا ملأت عمان فراغا ملموساً بتوفيرها مكان إقامة مناسب لاستضافة رؤساء الدول وكبار الزوار.

المـاء والطاقـة

كان من بين الأمور الهامة توفير المياه والطاقة الكافية لتنفيذ كل تلك المشاريع التنموية ، وكانت المشكلة صعبة بسبب حالة الجدب في عمان بصفة عامة. لقد كان إمداد المياه في المراحل الأولى في معظم أنحاء الدولة من الموارد التقليدية أو المضخات التي تم تركيبها وكان ذلك يتطلب اجراءات معقدة في منطقة العاصمة وصلالة. لقد كانت كل من مسقط ومطرح تستمدان مياههما من الآبار المحلية حتى الستينات ، ومنذ عام ١٩٦٨ كانت المياه تنقل بالأنابيب من موارد



أعلى : نموذج لأحد منازل التجار الأرستقراطية الجميلة (بيت النعمان) في بركاء وبداخله حجرة خاصة للصلاة ولقراءة القرآن الكريم.



جديدة كبيرة بالخوض حيث يصب وادي سمائل في سهل الباطنة. وفي عام ١٩٧٠ اتضح ان هذا المورد لايكفي فبدأت المسوحات المائية وتم حفر آبار جديدة وانشئت محطات التنقية لدعم الموارد القديمة.

كانت مياه صلالة تأتي من الحفائر في السهول غير ان معظم هذه المياه كانت ترد من وادي أرزات عن طريق الفلج الذي دمر أثناء التمرد في ظفار مما ادى إلى الاعتماد على حفائر جديدة. وبحلول عام ١٩٨٢ كان هناك نظام فعال للمياه في البريمي ونزوى وصحار وصور. ولما للمياه من أهمية قصوى فقد ركزت الخطط الخمسية عليها منذ البداية بخلاف مياه المنازل التي تأتي من محطات التحلية. إن كل المياه في عمان تأتي من الحفائر ومياه الأمطار بما ذلك الأفلاج التي تعتمد عليها مدن عديدة ، أما المياه الجوفية في أعماق الأرض فمصدرها أيضا من الأمطار التي هطلت على عمان في الماضي البعيد عندما كان الطقس أكثر رطوبة . لقد ازداد الاهتمام بموضوع المياه عندما غاصت الآبار في سهل الباطنة وصلالة مما دعا إلى المزيد من الضخ فادى ذلك بدوره إلى وجود الملوحة حيث تسربت مياه البحر إلى المياه العذبة ، ومن هنا قام مشروع مسح الآبار الوطني في عام ١٩٩١ لحل هذه المشكلة ، ويجري التنقيب الآن عن المياه في كل مناطق السلطنة بصفة عامة.

لقد تطورت عملية تزويد المنازل بالمياه كثيرا منذ الستينات عندما كانت المياه حتى في مدينتي مسقط ومطرح تجلب من الآبار المحلية . لقد أنشئت إدارة المياه في عام ١٩٦٨ ، وفي عام ١٩٧٠ تم حفر ثلاث آبار حكومية في الخوض حيث تم نقل المياه لمسقط ومطرح بواسطة الأنابيب، ولكن عدم كفاية مياه الموارد



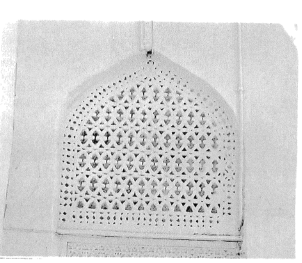


فوق، يمين ، وفي يمين أسفل الصفحة المقابلة : بيت الفرنسي الذي كان يوما ما مقر الممثل الفرنسي في مسقط. يعد هذا البيت واحداً من ستة منازل فاخرة تعود إلى القرن الثامن عشر في مسقط.

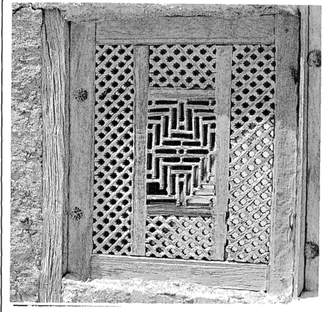
الطبيعية مع توسع العاصمة والمدن الأخرى أدى إلى إنشاء أول محطة للتحلية في عام ١٩٧٦ في الغبرة خارج مسقط وكان إنتاجها اليومي ستة ملايين جالون، ثم توسعت هذه المحطة إلى أن بلغ انتاجها ٣٥ مليون جالون يوميا في عام ١٩٩٦ . وتبلغ سعة خزان الغبرة الذي بدأ في عام ١٩٩٤ حوالي ٢٫٢ مليون جالون وهو واحد من ١٥ خزانا في العاصمة ، وتغطي شبكة أنابيب المياه معظم أنحاء المنطقة ولا يزال العمل

أعمال الخشب الداخلية

بخلاف بقية أقطار الجزيرة العربية تم استغلال خشب الأشجار الصلبة في أجزاء عديدة من عمان حيث قاموا باستيراده من الهند ودول أفريقيا وقد ساعد بسبب صلابته في المحافظه على النحت الخشبي التقليدي وكذلك في بناء السفن على مدى مئات السنوات.



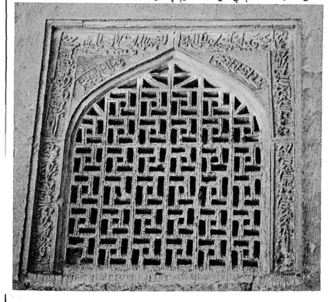
واجهة هذا الباب تنم عن ذوق رفيع يتمتاز به صاحب المنزل.

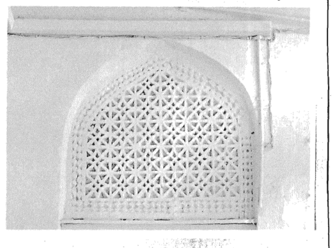


تتجلى عبقرية المصمم في كل شباك يقوم بإنجازه.



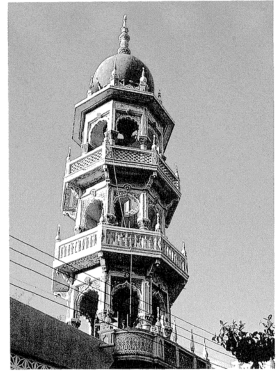
كثيرا ما توحي الورود بجماليات كثيرة يستخدمها الذين يقومون بالنقش على الأخشاب (أعلى).

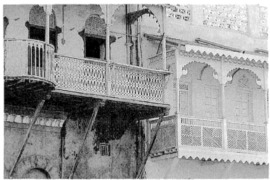




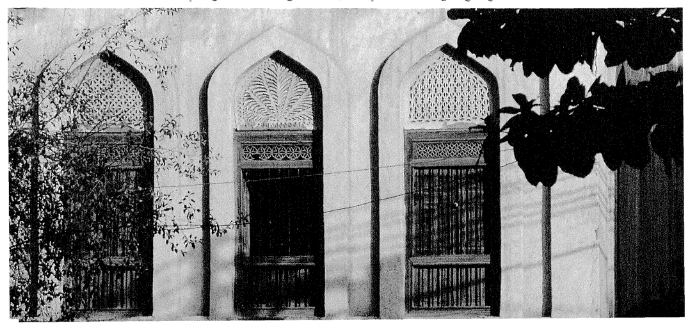
تستمد معظم التصاميم من الزخارف المبتكرة وأحيانا من آيات قرآنية.

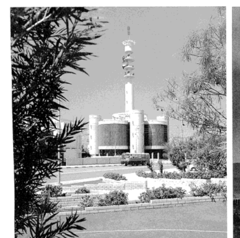


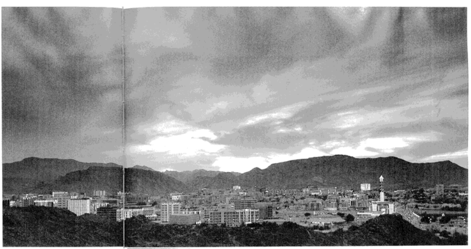




المئذنة الضخمة لجامع مطرح توضح تأثير الطراز المغولي. (أسفل) واجهة مطرح تتميز بأنها ذات طابع عماني تقليدي.



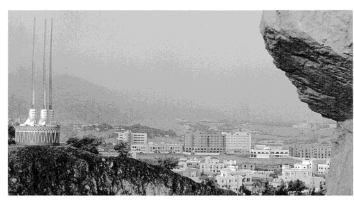




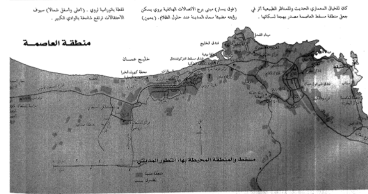
كان للخيال المعماري الحديث وللمناظر الطبيعية أثر في جعل منطقة مسقط العاصمة مصدر بهجة لسكانها .

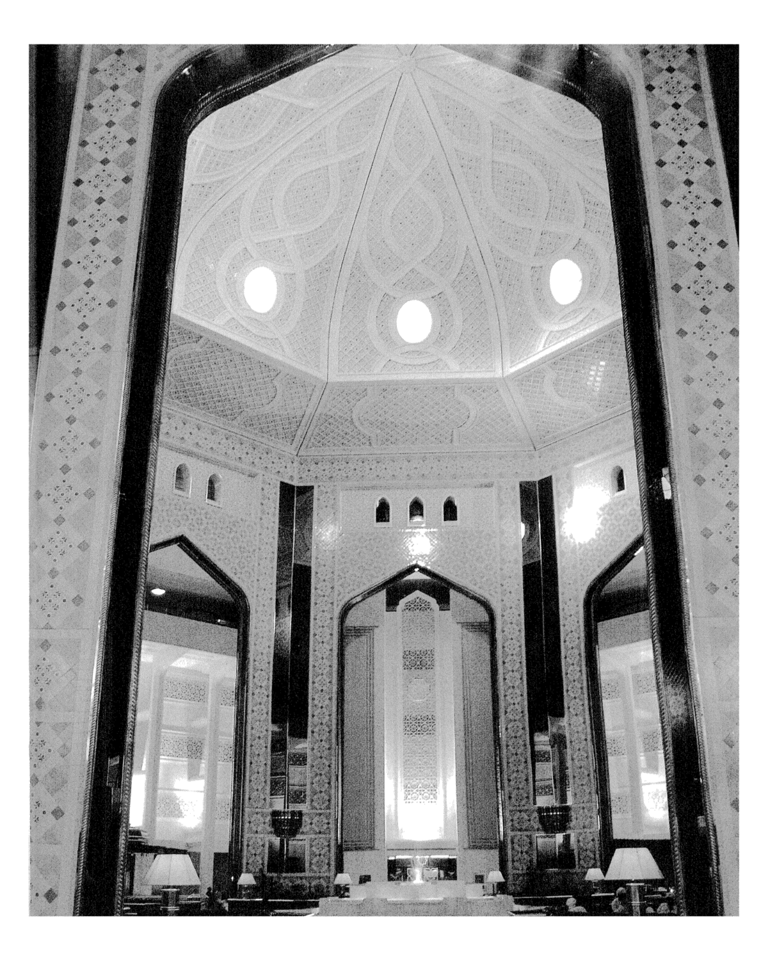
(فوق يسار) مبنى برج الاتصالات الهاتفية بروي يمكن رؤيته مضيئاً سماء المدينة عند حلول الظلام . (يمين)

لقطة بانورامية لروي . (أعلى وأسفل شمالاً) سيوف الاحتفالات ترتفع شامخة بالوادي الكبير .



منطقة العاصمة

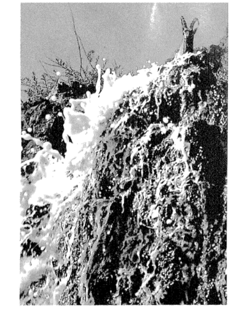


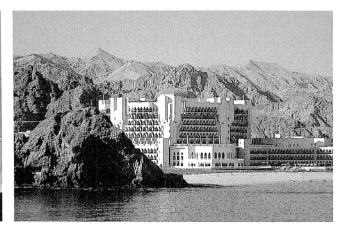


مستمراً للحصول على المزيد منها، وتستمد بعض المناطق الداخلية مياهها من الحفائر، أما في الأماكن التي يمكن توصيل الأنابيب إليها مباشرة فهناك نظام الشاحنات الناقلة للمياه، وعلى الرغم من ذلك فهناك حاجة لمحطات تنقية إضافية. ويوجد في مدينة صور محطة سعتها مليون جالون في اليوم وتمتد الأنابيب لمسافة تبلغ ٤٩٨ كم. وهناك محطات تنقية أخرى تكفي للحاجة المحلية في أماكن معينة مثل مناطق بني بوحسن وبني بوعلي ومصيرة والرويس وخصب في المنطقة الوسطى، وهكذا تنعم مناطق عديدة في السلطنة بالمياه النظيفة الصحية العذبة.

والمحطات الصغيرة الأخرى في الداخلية . ولم تكن هناك محطات توليد كهرباء خارج العاصمة حتى تم افتتاح ٢٢ محطة تعمل بالديزل وبإنتاجية بلغت ٢٧ ميغاواط، وقد تم فيما بعد تحويل المحطات إلى محطات تعمل بتوربينات الغاز الطبيعي.

تستمد العاصمة مسقط الكهرباء حالياً من محطتي الغبرة والرسيل اللتين تم ربطهما معاً وهذه الشبكة تغذي بالإضافة إلى مسقط كل من قريات وفنجاء وسمائل والرستاق والمصنعة والسويق والخابورة. وفي الداخلية قام القطاع الخاص بتمويل محطه الطاقة في منح قرب إزكي ونزوى وذلك على مبدأ "انشىء واملك







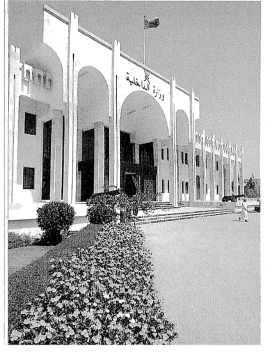
الكهربـاء

لقد تحسن مستوى الحياة بإدخال الكهرباء إلى شتى مناطق الدولة . لقد بدأ مشروع الكهرباء في عام ١٩٦٧ بإنشاء شركة مسقط للطاقة التي كانت تدير محطة صغيرة في ريام بين مطرح ومسقط وكان انتاجها ٤٫٥ ميغاواط. وقد ضُمت الشركة للحكومة في عام ١٩٧١ وازداد إنتاجها من الكهرباء بخُطى حثيثه. لقد كانت المحطة الرئيسة الكبرى هي محطة الطاقة والتحلية بالغبرة بإنتاجية أولية بلغت ٢٥٫٤ ميغاواط ثم ازدادت إلى أن بلغت ٢٨٧ ميغاواط في عام ١٩٨٣ ثم إلى ٤١٢ ميغاواط في عام ١٩٩٥. وبلغت الطاقة المولدة في الرسيل في عام ١٩٨٤ حيث قامت بها أول منطقة صناعية حوالي ٢٥٠ ميغاواط ثم تضاعف الإنتاج فيما بعد. ومن المشاريع الرئيسة ايضاً محطة الجزي للطاقة والتي تساهم في زيادة التوليد مع محطة العاصمة

مباني الوزارات مثل مبنى وزارة الخارجية (أعلى) ووزارة الداخلية (أسفل) ذات مستوى معماري يثير الإعجاب. نموذج لوعل يعتلي شلال مياه للزينة (أعلى). (الصفحة المقابلة) صورة لفندق قصر البستان الذي نال شهرة عالمية.

وشغل وحول" وقد بلغ إنتاج المحطة ١٢٠ ميغاواط وتم اختيار هذا الموقع لقربه من أنابيب الغاز الطبيعي.

أما في المنطقة الجنوبية فقد أنشئت ثلاث وحدات تعمل بالديزل في بداية السبعينات بإنتاجية بلغت ١٣٦٥ ميغاواط كانت تسدّ الحاجة ، ثم قامت محطات جديدة في صلالة وريسوت وكان الإمداد يكفي المدن الساحلية مثل مرباط و طاقة وسدح ، كما امتدت الكهرباء إلى جزر الحلانيات حيث أنشئت بها





محطة طاقة و تحلية بسعة ٦٤٠ ميغاواط في ١٩٨٧م.

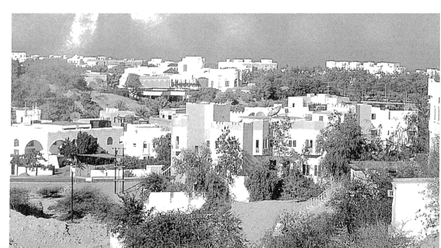
لقد تم إنشاء محطات تعمل بالديزل في المناطق التي لم تصلها إمدادات المحطات الرئيسة ، فمحطة مدحا على سبيل المثال تغذي القرى الداخلية. وهناك محطات في مناطق بني بوحسن ونزوى وصور وبهلا ومسروق وحاج بني حميد. وهكذا وبشتى السبل توفرت احتياجات كل المواطنين من الكهرباء.

الزراعــة

عمان هي الدولة الوحيدة من دول الخليج العربي التي تمت فيها ممارسة الزراعة على نطاق واسع في الماضي. إن موارد الدولة الرئيسة قبل اكتشاف النفط كانت تعتمد على الزراعة والأسماك . لقد كانت السياسة الزراعية منذ تولي جلالة السلطان مقاليد الحكم تهدف إلى اكتفاء عمان ذاتياً من الغذاء بحلول عام ٢٠٠٠ وزيادة صادراتها ، وقد تبين من التعداد السكاني لعام ١٩٩٣ أن المجموع الكلي للمزارعين في عمان بلغ ٧٨٧٫٣٠٠ مزارع وأن نسبة عالية من السكان مازالوا يقطنون في الأرياف ، وقد ساهم القطاعان الزراعي والسمكي عام ١٩٩٣ بمبلغ ١٥٦ مليون ريال عماني. لقد أصدر جلالة السلطان مرسوماً يقضي بان يكون هناك شهران للزراعة في العام وذلك تحفيزا لوزارة الزراعة والثروة السمكية وللمزارعين ومربي الحيوانات والصيادين لزيادة الإنتاج.

لقد وضعت الحكومة في عام ١٩٧٠ برنامجاً من خمسة أهداف هي: الاستغلال الأمثل للمياه وترشيد استخدامها ، إدخال أنواع محسنة من المحاصيل والحيوانات، القضاء على أمراض المحاصيل ، المساعدة في حفظ الغذاء وتوزيعه ، واستغلال الثروة البحرية . لقد كانت كل هذه المشاريع تتطلب بحوثاً ودراسات ولذلك ارتفع عدد المزارع التجريبية من مزرعتين في عام ١٩٧٠ إلى ٢٠ مزرعة بنهاية الخطة الخمسية الثانية كما استحدثت ثمانية مراكز للبحوث الزراعية و٣٨ مركزا للخدمات والإمدادات الزراعية.

إن الرياح الموسمية في ظفار من شهر مايو إلى سبتمبر تساعد في توفر مراع جيدة للماشية كما تمكن المزارعين من زراعة المحاصيل الاستهلاكية . أما في الشمال فقد كانت الزراعة تعتمد على نظام الأفلاج وهي عبارة عن مجار مائية من صنع الإنسان تسري على



جوانب الجبال وتنحدر باتجاه الحقول ، أما في ساحل الباطنة فكان يتم رفع المياه عن طريق (الشادوف) وهو عبارة عن تركيبة خشبية في مقدمتها حلقة خشبية عليها حبل طويل يجره جمل أو ثور فيرتفع الماء في دلو مربوط في نهاية هذا الحبل ، وكانت المضخات التي تعمل بالديزل تدعم هاتين الوسيلتين التقليديتين.

إن معظم المزارع في عمان عبارة عن أراض تبلغ مساحة الواحدة منها هكتارين. لقد ازدادت الرقعة المزروعة بعد عام ١٩٧٠ بمعدل ٧ر٢ في المائة في العام وبحلول عام ١٩٩١ بلغت المساحه المزروعة ٦٠ ألف هكتار من جملة ١٠٠ ألف هكتار من الأراضي القابلة للزراعة في عمان. لقد كانت الخطة الخمسية الرابعة تهدف إلى تحسين الإنتاجية في الأراضي المزروعة بدلاً من زراعة مساحات أخرى كما كان من الأهداف الهامة لتلك الخطة استخدام وسائل حديثة للحد من إهدار مياه الري. وينعكس الاعتماد التقليدي على أشجار النخيل في أنها تغطي ٣٧ في المائه من جملة الأرض المزروعة في عمان أما النسبة الباقية فمزروعة بالقمح والبصل والموز والليمون والمانجو والطماطم والبطاطس والفلفل والباذنجان والرمان والتبغ والفصفصة.

أما التمر في عمان فمعروف بنوعيته الجيدة ويتراوح الإنتاج السنوي منه ما بين ١٥٠ إلى ١٧٥ ألف طن، وهناك ٢٠ ألف هكتار مخصصة لأشجار النخيل تضم ما لا يقل عن ٧ ملايين شجرة. ويستهلك مزارعو النخيل ٤٠ في المائه من إنتاجها بينما تذهب نسبة ٢٥ في المائه للحيوانات و ٣٥ في المائه للتجارة والتصدير. لقد أنشأت وزارة الزراعة في عام ١٩٩٢ معملا لإنتاج مشاتل النخيل لتحسين النوعية وكان الإنتاج في العام الأول ٢٥ ألف شتلة.

كما أنشئت مزرعتان كبيرتان في كل من وادي قريات والكامل لزراعة الأنواع الجيدة من النخيل. وتحولت مصانع تعبئة التمور في الرستاق ونزوى من القطاع الحكومي إلى ملكية القطاع الخاص في عام ١٩٩٤ كما أنشئت مصانع أخرى لإنتاج الصلصة وعصير الليمون وبسكويت التمر. إن برنامج الوزارة لتقييم المحاصيل وإدخال أنواع محسنة منها في السنوات الأخيرة قد ساعد في التعرف على أجود الأنواع المحلية وخاصة محاصيل الحبوب مثل القمح والشعير والفصفصة والعلف. وقد ركزت بحوث الحشرات على تلك التي تهاجم أهم المحاصيل العمانية مثل الرطب ، الليمون ، النارجيل ، الموز ، والبندورة . وفي عام ١٩٩٢ تم رش ١٧٥ر١٦ فدان للوقاية من دودة اشجار النخيل (المتق)، كما شجع انخفاض التكاليف المزارعين على استخدام معدات زراعية جيدة كالمحاريث وآلات الحصاد ومكنتهم من تغطية تكاليف الأشتال الزراعية والأسمدة الكيماوية والمبيدات.

إن السلطنة تحتل مركز الصدارة في تربية الحيوانات في منطقة الخليج حيث تبلغ ثروتها الحيوانية ١٨٣ ألفاً من الضان و ١٣٥ ألف رأس من الغنم و ٢٢٥ ألف رأس من الأبقار و ٧١ الف رأس من

بينما تعتبر القرم منطقة سكنية في الغالب ، تعتبر منطقة الخوير الجميلة منطقة للسفارات وللوزارات الحكومية مثل وزارة الإسكان (أسفل اليسار) ووزارة الزراعة والثروة السمكية (أسفل اليمين) (الصفحة المقابلة) يتميز ساحل الباطنة بانتشار المزارع الجيدة على طوله.





الجمال. وتعكس هذه الأرقام مدى الأولوية التي اعطيت لتربية الحيوانات منذ بداية السبعينات. ولتشجيع هذا المجال تم افتتاح وحدة نموذجية لتربية الضأن في عام ١٩٩٤ . وتحظى تربية الأغنام بالأولوية كما أن مشروع الألبان يساهم في إنتاج هذه المادة الغذائية ومشتقاتها. ويتم تحسين الماشية الظفارية المحلية بواسطة الإخصاب الإصطناعى والتهجين حيوان مما ساعد على الارتقاء بالناحية الصحية للحيوانات ، كما تم افتتاح محجر صحي في منتصف التسعينات بهدف زيادة حجم التجارة البرية بين عمان وجاراتها.

وتشمل المشاريع الحيوانية الأخرى تشجيع إنشاء مزارع الدواجن الصغيره وزيادة إنتاج الدجاج والبيض والألبان الطازجة بمعدل ١٠٠ في المائة وإنتاج اللحوم



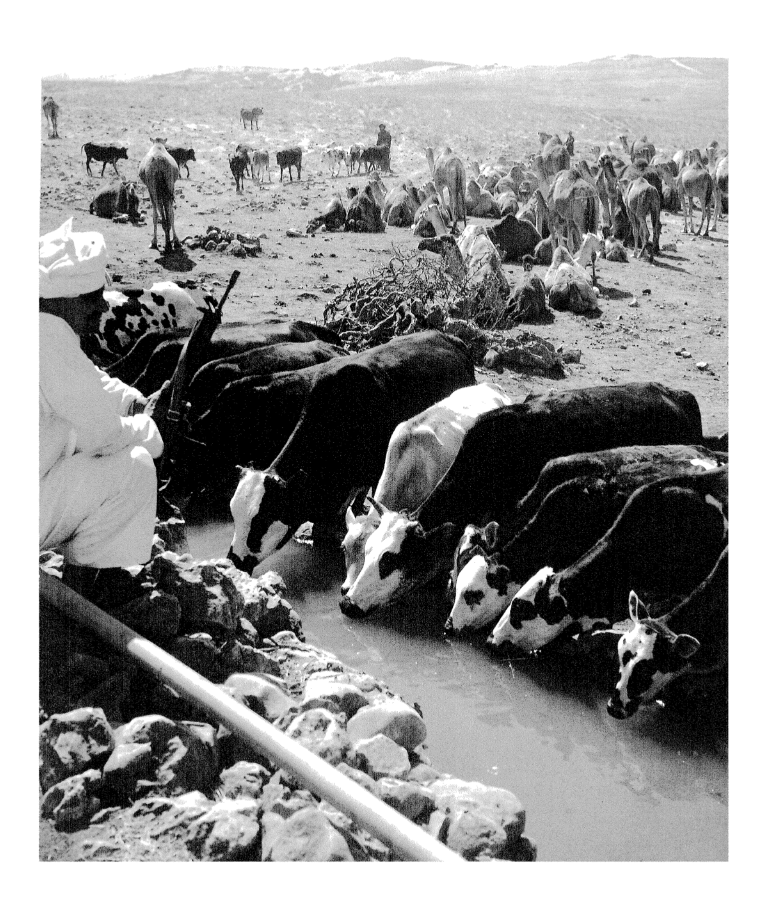
بواسطة سلالات معينة يتم استيرادها . وقد شجع إنشاء مسلخ في منتصف السبعينات الظفاريين على بيع الفائض من حيواناتهم حيث كانوا لا يميلون إلى ذلك في السابق. كما توفرت الخدمات البيطرية في وقت مبكر في عهد جلالة السلطان قابوس كما ساعد انتشار التطعيم في كافة أرجاء السلطنة على نمو الثروة الحيوانية نموا مطردا.

لقد بدأت وزارة الزراعة مشروعاً لتحصين الحيوانات على نطاق واسع في أنحاء السلطنة في عام ١٩٩٢. وفي نهاية عام ١٩٩٥ تم تحصين ٧ ملايين بمعدل ٤٨ في المائة لأن الغاية من وراء ذلك هي الوصول إلى الاكتفاء الذاتي.

الأسـماك

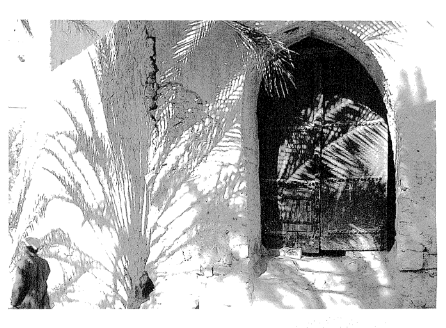
يوفر ساحل عمان الطويل والبالغ ١٧٠٠ كيلومتر فرصاً هائلة لاستغلال الثروة السمكية الوفيرة حيث تم التعرف على أكثر من ١٥٠ نوعاً من الأسماك والقشريات المائية . وتقوم عملية صيد الأسماك بدور هام في اقتصاد عمان وحياة أهلها منذ أقدم العصور. كما تستغل الكميات الهائلة من السردين والتي يتم صيدها في سواحل الباطنة وظفار كغذاء للحيوانات وكسماد داخل عمان وخارجها في الدول التي تصدر إليها. وتحتل الأسماك المرتبة الأولى في قائمة الصادرات غير النفطية في عمان حيث يتم إصطياد ١٠٠ ألف طن سنوياً من الأسماك المختلفة تتراوح ما بين سمك الأعماق والقد الصخري والسمك النهاش والحبار إلى الحيوانات المائية التي تتغذى قرب سطح الماء مثل سمك السردين والتونا والبلم (الأنشوفة) والكنعد إضافة إلى جراد البحر وقشريات مائية أخرى وذلك بهدف زيادة معدل النمو السنوي لأماكن السماكة ليكون قد وصل إلى ٩ر٩ في المائة من دخل الدوله

تمد أمطار الخريف منطقة ظفار بالمياه وتساعد على تغطية الأرض بالكلأ والمراعي الهامة لرعى الابقار والجمال (الصفحة المقابلة). (أعلى) يبيع الصيادون ما تم اصطياده من أسماك في سوق مطرح وفي كل الأسواق الواقعة على الشواطيء.



خلال الخطه الخمسية الرابعة (١٩٩١ - ١٩٩٦) .

لقد تم تدريب الصيادين العمانيين في الخطة الخمسية الأولى على طرق الصيد الحديثة كما اقيمت شبكة من محطات التجميد والتوزيع مما ساعد على وصول السمك الطازج إلى المنطقة الداخلية لأول مرة. إن تخصيص ميزانية خاصة لتشجيع الصيادين منذ عام ١٩٧٨ قد أدى إلى الحد من هجر المواطنين لهذه المهنة القديمة . وبحلول عام ١٩٩٠ تم تسجيل ١٨٫٥٤٦ صياداً حيث استفاد معظمهم من الحوافز التي



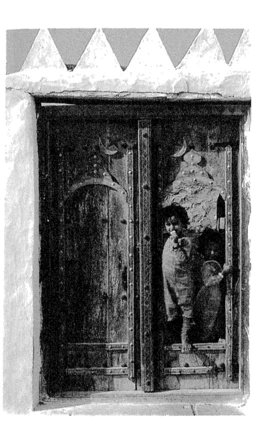
قدمتها لهم الحكومة مثل القوارب حيث تسلموا ٤٥٠٠ قارب و ٨ الآف محرك للقوارب بأسعار زهيدة في نهاية الخطة الخمسية الثانية. وبالإضافة إلى ذلك هناك الورش التي تقيمها الوزارة على طول الساحل لتقديم الخدمات الفنية كالصيانة المجانية لمعدات الصيد والإشراف على صيانة محركات القوارب. كما يوفر بنك عمان للزراعة والأسماك القروض للمزارعين وللمشاريع الزراعية المنتجة حيث بلغت هذه القروض للمسمكات وشركات الصيد الصغيرة ٤.٢ مليون ريال عماني في عام ١٩٩١م.

لقد لعبت مشاريع الصيد الكبيرة دوراً هاماً في تطوير الإنتاج السمكي وهي تشمل شركة الأسماك الوطنية والشركة الكورية للأسماك التي تقوم بتدريب الصيادين العمانيين كما تقوم بتقديم ٣٨ في المائه من ناتج صيدها إلى الحكومة. ويتم تصدير الأسماك للولايات المتحدة الأمريكية و اليابان وأستراليا و فرنسا وبريطانيا وهولندا و الدول الأوربية الأخرى. كما يصدر معظم إنتاج منطقة مسندم لدولة الإمارات العربية المتحدة وباقي دول مجلس التعاون . لقد أنشئت شركة الأسماك الوطنية في عام ١٩٨٥ بمشاركة الحكومة والقطاع الخاص والصيادين وحققت أرباحاً خلال وقت وجيز من خلال إنشاء مركز لعملية فرز الأسماك في مطرح وتوفير ثمانية سفن صيد وقد اندمجت هذه القطاعات لتصبح فيما بعد شركة عمان للأسماك.

لقد أقيمت سلسلة من موانيء الصيد في مصير وجزر الحلانيات لتوسيع نطاق صيد الأسماك في الميا العميقة كما تم إنشاء مجموعة من مخازن التبريد والثلاجات والمجمدات والورش البحرية والمراكز وأسواق توزيع الأسماك. وتهدف الخطة الخمسية الرابعة لتوفير المزيد من إمكانات الصيد وذلك بإنشاء ثمانية موانيء رئيسة و١٦ ميناءً صغيرا.

لقد تم افتتاح مركز العلوم البحرية والسمكية في عام ١٩٨٧ بمساعدة من منظمتي اليونسكو والفاو بغرض الإرشاد السمكي والصيد التجاري ويعمل هذا المركز بشكل تعاوني وثيق مع جامعة السلطان قابوس، كما ساعد هذا المركز على التعرف على مشكلة الصيد المفرط لأنواع معينة من الأسماك ولذلك تم اتخاذ إجراءات لتحديد فتحات الشباك بحيث تكون أكثر من "١٤ سنتيمتراً" كما فرضت قيود للحد من صيد بعض الرخويات وجراد البحر والكنعد بسبب تناقص كمياتها.

ويضم هذا المركز مزرعة للأسماك ومكتبة جيدة وقد بدأت البحوث فيه حول تربية الرخويات بأنواعها المختلفة من المحار والأسقلوب وغيرها. وقد تتوسع التجارب لتشمل أنواع الأسماك الجيدة : كالكنعد والهامور.



المساكن القديمـة

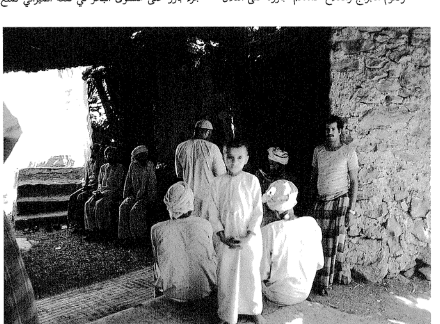
على الرغم من أن المساكن الحديثة وليدة طرق الحياة في الماضي إلا أنها تختلف عن المساكن القديمة. ويوضح الوصف التالي صورة عُمان في عام ١٩٧٠م : "الغنيُّ في قصره والفقير على بوابته ". هذه كلمات قد تصف كل قرية أو مدينة عُمانية في الماضي حين كانت تعلوها قلاع يقيم بها ممثل السلطان (الوالي) أو أحد كبار الشيوخ. لقد كانت القلعة تمثل كرسي

الحكم حتى ولو كان المقيم بها فقيراً. كانت المباني حول القلعة تبدو ضئيلة مقارنة مع شرفات القلعة العالية وجدرانها المحصنة وأبوابها الضخمة التي يحرسها العسكر المسلحون بالبنادق. أما السيطرة على هذه القلاع ذات المواقع الاستراتيجية فكانت هدفاً لكل من يود أن يحكم الدولة أو أجزاء منها ولذا وفي فترة ليست بالبعيدة شهدت المدن الهامة مثل صحار والرستاق ونزوى ومسقط حروباً استمرت عقوداً إن لم تكن قروناً.

وتقوم الأبراج والقلاع كمعالم بارزة على التلال جواو" اللشبوني بدأ في بناء قلعة أخرى ولكن سرعان ما هدمها أمير الأسطول التركي الأميرال "بيري رئيس" الذي استولى على مسقط لفترة وجيزة. لقد تعرضت مسقط للنهب مرة ثانية من جانب الأتراك في عام ١٥٨٢م فقام البرتغاليون بتوجيه نائب الملك في الهند لبناء القلعتين الضخمتين وتقوية تحصيناتهما.

وقد عزز البرتغاليون تحصيناتهم في بداية القرن السابع عشر فقاموا في عام ١٦١٠ (١٠١٩هـ) ببناء جزء بارز على مستوى البحر في قلعة الميراني لمنع تعني كنيسة). وقد أُعيد بناء سور مسقط بصورته الحالية بين عامي ١٦٢٣م (١٠٣٣ هـ) و ١٦٢٦م (١٠٣٦هـ) وترجع أبراج المراقبة وتحصينات جزيرة مسقط شمالي الجلالي إلى ذلك التاريخ. ما زالت الكنيسة الصغيرة موجودة في قلعة الميراني حتى الآن، وقد تم صيانة سقفها عدة مرات كما شُيد عمود ضخم كدعامة له. وهنالك كذلك كأس للماء المقدس على الحائط حُفرت عليه كلمات لاتينية.

لم تقتحم قلعة الميراني في عمرها البالغ ٣٥٠





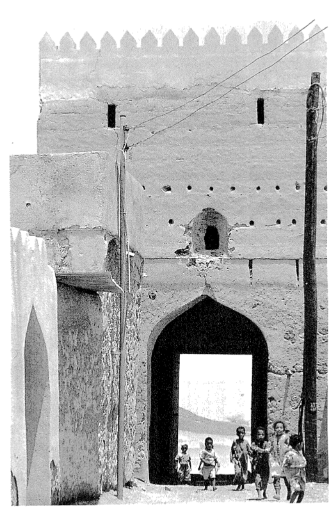
في قرى سلسلة جبال الحجر والتي لاتزال الحياة فيها محتفظة بخصوصيتها يخرج أطفال المدارس مرحين عبر البوابات والمداخل كما في هذه الصورة من منطقة البودر. (الصفحة المقابلة): تقوم النخلة بإضفاء الظلال على احد المداخل في أدم بعمان الداخل.

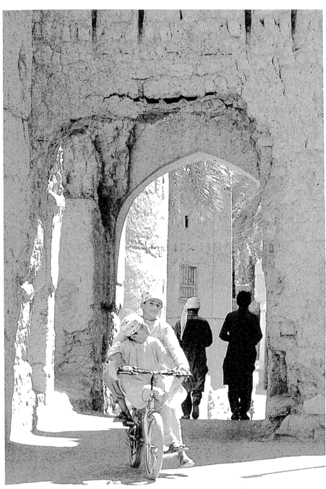
للدفاع عن المدن ولحراسة القبائل والجماعات المتصارعة داخل المنطقة الواحدة. أما القلاع الضخمة في مسقط فترجع إلى عهد البرتغاليين حيث شيدها "فيليب" ملك إسبانيا الذي وجّه أسطوله الحربي إلى بريطانيا بعد قيامه بغزو البرتغال عام ١٥٨٠م. ويأتي إسم القلعة الغربية (الميراني) من اللغة البرتغالية (الميرانتي) وتعني "أميرال" . وقد تم بناؤها في عام ١٥٨٧م (٩٩٦هـ) وكانت تعرف لدى البرتغاليين (بقلعة القبطان) لأنها كانت مسكناً لقائدهم. أما القلعة الشرقية فقد اكتمل بناؤها في عام ١٥٨٨م (٩٩٧هـ) حيث بناها "بلشيور الفارس" Belchior Alvares وتُعرف حالياً بقلعة الجلالي بعد أن كانت تسمى بقلعة "سان جواو" ولم تكن هذه القلعة هي الوحيدة في ذلك المكان لأن "دوم القوارب الصغيرة من الاقتراب من مرمى نيران مدافع القلعة ويمكن ترجمة الكلمات المحفورة على القلعة كما يلي: " الخبرة والحماس والحقيقة شيدت قلعة الصليب الذي يحميني بأمر الملك صاحب السطوة "دون فيليب". في عام ١٦١٧م (١٠٢٧هـ) زار السفير الإسباني في بلاد فارس "دون جارسيا داسيلفا" مدينة مسقط ومكث في الدير الأوغسطيني الذي شُيّد في موقعة بيت جريزة (تحريف لكلمة إجريشة التي سنة وعندما سقطت في يد الإمام اليعربي سلطان بن سيف في ديسمبر عام ١٦٤٩م (١٠٥٩ هـ) كان ذلك بحيلة لعب فيها تاجر هندي يُدعى "ناروتم" دوراً رئيسياً، لقد كان الطريق مسدوداً بين قوات الإمام والمدافعين البرتغاليين ولكن بعض الأمور العاطفية أوصلت هذه القضية إلى أوجها فقد كان لهذا التاجر ابنة جميلة أراد أن يتزوجها القائد البرتغالي "بيريرا" ورغم المهر المغري الذي عرضه القائد رفض التاجر

ذلك الزواج لسبب ديني حيث كان يعتقد أنه لا يجوز لمسيحي أن يتزوج من إحدى بنات الهندوس، لقد كان التاجر يعمل محاسباً في الخزانة البرتغالية ومتعهداً لمتاجر قلعتي الميراني والجلالي مما جعل الفرصة مواتية للقائد لينتقم منه بحرمانه من عمله المربح، طلب التاجر من القائد مهلة عام لتجهيز لوازم الزواج من

وهكذا وجد التاجر فرصة للخروج من مأزقه فافرغ القلعة من كل المؤن ولم يستبدلها بالجديد ثم كتب للإمام سلطان بن سيف يوصيه بالهجوم على مسقط في يوم الأحد حيث كان البرتغاليون ينشغلون عادة باحتساء الخمر والعزف على الآلات الموسيقية . وقد عمل الإمام بنصيحة التاجر ونجح في الهجوم مما أتاح

مع بريطانيا على أن يكون هناك شخص بريطاني يقيم في مسقط ومنذ ذلك الوقت كان هناك تمثيل لبريطانيا رغم أن الإقامة في مسقط كانت قد انقطعت بين عام ١٨١٠م و عام ١٨٦١م بسبب حرارة الجو . لقد توفي المندوبون الأربعة الأوائل بين عام ١٨٠٠م و عام ١٨١٠م ولم يكن هناك مندوب دائم حتى عام





ملابس وزينة وفي ذات الوقت أوصى التاجر القائد بأنه إذا أراد لمسقط أن تقاوم أي حصار طويل فلابد من تغيير الماء الملوث في صهاريج القلعة والتخلص من البارود والقمح القديم واستبداله بكميات جديدة، أعطى القائد التاجر المهلة المطلوبة وسمح له بالقيام بالتغييرات التي أوصى بها في القلعة.

الفرصة فيما بعد لطرد البرتغاليين نهائياً.

كان مندوبو القوات الأجنبية مقيمين بمسقط منذ القرن الثامن عشر وفي نهايته كان مندوب المغول يسكن منزلاً يُدعى "منزل نابوب". وفي نفس الفترة كان هناك شخص من الأهالي يعمل كقنصل للإنجليز ، أما في عام ١٨٠٠م (١٢١٥ هـ) فقد وُقّعت معاهدة

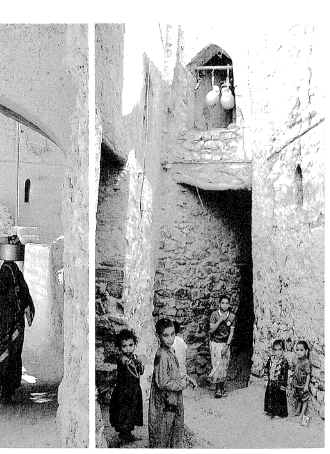
١٨٦١م. ومنذ عام ١٨٦١م وحتى عام ١٩٥٨م كان هناك قنصل بريطاني يُعرف أحياناً بالوكيل أو المقيم السياسي يتم تعيينه من قبل الحكومة البريطانية في الهند، وفيما بعد كان يتم تعيين السفراء البريطانيين من قبل وزارة الخارجية البريطانية فجاء أول سفير بريطاني في عام ١٩٧١م.

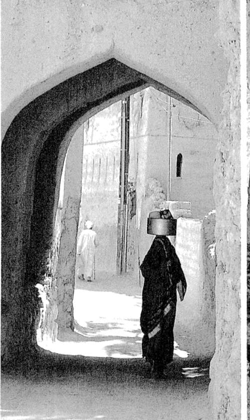
كان من عادة السفراء الأوائل أن يسكنوا في منازل ذات طابع محلي ، وحتى القنصلية البريطانية بكل توسعاتها كانت قد شُيدت في عام ١٨٩٠م على الطراز العربي فكان بناؤها جميلاً ويختلف كثيراً عن تلك (الحظيرة المزرية) التي كان يقيم فيها السفراء الأربعة الأوائل. لقد كان البريطانيون آخر من انتقلوا في عام ١٩٩٥م من مقرهم في مسقط إلى حي السفارات بالخوير. إن موقع السفارة البريطانية القديم يثير ذكريات تاريخية جمّة حيث يوجد هناك مقبرة لجندي برتغالي في فناء المبنى وهناك بوابة على الجانب الشرقي منحوته على الطريقة العمانية الأصيلة ولكنها مزينة برسم التاج البريطاني. وكان الزوار يستخدمون هذه البوابة عند حضورهم مراسم استقبال جلالة السلطان للسفراء البريطانيين. ومن الملامح التاريخية أيضاً تلك الصور المرسومة على جدار السلم والتي تم نقلها إلى السفارة الجديدة وهي صور لشخصيات بريطانية لعبت دوراً في تاريخ عُمان مثل السير "بيرسي كوكس" والكولونيل "جاياكار" ، الذي أطلق اسمه على نوع فريد من الأغنام ، والكولونيل "مايلز" صاحب الكتاب الأثري: "دول الخليج الفارسي وقبائله". أما في منتصف الفناء وبين جناحي المبنى فقد كانت هناك سارية ضخمة حتى عام ١٩٧٢م حين أُزيلت خوفاً من خطر انهيارها.

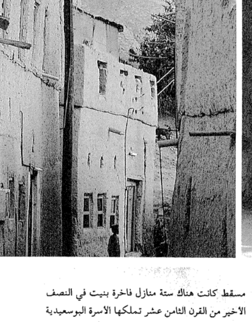
لقد سجل الأميرال "بويل سومرفيل" وصفاً شيقاً للقرود التي كانت تحتفظ بها زوجة السير "بيرسي كوكس" في فناء المبنى في بداية العقد الأول من القرن العشرين. وقد احتفظ السلطان فيصل بن تركي آنذاك في قصره المجاور للقنصلية البريطانية بملك الغابة كما يصف "ثيودور بنت" : "مدخل القصر بوابة هائلة مزينة بأزرار نحاسية مدببة وتؤدي إلى ساحة بها أسد رابض في قفص".

إن الرخاء الذي كان نتاجاً للتجارة البحرية جعل من عُمان دولة ذات قصور وأبراج ومنازل جميلة، ففي مسقط كانت هناك ستة منازل فاخرة بنيت في النصف الأخير من القرن الثامن عشر تملكها الأسرة البوسعيدية أكبرها بيت جريزة. وجميعها منازل متناسقة تتوسطها ساحات تحيط بها مبان ذات شرفات شبيهة بتلك التي سادت في نمط المعمار المغولي. إن مواقع النوافذ متناسقة تماماً أيضاً كما أن الأبواب والنوافذ منحوتة

ما تم المحافظة عليه من روائع العصور الوسطى يتمثل في العديد من مدن عمان بممراتها وأقواسها المظللة والمحتفظة ببرودتها كما في بهلا (يسار) ، ونزوى (أعلى، وسط، يسار الصفحة المقابلة) وجبرين (أسفل اليمين) والمضيرب (الصفحة المقابلة، يمين).

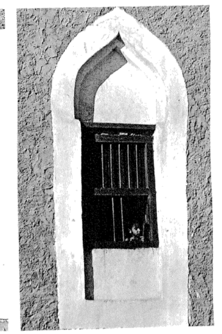




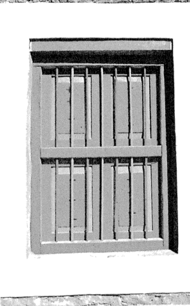


شبابيك ظفار

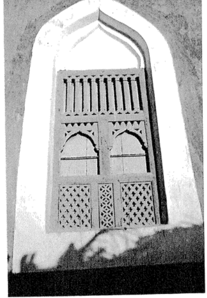




لا توجد هنالك نافذة تشبه الأخرى ومع ذلك فإنها جميعا تتميز بالرشاقة.



لمحة من الإبداع الإفريقي الطابع تزخرف بعض مصاريع النوافذ.



زخرفت هذه النافذة بصورة عملية حين تزينها أعمال التعريش الرائعة.

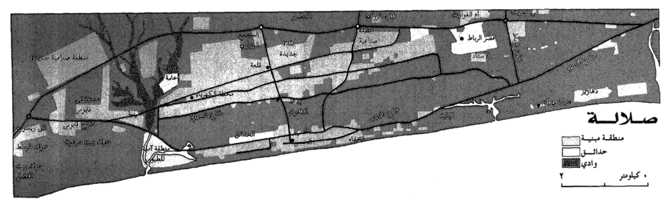
بدقة فائقة ، وهناك سلم حجري بسيط يؤدي إلى الطابق الأول.

وفي مدينة إبرا في المنطقة الشرقية وفي نفس التاريخ تقريباً كانت هناك منطقة ذات منازل جميلة البناء وكان هناك نفق يصل بين أحد المنازل والقلعة الرئيسة على الجانب الآخر من الوادي. كانت تلك المنازل الحجرية المتينة مسكناً للأثرياء والموسرين أيام مجدهم في عام ١٧٧٨م تقريباً. لقد كانت المنازل تزدان بالأقواس المصممة على النسق المغولي وربما يكون قد شيدها محترف هندي أو فارسي. وكان كغطاء للمناضد وليس للأرض بسبب تكلفته.

كانت المنازل القديمة في ظفار جنوبي عُمان تختلف كثيراً عن تلك التي في الشمال ، ففي صلالة كانت هناك عدة منازل أنيقة يعكس تصميمها طابع ظفار وحضرموت أكثر من طابع الشمال ، وكانت تلك المنازل مبنية من الآجر ومزخرفة بالجص وتتكون من عدة طوابق أحياناً وكانت نوافذها المقوسة تتكون من حواجز خشبية كما هو الحال في المشربيات، وكانت هناك أحياناً زخارف مميزة حول أسقفها المسطحة كما كانت هناك أيضاً منازل شبيهة في مدينتي طاقة ومرباط

كان السهل الساحلي لظفار على جانب كبير من الأهمية منذ غابر الأزمان وما زالت آثار مدينة سمهرم التي ازدهرت بتجارة اللبان باقية في خور روري قرب مدينة طاقة . ومن الآثار الأخرى ذات الصلة بتجارة اللبان تلك القلعة الكبرى في شيصور التي قد تكون مهد "مدينة أوبار المفقودة" وتلك التي في وادي أنضور إضافة إلى القلعة والمنازل في حنون على الطريق الصحراوي شمالي الجبل. وجميع هذه المباني القديمة مشيدة من الحجر المرصوف بدقة متناهية.

وتوجد بالقرب من صلالة انقاض مدينة البليد وهي



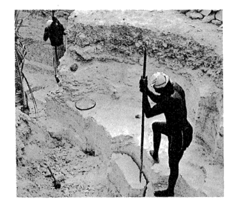
هناك معلم غريب في أحد المنازل وهو عبارة عن برج دائري الشكل من الخارج مربع من الداخل.

لقد كان هناك دائماً ارتباط وثيق بين المنطقة الشرقية في عُمان والمناطق العمانية في شرق أفريقيا مما مكّن التجار الذين جمعوا ثرواتهم من تلك المناطق أن يشيدوا المنازل الضخمة، وهذا قد يفسر وجود صور للسفن على الجدران القديمة التي تبعد كثيراً عن البحر. وكانت تلك المنازل الضخمة تحتاج لعدد كبير من العمال لبنائها وصيانتها ، وبتلاشي تجارة الرقيق تآكلت تلك المنازل بالتدريج وصارت ذكرى لماضٍ تليد ولم يبق سوى منزل واحد في السبعينات ليضم معدات الغزل والنسيج (الوزرات).

بقي العُمانيون في شرق أفريقيا لعدة أجيال وقد اندهش البرتغاليون من ازدهار أعمال العرب وممتلكاتهم هناك عندما وصلوا بقيادة "فاسكودي جاما" في عام ١٤٩٨م وقد وصف مدينة "ماليندي" بالقرب من "ممباسا" بأنها "مدينة نبيلة" وأن "الملك" استقبل وفود البرتغاليين في قصر مؤثث بالمقاعد المزخرفة بالعاج والذهب ومفروش بالسجاد الثمين حيث كان السجاد في أوربا في ذلك الوقت يستخدم

الساحليتين وكانت القلاع التي يسكنها الولاة والشيوخ عبارة عن أشكال معدّله لهذه المنازل. إن قصر جلالة السلطان في صلالة قد قام بتشييده في الأصل السلطان تركي بن سعيد وقام كثير من السلاطين بعد ذلك بإدخال إضافات عليه إلى أن بلغ درجة الروعة والفخامة التي صار إليها في عهد جلالة السلطان قابوس.

حرفة قطع الحجر الجيري تحتاج إلى مهارات معينة وعلى امتداد خط معين تكفي ضربة واحدة لقطعه.



محاطة بأشجار جوز الهند وحقول الفصفصة والخضروات والفواكه. لقد رزحت هذه المدينة القديمة تحت نير الاحتلال حتى القرن السادس عشر وزارها كل من ابن بطوطه و"ماركوبولو". وقد قام الحاكم الهبودي أحمد بن عبدالله بنقل المدينة من منطقتها الداخلية الصحراوية المعزولة إلى منطقة الساحل في عام ١٢٢٣م (٦٢٠ هـ) لحمايتها من أي هجوم. وقد سُميت المدينة الجديدة التي قامت على أنقاض مدينة سبئية قديمة بمدينة المنصورة. أما السوق التي كان غالبية البائعين فيها من الإماء فقد كانت تقع خارج المدينة إلى جهة الغرب في موقع لطيف يعرف (بالهرجة) ولكن الرائحة التي كانت تفوح منه أثارت اشمئزاز الرحالة ابن بطوطة ربما بسبب تعفن الفاكهة والأسماك وتركها لعدم إمكانية بيعها. وهناك آثار أخرى في السهل بالقرب من روبات ، ويقول أهل المنطقة أن هذه كانت أريوت مدينة الشحرة الذين يعتبرون أنفسهم بالإجماع عام أنهم أقدم قبيلة في المنطقة وهم ينحدرون من سلالة شداد بن عاد.

إن الشريط الساحلي غرب صلالة خلاب بمنحدراته الصخرية الشاهقة حيث تعانقها أمواج البحر



ميناء صور القديم ، أقصى موانيء عمان الشرقية المطلة على البحر العربي . كان هذا الميناء المحطة الرئيسة للسفن التي تقوم بعمليات التبادل التجاري مع أفريقيا والهند والدول الغربية. تتجمع اليوم سفن (البوم) في هذا الميناء. (أسفل) الأبراج تزين احدى الواجهات الخارجية لأحد المنازل الجميلة الخاصة بأحد الأثرياء في صور ، بينما في أسفل اليمين تبدو تلك العين التي تنظر إلى العالم في الأسفل وقد أوحت بتصميم النافذة العليا.



فيبدو منظر الزبد الأبيض مع لون الصخور الأسود رائعاً وخاصة في رأس ريسوت، وفي هذا الرأس هناك قلعة قديمة أو حصن يقول بعضهم إنها منذ زمن البرتغاليين ولكن قد يرجع تاريخها إلى فترة أقدم من ذلك. وتقف هذه القلعة كمعلم بارز وسط الأجزاء التي تم تحديثها من ريسوت بعد تولي جلالة السلطان قابوس مقاليد الحكم،

وعلى جبال ظفار كانت هناك ومازالت بعض الأماكن التي تضم حظائر حجرية وتبدو من الجو على صورة سلسلة غير متصلة من الأشكال الدائرية والبيضاوية،

كان سكان جبال القرا يزرعون الشعير والقمح في هذه الحظائر لحمايتها من الأبقار والأغنام والجمال، وكان السكان في بعض الأحيان يستخدمون حظائر صغيرة من نفس النوع لحفظ حيواناتهم بها، كما كانت المنازل التقليدية دائرية الشكل وكبيرة الحجم أحياناً ربما بلغ قطرها خمسة عشر قدماً أو أكثر، لقد كانت الأسقف مشيدة من الحشائش التي تنمو على الجبال في موسم الأمطار،

ويعتبر المنزل قبلة لكل الأسر التي كانت تعيش حياة قاسية وتتمركز حتى الآن في مناطق الماشية والأغنام التي تعيش في الجبال،

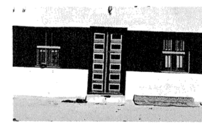
يقول "بيرترام توماس" الذي زار المنطقة في عام ١٩٣٠م (١٣٤٩ هـ) إن من القواعد التي لم يكن يخالفها الناس هناك هو ذبح نصف أبقار الشخص كقربان بعد وفاته كما وصف أحد المجمعات السكنية في جبال ظفار قائلاً :

"غادرنا الوادي عبر ممر سعرين وصعدنا ٥٠٠ قدم عبر منحدر حجري ثم تتبعنا المروج الصفراء وكانت الحشائش تصل في طولها إلى منتصف قامة الإنسان، و كنا في بعض الأحيان نرى الأشجار الشاهقة كالتيجان على رأس الجبال أو متشابكة كثيفة تملأ المنخفضات. ومن ورائنا كنا نرى في الأسفل البحر الأزرق الباهت، هنا على مسافة ١٥٠٠ قدم تضاءلت أعداد الطيور ولكن يوجد أنواع مختلفة من الفراشات والجراد، وبالنظر إلى الأسفل كنا نطل على واد خلاب هو مكان إقامتنا ويسمى بالعين لأن هناك عيناً تندفع فوارة من تحت الأرض وهذا المكان يعتبر أحد أماكن إقامة الشحرة. توقفت عند شجرتي تين بري ضخمتين ظليلتين مثقلتين بالثمار شبيهتين بشجرتي جوز في إنجلترا تغريان بحط الرحال، لقد شعرت بالظمأ بعد القيام بالتسلق لثلاث ساعات وقد كان من المستحيل

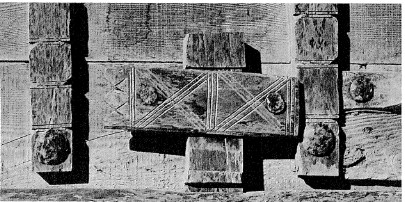
أبواب ظفار

الأبواب في ظفار كما في مناطق عمان الاخرى تضفي على المنازل شخصيتها وميزتها . ويشترك أبناء ظفار مع عرب آخرين في أسلوب حياتهم العائلية التي تحيط الجدران بخصوصيتها. يلاحظ على أبواب ظفار تلك الألوان البراقة الناصعة أما النحت فليس سائدا في هذه الابواب كما هو الحال في شمالي عمان. توضع على الأبواب في ظفار أقفال للحماية لكن لاعلاقة لهذا أبداً بمستوى الكرم التقليدي الذي يتميز به الظفاريون عندما يطرق زائر أحد أبوابهم.

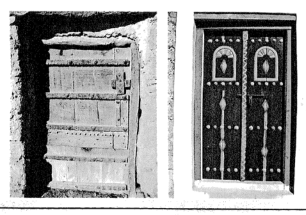




في أيام الصيف الحار ، تفتح النافذة على مصراعيها.



(أعلى وأسفل) تطور قفل "سميث" ليصبح نمطا مميزا في ظفار

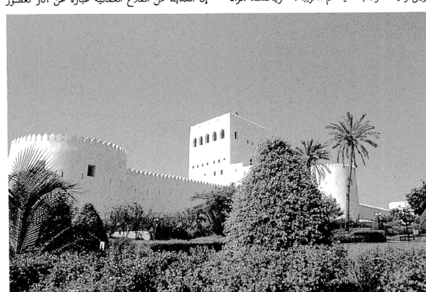


الحصول على الحليب أثناء النهار ، أما خثارة اللبن التي أتوني بها فقد وصلت متأخرة بعد أن قمت بشرب عصير جوز الهند . ومن على حافة الجبل يظهر احتفال قبيلة القرا أتباع الشيخ حسن وهم يسيرون في صف طويل و يدندنون بأناشيدهم الغريبة. ويحتشد أفراد قبيلتهم في العين لاستقبالهم حيث يقوم شخص منهم بالرقص وهو شاهر سيفه كعلامة ترحيب بهم ".

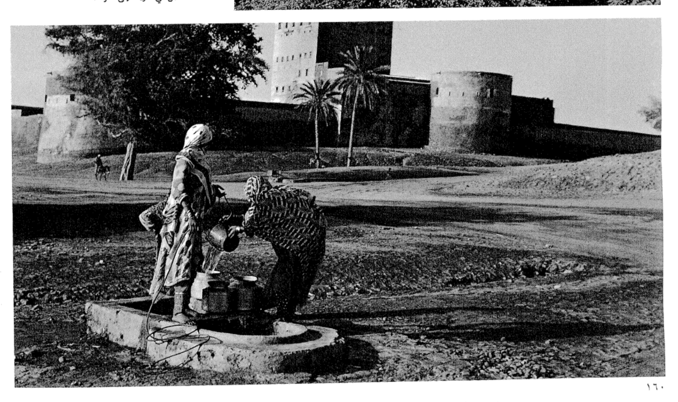
القــلاع الداخليــة

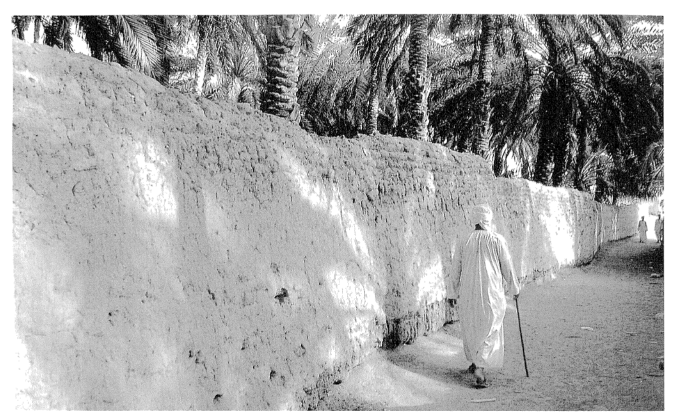
إن العديد من القلاع العمانية عبارة عن آثار لعصور قديمة ، فقلعتا بهلا والرستاق التي يرجع تاريخهما إلى عصر ما قبل الإسلام ربما كانتا في الأساس فارسيتين . وتعني كلمة الرستاق المنطقة النائية أو الحدودية وهي كلمة معربة من الفارسية وترجع التسمية إلى العصر الساساني عندما كانت تابعة للعاصمة الفارسية في صحار، كما يعود تاريخ قلعة صحار أيضاً إلى فترة ما قبل وجود البرتغاليين الذين أجروا فيها تعديلات وإضافات .

وفي عام ١٥٠٧ (٩١٦ هـ) وجد "البوكيرك" في صحار قلعة مربعة الشكل محاطة بستة أبراج وعلى بوابتها برجان كبيران . كانت القلعة ضخمة جداً بحيث تتطلب أكثر من ألف رجل لحمايتها وقد شهدت فترة من الاضطرابات في تاريخها مما أدى إلى إعادة تشييد الأبراج عدة مرات ولم يبق سوى البرج الشمالي الغربي على هيئته الأصلية الأولى ، أما الآن فقد تم ترميم القلعة بشكل جيد .



بقيت قلعة صحار صرحا شامخاً يدل على احد الموانيء العظيمة بعمان (تحت) صورة للقلعة في عام ١٩٧٠. (يمين) القلعة بعد تدميرها. (الصفحة المقابلة) مواطن من منطقة القابل في طريقه إلى منزله.





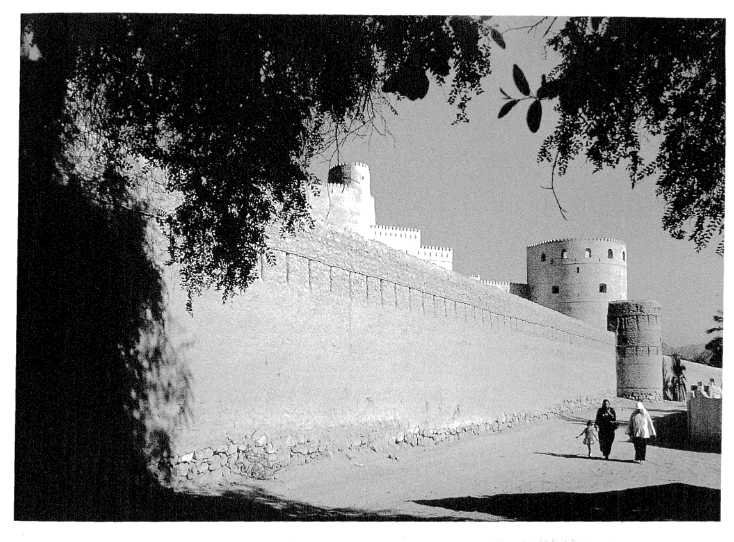
وقد قام سلطان بن سيف (١٦٤٩-١٦٨٨م : ١٠٥٩-١٠٧٩ هـ) ببناء قلعة نزوى، وهو أحد الأئمة العظماء في دولة اليعاربة الذين قاموا بطرد البرتغاليين من مسقط. لقد استغرق بناء هذه القلعة اثني عشرعاماً بتمويل من الغنائم التي تم الاستيلاء عليها من رأس الخيمة ويبلغ قطر قبتها الضخمة ١٢٠ قدماً وتحوي زنزانات بالإضافة إلى تحصينات قوية.

وهنالك إنجازان معماريان آخران يرجعان إلى عهد اليعاربة. بعد ذلك جاء البوسعيديون الأوائل وقاموا بإضافات معمارية رائعة لتلك القلاع كما شيدوا بعض المنازل الفاخرة. لقد قام بلعرب بن سيف ببناء قلعة في جبرين في عام ١٦٧٠م (١٠٨١هـ) كمكان إقامة ريفي أو لتكون ملجأ عند التقهقر ولكنها ولفترة من الزمن اعتبرت عاصمة لعُمان. إنها قلعة ضخمة ومتينة تزينها بوابات ذات زخارف منقوشة وأسقف ملونة نادرة الجمال وأقواس رائعة ذات طابع مغولي. أما نوافذها المربعة فلها تعريشات وأعمدة حجرية بينما الجدران رائعة الزخارف ومزينة بآيات قرآنية. كما تشمل الزخرفة المقبرة التي دفن فيها بلعرب نفسه. لقد كان المجلس الخاص للإمام في الطابق الأعلى من القلعة في حجرة تسمح بدخول الضوء والهواء وتطل على منظر السهل الرائع ومرتفعات الجبل الأخضر. وقد ازدهر التعليم في عهد بلعرب حيث قام بتأسيس مدرسة مشهورة بجانب القلعة.

أما قلعة الحزم في مدخل الرستاق من جهة الساحل فهي الأثر المعماري الهام الثاني لليعاربة وقد شيدت في عام ١٧٠٨م (١٢٦ هـ) وكانت لفترة من الزمن عاصمة عُمان عندما انتقل الإمام سلطان بن سيف الثاني إلى الرستاق. إن أبراجها الهجومية وأسقفها المقوسة مزخرفة بصورة رائعة، ويوجد في هذه الأبراج خمسة مدافع برتغالية وإسبانية ربما تكون قد أحضرت من مسقط في القرن التاسع عشر في عهد الإمام عزان بن قيس، ١٨٦٨م - ١٨٧١م (١٢٨٥هـ -١٢٨٨هـ) وهناك فلج يجري عبر القلعة يروي المزارع المجاورة كما أن هناك مدرسة صغيرة في الطابق العلوي. إن البوابات الرئيسة العليا المزخرفة مغطاة باشكال طينية وهناك شق طولي في أعلاها وصهريج ماء بالقرب منها بغرض إطفاء النيران بسهولة إذا ما تعرضت الأبواب الخشبية للهجوم، كما أن هناك شقوقاً لصب العسل الساخن-كما جرت العادة أو الزيت على المهاجمين، وفي القلعة ايضاً زنزانات كان وجودها أمراً ضرورياً.

ان إحدى القلاع التي شيدتها الدولة البوسعيدية في القرن الثامن عشر كانت في بيت الفلج الذي يتضح من اسمه أنه كان بيتاً يعتمد على مياه فلج ينحدر من الجبال المجاورة، وعندما قامت عُمان بتأسيس جيشها الحالي صارت القلعة مقراً لقيادته. وقد اكتسب بيت الفلج شهرة خاصة في صفوف الجيش الذي توجد قيادته الآن بمعسكر المرتفعة بالسيب، أما بيت الفلج نفسه فيحتوي الآن على متحف للقوات المسلحة.

وفي الماضي كان الأثرياء فقط هم الذين يسكنون في المنازل الفاخرة، فعلى طول ساحل الباطنة وفي مسقط نفسها كان المنزل العادي يُبنى من سعف النخيل ويسمى بالبراستي وفي بعض الأحيان كان التصميم بالغ التعقيد، وقد كانت هذه المنازل تضم في العادة حجرة واحدة يختلف حجمها من منزل لآخر بينما كانت بعض المنازل تتألف من طابقين، وكانت لهذه المنازل مساوئ واضحة في مواجهة الطقس الرطب أو البارد ولكنها في بقية شهور السنة الحارة كانت توفر لساكنيها الظل والهواء البارد حيث يتخلل النسيم جدارها بسهولة، لقد كان معظمها مستطيلاً من حيث



الشكل ولها أعمدة على كل طرف وكان سقفها يبنى بشكل منحدر.

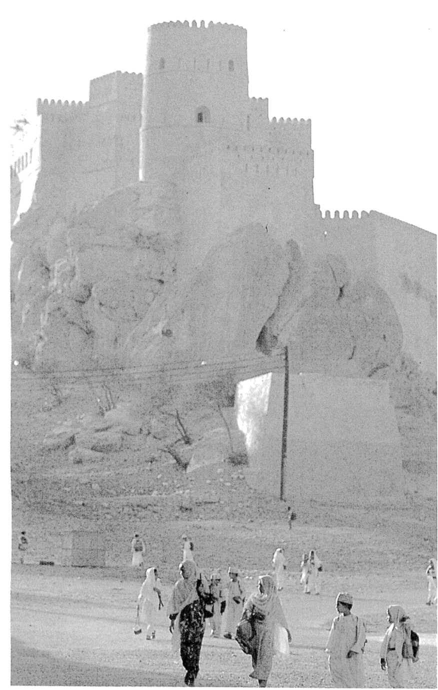
والعُمانيون يرغبون الجلوس خارج المنازل حيث يأنسون بجيرانهم ويشربون القهوة ويكرمون الزائرين. إن هذه الضيافة كانت وما زالت كما في بقية البلاد العربية واجباً مقدساً ومصدراً للسعادة للمضيفين. إن أماكن الجلوس الخارجية هذه عبارة عن مظلات من سعف النخيل تقي من حرارة الشمس وتسمح بمرور الهواء وكانت منتشرة على شاطئ البحر وفي حدائق النخيل بالباطنة والداخلية وحتى في أعالي الجبل الأخضر.

وقديماً كان العديد من المنازل يبنى من الطين بينما يبني بعضها الآخر من الطين والحجر. ففي نزوى مثلاً كانت هناك منازل طينية ذات تخطيط معقد على جانبي شوراع ضيقة متعرجة ، وكانت الشوارع تمتد إلى خارج الأسوار الدفاعية للمدينة ثم إلى المزارع التي كانت تتخللها أيضاً منازل عديدة متناسقة، بينما كانت هناك جدران طينية تحف بالممرات التي تتخلل الأشجار وتتعرج ممتدة من مجمع سكني إلى آخر ، وقد وصف "بيرترام توماس" منزلاً عُمانياً عادياً زاره في المنطقة الداخلية في عام ١٩٢٠م قائلاً :

"تتشابه المنازل العربية الريفية كثيراً فهي غير مريحة وليست مزينة، أما النوافذ الزجاجية فغير معروفة وهذا أمر عادي في ذلك الطقس الحار. إن الزينة الداخلية عبارة عن غطاء بسيط من الجص على الجدران إذا كانت واجهتها تسمح بذلك ، وكانت الغرفة العليا كالعادة ذات نوافذ مربعة منخفضة مفتوحة على الجهات الأربعة وبها حواجز حديدية في أعلى النافذه ومع إطارها العلوي مباشرة رف توضع عليه فناجين القهوة وإبريق الماء والمبخرة.

أما العارضات الخشبية في سقف المنزل فهي سوداء اللون من أثر الدخان إذ لا توجد مداخن في

تمضي الحياة العصرية ببهجة تحت سور نخل ذي التكوينات الدفاعية (الصفحة المقابلة). (أعلى) عائلة من الرستاق تسير تحت البرج الذي يعد مقرا للوالي.



طقس عُمان الحار ، أما أرض الحجرة فمفروشة بسجاد زاهي الألوان، وهناك أوتاد خشبية على الجدران بطول قامة الإنسان تتدلى منها البنادق والخناجر والسيوف وأحزمة الرصاص" .

على أية حال فإن من المعالم البارزة في العديد من المنازل القديمة في المنطقة الداخلية ذلك السقف ذو الألوان الزاهية والمزين بآيات قرآنية في بعض الأحيان، كانت المباني الضخمة والهامة تُبنى أحياناً من الطين مثل قلعة شيخ بني ريام في بركة الموز. أما السور الضخم الذي يحيط ببهلا فهو عبارة عن دائرة يبلغ قطرها سبعة أميال وهو مبني من الطين. وأما المنازل القديمة في قرى الجبل الأخضر فهي مستطيلة الشكل ومبنية على منحدرات صخرية وشبيهه بمنازل كردستان، أما أسقفها المسطحة فقد تغير لونها لتصبح صفراء في أيام الخريف بسبب قوالح الذرة التي توضع هناك لتجف وتنضج كما أن أقواس سلمها الحجري يعطي الإحساس بالسرمدية ، أما الحيوانات فكان يحتفظ بها في الأجزاء السفلى بينما تحتل الأسرة الطوابق العليا حيث حجرات الاستقبال.

إن القرى الكبيرة مثل الشريجة والتي أسماها الرحالة القدامى أمثال الملازم "ويلستيد" في عام ١٨٣٠م بشيروزي توحي بالعلاقة مع شيراز في بلاد فارس حيث تتوفر أشجار العنب والورود في كلا المكانين. لقد كان الوصول إلى هذه القرى يتم عبر طريق الممرات الجبلية التي مهدها الناس لتمر بها الحمير وقد تم تفتيت الصخور لرصف بعض الأماكن وعمل تلك الممرات. لقد كانت قرية الشريجة الواقعة على هذا الارتفاع والتي تبدو كضفيرة شعر غير دائمة تشبه جوزة يتحول لونها ليصبح ذهبياً في فصل الخريف ، وهي محاطة بمصاطب شديده الانحدار تروى من الأفلاج. كما أن هناك كهوفاً عديدة في جبال ظفار وشمالي عمان كان الناس يلجأون إليها في أوقات الشدائد حيث مازالت الأسر الرعوية وحيواناتها تأوي إليها عندما تتغير الأحوال الجوية .

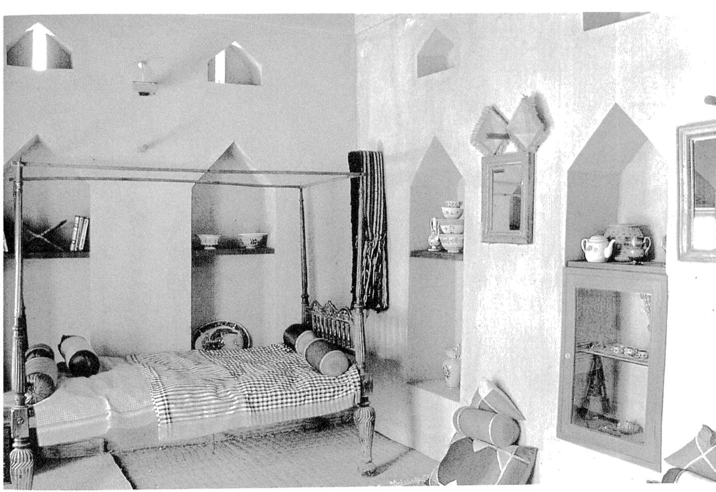
نظام الأفلاج

يرجع تاريخ الأفلاج المنتشرة في عمان إلى أقدم العصور، فهناك أسطورة عمانية تعود إلى زمن النبي سليمان بن داود الذي زار عمان كما يقال على بساط سحري وجعل الجن يحفرون عشرة آلاف قناة مائية في عشرة أيام ، وما زالت هذه الأفلاج التي لا تنضب مهما كانت حالة الجفاف تعرف بالداؤديات. وتتغلغل نسبة

من مياه الأمطار في عمان تصل إلى ٩٠٪ إلى جوف الأرض حيث يتم استخراجها بطرق ثلاث يكمل بعضها بعضاً وهي الآبار ونوعان من الأفلاج هما الغيل والقناة.

إن كلمة " فلج " تعني طريقة توزيع المياه بين من لهم الحق في مورد مائي ، وتعود الكلمة في جذرها إلى أصل سامي وهي مذكورة في كتاب (الخليقة) أحد أجزاء الكتاب المقدس. وتطلق كلمة فلج عادة على كل نظام ري باستخدام القنوات المنحدرة من عين الماء، كما قد تعني قناة مائية تتحكم بجريان الماء في الأرض الحصباء بأعلى الوادي (الغيل) تم شقها بمحاذاة الجدران الصخرية للوادي لعدة أميال، وقد تعني كلمة الفلج مصدراً مائياً من صنع الانسان يرفع منه الماء إلى السطح بواسطة قناة محفورة ، ويبلغ عمق البئر الأساسي ٦٥ قدماً وقد يصل إلى ٢٠٠ قدم : ومن هذا البئر (أم الفلج) إلى أن تظهر القناة على السطح هناك فتحات على مسافات متساوية تستخدم في المرحلة الأولى في البناء ثم بعد ذلك في مراحل تشغيله الأولى، وربما يتراوح طول القناة مابين ميلين إلى ستة أميال تحت الأرض ، وقد أنشئ عدد كبير من الأفلاج من نوع القناة التي كانت موجودة قبل الإسلام. وتعود أفلاج منطقة الجوف إلى ما قبل ٢٥٠٠ عام كما يرجع فلج منطقة دارس في نزوى إلى ذلك التاريخ أيضاً. وكان العهد الساساني يمثل فترة أساسية من فترات إقامة الأفلاج حيث كان هناك تطور واسع في شرقي عمان وصحار ، وبمجئ الأسلام وطرد الفرس قام العلماء الإباضيين بتنظيم القرى والمناطق الزراعية التي يرجع تاريخها الى عهد الامامة الاول في القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري).

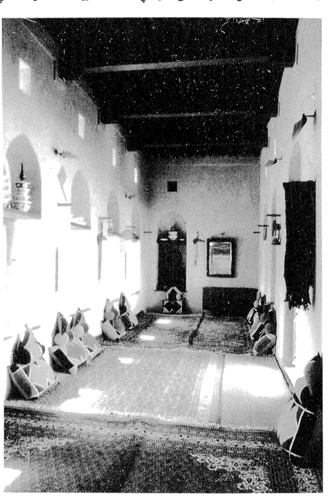
أما في أواسط عُمان حيث الكثافة السكانية عاليه نسبياً فقد كانت الأفلاج التى يمكن الاعتماد عليها وكذلك الأرض ملكية دائمة على شكل قطع صغيرة يمتلكها رجال القبائل ، ولم تعرف هذه المنطقة ملكية واسعة على الإطلاق خلال تاريخها. وخلافاً لهذا كان هناك نظام مختلف لتنظيم الأراضي في شمالي عُمان الذي لم يبق تابعاً بصورة مطلقة للنفوذ الإباضي. لقد كانت حياة القرية ترتكز على اكتشاف الماء والحق فيه ولذا كان ومازال توزيع المياه يتم بعناية ويسجل في



حجرة نوم الوالي ذات السقف العالي بنخل تسمح بعبور التيارات الهوائية وهي ذات فتحات صغيرة في الجدران يمكن الاستفادة منها في وضع بعض الأدوات المنزلية البسيطة فيها. إن طرازها الاقتصادي وأثاثها يذكران بغرف العصور الأوروبية الوسطى المتأخرة.

سجلات الفلج وقد لا يزيد عدد المشتركين الدائمين على مائتي شخص في الفلج الواحد ، كما أن هناك أشخاصاً لهم حصص من المياه لفترة محدودة من الوقت.

إن كل جماعة تعتمد على فلج واحد تمثل مجتمعاً مكتفياً ذاتياً من الماء وكان على الأفراد في هذا



حجرة جميلة لاتقل أناقة عن حجرة البنادق (يسار) الخاصة بقلعة جبرين التي كانت عاصمة لعمان الداخل، ولا عن حجرة النساء في نخل (أعلى).

المجتمع أن يتعاونوا في كل الأوقات رغم خلافاتهم المتأصلة فيما بينهم ورغم العداءات القبلية إلتي ادت في الماضي إلى انتشار مراكز حصينة من الأبراج وجدران الحصون داخل المنطقة الواحدة ، ففي إزكي على سبيل المثال هناك منطقتان متجاورتان تسميان اليمن ونزار كانتا على خلاف وانقسام كما كان الحال بين الهناويين والغافريين، وكان سكان كل منطقة في خلاف دائم مع سكان المنطقة الأخرى ولكن اعتمادهم على فلج واحد دعاهم ليعاون بعضهم بعضاً. إن الحروب الأهلية وخاصة في القرن التاسع كانت هي السبب في دمار الكثير من افلاج الدولة ، ولا شك ان مناطق شاسعة قد فقدت الزراعة بسبب هذا الدمار كما اندثر فن إقامة الفلج إلى حد كبير ولكن ما زالت قبيلة العوامر محتفظة بتلك المهارة كما أنها تكاد تحتكر أعمال صيانتها.

ان فلجاً من نوع القناة بحجم معقول يمكن أن يمد حوالي الف شخص بالمياه ويسمح بجريان تسعة غالونات في الثانية تقريباً لري مساحة ٤٠ هكتاراً من الأراضي الزراعية. ويمكن لفلج جيد الجريان أن يوفر المياه لمجمعات بشرية أكبر تصل من حيث العدد إلى ٢٥٠٠ شخص. وإذا توفرت عدة أفلاج في منطقة واحدة فهذا يعني أن المياه قد توفرت لحوالي ثمانية آلاف شخص.

وفي الواقع كانت تستخدم كل مياه الفلج لري أشجار النخيل وكذلك الحمضيات والموز والمانجو والرمان ، وتستخدم المياه الفائضة في الشتاء لزراعة البرسيم والمحاصيل البقولية.

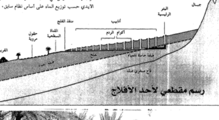
إن هناك نظاماً صارماً للاولويات يجب اتباعه في استخدام الماء : ففي أعلى الفلج حيث يخرج الماء إلى سطح الأرض توجد فتحة يمكن لكل الناس أخذ مياه الشرب منها. والمياه ملك عام مشترك في المناطق السكنية وقد كان نظام الاستخدام المنزلي لها كما

يلي:

أولاً الشرب منها ، ثم الاستحمام بحيث يكون حمام الرجال في منطقة أعلى من حمام النساء وكل منهما محاط بسياج صغير ثم يأتي بعد ذلك مكان غسل الموتى. بعد ذلك كانت المياه توزع للري وعادة ما تكون هناك عدة مجار تتفرع من القناة الرئيسة. لقد كان من الضروري تنظيف القنوات التي تجري تحت الأرض كما كان من الضروري أيضاً أن تكون في حالة جيدة ويتم ذلك بواسطة رصفها بالإسمنت ، وكانت صيانة شبكة القنوات الرئيسة مسئولية جماعية تقع على عاتق مالكي الفلج ، أما الأفراد فكل شخص منهم مسئول عن القناة التي تجري داخل مزرعته.

إن أسس الاشتراك في المياه أمر معقد ، وعلى أية حال فقد كان التوزيع على الحقول يتم بنظام معين حيث كان يخصص لكل قطعة أرض فترة زمنية محددة تسمى الدورة ، وكانت هناك ساعة شمسية في العديد من القرى والمدن تقاس بها تلك الفترة الزمنية .

ومع أن الأرض والماء والمحاصيل قد تكون ملكاً فردياً إلا أن الأرض في حقيقة الأمر كانت تتداولها الأيدي حسب توزيع الماء على أساس نظام سابق.



لقد كان من السهل تنظيم صيانة الأفلاج الصغيرة التي يملكها عدد قليل من الأشخاص بطريقة خاصة . فمثلاً في المناطق التي كان يوجد فيها ملكية خاصة كان صاحب الأرض يقوم بالصيانة والإصلاحات ، أما في الأفلاج الكبيرة التي يشترك فيها العديد من الأشخاص كما هو الحال في وسط عُمان فقد كان يتم تعيين وكيل لإدارة الأسهم الأساسية حيث لم يكن من الضروري الرجوع لكل مشترك في كل وقت يتم فيه صرف الأموال. إن الأسهم الأساسية المعروفة بـ (أسهم القعدة) كانت تسجل كوقف وتدار بواسطة الوكيل حيث كان يبيع الأسهم لمن يحتاجون إليها للاشتراك المؤقت ، وقد كان ذلك يتم عن طريق المزاد حيث كان من يرغب في شراء حصة معينة يرفع عصاه ويلمس بها البائع ويسحبها منه عند انسحابه من عملية المزاد حتى يبقى في الساحة صاحب أعلى مزايدة.

وكان لابد من موافقة المشتركين في الفلج الرئيس للحصول على سهم أساسي (سهم قعدة) واذا كان هناك اعتراضات فقد كانت تعرض على القاضي ليبت فيها. لقد كانت كميات المياه المخصصة لأية قطعة أرض تعتمد على مقياس زمني، وكانت الفترات الزمنية المباعة تتفاوت ولكن في اجزاء كثيرة في وسط عُمان



الاعتناء بالفلج وصيانته مسؤولية الجميع .. هذه المسؤولية تجعل من حياة القرويين نوعاً من الالتزام بالعلاقات الأخوية بين الناس.

كان الأثر يعادل الري لمدة نصف ساعة. كما كان الثمن أيضا يتفاوت ويحسب بالقرش الذي كان يستخدم كعملة في الماضي. لقد كانت القاعدة العامة هي أن يأخذ الشخص مياهه من مكان معين ولفترة محددة ولكن في بعض الأماكن ، كما في إزكي مثلاً ، كان لبعض الأشخاص حصص في القناة الرئيسة قبل أن تتفرع ولذا كانوا يسحبون الماء من أي موقع في شبكة القنوات الرئيسة في الفلج.

لقد كانت العمليات الزراعية تسير بنظام تقليدي صارم وكان (البيدار) الذي يلعب دوراً هاماً يؤدي واجباته المنوطه به منذ فترة ما قبل الإسلام ، وهو رجل حر في عمله يتقاضى الاجر نقداً على خدماته التي كانت تشمل الري وحصاد التمر وتخصيب النخيل ولم يكن يقوم بتنظيف المزرعة من الحشائش الطفيلية وكان مسؤولاً لدى مراقب قنوات الري (العريف) عن توزيع المياه بين حقول القرية. أما عملية إزالة الحشائش الطفيلية فقد كان يقوم بها شخص آخر يسمى الحارس.

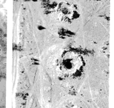
كانت تلك هي البيئة المألوفة لدى العُمانيين حتى دخولهم في الحياة العصرية في العقود الأخيرة من القرن العشرين.

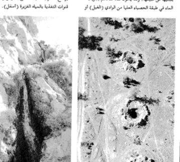


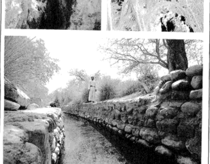
قناطر مائية بنيت بغرض نقل المياه الى أسفل على طول مجرى المياه المتجه الى القرى.

نظام الافلاج

الفلج يعني نظام توزيع المياه بين هؤلاء الذين لهم حق في حصص المياه. وهو عبارة عن قنوات تقوم بإمداد المناطق المزروعة أسفل الوادي بالمياه وذلك بجلبها من منبعها. وقد يكون قناة تتحكم بجريان الماء في طبقة الحصباء العليا من الوادي (الغيل) أو حفرة من صنع الإنسان يسحب الماء إلى سطحها بواسطة نفق أرضي (أسفل اليمين): يعرف مسار الفلج عن طريق عدد من الحفر تستخدم للوصول اليه بغرض توسعته أو فحصه. (أسفل اليسار) مخرج يوضح منسوب المياه الاعلى بالأرض وهو يقوم بمدّ قنوات التغذية بالمياه الغزيرة (أسفل).



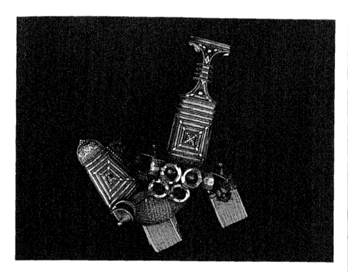




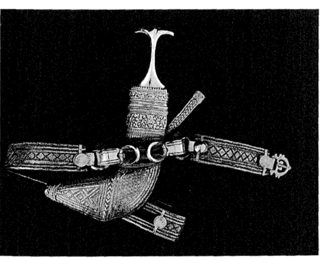
الباب السادس

الثقافة وجذورها

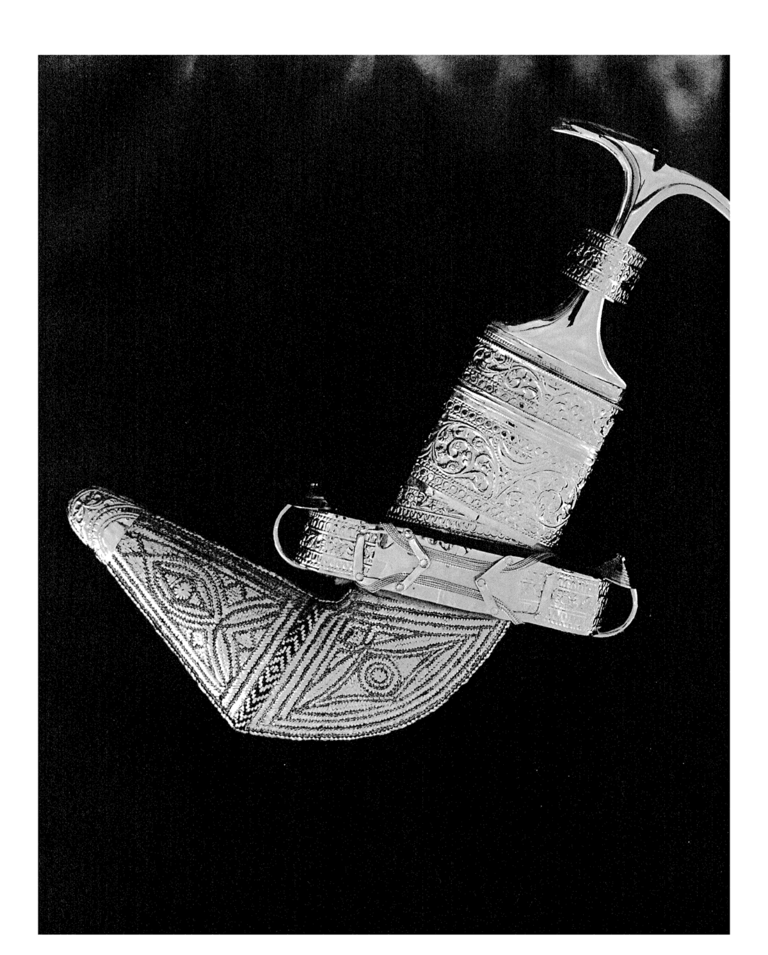
العمانيون أصحاب تصاميم بالفطرة، إذ ليس هناك نوع واحد من الأعمال اليدوية لا يستطيعون تأديته بطريقتهم الخاصة ليجعلوا منه شيئاً بديعاً . ففي استخدام الخشب والفضة والذهب والجص أو الطين، في القماش أو الملابس، في أعمال الخرز أو الخيوط الذهبية أو الفضية، في بناء المنازل، وبناء السفن، في صناعة الأدوات والحلي والأسلحة فإنك تجد الحكاية نفسها. إن الإحساس الداخلي بالميل إلى التصميم هو الغالب عليهم ، ولذا فقد اقترنت لدى العمانيين في هذا المجال حاسة اللمس بحاسة البصر.







أقصى اليسار: خنجر الاحتفالات العماني يكون أحيانا بمقبض وغمد مصنوعين من الذهب خصوصا عندما يقدم كهدية . لاحظ الحلقات الخمس بخنجر المنطقة الشرقية (في الأعلى) ، والتي تستخدم لتثبيت الحزام. (في الوسط) يمكن رؤية الخنجر الجميل الذي يلبسه والي صور في هذه اللقطة. (في اليسار) خنجر أنيق مصنوع من الفضة وهو الخنجر الذي تتميز به ولاية نزوى . مقبض الخنجر يصنع عادة من قرون الحيوانات والفضة ، وهو عبارة عن سكين حادة ذات مقبض أنيق تغمد في الغمد.



ويعتبر العمانيون من المبدعين في مجال الثقافة الإنسانية. ففي الألف الثالث قبل الميلاد، كان العمانيون قد شيدوا مباني دائرية من الاحجار. وقد عرف عن الشعب العماني أنه واحد من أوائل بناة السفن في العالم حيث كانوا رواد الطريق البحري إلى الصين كما ساهموا في تطوير علم الملاحة. أما في المجال الزراعي، فقد عملوا على تطوير كفاءة نظام الأفلاج بواسطة استخدام فكرة الأنابيب المعكوسة وهي طريقة متطورة لجريان الماء عبر قاع الوادي تحت سطح الأرض. كما ان تقنيات التنقيب عن المعادن من الأمور الواضحة لديهم إذ بينما يعتبر البرونز معدن الحضارة فإن النحاس هو أساس الاقتصاد العماني.

وبتتبع الأزمنة التاريخية ، فإننا نجد أن عمان بلد ثري بقدرته على الحفاظ على مهارات تقليدية مستمرة تعود إلى مئات السنين رغم استحداث طرق حديثة تستخدم جنباً إلى جنب مع الطرق القديمة . وتبدو المرحلة الحضارية التقليدية بطريقة أو باخرى في أعمال صاغة الفضة وصاغة الذهب والنحاسين وبناة السفن والنحاتين وصانعي الفخار والنساجين والعاملين في مجالي البناء والأزياء . وتحظى حرف عمان التقليدية بتشجيع واهتمام شخصي من جلالة السلطان .

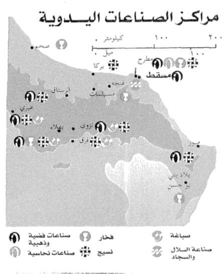
وتحيط الطرق الصوفية بفن صناعة المعادن قديماً ، فقد ارتبط الذهب دائماً ولآلاف السنين بالشمس كما ارتبطت الفضة بالقمر ، أما الاعمال الفضية العمانية فتمثل التنوع والجمال في المهارات اليدوية المحلية. وكما هو الحال في دول شرقية أخرى ، فإن جزءاً كبيراً من ثروة الأسرة العمانية كانت حتى وقت قريب جداً تستثمر في حُلي الذهب والفضة التي تتزين بها النساء وفي الأدوات الفضية التي يستخدمها الرجال. أما الأوعية والأواني الفضية كأباريق القهوة والمباخر ومرشات ماء الورد فتستخدم للمناسبات الرسمية وغالباً ماتكون هذه الأوعية ذات قيمة عالية وجمال رفيع.

ويختلف تقوس الخنجر في عمان ، وهو الشعار الذي يميز الرجل العماني ، عن الخناجر التي تلبس في مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية حيث يوجد لغمد الخنجر انحناءة من ناحية الزاوية اليمنى. أما أكثر الأغماد ندرة فهي تلك المصنوعة من الذهب أو المحلاة بالخيوط الذهبية أو من مزيج الذهب والفضة معاً ولكن من ناحية أخرى فإن ابسط الأغماد تصنع من الجلد العادي رغم أنها تزين أيضاً ببعض النقوش. وتلبس الخناجر بصفة عامة في المناسبات الرسمية وفي الأعياد والإجازات ويتباهى كل عماني تقريباً بامتلاكه واحداً منها. ويختلف تصميم الفضة المنقوشة بمهارة من مكان لآخر كما ان أفضل مقابض الخناجر هي تلك التي تصنع من العظم والفضة. إن الغمد الجيد يحتوي على سبع حلقات فضية، اثنتان منها لمسك الحزام وخمس للإمساك بالخيوط الفضية التي تحاك حول الغمد لتجميله . إن المقبض العلوي لأكثر الخناجر شيوعاً مسطح الشكل ، أما النوع السعيدي، وهو الخنجر الخاص بأفراد العائلة المالكة فقط، فله قمة مزخرفة على شكل صليب ، ويعود هذا التصميم إلى زوجة السيد سعيد بن سلطان في بداية القرن التاسع عشر والتي كانت أميرة في شيراز كما يعود لها الفضل في إدخال الكثير من العمائم الملونة المميزة التي ترتديها الأسرة المالكة.

ويتم تثبيت الخنجر على حزام عادي من نسيج متين يصنع محلياً ويحلّى أحياناً بخيوط فضية وقد يرتكز أحياناً على أحزمة من الجلد مغطاة بأسلاك فضية مشغولة بمهارة، وهي ذات مشابك فضية جميلة، وتوضع سكين ذات مقبض محلى بالخيوط الفضية في جراب جلدي بسيط تثبت خلف الغمد، وغالباً ما تزين المقابض وقراب السيوف العمانية بالفضة والخيوط الفضية بنفس الطريقة المتبعة في تزيين الخناجر.

أما الأسلحة النارية التي كان الرجال العمانيون يحملونها في الماضي فغالباً ما كانت تزين بحلقات فضية مصنوعة بمهارة وبطريقة جميلة يتم تثبيتها حول ماسورة البندقية وكعبها ، ويختلف مقدار الزينة ونوعيتها تبعاً لثراء مالكها. أما قرون البارود فتصنع بصورة هلالية الشكل ، وهي سمة لمدينة صور ومناطق الشرقية، من الفضة وتزين أحياناً بالذهب أيضاً ، كما ضمت المواد الفضية المستخدمة من قبل الرجال غليوناً صغيراً لتدخين التبغ المحلي بالإضافة إلى أدوات الحمام كالمسواك ومنظف الأذن.

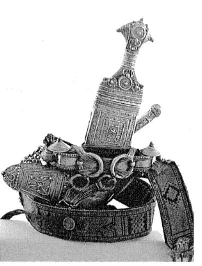
وقد كان النساء والأطفال في الماضي يرتدون فضيات ثقيلة الوزن من بينها قلائد وخلاخيل وأساور وحلق وقطع فضية تزين الرأس بالإضافة إلى الخواتم. إن الزينة الجميلة نادرة اليوم وينحصر استخدامها في مناطق الريف أو في المناسبات الاحتفالية فقط . وهناك قلادة جميلة ذات صندوق صغير على شكل مستطيل منقوشة بمهارة تسمى (الحرز) تحتوي على آيات من القرآن الكريم وهي تلبس معلقة على سلسال من الفضة لدرء الشر والحسد.



توضح الخريطة المراكز الأساسية للصناعات اليدوية التقليدية في الجزء الشمالي من عمان.



لخناجر في عمان متنوعة في تصاميمها .ولكنها جميعا تتميز بعدد من الأجزاء .حتى الوزير في مكتبه يتقلد الخنجر أثناء المناسبات الرسمية.



نهاية الغمد (أسفل) صممت من أجل اتزان شكل الخنجر.



من أهم العلامات المميزة للرجل العماني هو الخنجر الذي يثبت على الخصر . أشكال الخناجر متشابهة دائما وتتميز بسكينها المنحنية ودرجة التواء الغمد. الأغماد أخرى مزينة بالفضة أو مرصعة بقطع من الذهب تضفي جمالاً وأناقة.



هذه التفاصيل (أسفل) توضح الخنجر نفسه وحلقاته الفضية.

أسفل : أفراد أسرة البوسعيد فقط هم الذين يستخدمون تصميم الخنجر السعيدي.



المجوهـرات

تميل المرأة العمانية الى استثمار الشطر الاكبر من ثروتها في شكل مجوهرات وحلي ذهبية، مثلها في ذلك مثل نساء كثير من بلاد الشرق الاوسط. وغالباً ما تكون المجوهرات والحلي بديعة الشكل تمثل ذروة فن صناع الذهب والفضة العمانيين. وقد أصبحت معظم المجوهرات اليوم من الذهب إلا ان الفضة كان تغلب عليها حتى عهد قديب نسبياً.

ومن اهم اشكال المجوهرات الخواتم والقروط وحلي الرأس والاساور والخلاخيل والعقود والسلاسل.

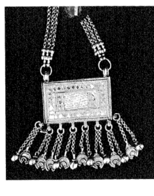
وتتالف المجوعة الكاملة من الخواتم من خاتم لكل اصبع من اصابع اليد بما فيها الابهام. كما توجد خواتم لاصابع القدمين ايضا.

اما حلي الرأس فتنقسم الى نوعين رئيسيين: الحلي التي تتدلى من ضفائر الشعر خلف الرأس،ن وغالباً ما تكون مستديرة الشكل او شبه دائرية، ومرصعة بحجارة كريمة، اما النوع الثاني فهو الذي يتدلى من احد جانبي الرأس ويشبه في منظره القروط.

وتستخدم قطع النقود الذهبية استخداماً واسعاً، وهي غالباً ما تلبس في وسط الجبهة حيث تتدلى عليها من حلية الرأس اما الخلاخيل فغالبا ما تكون من الفضة الثقيلة، ولها طرف مفتوح كي يسهل لبسها وخلعها. اما السوار فيختلف شكله من منطقة الى منطقة.

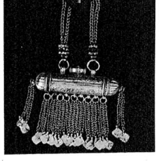
وتتالف حلى الاعناق من قذع بديعة الشكل مثبتة على سلاسل رائعة الصنع. او قد تتألف احيانا من عدد من القطع الفضية مربوطة بخيط غليظ.

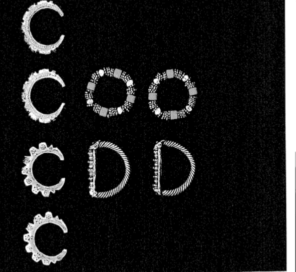
وتشتمل هذه العقود في كثير من الاحيان على تعاويذ تتضمن بضع آيات من القرآن الكريم مكتوبة في علبة فضية مستطيلة للوقاية من العين الحاسدة.





يسار: الملاقط الشوكية الصغيرة أدوات أساسية بالنسبة للرجل. الحرز المتدلي من سلاسله الفضية الثلاث موجود في نزوى (أعلى).





يسار: الأساور التي الى اليسار من شمالي عمان، بينما البقية من ظفار.
فوق: بداخل الحرز غالبا ما توجد آيات من القرآن الكريم.

معظم النساء يلبسن الخلاخيل منذ اليوم الأول لزواجهن هذه الخلاخيل تصدر رنينا عندما تمشي المرأة.

تتدلى الأقراط الثقيلة أحياناً من سلسلة منقوشة .هذه الأشكال المثلثة يتم التحلي بها مع غطاء الرأس في ظفار.

هذا النوع من الأقراط الفضية يقال إنها تمثل يد فاطمة. زوج الأقراط الذي يبدو في الأسفل من صلالة.

أسفل : قلادة العنق (المنجد) ، من ظفار ، تستخدم كحلية في أعلى الأكتاف وأسفلها.

هذه السكين الجميلة (أسفل) تستخدم في كثير من الأغراض العملية.

أسفل : خلاخيل وأساور من شمال عمان.



– مرش ماء الورد

– آنية نحاسية تستخدم لحفظ الحلوى.

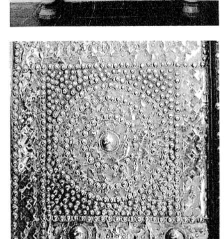
– دلة قهوة أنيقة.

نحاسو نزوى يصنعون الدلة من النحاس الأصفر والنحاس العادي.

– يسار : دلتا قهوة تقليديتان من نزوى تتوسطهما دلة أكبر هي دلة قهوة البدو ، تستخدم هذه الدلة عندما يتجمع أفراد القبيلة. النقوش التي على (المندوس) قام بنقشها البحارة خلال رحلاتهم الطويلة.



– الدخان المتصاعد من المبخرة (أعلى) يوجه عادة الى اللحية وأسفل الإبط بعد وجبات الغداء .(أسفل) مرشات ماء الورد تبعث في البيت رائحة جميلة.

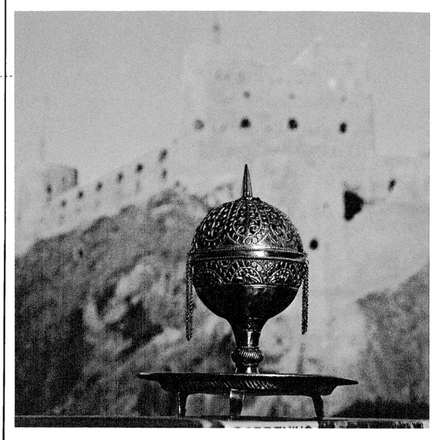




– يزين وسط دلة القهوة عادة بنقوش نباتية.

الاواني المعدنية

تستخدم الآنية المصنوعة من النحاس الأحمرز اوالاصفر وآنية الفضة بكثرة في الاحتفالات المنزلية العادية.
وتتطلب أية وجبة رسمية أيا كان نوعها عدة انواع مختلفة من الآلية. يقدم المضيف العماني القهوة لكل زائر.
وتصب القهوة من وعاء معدني خاص بالقهوة (الابريق)



في هذه المبخرة (أعلى) يحرق عادة عود الصندل.



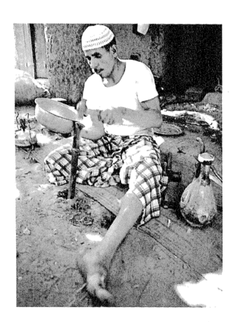
– نقوش فضية رقيقة تزين فتحة دلة القهوة هذه.

في فناجين صغيرة مستديرة. وقد درج التقليد على صنع اباريق القهوة من النحاس الاحمر والاصفر او من مزيج منهما، بل وتصنع اباريق القهوة احيانا من الفضة، وللاباريق في عمان شكل مميز فهي مخصورة في وسطها ولها مسيل كبير مستدق وغطاء مستدير مزين بقرن صغير.

وفي الاحتفالات القبلية او العائلية الكبيرة تغلى القهوة في وعاء ضخم تملأ منه الاباريق العادية ليدور الخدم بالقهوة على الحاضرين. تقدم الوجبة العمانية التقليدية من الرز واللحم مع انواع كثيرة من التوابل في اوعية خاصة على صينية نحاسية كبيرة مستديرة.

وبعد الفراغ من الطعام او بعد تناول اي طعام لزج يدار الماء لغسل اليدين في وعاء نحاسي مستدير له فوهة ويكون منقوشا برسوم جميلة. ومن المعتاد في منازل الأغنياء على الاقل ان يقدم ماء الورد للضيوف بعد اية مأدبة فيرش ماء الورد على الايدي وعلى الرؤوس من قارورة فضية مستديرة. ويأتي ماء الورد من الجبل الاخضر الذي تزرع فيه الورود خصيصا لهذه الغاية.

وبعد ماء الورد يأتي دور الدخان، اذ ربما قدم البخور في اناء فضي جميل ميدار من ضيف الى ضيف. ويعتبر البخور علامة الانصرام كما يدل المثل العماني القائل: "بعد العود ما في قعود".

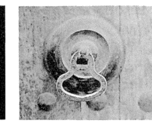


الأدوات المنـزليـة

مع عودة التنقيب عن النحاس في عمان، فإن الأدوات المنزلية المصنوعة من النحاس أو النحاس الأصفر ما تزال تصنع في نزوى ومطرح وغيرهما من المناطق . إن إبريق تحضير القهوة الذي يصنع في نزوى له شكل نحيل خاص ويصنع في الغالب من النحاس ويزين بشرائط من النحاس الأصفر حول العنق والأنبوب والغطاء. أما السمة الخاصة به فتكمن في وجود قطع صغيرة ماسية الشكل تتدلى قرب المقبض. وقد كان تقليداً شائعاً إدخال حجارة صغيرة في تجويف الغطاء ، ويقال إن هذا كان احترازاً من أن يقوم شخص ما بوضع السم في القهوة إذ أن قرقعة الحجارة تنبه إلى وجود يد غريبة تقوم بفتح الغطاء. وتعتبر الصواني النحاسية والمباخر والملاعق ذات الأيدي الطويلة أمثلة على ما ينتجه فن النحاسة.

أما اهتمام العماني بفن المائدة فجيد . إن أدواته المنزلية بسيطة نسبياً فهي تتكون من أباريق للقهوة باحجام مختلفة، وقدور للطبخ – كانت تصنع في السابق من النحاس أما اليوم فتصنع من الالومنيوم – وأباريق وطاسات وصوان مستديرة الشكل بأحجام مختلفة توضع على المائدة ليلتف الناس حولها لتناول الوجبات التقليدية ، كما تستخدم أباريق قهوة كبيرة من النحاس أو النحاس الأصفر في التجمعات القبلية أو العائلية الكبيرة إلا أن القهوة تصب عادة في أباريق أصغر . أما في الوقت الحاضر فتصب في الدلة قبل أن تقدم كمشروب ضيافة كما تطحن حبات القهوة في كل مناسبة تقدم فيها .

وتوجد في يومنا هذا في بيوت كثيرة صناديق تقليدية مزينة بمسامير من النحاس الأصفر وخاصة في مناطق









المتعة في عمل الحلي

إن بعض الأشياء المستخدمة للأغراض العامة تم عملها بطريقة فائقة كصندوق الأزهار والقفل والمفتاح المصنوعان من الحديد أو النحاس أو الزجاجة الظفارية المزينة بالخرز (تصنع من القرون ويوضع الكحل بداخلها) ومقبض الأبواب في نزوى ومفاتيح البيوت في مدينة بهلا ، كما يبدو في هذه الصورة.

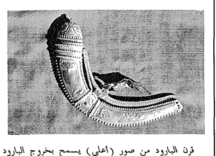
الساحل رغم أنها تستخدم في الغالب للزينة فقط. أما في الماضي فكان رجال البحر يقومون بزخرفة هذه الصناديق بالنحاس الأصفر لتمضية الساعات الطويلة في رحلاتهم البحرية . وتغطى الأرض غالباً بحصائر مصنوعة من سعف النخيل أوالقصب أما السجاد فيصنع محلياً في بعض الأحيان بينما يستورد أحياناً أخرى من فارس وأفغانستان وباكستان لمناسبات خاصة. ويغطى فناء البيوت في

حزام ملون ومرصع يتمنطق به رجال قبائل البدو.

مناطق الساحل ، لاسيما في صور، بالحصباء النظيفة.

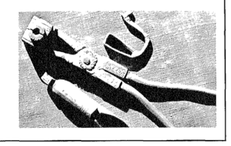
ولكل من بهلا والرستاق ونزوى وعبري وصور ومسقط ومطرح تقليدها العريق في صياغة الفضة كما أن لكل مكان تصاميمه المميزة ، فتصميم نزوى هندسي من من النوع المزخرف ، وفي الرستاق يتميز التصميم بوجود وردة وساق بينما في عبري نجد شكلاً على صورة معينة، إلا أن هذه الأنماط قد أصبحت في الوقت الحاضر أكثر قابلية للتبديل. إن التقنيات المستخدمة حتى الآن تشبه تلك المستخدمة في مناطق أخرى كثيرة من مناطق الشرق حيث يتم تسخين صفائح الفضة ثم تطرق على شكل سبائك ثم يلحم نصفا القالب ببعضهما . وتصنع الخلاخيل والأساور أحياناً بواسطة طرق الفضة النقية وملئها بخليط من القار الساخن والراتينج أو الشمع وعندما يبرد الخليط يزين السطح بالنقوش البارزة. وتستخدم طريقة النحت أو الحفر بالإزميل من أجل الزخرفة بينما يستخدم مثقاب ذو حواف دائرية لأعمال الزينة التي لاتستوجب القطع . أما النقش فيتطلب سنداناً منقاري الشكل وكماشة صغيرة مسطحة وضيقة وقوالب خشبية للحشو ومصباح نفخ بسيط بالإضافة إلى منفاخ. لقد كان صاغة الفضة في عمان يستخدمون في العادة دولارات "ماريا تيريزا" Maria Theresa المصهورة والتي استخدمت حتى وقت قريب كعملة محلية إذ أن نسبة الفضة العالية جداً في هذه المصوغات قد ولدت ثقة لدى الزبون الذي يحصل على شيء قيم مقابل ماله.

ومع ازدياد الثروة، بدأ الذهب يحل محل المصوغات الفضية فازدهرت صياغة الذهب في مسقط ومطرح وغيرها من المراكز التجارية. إن التقنيات المستخدمة هنا هي نفس التقنيات المستخدمة في أجزاء أخرى من المنطقة العربية وإيران وشبه القارة الهندية. وتعكس



قرن البارود من صور (أعلى) يسمح بخروج البارود بكميات صغيرة بواسطة مزلاج زنبركي.

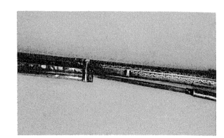
تحت : قوالب الرصاص ومغرفة البارود كانتا أساسيتين .



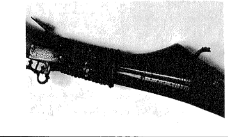
محال الذهب الصغيرة المربحة تقليداً كان موجوداً في القديم. أما أفضل شعار على قطع الحلي فهو الدينار الذهبي الإنجليزي. وقد أدت الأعراس والمهرجانات إلى ظهور قطع ذهبية خاصة للرأس وخواتم من الذهب للأصابع والأنف والأذنين وأساور ، وتتبع كلها غالباً التصميم الفضي التقليدي. وتنفرد صلالة بقلائدها المميزة ذات الخرز الذهبي المرصع بالمرجان.

الأدوات الزراعيـــة

يتم استخدام المجراف لحراثة الحدائق ولتفريغ قنوات المياه أو سدها. إنه الأداة الوحيدة التي تستخدم لتقليب التربة ، وهو عبارة عن محراث خشبي ذو رأس حديدي صغير وخفيف ، ويقوم بجرّه عادة ثور أو بقره رغم أن الجرّار قد حل محله على نحو كبير. ويستخدم المنجل وهو أداة طويلة مسننة ذات أسنان بسيطة لقطع العلف والفصفصة وغيرها من الأعلاف كما يستخدم لتشذيب أشجار النخيل. ويستخدم إزميل طويل يسمى الهيب لفصل فسائل النخيل الصغيرة عن الأشجار الأم. أما زارعو البلح فيستخدمون نوعاً من المقاليع مؤلف من حبل وجلد كما هو الحال في المناطق التي تزرع البلح في الشرق الأوسط وفي بساتين جوز الهند في أفريقيا حيث يستخدم لتسلق الأشجار.

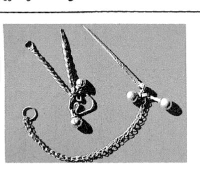


معظم البنادق التقليدية تكون ذات نقوش فضية كثيرة. وهي لاتصنع اليوم ، لكن النماذج الجميلة يمكن ان ترى عند جامعي التحف.

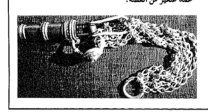


الاسلحة النارية

يعرف هذا النوع من البنادق باسم "جزيل". والى وقت قريب كان معظم الرجال في المناطق الداخلية يحملون هذا السلاح. وتطرق الماسورات باطوال مقدارها ١٨ عقدة وتلحم ببعضها. وتركب الماسورة بعد النقش على اخمص من الخشب وتشد عليه بحلقات من النحاس. ولأجل اطلاق البندقية يوضع فيها البارور الاسود بواسطة مقياس ويدك الى داخل الماسورة بقضيب وحشوة. ثم توضع حبات الرصاص وتدك دكا محكما بالاستعانة بحشوات اخرى. ثم يضاف البارود في وعاء البارود ويعاد الغطاء الى مكانه، وتوقد الفتيلة وتثبت باحكام بين فكي الطارق. ولاجل الاطلاق يفتح غطاء وعاء البارود وعند الضغط على الزناد تنتقل الشعلة في الفتيلة المثبتة في الطارق فتوقد البارود في الوعاء وهذا بدوره يشعل البارود في الوعاء وهذا بدوره يشعل البارود في الماسورة من خلال ثقب النحاس.



تمتلىء عمان بالحلي العملية وهي ادوات لازمة للاستعمال اليومي حولت الى حاجيات فنية صغيرة كالمعلقة الأذن وعود الاسنان (اعلاه) التي تلبس حول العنق او تشد على غطاء الرأس، والدبوس الصغير الذي يخرق الأغطية المطرزة. أما ملقط الشوك (ادناه) والمنتف فيوضعان في غمد صغير من الفضة.





صانع فضة من مطرح يصوغ سوار بارز النقوش الذي تتميز به صياغة الفضة العمانية والذي يجمع في تصميمه بين الجاذبية الممتزجة بعراقة الأعمال الفضية الميتوية والبيزنطية

البنـــادق

كانت البنادق تعتبر سلاحاً وزينة ومحط اهتمام الرجل العماني لأجيال عديدة. وفي الواقع فقد أصبحت البندقية حتى وقت قريب ، رمزاً للرجولة. أما أكثر البنادق شيوعاً وذات شكل نموذجي فهي بندقية "الجيزيل" أو (أبو فتيلة) والتي تعنى (أب المبارزة) أو (بندقية فتيل) التي لاتزال تحتفظ بقيمتها . لقد وجدت كميات كبيرة منها طريقها إلى عمان عبر الخليج بواسطة الأتراك العثمانيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عندما كان العثمانيون يتاجرون بمثل هذه الأسلحة مع مناطق الحدود في شمال غرب الهند.

إن كثيراً من هذه البنادق مزين بزخارف ذات خيوط من النحاس الأصفر والفضة والذهب المرصع داخل أخاديد خاصة حول ماسورة البندقية. ولبعض هذه البنادق تصميمات دمشقية جذابة ذهبية أو فضية على امتداد الماسورة. أما الترصيع فهو عملية طويلة إذ تطلى الماسورة أولاً بمزيج مقاوم للاحماض من مادة الشمع والراتينج ، وبعد ذلك يتم تصميم الشكل إما بخدش

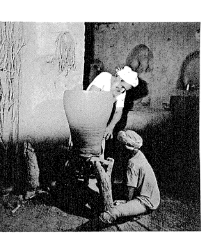


هذه الزينة المزخرفة ذات الرنين توضع على ضفائر الشعر المعقوص.

القطعة بواسطة إبرة أو بواسطة الصبغ بفرشاة صلبة. ويصب بعدها الحامض فوق المنطقة التي تمت معالجتها للتخلص من المعدن البارز ثم ترصع بالفضة أو الذهب على شكل مثلّم، ويتم ذلك إما بواسطة الطرق أو باستخدام مقطع عرضي متلاحم. وتزخرف كل قطعة سلاح بطريقة مختلفة عن الأخرى – فلا تكاد تجد قطعتي سلاح متشابهتين. إن كل سلاح ما هو إلا قطعة قائمة بذاتها من المهارة اليدوية.

ولبندقية "جيزيل" ماسورة طويلة كما هو حال معظم

كل صانع للفخار لديه مهارات في النقش يتميز بها (يسار). الآنية الكبيرة تتطلب المجهود الكبير من صانع الفخار (أدناه).





البنادق التي تحشى بواسطة الفوهة . أما بعض المواسير فتصنع ليصل طولها ١٨ إنشاً وتلحم ببعضها بعد القيام بعملية الثقب.

وهذه العملية طويلة ومعقدة تتطلب استخدام مثاقب من الخيزران أو الحديد. وبعد أن تتم عملية التزيين ، تركب الماسورة بكعب البندقية الخشبي بواسطة مجموعة من الحلقات المصنوعة من النحاس الاصفر ثم توضع صفيحة من النحاس تحتها لحماية الجزء الخشبي ولوضع المكبس.

وتستخدم طرق مختلفة لإنتاج الرصاص لتعبئة بندقية "جيزيل" وقد ينتج القالب رصاصة أو اثنتين في الوقت الواحد وقد يزيد ليصل إلى اثنتي عشرة. أما الفتيل نفسه فيصنع من الياف جوز الهند أو النخيل مع خيوط قطنية في حين أن القوارير التي يحفظ فيها البارود تتم صناعتها من الخشب الصلب وهي في الغالب منقوشة بطريقة مزخرفة ويصنع بعضها من الفضة والذهب.

إن عملية إطلاق النار عملية معقدة: أولاً ، تقاس كمية البارود الأسود ويصب في الماسورة ثم تضغط فوقه قطعة صغيرة من مادة لينة وتدك بواسطة استخدام المكبس. بعد ذلك توضع الحشوة وبعدها قطعة لينة أخرى وتدك جميع هذه الأشياء في أماكنها ثم تصب كمية صغيرة من البارود الأسود في حجرة خاصة ثم يحكم غطاؤه بينما يتم إشعال الفتيل ويؤمن بشدة في فكي زناد البندقية، وعندما يضغط زناد البندقية، يتحرك الفتيل إلى الأمام ناحية الزناد مشعلاً البارود في الإناء الذي يشعل بدوره البارود في الماسورة عن طريق فتحة صغيرة تمر فيها النار.

ورغم أن بندقية "جيزيل" كانت أكثر أنواع الأسلحة شيوعاً إلا أن هناك أنواعاً أخرى من الاسلحة النارية التي استخدمها العمانيون مثل بندقية "مارتيني هنري" التي تحشى من مؤخرتها والتي استوردت إلى المنطقة بكميات كبيرة في نهاية القرن التاسع عشر ، وهناك أيضاً نوع آخر هو بندقية الزناد. ولقد كانت هذه الاسلحة القديمة هي العتاد الرئيس الذي حمله العمانيون عندما احتشدوا في صحار عام ١٩٥٢ ليزحفوا باتجاه واحة البريمي بعد أن تم احتلالها من قبل قوة سعودية في تلك السنة ، إلا أن هذا الزحف لم يحدث وانتهى النزاع عن طريق الفصل بين المتنازعين . لقد كان النزاع آخر حدث جاد توضع فيه مثل هذه الأسلحة القديمة موضع الاختبار.

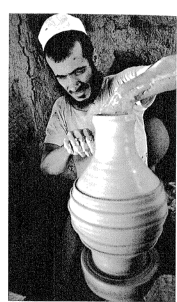
الفخـــار

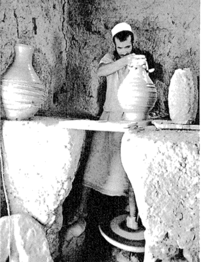
أما بالنسبة لصناعة الفخار فيعود تاريخ أول فخاريات وجدت في عمان إلى عهد "جمدت نصر" (بداية الألف الثالث قبل الميلاد) وقد صنع الفخار الذي يمكن الانتفاع منه منذ أن بدأ الإنسان يحتاج للأواني. أما الفخار الذي لايزال يصنع في القرى حتى السبعينات فهو يستخدم في أغراض عملية إلى حد كبير وهو يشمل أواني ذات مسام لحفظ المياه وأواني للطبخ وأكواباً. ويعتمد مستوى الإنتاج والطرق المبتعة على نوعية الطين المتوفر وعندما يكون الطين من النوعية السيئة تكون الطرق المستخدمة بدائية.

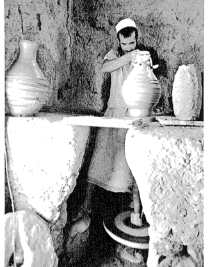
لقد كانت بهلا ولفترة طويلة مركزاً لصناعة الفخار في عمان وقد تطورت هذه الحرفة اليدوية حديثاً بحيث عززت بمواد صينية خاصة. وهناك مراكز أخرى لصناعة الفخار مثل بلاد بني بو حسن وسمائل ومسلمات ومطرح وصحم وصلالة. وفي بهلا ومسلمات، حيث يتوفر الطين ذو النوعية الجيدة، كانت هذه الحرفة متطورة إلى حد ما، وكان صانعو الفخار في غاية المهارة بتقنياتهم القديمة التي يستخدمون فيها عجلة بسيطة تعمل بواسطة القدم . لقد كانوا يقومون بتسخين المادة الخام في أفران كبيرة مخصصة لصناعة الطوب ويزودونها بالوقود الذي كان عبارة عن أغصان مقطوعة. إن كل صانعي الفخار في شمالي عمان هم من الرجال بصورة أساسية ولكن النساء أيضاً كن يقمن بصناعة مواد من الفخار في صلالة حيث لايتوفر الطين ذو النوعية الجيدة . ومع ذلك، تصنع في صلالة مباخر جذابة وملونة وطاسات للمياه وغيرها من المواد التي يحتاج الناس إليها ويتم ذلك يدوياً باستخدام اليد من دون عجله بالإضافة إلى أن صنع الفخار المزخرف

حلق الآنية الفخارية يكون رقيقا في العادة.

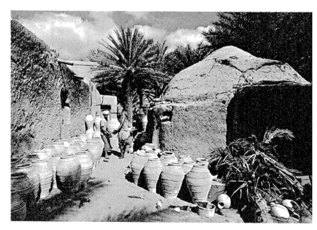








أسفل : خارج أتون اللهب في أحد أماكن صنع الأواني الفخارية ببهلا. مجموعة من الأواني في طريقها إلى الانصهار. يمين : هذه العجلة التي يتم دفعها بواسطة القدم لاتزال تستخدم منذ أيام السومريين.



يقوم به أفراد ذوو كفاءة عالية فيصنعون أشكالاً كالقوارب والسيارات والطائرات.

وتتميز بهلا بجرارها الكبيرة المستخدمة في عملية تخزين التمر. ومن ضمن الأشكال الأخرى المنتجة هناك المباخر، ومزاريب السطوح ، وجرار الماء ، وأكواب المياه وجرار اللبن وأواني الحلوى ، أما أواني الطعام فتصقل من الداخل. وفي القرون الماضية، كان يتم استخدام الزجاج المصنوع في صحار من أجل عملية الصقل هذه ، أما الصقل الذي تم في فترات لاحقة فكانت تدخل فيه مواد محلية ذات نوعية أقل جودة.

ويمكن تكييف المواد الأساسية لكل منتج تبعاً للغرض المصنوعة من أجله ، ومثال ذلك أن يُضاف الرمل إلى خليط الطين من أجل جعل جرار الماء تحوي عدداً أكبر من المسامات . ويستطيع صانع الفخار الماهر صنع أكثر من خمسين جرة في اليوم الواحد. ويتم تناقل أسرار المهنة من جيل لآخر وعادة ما يكون ذلك في نفس الأسرة، وقد احتفظت بعض العائلات بهذه المهنة لقرون عدة ، وقد أخبر صانع فخار في صلالة أحد الزوار الخبراء أنه ورث اعماله الفخارية وأنها وصلت إليه من أسلافه في القرن السادس عشر وهو تاريخ أثبتت الدلائل صحته.

الموسيقى

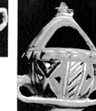
لم يشجع المذهب الإباضي ازدهار الموسيقى ويغلب الطابع الأفريقي على الموسيقى الشعبية البسيطة ذات الإيقاع القوي. إن الموسيقى متصلة اتصالاً وثيقاً بالمناسبات السعيدة كالأعراس والأعياد. وتنظم حفلات رقص في أيام الجمعة في بعض المناطق الساحلية في شمالي عمان وفي ظفار. ومع القرع العالي للطبول يتحرك عازفو الآلات الموسيقية الأخرى على شكل دوائر لتشجيع الراقصين من الرجال والنساء على حد سواء . وتعزف الألحان الموسيقية على آلة بوقية مصنوعة من القرون ، والشبابة والربابة وهذه كلها تشبه تلك الآلات المستخدمة في شرق أفريقيا. وهناك آلة موسيقية مختلفة تماماً هي البوق المقوس وهي تزين عادة بالفضة وتستخدم لدعوة أفراد القبيلة للاجتماع.

وقد اعتاد البحارة العمانيون في رحلاتهم البحرية الطويلة أن يترنموا بأغان وأناشيد خاصة بهم . والغناء شائع أيضاً إلى حد ما في بعض المناطق النائية بين قبائل البدو ولكن ليس بين السكان القاطنين في المدن الداخلية. ويتم ترديد أناشيد خاصة في بعض المناسبات الخاصة ، ولبعض القبائل أنغام مميزة لسوق الجمال للشرب ولتحميلها ولحثها على الهرولة أو المشي ، وهناك اغان تشيد بالقهوة إضافة إلى أغان في الغزل. وتقوم النساء في بعض المناطق النائية بالغناء إلا أن مثل هذا الفعل يعتبر خروجاً على الأدب في معظم الاماكن. وفي صلالة توجد أغان خاصة تلحن على العود والطبل تغنى في الإجازات وفي المناسبات كما أن هناك أناشيد خاصة بحفلات الزار في بعض الأماكن.

إن أحد أشكال الرقص التي لا زالت شائعة في الأعياد في عمان هو الرقص بالسيوف. وتحمل هذه الرقصات في الأصل شكل حركات خاصة بالحروب حيث يشتبك المشاركون في معارك وهمية بالسيوف والخناجر والاتراس – وهي أتراس صغيرة مدورة ومزخرفة تصنع من جلد فرس النهر ومن الخشب وأحياناً من الجلد. وقد وصف "برترام توماس Bertram Thomas في كتابه "أخطار ورحلات في شبه الجزيرة العربية" Alarms and Excursions in Arabia التحية العربية في بلاد بني بو علي في العشرينات واصفاً بعض المظاهر التي يمكن مشاهدتها حتى الآن في حفلات الأعياد في أجزاء مختلفة من البلاد:

كانت الطبول تقرع يميناً ويساراً على إيقاعها ، وأنصال السيوف تلمع تحت أشعة الشمس بينما الراقصون يقفزون هنا وهناك وكان صوت الأناشيد يعلو كلما اقتربنا. وقد أفسح لنا رجال القبيلة طريقاً وهم ممسكون بكموب بنادقهم قريبة من أوراكهم استعدادا لاطلاق النيران ثم قاموا بإطلاق وابل من الطلقات الترحيبية التي كانت تئز فوق رؤوسنا. وقد مشينا إلى حيث وقف الأمير ، أمام القلعة ، على سجاد فرش على منطقة كبيرة مكشوفة، وهو موقع مناسب لمشاهدة فن ركوب الخيل وسباق الجمال الذي كان قد بدأ ، ثم انطلق اثنا عشر من الخيالة وأخذوا يحثون أفراسهم على القفز ويطلقون النار من بنادقهم في نفس الوقت أو يتسابقون اثنين اثنين في خط السباق ، ويقف واحد من الخيالة على سرجه غير المربوط ممسكاً به بأصابع قدمه فقط محتفظاً بتوازنه المحفوف بالمخاطر وذلك بوضع ذراع ممدودة على رقبة زميله الذي يجلس في وضع أكثر راحة. وبعد أن يصطف الجمع من جديد، يتحركون بسرعة ليشكلوا وضعاً جديداً يتناسب مع عدو الخيل ، ويقومون أثناءه بإنشاد أشعار بطولية وهو تقليد عربي قديم يعود إلى أيام الفارس العربي عنترة في العصر الجاهلي . ويتمتم رئيس المجموعة في نهاية كل بيتين من أبيات الشعر بكلام غير واضح ثم تردد بقية الجماعة بصوت عال " الله أكبر " .

ويعتبر هذا الوصف شهادة" واضحة على أصالة الفن

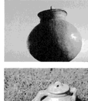




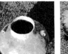
فخار ظفار

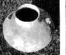
غالبا ما تكون محارق البخور في ظفار من الفخار المزين بالالوان الزاهية. وقد بقي احد معامل الفخار هذه بيد اسرة واحدة في صلالة لمدة خمسمائة سنة. وظفار نفسها هي موطن شجرة لبان البخور وقد كانت لقرون خلت وقرنا إثر قرن مركزا واسعا للتجارة العالمية في البخور. وما زال صمغ البخور يستعمل على مقياس واسع في الشرق الأوسط وفي الكنائس المسيحية في الغرب.













العماني التقليدي في ركوب الخيل ، وهو فن تم تشجيعه ومهارة تطورت في عهد جلالة السلطان قابوس. وتوضح الأشعار البطولية كما ترجمها "توماس" جانب الفخر لدى المحاربين:

ملأنا كل شبر من الأرض بالخوف حتى أصيب الناس بالرعب منا
الله أكبر
تفوقنا على الثريا في أوجها
الله أكبر
ومن يقترب منا قاصداً الصعاب سيجدنا شجعاناً مثل الأسود
الله أكبر

النسيج والتلوين

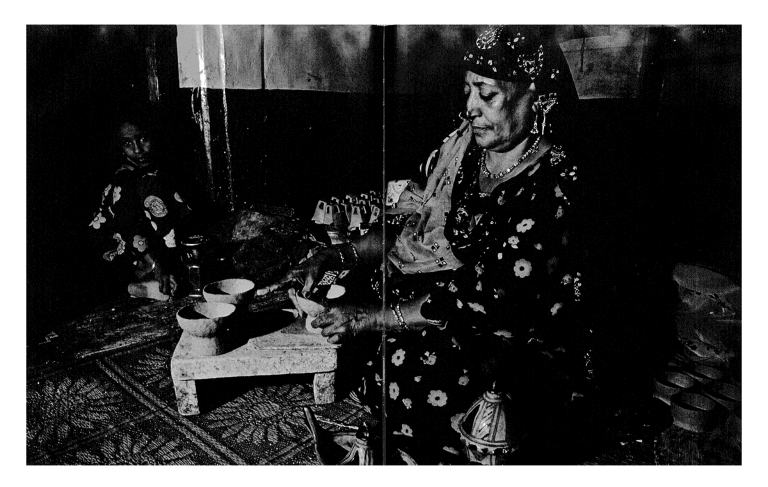
كان النسيج التقليدي لا يزال مستمراً في معظم المدن والقرى العمانية حتى السبعينات على الرغم من أن معظم النساج كانوا من كبار السن ، أما اليوم فهناك جيل أصغر سناً يقوم بالحفاظ على هذه المهنة. وفي الواقع كانت عملية زراعة القطن وغزله ونسجه تتم في عمان لكن الكمية التي كانت تزرع كانت قليلة نسبياً مما اضطر البلاد إلى استيراد القطن الخام أو خيوط القطن ، وكانت عملية تنجيد القطن وغزله تتم بواسطة آلات تقليدية مصنوعة من سعف النخيل وكان النول ذا تصميم بسيط، أما النساج فكان يجلس أثناء العمل في حفرة خاصة أمام النول ، وكانت الخيوط الملفوفة تنشر لمسافة ٢٠ قدما أو أكثر. أما الأقمشة المنسوجة فتتعدد أغراضها ولكنها تستخدم كقطع قماش للوزرة أو (اللنجي) يرتديه الرجال حول وسطهم . وفي بركاء، يحاك قماش ذو ألوان متعددة لأغراض مختلفة .

ويتم النسج غالباً تحت ظل الأشجار. وينسج في بهلا



الموسيقى والألحان الشعبية غنية ومتنوعة في عمان وقد تم الحفاظ عليهما بعناية . الرقص والإيقاع يؤديان بصور عديدة وقد تأثر بعضها بمؤثرات افريقية من حيث سرعتها. الصورة في اليسار من ظفار.

– إلى الأسفل : زوجة صانع الفخار تحمل الأواني لتجف في الشمس.



لباس من شعر الغنم الأسود وهو ثوب يشبه جناحي الخفاش ذو تصميم مزركش من الخلف مما يضفي عليه شكل لباس أكاديمي. وتصنع النساء بين قبائل البدو قطعاً مختلفة مثل قطع قماش تجميل الخيام والجمال وحقائب سروج الجمال والبسط المستخدمة في صناعة الخيام أو تغطية الأرض. ويعتبر صوف الاغنام ووبر الجمال من المواد الأساسية المستخدمة عادة ولكن يستخدم صوف الخراف في صناعة البشت ، أي العباءة التقليدية ذات الأطراف الذهبية التي يرتديها الرجال فوق الدشداشة القطنية البيضاء.

أما عملية الصباغة فقد تمت المحافظة عليها لاجيال عديدة في أماكن قليلة من بينها منطقة فرق بالقرب من نزوى حيث كانت النيله هي الصبغة الأساسية المستخدمة، وتأتي صبغة النيلة هذه من أوراق نبتة نهر النيل إلى أن جاء الإمام سعيد بن أحمد الذي حاول جعل الصباغة احتكاراً حكومياً مما أدى إلى تراجع شعبيته بشكل ملحوظ.

بنـــاء الســـفن

بناء السفن صناعة ضاربة في القدم ، وتعود أصول هذه الحرفة – كما يقول أحمد بن ماجد في القرن الخامس عشر الميلادي ، وهو أشهر بحار أنجبته عمان– إلى نوح عليه السلام الذي بنى سفينته على شكل النجوم الخمس الكبرى التي تشكل برج الدب الأكبر.

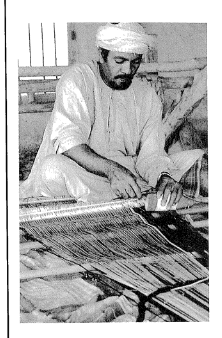
ولاتزال حرفة بناء السفن موجودة في صور وصحار ومطرح التي توقفت فيها هذه الحرفة منذ عهد قريب. وتقتصر هذه الحرفة الآن على بضع عائلات طالما عملت بها. وقد كان على ساحل صور في منتصف التسعينات ثلاث أو أربع سفن تبنى في آن معاً ، إلا أن هذه السفن المبنية كانت تشكل نسبة واحد إلى عشرة من حجم السفن الكبيرة التي يصل وزنها إلى ما يقرب من خمسمائة طن أو أكثر والتي بنيت في فترات سابقة للإبحار بها عبر المحيطات رغم أن الطرق التقليدية لاتزال مستخدمة.

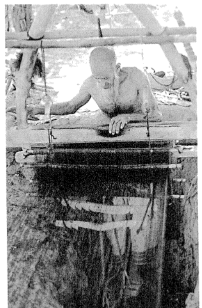
ويجري بناء السفينة بعد أن يتم مدّ العارضة الرئيسة ضمن إطار من الصواري يشبه السقالات. أما الخشب المستخدم فهو من جذوع خشب الساج المستورد من الهند رغم أن الدعامات والعارضة الرئيسة تصنع من خشب عادي ، أما الصواري، فتصنع من جذوع أشجار الساج الثمينة المستوردة خصيصاً من مالابار

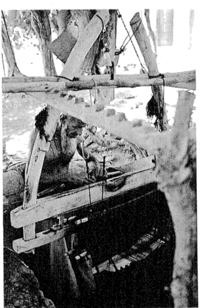
ويستخدم النجارون نفس الادوات التي قاموا باستخدامها لاجيال عديدة مثل القدوم والمنشار والإزميل والمطرقة والمثقاب. وتربط السفن الحديثة مع بعضها باستخدام مسامير من الحديد، أما الطريقة القديمة لتثبيت الالواح ببعضها فقد تلاشت ماعدا في عمل بعض أجزاء سفينة البدن ذات الشكل القديم، وهي سفينة

الغـــزل

كان النسيج لايزال موجوداً في العديد من المدن والقرى على الرغم من أن معظم النساجين كانوا من الرجال المسنين. إن عملية تمشيط المادة المنسوجة وغزلها تتم بواسطة آلات تقليدية مصنوعة من سعف النخيل بينما يتم تصميم النول بطريقة تقليدية . كان النساج يجلس فيما يشبه الحفرة بينما تمتد أمامه خيوط النسيج البالغ طولها حوالي عشرين أو ثلاثين قدماً. أما القماش الذي يتم نسجه فكان يستخدم لعمل (الوزرة) أو (اللنجي) الذي يرتديه الرجال حول الخصر . أما اليوم فإن مهارة النساج مرتبطة بروح الحماس المتوفرة لديه. أما أسرار طرق النسيج فقد انتقلت للأجيال اللاحقة بواسطة أصحاب المهنة التقليديين من المسنين.







غالبا ما تجري عمليات النسيج تحت ظلال الشجر. وفي الاصل كانت عمليات زراعة القطن وغزله ونسجه تتم كلها في عمان. الا انه لا يزرع من القطن سوى القليل في الوقت الحاضر. ويستورد القطن الخام او الغزل من خارج البلاد.



الغزل الأزرق ملفوف ومفتول على شكل أرفف لتتشابك الخيوط مع بعضها بيسر وسهولة.

غزل الصوف بواسطة المغزل اليدوي يحتاج إلى مهارة فائقة.



الملابس ذات اللون الأزرق الغامق تعلق لتجف تحت سور أحد القلاع.

فرق ، قرب نزوى، طالما اشتهرت بالملابس المصبوغة باللون النيلي.

صغيرة يتم دفعها بواسطة المجاديف. ومن الغريب انه عندما قام العمانيون بأطول رحلاتهم البحرية وأشهرها كانت الواح سفنهم في ذلك الحين موصولة معاً بأسلوب تقليدي قديم وهو أسلوب له فوائده إذ يعطي السفينة مرونة خاصة وسط العواصف ولكنها كانت تؤدي في نفس الوقت إلى التداعي وسرعة الغرق.

ويصف أبوسعيد البلخي في القرن التاسع للميلاد (القرن الثالث للهجرة) الطرق التقليدية لبناة السفن العمانيين كما يلي: " كان هناك قوم في عمان وصلوا إلى الجزر التي تنتج جوز الهند وقد حملوا معهم أدوات النجارة وما شابهها ، وبعد ان قطعوا من الاخشاب ما يشاؤون، تركوها لتجف ثم ازالوا الأوراق كما غزلوا خيوطاً من لحاء الشجر ثم خاطوا الألواح ببعضها وقاموا ببناء الدقة ، وباستخدام نفس الخشب ، قاموا ببناء الصواري ، كما حاكوا من الأوراق أشرعتهم وحولوا الليف إلى حبال للسفينة ، وبعد ان انتهوا من بناء مركبهم ، حملوه بجوز الهند وجلبوه ليباع في عمان ".

وهناك نوع من السفن تشتهر مدينة صور بصناعته وهو البغلة و الشكل الأصغر منه هو الغنجة ولكلاهما سطح مرتفع ونوافذ في مؤخرة السفينة على نمط السفن البرتغالية الحربية القديمة المسماة غليون . واليوم تسير المراكب بمحركات أما في فترة الستينات فلم تكن تتحرك إلا بالأشرعة. وتنتهي عملية بناء السفن بعد بناء الهيكل وسدّ شقوق السفينة. لقد سبق للبحارة الذين ركبوا البحار ان عملوا الأشرعة وجهزوا السفن واقلعوا بها من ارض المرفا. وقد قام "آلن فيليرز" Alan Villiers ، المؤرخ البحري، بعدد من الرحلات البحرية على مركب عربي في الثلاثينات وهو يصف في كتابه "أبناء السندباد" آخر أكبر سفينة من نوع البغله تم بناؤها في عمان. كانت السفينة تسمى أمل الرحمة وكانت تزن ما يقرب من ٢٠٠ طن وسعتها ٣٠٠٠ كيس من التمر ولكنها صغيرة نسبياً إذا ما قورنت بالسفن التي بنيت قبلها والتي تصل من حيث الوزن إلى ٥٠٠ و٦٠٠ طن وتحمل ٤٠٠ رجل أو أكثر. وقد بدأت سفينة البغلة تنقرض في الثلاثينات بعد ان حلت محلها سفينة البومة ذات المقدمة الطويلة والتي كانت أكثر راحة لأولئك الذين مارسوا تجارتهم في الخليج والمحيط الهندي. لقد كان من المعتقد أن سفن البغله أقل صلاحية للملاحة وان مؤخرتها المزخرفة، رغم ثباتها ومنظرها البديع، كانت خطيرة في البحار الهائجة. إن سفينة اليوم متعددة المواهب.

يقول "فيليرز" Villiers واصفاً أمل الرحمة:

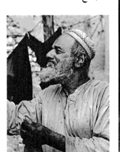
" جميلة من الخارج وجميلة من الداخل بذلك الانحدار الرومانسي ذي المظهر البديع في ظهرها وفي الواح سطحها المرتفع وحتى في القرن المقوس لمقدمتها المنخفضة ، أما مؤخرتها ذات النوافذ فجميلة بشكل خاص ، أما القسم البيضاوي منها فمصنوع من خشب الساج القديم ومحلى بالتصاميم الجذابة والعقد ذات النقوش الرائعة . لقد ارتفعت مقدمتها المقوسة من البحر بخفة طائر الإوز. وقد كانت السفينة كبيرة بالنسبة للسفن العربية الأخرى. وترى هيكلها الساجي المزيت يتهادى فوق المياه برشاقة وقوة ولها حلاوة خاصة في انسياب خطوطها التي تترنم بجمال البحر ولطفه مترفعة عن تعليقات التجدي حول وجود ضعف ما في مؤخرتها.

لقد كانت تلك السفينة كبيرة في السن ويزيد عمرها على نصف قرن ولعلها تذكر أيام التجارة بالرقيق. ومثل العديد من السفن العربية ، ينساب كل خط فيها وينسجم ويتناغم مع الخطوط الأخرى ليولد شكلاً جميلاً ومتكاملاً . لقد تم تركيبها في شاطيء صور وقام ببنائها نجار عادي لم يستعمل رسماً بيانياً ولم يقيد شيئاً على ورق فقد تم تصميمها بالعين لتصبح بناء يسر العين مرآه. إنها لاتتعدى كومة من الواح خشب الساج مرتبطة معاً ربطاً ضعيفاً بواسطة المسامير وكثيراً ما يشاهد لوح من الواحها قد خرج قليلاً عن مكانه او تقوس. وقد تبدو روابطها المعدنية لألواحها الخشبية صدئة مهترئة إلا ان غرفها الداخلية عالم آخر فهي محلاة بالرسوم ومنحوتة نحتاً فنياً رائعاً. وتشبه النوافذ الخمس في مؤخرة هيكلها تلك النوافذ الصغيرة التي نقرأ عنها في مقصورات الحريم فهي مزخرفة بأجمل زينة ومصممة أجمل تصميم ومحلاة بالرسوم الجميلة كالأهلة والنجوم ".

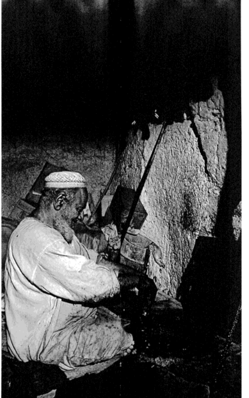
لاشك انها سفينة تمت إلى عهد مضى وانقضى ، لكن مجريات الحياة الموجودة على أمثال تلك السفن المحلية في المحيط الهندي والخليج لم تتغير تغيراً كبيراً عما كانت عليه آنذاك على الرغم من وجود المحركات القوية التي حلت محل الأشرعة الكبيرة. ويصف "فيليرز" Villiers المشهد على ظهر السفينة فيقول:

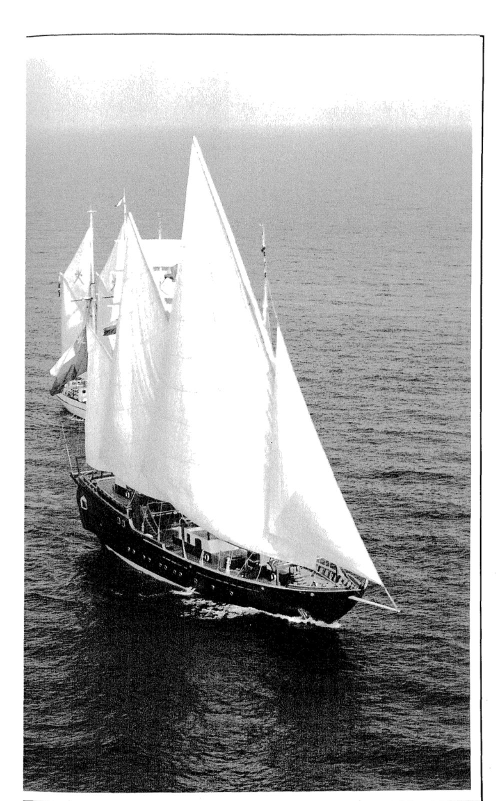
" كان هناك نجار منهمكاً في عمل مركبه وتبدو المقدمة متواضعة منخفضة بينما هناك عوارض ثقيلة

الصبـــغ



يبدو (في الأعلى وإلى اليمين) في يدي هذا الرجل المسن قماش مصبوغ بلون نيلي لايزول. يظهر (في الأسفل) أحد أفراد شرطة عمان السلطانية، وهو يشارك أبناء وطنه بهجتهم، بالزي الملون.





وحبال غليظة إضافة إلى موقد انحنى عليه طباخ عليه آثار الدخان، وبراميل خشبية ملأى بالمياه على الجانبين وجذع كبير للصارية المنحنية التي ترتفع من الطرف الأمامي للمقدمة الضيقة المستطيلة . كما كان هناك أيضاً عدد من الحلقات المعلقة بمسامير وأداة يديرها الملاحون يرفعون بها الأثقال أو المراسي وتسمى رخوية تبدو كما لو أنها أتت من كتاب (فيكتوري) لمؤلفه "نلسون" Nelson. وتجد الزخارف والألوان في كل مكان ولذا فإن مؤخرة السفينة تبدو دائماً مزخرفة بأجمل الرسوم، وتجد الغرفة الرئيسة التي يصل طولها إلى سبعة أقدام في الجزء الخلفي من الكابينة الكبيرة الفسيحة وتزين مؤخرة السفينة رسوم جميلة ذات أنماط متداخلة نقشت عليها آيات من القرآن الكريم. أما المنصة المنحنية المخصصة لضباط السفينة فكانت قطعة من الأثاث المصنوع بطريقة متقنة والمترابط بإحكام وهو محاط بسياج منقوش من خشب الساج. ولمؤخرة السفينة أداة رحوية صغيرة يديرها الملاحون لرفع الأثقال أو المراسي والصناديق بالإضافة إلى الصاري القريب من مؤخرة السفينة والمعروف بالمزيني وهو مرتفع وشاهق. وهناك صندوق البوصلة وعجلة القيادة ومقعد خاص لمدير الدفة. وبعد أن أبحرت أمل الرحمة مبتعدة عن البر تساعدها نسمات الهواء اللطيفة وجهها البحارة ونشروا الشراع الأساسي المثلث الشكل ثم رفعوا المرساة فدارت السفينة بمؤخرتها الجميلة ومضت فكانت صورة للتناسق بمنصتها المنقوشة وبدت كأنها سفينة عاشقة بعد أن ملأت الرياح شراعها الكبير، وقد استغرق البحارة وقتاً طويلاً لينشروا الشراع الذي بدأ يخفق بلون ذهبي مع هبوب نسيم الصباح وانزلق بدن السفينة البراق وهو يتهادى في المياه الزرقاء " .

وقد وصف "فيليرس" Villiers الحياة اليومية العادية على ظهر سفينة عربية نموذجية فقال:

" بدأ نهارنا قبل الفجر بمدة طويلة وانطلق المؤذنون بنداءاتهم للصلاة قبل أن أستطيع رؤية الأثر الباهت للون الرمادي في السماء.

وهناك أوقات محددة للإعلان عن أوقات الصلوات الخمس اليومية وهي الفجر ويؤدى مع انتشار الضوء في السماء ، والظهر بعد أن تكون الشمس قد تجاوزت خط الزوال بقليل ، ثم العصر، بعد أن تفقد الشمس وهجها وتطول الظلال ، أما صلاة المغرب فتكون مباشرة بعد غروب الشمس، ثم صلاة العشاء التي تؤدى في أي وقت بين بداية العتمة والفجر ولكنها تؤدى عادة بعد الغروب بساعتين لملاءمة ذلك لظروف السفينة. وهكذا كان ينقضي نهارنا ما بين أداء الصلاة وتناول الفطور والقيام بالطبخ والأكل والنوم وصيد السمك وتنظيفه والنظر إلى مايحدث في السفن الأخرى. وقرب الموقد الملطخ بالدخان جلس جاسم القرفصاء وقد بدا أكثر كآبة وسواداً

عن ذي قبل، عند الباب الأمامي الصغير وحرّك القدر بقطعة من الخشب... واستمر عبدالله النجدي وجماعته، عدا الآخرين، في تغليف أفضل أنواع تمر البصرة حتى توفر لدينا ستون كيساً منه. وتحت مؤخرة السفينة الجديدة استلقت فتاة صغيرة كانت نائمة وعليها ثوب طويل وغطاء رأس أسود ، بينما تزينت يداها الممتلئتان ووجهها المكتنز الصغير بخطوط وفيرة من الحناء السوداء .

وكانت تتدلى من أذنيها حلى فضية تقرب من عشر في كل أذن ، ويسمع لها رنين كلما مشت الفتاة، كما التف حول كاحليها خلخالان من الفضة ثقيلان، وقام البعض بتحضير القهوة في غلايات نحاسية طويلة الفوهات وهي مصممة بحيث تحتفظ بأقصى درجة من الحرارة المنبعثة من الجمرات القليلة ، وقام البعض بشرب القهوة. وكلما كانت القهوة أقل جودة كلما كانت طريقة تقديمها أفضل ، ويقوم بعض البدو بتقديم مقدار قليل جداً من القهوة لا يزيد عما يملأ الكشتبان كما لو أنها شراب الآلهة. وأثناء تقديمهم مشروب الضيافة هذا ينحنون ويطقطقون بالفناجين من جراء ملامستها للفوهة .. وقد استجاب البعض لنداء الطبيعة وهم في مقاعدهم الطويلة على جانب السفينة... يوسف الشيرازي الرجل الكبير... كان يصنع الدواء... قطع ملتوية من الأعشاب، بقايا أوراق أشجار، بذور مجففة وقديمة جداً، قطع من اللحاء وقطع من شيء بدا كالخيط – كل هذه الأشياء تم خلطها ببعضها ثم قام يوسف بدقها وخلطها بجهد ومشقة .. وقد علمت أن هذا " الدواء " كان مزيجاً لزيادة إدرار الحليب من صدور العقائل البدويات. وقد أراد يوسف حليباً ليغسل به عينيه" .

السـفن الموجـودة في عمـان

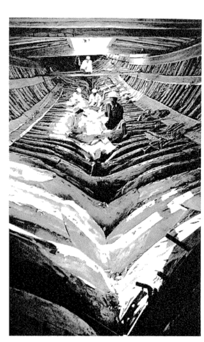
هناك أنواع كثيرة من السفن المحلية بالإضافة إلى (البغلة)، وتجد هنا قائمة بتلك التي كانت شائعة في السابق. إن كل المراكب الأصغر حجماً يمكن دفعها بالمجاديف والأشرعة إلا أن النوع المسمى بالهوري فنادراً ما يحمل أشرعة . إن كلمة (داو) والتي يطلقها الأوربيون على جميع أنواع السفن المحلية ، لم تعد مستخدمة حيث استخدمت هذه الكلمة في الأصل للدلالة على نوع من القوارب التي كانت تستعمل في ساحل أفريقيا الشرقي ثم مالبثت أن انقرضت.

سفينة (عادية): خشبة
مركب (بمحرك): لنش
سفينة ذات مقدمة عمودية ومؤخرة أفقية:
جلبوت

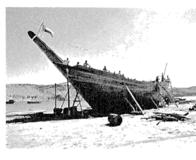
(من المحتمل أن تكون هذه الكلمة مشتقة من الكلمة البرتغالية "جلبوتا" وتعني القارب المرح).

بناء السفن

تتميز عمان بعراقتها التقليدية في بناء السفن. ومن المحتمل أن يكون بحارتها جابوا المحيطات منذ الألف الثالث قبل الميلاد. لاتزال مهنة بناء السفن قائمة في مدينة صور كما كان الحال حتى وقت قريب في مطرح وصحار. لم يتم التخلي عن الطرق التقليدية في عملية البناء كما أن هذه المهنة مقصورة على عائلات معدودة طالما عملت بكد من اجلها.

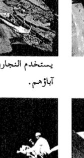


يتم صنع الدعامات والعوارض في قعر السفينة من أخشاب أشجار محلية، بينما يتم إحضار خشب الساج من الهند.
إن سفينة البوم (أسفل) تبدو وهي ترفع علم عمان كعلامة لضرب الانتهاء من إتمام بنائها.





يستخدم النجارون نفس الأدوات التي كان يستخدمها آباؤهم.

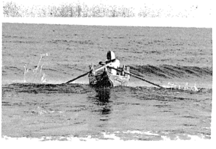


يتم بناء قعر السفينة باستخدام العوارض الخشبية.



يعتبر القدّوم من أقدم الآلات المستخدمة وأكثرها صعوبة في الاستخدام.
إلى أقصى اليمين: السفينة الشراعية المسماة (السلطان قابوس) تم تصميمها وبناؤها في عمان بواسطة حرفيين محليين. وتظهر وهي تنساب
في مياه بحر العرب ناشرة جميع أشرعتها.

يعتبر المثقاب المقوس ، حينما يستخدم
بمهارة، أحسن أداة تستخدم لهذه الصناعة.



يبقى البحار العماني مثالا يحتذى به في العالم لما يتمتع به من تراث بحري عريق سواء كان يبحر بقارب خشبي او بواسطة سفينة "الشاشة" البسيطة المصنوعة من سعف النخيل. تظهر سفينة الشاشة (اسفل الصورة) وهي معروضة كنصب تذكاري في احدى الحدائق العامة بعد ان انحسر استعمالها نتيجة التقدم التكنولوجي في وسائط النقل البحري

سفينة أكبر حجماً ذات طرف مدبب ومقدمة مؤخرة ضيقة : بوم

قارب الغوص: سمبوق

سفينة صغيرة ذات مؤخرة عالية (أجزاء منها مخاطة ببعضها عوضاً عن أن تكون مثبتة بالمسامير) : بدن

مركب الصيد الصغير (شبيه بالسمبوق) : شوعي

مركب صغير أو طوف: هوري

مركب النقل : عبارة

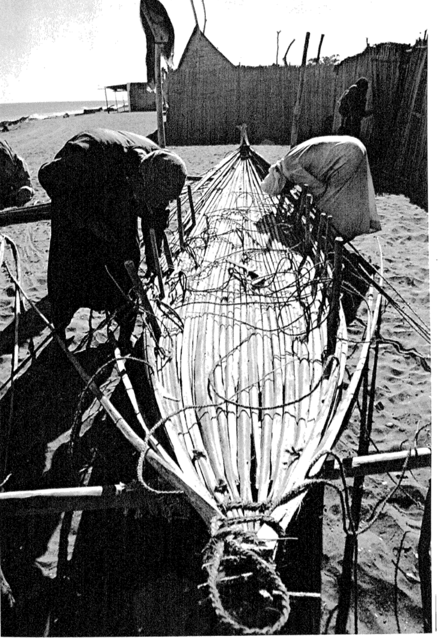
" الزورق " : شاحوف

مركب مصنوع من سعف النخيل (يوجد في ساحل الباطنة) : شاشة

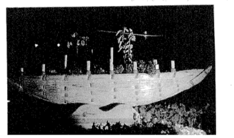
ولاتزال السفن الحربية تسمى بمنوا ، وهي تحريف لعبارة إنجليزية هي Man of War أو "رجل الحرب". وهي دلالة على الأثر الباقي للنفوذ الكبير الذي كان يتمتع به الأسطول البريطاني لفترة طويلة في المياه العمانية وعلى التاثير الذي اشتهرت به البحرية البريطانية لفترة طويلة في المياه العمانية.

النقش على الخشب

تعتبر الأبواب الرئيسة المنقوشة بصورة جميلة سمة مميزة للمدن والقرى في عمان. وتزين هذه المداخل المنقوشة المنزل العماني النموذجي بدرجة كبيرة، سواء أكان منزلاً حجرياً يدخل الطين في بنائه أو منزلاً عصريا جميلاً بني في السنوات الخمس والعشرين الأخيرة. إن بعض هذه الأبواب عبارة عن بوابات كبيرة تؤدي إلى قصور مثل الأبواب المنقوشة بشكل بارز رائع في قلعة الحزم. كما أن بعض الأبواب القديمة اقل حجماً ولكنها مزخرفة بصورة منمقة وربما تكون مداخل لبيوت التجار الأثرياء والتي غالباً ما يوجد فيها أبواب صغيرة شبيهة



سفينة (الشاشة) المصنوعة من سعف النخيل لاتزال موجودة في ساحل الباطنة.



عملية تنظيف السفن

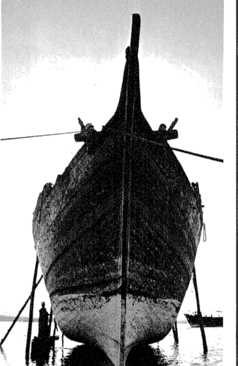
خلال الرحلات البحرية المتعددة تعلق قشريات وطحالب ومخلفات بحرية مختلفة بجسم السفينة لو بقيت عالقة فيها فإنها ستؤثر تدريجياً في سرعة السفينة ولذلك تعتبر عملية إزالتها أمراً ضرورياً . وبعد فركها وتنظيفها يتم دهن هيكل السفينة الخارجي بالزيوت السمكية لحماية المادة الخشبية.



بعد إتمام عملية تنظيف جسم السفينة الخارجي ودهنه بالزيت فإن السفينة تبحر بشكل أسرع مما كانت عليه.

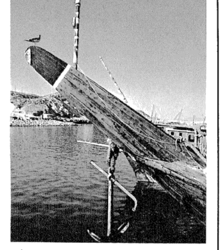
السفن ذات الألواح المتصلة ببعضها معروفة منذ أقدم الأزمان.





سفينة (البدن) ذات الالواح المتصلة ببعضها لاتزال موجودة حتى اليوم.

تتميز سفينة البوم (في الوسط والأسفل) بمقدمتها العالية ومؤخرتها المدببة. ويستخدم البحارة الجزء البارز في مؤخرة السفينة (أسفل) كمكان لقضاء الحاجة ، وهو ليس خطراً كما يبدو في الصورة.

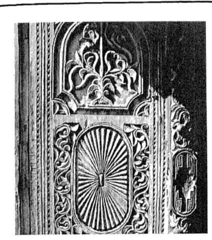


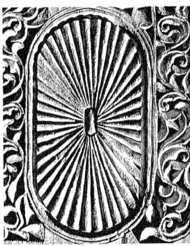
بمثيلاتها الكبيرة. وغالباً ما تكون الأبواب الأكثر بساطة في المساكن المتواضعة التقليدية منقوشة بصورة جيدة.

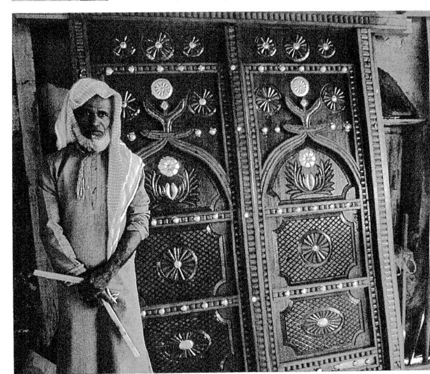
وقد امتد تقليد نقش الأبواب إلى مناطق الخليج الأخرى ، كما توجد مداخل مشابهة في زنجبار وغيرها من مناطق النفوذ العربية السابقة على ساحل شرق افريقيا. أما التصميمات فهي عبارة عن أشكال أزهار أو أشكال هندسية أخرى وغالباً ما يتم حفر التاريخ أيضاً ولاسيما

لاتزال مدينة صور تنتج أفضل النماذج في فن النقش الخشبي كما يبدو في هذه الصفحة









فن النقش على الخشب

يعكس فن النقش على الخشب ، باستثناء أعمال المجوهرات والفضيات ، ذروة الأعمال الفنية في عمان . وتعتبر الأبواب المنقوشة ببراعة وبطريقة مزخرفة سمة تميز كل مدينة وقرية عمانية سواء في المناطق الداخلية او في مناطق الساحل. كما توجد أبواب مشابهة في بعض مناطق شرق أفريقيا وذلك عائد للتاثير العماني الذي كان سائداً هناك. لقد كانت هذه الحرفة التقليدية تستخدم زخرفات لتصاميم معينة تنقش على مؤخرة السفينة وعلى سطحها المرتفع. ولم يتلاش هذا الفن في عمان حيث لايزال النقش على الخشب موجوداً لتزيين الأبواب والسفن على حد سواء وبخاصة في مدينة صور التي لم تتغير فيها طريقة هذه الحرفة أو الطراز الذي تستخدمه منذ عدة قرون. وغالباً ما تنقش على الابواب آيات قرآنية كريمة والتاريخ اذي تم نقشها فيه. إن التصاميم المنقوشة على الأبواب والنوافذ العليا هي تصاميم إسلامية متنوعة تعكس نماذج هندسية أو أشكال أزهار ويعتبر نقش الأزهار والاوراق من بين النماذج الأكثر شيوعاً. وحينما اشتهرت مدينة صور بسفنها الكبيرة التي بنتها لتمخر عباب المحيطات كانت مؤخرات هذه السفن واسطحها تزين بنقوش هي غاية في الجمال والبراعة. ومما يدعو للأسف أنه لم يبق أي من هذه السفن الكبيرة ، ومن هنا لايمكننا تقدير جمال تلك النقوش إلا من خلال صور ورسومات قديمة. ومهما يكن من أمر ، فإن الادوات القديمة التي استخدمها النجارون والنقاشون كالإزميل ومثقاب الخشب والقدوم والمطرقة والمثقاب المقوس قد بقيت ولايزال يستخدمها بناة السفن حتى يومنا هذا.

على الابواب الكبيرة. وفي مدينة صور، لايزال حتى الآن تقليد مميز للنقش وهو يتضمن أنماطاً لأشجار النخيل ، ومع هذا فإن الابواب الحديثة مزخرفة بصورة أقل مما كانت عليه الأبواب التي صنعت في الماضي ، أما الخشب فيتم إحضاره إما من شرق إفريقيا أو الهند. ويبدو أن تقليد النقش هذا قد استمر في الانتقال عبر المحيط بين شبه القارة الهندية وعمان وشرق افريقيا بشكل دوري، ولاشك أن العلاقات التجارية والبحرية بين هذه المناطق قد أدت إلى انتشار هذا الشكل الحضاري ولذا كان من الطبيعي ، إذاً ، أن تتشابه البيوت والأبواب الرئيسة في زنجبار بتلك الموجودة في مسقط إلى حد كبير.

ويوجد النقش أيضاً لدى بناة القوارب العمانيين إذ لاتزال هناك اجزاء متعددة من السفن العمانية، لاسيما تلك التي تكون مؤخرتها، منقوشة بطريقة معقدة.

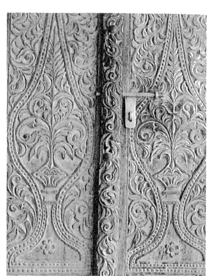
أما في العصور السابقة فقد كان مستوى النقش أفضل ونوعية العمل أرقى، حيث كانت هناك كمية كبيرة من النقوش على السفن الأكبر حجماً التي استخدمها العمانيون.

الأدب والثقافة

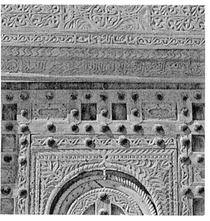
أنجبت عمان عدداً كبيراً من العلماء في عصور مختلفة ، ممن أسهموا بعملية التأليف باللغة العربية منذ الأيام المبكرة للإسلام حول مواضيع كثيرة كالدراسات الاسلامية وعلوم التفسير واللغة والقانون وعلم الانساب والتاريخ والفلسفة والفلك. كما أنتجت أيضاً كثيراً من أعمال الخط اليدوي التي حظيت بالتقدير. وإضافة إلى ذلك فقد تم نسخ كل النسخ السابقة للقرآن الكريم إضافة إلى كتب أخرى في مخطوطات واضحة ، ويحتوي البعض من هذه المخطوطات على رسوم وتخطيطات ولكنها لاتحتوي أبداً على صور بشرية. وقد أتلف الكثير من الكتب في الماضي أثناء الحروب الأهلية وغيرها. وقد عُرف عن مالكي الكتب الباقية والمخطوطات ترددهم في الإفصاح عنها وعلى الرغم من ذلك فقد استطاعت وزارة التراث القومي والثقافة أن تنفرد بمجموعتها الخاصة من الكتب والمخطوطات على حد سواء في السنوات العديدة الماضية بينما بقيت مكتبات هامة أخرى ملكاً خاصاً لأشخاص معينين، فعلى سبيل المثال، يمتلك العالم والوزير السابق السيد محمد بن أحمد مكتبة تضم مايقرب من تسعة آلاف كتاب ، يرجع كثير منها من الناحية التاريخية لبضع مئات من السنين.

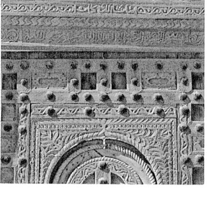
وقد نسخ أبو المنذر الصلت بن خميس البهلوي واحدة من أقدم المخطوطات الحية يعود تاريخها إلى القرن التاسع للميلاد (القرن الثاني للهجرة) وتسمى

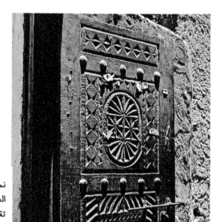
(في الأسفل): نموذج عماني تقليدي لإحدى الأزهار المنقوشة على الخشب تحف بها الاوراق.
(الوسط): تعتبر نقوش مدينة صور ذات طابع متميز.
(الأسفل): السقوف أيضا تتم زخرفتها.

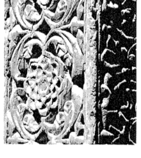












نماذج الأزهار والتصاميم الهندسية تميز النقش الخشبي العماني. إن رجال هذه الحرفة لايزالون يستخدمون ادوات تقليدية بسيطة لو نالتها أيد ماهرة لانتجت عملاً فنياً رائعاً.

بالسير العمانية.

وهناك مخطوطة قديمة أخرى هي أنساب العرب، كتبها سلمة بن مسلم العوتبي، وهي ذات قيمة استثنائية ليس فقط بسبب الأنساب التي تحتويها وإنما أيضاً بسبب التفاصيل التي مكنت العلماء من إعادة بناء النمط القبلي في ذلك الوقت.

لقد كان جد العوتبي عالماً يشار إليه بالبنان في الفقه ، ويبدو أن العوتبي نفسه قد عاش وكتب مؤلفاته في القرن الحادي عشر الميلادي (القرن الخامس الهجري). و كان العوتبيون يشكلون قبيلة ذات شان في منطقة الباطنة.

المفســرون

فيما يتعلق بتفاسير القرآن الكريم ينبغي أن نذكر هنا مفسرين كبيرين ألفا أعمالاً كبيرة هما محمد بن ابراهيم الكندي صاحب كتاب "بيان الشريعة" وتصل تفاسيره إلى ٧٢ فصلاً، وجميل بن خميس السعدي صاحب كتاب "قاموس الشريعة" وكان أغزر إنتاجاً بفصوله التسعين.

ومن بين الذين ألفوا في اللغة العربية ، أبوبكر محمد بن حسن بن دريد الأزدي المعروف بـ (ابن دريد) الذي كتب "جامع اللغة" ويعتبر أكثر علماء اللغة شهرة وقد عاش بالبصرة في العراق وتوفي فيها عام ٩٣٣ للميلاد (٣٢١ للهجرة).

لقد قدم هو وأسرته من عمان ونظم عدداً من القصائد حول مواضيع عمانية ، ويعتبر ابن دريد وابن الأثير الذي كتب كتاب الكامل مرجعين كبيرين للتاريخ العماني المبكر.

الأنســاب والتاريــخ

طالما ارتبط علم الأنساب بالتاريخ في الأعمال المبكرة ، ويقف هشام بن محمد الكلبي ("ابن الكلبي")، الذي يعزى إليه الفضل في وضع الأساس لأنساب العرب زمن العباسيين مرجعاً آخر مهماً للتاريخ العماني المبكر ، ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن نشوان بن سعيد الحميري الذي كتب قصيدة "الحميرية"، ولكن نشوان هذا كان قد اتهم بالتسبب في تزوير الأنساب فقد ذكر أن المجموعات العربية من الجنوب تعود إلى قحطان – وذلك من أجل غايات سياسية أثناء المنافسة بين كلب وقيس في عهد الأمويين.

وهناك كاتب آخر ذو أهمية كبيرة هو القلهاتي الذي يحتمل أن يكون قد الف كتبه أثناء فترة ازدهار قلهات تحت حكم الهرمزيين بين القرن الثالث عشر والخامس عشر للميلاد (القرن السادس وحتى الثامن للهجرة).

وهناك عدد آخر من الكتاب البارزين ظهروا في عصور متأخرة. أما كتاب محمد بن رزيق فقد تمت ترجمته إلى الانجليزية بواسطة "بدجر" ويحمل عنوان " تاريخ الأئمة والأسياد في عمان ". أما سرحان بن سعيد الذي جاء من إزكي فقد كان ينتمي إلى جماعة مستقرة من الطائيين وهو صاحب كتاب "كشف الغمة". ويعد كل من هذين الكتابين اللذين ظهرا في القرن التاسع عشر الميلادي مصدراً مهماً لتاريخ اليعاربة كما قام المؤرخان بالتأريخ للسلالة البوسعيدية الحاكمة ولكل تاريخ عمان الطويل .

أما أهم مؤرخ ظهر بعد ذلك فكان نور الدين السالمي الذي ألف "تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان". والذي توفي في عام ١٩١٤. كما كان ابنه محمد بن عبدالله السالمي مؤرخاً كبيراً أيضاً وهو صاحب كتاب "نهضة الأعيان بحرية عمان" ، كما أن ابنه الآخر الشيخ سليمان بن محمد السالمي مؤرخ بارز في أيامنا هذه.

وهناك كاتب آخر ذو أهمية خاصة هو سالم بن حمود السيابي الذي كتب "إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان".

ومن بين علماء عصرنا هذا الشيخ سيف بن حمود بن حامد البطاشي الذي يعد كتاب "إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان" من بين مؤلفاته العديدة والذي يقارن محتواه تقريباً بكتاب "سير مختصرة" "اوبري" Aubrey. وهناك كاتب آخر هو سعيد بن حمود بن محمد البوسعيدي.

ويعد عبدالله بن بشير بن مسعود الحضرمي الصحاري من بين أفضل النساخين العمانيين وقد أنهى نسخته الجميلة من القرآن الكريـم عام ١٧٤٤ للميلاد (١١٥٧هـ).

اللغــــة

تعتبر عمان فريدة في شبه الجزيرة العربية من حيث تعدد اللهجات التي يتحدث بها بعض السكان بالإضافة إلى اللغة العربية ، وأهم هذه اللهجات هي اللهجة الكمزارية بين قبائل الشحوح وهي لهجة إيرانية ، وهناك أيضاً اللهجات الأربع في المنطقة الجنوبية والتي حددها "برترام توماس" بـ "الألسن الجنوبية الأربع – جماعة الحضارة". ولكن هناك تسمية أفضل لها وهي اللهجات الحديثة لجنوب المنطقة العربية حيث أنها ترتبط باللغات القديمة في جنوب شبه الجزيرة العربية مثل السبأية والحضرمية والقتبانية.

وهذه اللهجات هي الجبالية أو الشحرية والمهرية والحرسوسية والبطحرية ، كما أن لهجة جزيرة سقطرى تعتبر واحدة من هذه المجموعة. وترتبط اللهجات القديمة لجنوب شبه الجزيرة العربية بالثقافة التي امتدت من وادي نجران وحتى وادي حضرموت من القرن التاسع قبل الميلاد تقريباً وحتى القرن السادس الميلادي. وكل هذه اللهجات غير مدونة وهي سامية يشبه بعضها بعضاً على الرغم من أن المهرية والجبالية غير متقاربتين في الوضوح .

وهناك مجموعتان رئيستان من هذه اللهجات: الأولى هي المجموعة الجبالية وتتميز فيها ثلاث لهجات أساسية ولهجة أخرى صغيرة تستخدم في جزر الحلانيات، وترمز كلمة "شحري" إلى اللهجة التي يتحدث بها سكان الجبل حيث أن كلمة (شحر) تعني الجبل في اللهجة الجبالية، ومن المحتمل أن يكون "شحرون" (شحرة) السكان الأوائل في هذه المنطقة حيث تمت هزيمتهم على يد الغزاة من قبائل القرا أو المهرة الذين جعلوا منهم عبيداً ورعاة ، ويعتقد أن المدينة القديمة لهؤلاء هي (خور روري) في ظفار.

أما المجموعة الثانية فهي المهرية والحرسوسية والبطحرية. أما الحرسوسية والبطحرية فهما لهجتان من اللهجات المهرية ويستطيع من يتحدث بلهجة منها أن يفهم ما يقال باللهجتين الأخريين ، ومن المحتمل أن تكون المهرية هي أقرب هذه اللهجات إلى لهجة جنوبي شبه الجزيرة العربية التي عثر على نقوشها في مناطق نائية وصلت حتى "ديلوس" في بحر إيجة وفي الحبشة. وقد أشار الإدريسي حوالي عام ١١٠٠م (٤٩٤هـ) إلى أن المهرية هي ماتبقى من اللسان الحميري القديم. إن الحروف المستخدمة في نقوش المعالم البارزة في كل المنطقة شبيهة بحروف اللغة السامية الجنوبية القديمة ولكن هناك نقوشاً أخرى أيضاً موجودة في ظفار وفي المنطقة الجنوبية القديمة.

ولبيان القبائل الجنوبية ولهجاتها يمكن الرجوع إلى التعليق المذكور في رسم الخريطة الخاصة بقبائل جنوبي عمان. إن الاسم الذي أطلقه عليهم "برترام توماس" (أهل الحضارة) يمكن مماثلته بـ (حضورام) الذي ورد ذكره في سفر التكوين وفي كتاب (حضرموت) لمؤلفه "بليني".

إن المهرة هم أكثر القبائل عدداً حيث ينقسمون إلى قسمين: شرقيين وغربيين ، ويتحدث كل قسم بلهجة شديدة الارتباط باللسان المهري على الرغم من أن كل قسم منهما ينحدر من سلالة مختلفة ، أما القسم الشرقي منهم فهم بدو اعتادوا القيام بجمع اللبان في موسم

الحصاد بينما نعم جماعة القسم الغربي بحياة الاستقرار وهم سكان مناطق ساحلية.

أما قبائل القرا والشحرة والبطاحرة فهم قبائل مستقرة أيضاً تستوطن الأولى والثانية جبال القرا وجبال القمر بظفار بينما يعيش أفراد قبيلة البطاحرة على امتداد خلجان جزر الحلانيات.

وفي التراث المحلي الذي تؤكده الدلائل أن الشحرة كانوا يسيطرون على ظفار باكملها بينما كان البطاحرة يسيطرون على السهوب، ولكن القرا هزموا الشحرة واستولوا على مزارع اللبان وعلى قطعان مواشيهم بينما جعلوا البطاحرة يتقهقرون من المناطق الخلفية حيث دفعوهم إلى المناطق الساحلية وقد استعمل أفراد قبائل القرا أيضاً اللهجة الشحرية (المعروفة الآن بالجبالية)، وبهذه الطريقة استطاع آل كثير (بيت كثير) الذين جاءوا فيما بعد أن يتقنوا اللهجة الشحرية الأصلية رغم أنهم حافظوا على لغتهم العربية الأم.

وتقيم قبيلة الحراسيس في المنطقة الواقعة بين ظفار وشمال عمان ، وهم مرتبطون بالقبيلتين العربيتين العوامر والجنبة مثلهما مثل القبيلة الصغيرة عفار التي تتحدث بلهجتهم أيضاً .

ويتقاسم (بيت الحافة) مع (بيت كثير) ومع المهرة مناطق السهوب.

وعلى الرغم من أنهم يشكلون قبيلة مستقلة بذاتها إلا أنهم يتحدثون بالمهرية، أما المشايخ فيستخدمون اللهجة الشحرية.

ولهذه اللهجات الظفارية سمات في النطق غير معروفة في اللغة العربية الحديثة.

وتشمل هذه السمات الحرف الاحتكاكي الجانبي والمماثل لنطق الحرف ل "LL" في نطق أهل مقاطعة (ويلز) البريطانية لكلمة Llanelly . وفي اللهجة الجبالية هناك حروف لينة أنفية تشبه تلك الحروف الفرنســية في كلمة nom وكلمة Matin بالإضافة إلى همز الحروف عوضاً عن تفخيمها كما في العربيــة.

إن نطق حرف الذال (ذ) هو نطق جانبي في تلك اللهجة بالإضافة إلى همز الحروف الساكنة التي انتقلت منذ قرون عديدة من الحبشة. ويعود ذلك إلى اسـتعمالات سامية قديمة اندثرت في العـربية الحـديثة.

وهكذا تبرهن عمان مرة أخرى على قدم ثقافتها الإقليمية.

الدلائل الثقافية القديمة

مما يدعو للاستغراب أنه على الرغم من رواج تجارة اللبان فإنه لم يتم العثور إلا على مناطق قليلة لهذه المادة.

لقد تمت مقارنة الموقع الأصلي لمدينة (أوبار) الاسطورية ببقايا مدينة (شيصور) التي تعود إلى الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادي حيث وجدت هذه المادة في أماكن متعددة من ظفار مثل حنون، أنضور خور روري الممتلىء بمادة الغرين في الوقت الحاضر بينما كان في فترة من الفترات أفضل ميناء على ساحل ظفار. لقد تم بناء مدينة سمهرم كميناء لتجارة اللبان في خور روري وكانت تتميز بحصنها ذي الطابع الحميري وبهيكلها الذي يعود إلى فترة ما قبل الإسلام والذي خصص لإله القمر (سن) في جنوب شبه الجزيرة العربية. ويضم هذا الهيكل نظامين متقنين لعملية الغسل ومذبحين لتقديم القرابين إضافة إلى عدد كبير من قطع العملات البرونزية ولبان قديم .

كما تم العثور فيه عام ١٩٥٢م على نقوش تقول: "سافسي وأمه ندرت قد كرسا نفسيهما للإله سن، صاحب هيكل "علوم Ilum" في مدينة سمهرم لحماية نفسيهما وملكهما. وقد فسرت كلمة سمهرم بأنها تعني "المشروع العظيم".

لقد وُجدت نقوش أخرى في سمهرم تشير إلى الملك "ايلعاز Ilazz" ملك حضرموت والذي ذكره بعض المؤلفين القدامى وأشاروا له بإسم "اليزوس Eleazus" ملك بلاد اللبان "وشبوه". كما أشار بعض الكتاب لسمهرم كبلاد ساخاليتس Sachalites ويحتمل أن تكون مستوطنة "شبوه" التي تبعد ٥٠٠ ميلاً إلى الغرب قرب عدن. كما أطلق عليها الجغرافي "بطليموس Ptolemy" اسم "أبيسوبوليس Abyssopolis" أي "مدينة اللج العميق" بسبب الشلال العظيم في أعلى المدينة حيث يندفع "وادي دربات" بصورة عنيفة. وفي ذلك الوقت، كان استهلاك العالم للبان – لاسيما في الإمبراطورية اليونانية – الرومانية ، هائلاً كما أن التجارة كانت مستقرة في أيدي أهل حضرموت.

وقد وجد في سمهرم رأس ثور تعلقت ورقة مثلثه الشكل على جبينه بالإضافة إلى قارورة إغريقية رومانية من جزر الإغريق مما يثبت أن السكان كان لهم ميل تجاه الخمر الإغريقي وأنهم أبرموا عقوداً تجارية مربحة في بداية العهد المسيحي.

أما حنون التي تبعد مايقرب من ستة وثلاثين ميلاً شمالي صلاله فيوجد فيها مصدر ممتاز للمياه خاص بها وحدها، وترتبط أيضاً بسمهرم. وتذكر نقوش المخطوطة العربية الجنوبية القديمة التي وجدت هناك عام ١٩٦٢ "سمهرم" و"إله القمر سن" على وجه التحديد وتشير للعاصمة على أنها "شبوه". كما تسمى حنون صعنان وهو اسم لايزال مستخدماً لها حتى الآن ويشير إلى "السعكال" أو بلاد "السعكاليتس". ويبدو ان "حنون" هذه كانت محطة موسمية لجمع اللبان الذي ينقل من هناك إما إلى سمهرم لشحنه عن طريق البحر أو براً إلى الشحر ومن ثم عبر طريق واحد من طرق قوافل الجمال.

إن طراز القلعة المدمرة أو الهيكل في أنضور، التي تبعد أربعين ميلاً شمالي مرباط، يوحي أنها كانت معاصرة لسمهرم ، إنها تقع في بلاد تتميز بلبانها وباهمية موقعها على طريق القوافل المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط والخليج.

فن النحت على الصخور

يرجع فن النحت على الصخور إلى فترة زمنية يصعب تحديدها. لقد وجدت رسومات ورموز لاسيما في الأدوية الرئيسة مثل "وادي بني خروص" و"السحتن" و"وادي عدي". وتدل الرسومات القديمة على أن المناخ فيما مضى كان أكثر رطوبة.

ويمكن الحصول على الأثر التصويري عن طريق " النقش " على الحجر الجيري بأداة صلبة حادة. وتتضمن الرسوم خيولاً وجمالاً ووعولاً وغزلاناً وكلاباً ورؤوس ماعز وثيراناً وأسوداً ونموراً وثعالب وحيات وعقارب وطيوراً وطيور نعام عربية انقرضت وقروداً من فصيلة السعدان.

وبينما تخضع التصاوير المنحوتة البارزة للناس لطابع معين، تبدو غيرها طبيعية أكثر وضوحاً.

كما تظهر أحياناً مجسمات مجوفة بالإضافة إلى النقوش ، وتبرز هذه المجسمات الرجال والنساء والأطفال في أوضاع مختلفة: إذ بينما يركب بعضهم الخيول أو الثيران أو يقفون عليها يحمل بعضهم الآخر بنادقهم وسيوفهم وأغمادهم في حين يبدو آخرون وهم يحاربون بالأسهم والنبال، كما تبين التصاوير بعضهم وهم يحاربون ، وبعضهم الآخر وهم يصيدون أو يرعون أو يتحركون في القوافل.

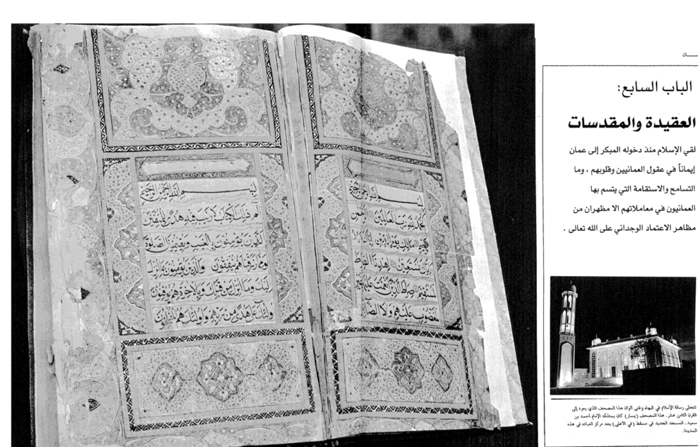
وهناك صورة قديمة واضحة تصور شخصاً يرتدي ثوباً يصل إلى الركبة وله خصر نحيل ورأس طائر ويدان لهما اصابع طويله وقد التف حوله ثعبان.

ويشبه تأثير هذه الصورة رسماً على ختم اسطواني في فترة الآكاديين في الألف الثالث قبل الميلاد في العراق. كما نقشت أيضاً كلمات على الصخور ومعظمها عبارة عن نصوص قرآنية إلا أن هناك أيضاً نقوشاً مختصرة باللغة العربية الجنوبية القديمة في وادي السحتن.

الباب السابع:

العقيدة والمقدسات

لقي الإسلام منذ دخوله المبكر إلى عمان إيماناً في عقول العمانيين وقلوبهم ، وما التسامح والاستقامة التي يتسم بها العمانيون في معاملاتهم الا مظهران من مظاهر الاعتماد الوجداني على الله تعالى .



تتجلى رسالة الإسلام في البهاء وغنى الوان هذا المصحف الذي يعود إلى القرن الثامن عشر. هذا المصحف (يسار) كان يمتلكه الإمام احمد بن سعيد. المسجد الجديد في مسقط (في الاعلى) يعد مركز العباده في هذه المدينة.

كانت عمان من بين الدول الاولى التي لبت دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، حيث لم تدخل في الإسلام بحد السيف ، وكما ورد في المراجع العمانية فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام "رحم الله أهل الغبيراء (وهو اسم لعمان قديم ما يزال يستخدم في زنجبار) آمنوا بي ولم يروني".

كان أول من أسلم من العمانيين مازن بن غضوبة السمائلي. غير أن إسلام أهل عمان جميعاً ما كان ليتم دون دور عمرو بن العاص التاجر القرشي الثري الذي كان من بين المسلمين الأوائل وهو فاتح مصر. لقد قدم عمرو إلى عمان حاملا رسالة من النبي محمد عليه الصلاة والسلام إلى عبد وجيفر ابني الجلندى اللذين كانا يشتركان في حكم الجانب العربي من عمان ، وكانت الرسالة تحمل نفس مضمون رسائل النبي الكريم إلى الملوك الآخرين كهرقل امبراطور الروم في بيزنطة، وكسرى فارس وملك الحبشة وحكام مصر واليمن.

وتقول الرسالة:

"بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى عبد وجيفر ابني الجلندى. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني ادعوكما بدعاية الإسلام. أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما."

وعلى اثر هذه الرسالة قام عبد وجيفر بدعوة وجوه قبيلة الأزد الذين قرروا اعتناق الإسلام. وعلى ما يبدو فإن القسم الأكبر من السكان العرب قد اتبع خطاهم فاعتنقوا الإسلام طائعين ، إلا أن الفرس الذين كانوا على الساحل أبوا الدخول في الإسلام فكان أن طردوا على إثر ذلك من عمان. وبقي عمرو في عمان حتى وفاة الرسول الكريم في عام ٦٣٢م حيث غادر عندها عائداً إلى مكة ويرافقه عبد بن الجلندى لزيارة الخليفة الأول أبي بكر الصديق.

لقد رحب أبو بكر بعبد وأشار في كلمته الترحيبية به إلى إسلام أهل عمان طوعا وإلى بعثة عمرو بن العاص إلى عمان "دون جيش أوسلاح".

ومنذ أن اعتنقت عمان الإسلام التزم العمانيون بفرائضه الخمسة ، التي تلزم المسلم أن:

١- يشهد مؤمناً أن "لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله".



شبه المذهب الإباضي الواسع الانتشار في عمان بطائر: "وضع بيضته في المدينة وفقست في البصرة ثم طار الى عمان".

٢ - إقامة الصلوات الخمس كل يوم مستقبلا القبلة وأن يؤدي صلاة الجمعة.

٣ - أن يؤدي الزكاة.

٤ - أن يصوم أيام شهر رمضان من الفجر حتى غروب الشمس.

٥ - أن يؤدي فريضة الحج لمكة والمقدسات الإسلامية الأخرى مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلا.

وفي عمان نفسها كانت السنوات التي تلت دخولها الأسلام عاصفة. ولابد أن إسلام جميع أهل عمان قد استغرق وقتا طويلا ،. ويقال أن لقيطاً الملقب بـ "ذي التاج" الذي حاول أن يزيح أمراء الجلندى عن الحكم قد ارتد عن الأسلام زمن خلافة أبي بكر (٦٣٢-٦٣٤م: ١١-١٣هـ) مدعيا أنه نبي ، ونتيجة لذلك تراجع عبد وجيفر في الحال إلى منطقة الجبل الأخضر حيث انضم إليهما حذيفة بن محصن وقائدان آخران هما عكرمة بن أبي جهل وعرفجة البريقي اللذان أوكل إليهما أبو بكر مهمة قمع هذه الردة . والتقى الجمعان في "دبا" التي كانت قاعدة مدعي النبوة حيث قتل فيها عشرة آلاف رجل. وقد استولى الجيش المسلم على "دبا" التي كانت مدينة ثرية وسوقا مرموقة في المنطقة ، وقد سمى العمانيون المعركة "يوم دبا" التي ترمز لانتصار الإسلام على الشرك.

إلا أن عبدالله بن حميد السالمي يفند هذه القصة ويعطي روايات أخرى للاحداث فقد ذكر أن حذيفة أرسل عمال جباية الزكاة إلى "دبا" لجمع الصدقات فطلب أحدهم رأساً كبيراً من الماعز من امرأة من نسل مالك بن فهم الذي قاد أول أفواج الأزد إلى عمان ، ثم حدث خلاف وعراك بعد أن صرخت المرأة ومؤيدوها "يا ابناء مالك". وكانت هذه الصرخة تعني حشد القبائل في زمن الجاهلية ، وقد أخطأ عمال حذيفة في إدراك مفهوم الصرخة واعتبروها فعلاً من أفعال التحدي ودعوة للردة . وقد أدرك الخليفة أبو بكر عقب ذلك حقيقة الخطأ الذي وقع فأمر بإطلاق سراح جميع الأسرى الذين تم أسرهم قبل المواجهة وبعدها .

الإباضيــة

لعب أزد عمان عقب إسلامهم دورا أساسيا في أحداث فجر الأسلام حينما أصبحت البصرة مدينة مهمة وكانت قاعدة لانطلاق الفتوحات الإسلامية. وقد نشأ في هذه المدينة المذهب الإباضي الذي ينتشر في عمان ، وكما يقول المؤرخ العماني السالمي فإن "الدين الحق شبه بالطير، فباض في المدينة، وفرخ في البصرة، وطار إلى عمان".

وينسب الإباضية إلى عبدالله بن إباض الذي ظهر على مسرح الاحداث في حوالي ٦٨٣م (٦٤هـ) حين ترعرع في أيام الخليفة معاوية ومات في خلافة عبدالملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥م: ٦٦-٨٧هـ). غير أن عبدالله بن إباض هذا والأوائل من الإباضية كانوا قد اتبعوا آراء أبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدي من قبيلة اليحمد الذي ولد في فرق بالقرب من نزوى. ويعتبره أتباع المذهب السني والإباضي أحد كبار علماء الإسلام ويرقى في العلم إلى مقام مفتي البصرة الحسن البصري. لقد كان أبو الشعثاء نفسه أحد التابعين الذين أخذوا العلم مباشرة عن أم المؤمنين عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس وآخرين ممن جاهدوا مع النبي عليه الصلاة والسلام.

كان المذهب الإباضي يقوم على إعادة الدولة الإسلامية النقية كما كانت في سابق عهدها أيام الرسول الكريم والخليفتين أبي بكر وعمر ، وقد كانوا يرون أن الخلافة قد انحرفت عن خطها على يد عثمان بن عفان

مساجد نزوى الأولى

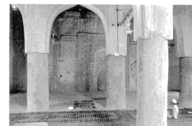
مسجدان في نزوى يعودان إلى أيام الإسلام الأولى في عمان وهما مسجد (شذاذة) ومسجد (سعال). أما الأول فيعتقد أنه أقيم عام ٦٢٣/٦٢٤م (السنة الثانية للهجرة). ومما تجدر ملاحظته أن بقايا محرابه القديم تدل على أن قبلته كانت باتجاه بيت المقدس التي اتخذها النبي الكريم قبلة حين فرضت الصلاة. أما محرابه الجديد والذي لا يزال قائماً فيتخذ من مكة المكرمة قبلة وذلك حينما أمر النبي عليه الصلاة والسلام بتحويل القبلة في السنة الثانية من هجرته للمدينة. ومما يلفت الانتباه أن هذا المسجد ليست له مئذنة ويقع في الطابق الأول حيث يتم الصعود إليه بواسطة درجات ترتفع من تحت قوس يؤدي إلى الطريق العام.

وأما مسجد (سعال : إلى اليسار) فيقال إن بناءه يرجع إلى عام ٦٢٩/٦٣٠م (٨ هـ) ، ويتميز بأن له برجاً للدفاع عنه.

إن هذين المسجدين مبنيان من الطين في شكل مستطيل. أما فكرة هندسة بناء السقف في المسجدين فهي فكرة ضاربة في القدم وتوجد في هندسة أقدم الحضارات في المنطقة. وتقوم هذه الفكرة على تسليح السقف بعوارض خشبية من شجر النخيل ترتكز على أعمدة مستديرة يتصل بعضها بالآخر بواسطة أقواس مدببة عالية مغطاة بمادة قديمة جداً من الجص الناعم. أما العوارض الخشبية فتغطى بالحصير المصنوع من سعف النخيل والذي يغطى أيضاً بمادة الطين.

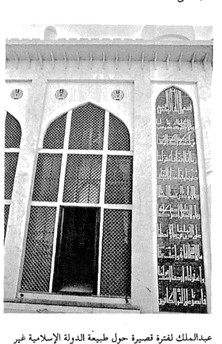
ويقف المحرابان في المسجدين (سعال وشذاذة) كشاهدين على التصميم البديع والمهارة الحرفية والجمال الرائع. ويزين مسجد (سعال) إفريز ضخم في الجهة الشرقية منه تم عليه نقش كلمات كبيرة الحجم تمجد الله تعالى.

ويقال أيضاً أن بلدة (البليد) القديمة في ظفار كانت تضم محرابين يواجه الأول بيت المقدس بينما يواجه الثاني مكة المكرمة.



ونتيجة للصراع الذي دار رحاه بين علي ومعاوية حول خلافة عثمان. ويرى أتباع المذهب الإباضي أنه ليس من الضروري أن تكون الخلافة حكرا على بيت النبي وإنما يتولاها الأكثر صلاحاً لها، وقد تحاوروا مع الخليفة

(في الأسفل) : يعتبر هذا المسجد المكان المخصص للعباده فى مسقط.



عبدالملك لفترة قصيرة حول طبيعة الدولة الإسلامية غير أن هذا الحوار أدى إلى اختلاف في وجهات النظر وتبعه اضطهاد لاتباع هذا المذهب مما حداهم باللجوء إلى أوطانهم الأصلية – أي عمان بالنسبة للأزد – وليبيا وتونس والجزائر بالنسبة لمن قدموا من شمال أفريقيا.

وقد أدى فشل الخليفة عبدالملك في استمالة أقل المعارضين تطرفا إلى أن يقوم الحجاج واليه على العراق بالضغط على قوة الأزد ونفوذهم ، وعند ذلك أصبح ابو الشعثاء الإمام الإباضي الخفي في الفترة التي عرفت بـ"الكتمان" حينما استدعت الظروف السياسية الحذر الشديد ، وانسحب ابو الشعثاء بعد ذلك إلى عمان حيث أصبحت تعاليمه وتعاليم علماء عمان الأوائل الأساس الذي قام عليه المذهب الإباضي.

وقد تمسك أتباع المذهب الإباضي تمسكا شديدا بالآراء التي تبلورت أساسا في البصرة، وعلى خلاف من السنة والشيعة لم يروا أبدا وجوب قيام إمام دائم أو ظاهر للدولة الإسلامية أو للأمة، وقد تمسكوا بهذا المبدأ دائماً. وعندما يوجد الشخص المناسب يجب أن يتم اختياره من خلال عملية الانتخاب، وإلا فعلى الدولة الإسلامية الحق أن تلجأ إلى مرحلة الكتمان كما كانت في أيام أبي الشعثاء في البصرة. لقد كانوا يرون أنه حينما تتوفر مثل هذه الظروف يجب على المجتمع المسلم الحقيقي أن يكتم آراءه الحقيقية.

ويرى الإباضيون أن مذهبهم قد نشأ قبل المذاهب السنية الأربعة: الحنبلي والحنفي والمالكي والشافعي بحوالي قرن من الزمان أو يزيد. وهكذا قامت الدولة العمانية منذ قرونها الأولى مرتكزة على صورة الخلافة الراشدية على الرغم من أن القواعد الإباضية لم تمنع قيام الحكم الملكي الدنيوي خلال القرون اللاحقة – وطبقت قوانين الشريعة الإسلامية في الأمور الخاصة والعامة ، وكانت عزلة مركز عمان مرتكزة على الالتزام بمبادىء المذهب الإباضي – وهذا ما يفسر جزئياً تلك الثنائية التي كثيرا ما تبرز في حقب التاريخ العماني بين الداخل الإباضي وبين سكان الساحل من السنة والشيعة الذين كانوا من البحارة المنفتحين على الخارج.

وقد كان كل من الاعتدال والتسامح خصلتين من الخصال التي ميزت المذهب الإباضي رغم أنه مر ككل المذاهب والديانات بفترات برزت فيها بعض مظاهر التعصب.

وتعود خصلة الاعتدال إلى نشوء المذهب الإباضي في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي (القرن الاول للهجرة)، وكان النزاع حينئذ مريرا وشديد الأثر وكان شبيها بذلك النزاع الذي نشب بين "مارتن لوثر" و البابا "ليو العاشر" أو ذلك الذي اندلع بين الملك "تشارلز" ملك انجلترا و"جماعة وستمنستر للإلهيات". غير أن الإباضيين كان لديهم ما يكفي من الواقعية ليدركوا أن المنفعة والمصالح الشخصية قد تجعل الآراء المثالية أكثر صعوبة وأن الوسائل التي يجب اتباعها لإقامة الدولة الإسلامية المثالية يجب أن تكون معقولة ومعتدلة. وقد كان الإباضيون يعرفون بإسم "القعدة" في توجههم ، ونتيجة للمثابرة فقد نجحوا في إقامة مجتمعات مستقلة في كل من عمان وشمال أفريقيا في حالة من الظهور العلني مما يعني أنهم يعيشون في حالة انفتاح فيما اعتبروه دولة شرعية بالمفهوم الصحيح.

كان يتم تعيين الأئمة منذ القرن الثامن الميلادي في عمان لتنفيذ المهام الدينية والسياسية والعسكرية، إلا أنهم كانوا ملتزمين التزاما شديدا بالشريعة. وبصفة عامة فقد اتصف أتباع المذهب الإباضي في عمان بالتشدد الذي لم يكن مصحوبا بالتعصب الذي أفسد كل المذاهب المتشددة في كل الأديان.

وتتبدى بساطة المذهب الإباضي في الجلال الذي تتميز به المساجد العمانية القديمة فهي مصممة على نحو رائع إلا أنها مجردة من الزينة عدا تلك التي تحيط بالمحراب والنوافذ والأبواب المنقوشة، أما منارة المسجد فليست سمة من سمات مساجد عمان سوى في مساجد مناطق الساحل حين كان المؤذن حتى عهد قريب يقف على أحد الأسطح او يصعد عدداً من الدرجات مبنية عل جدار المسجد. وقد زار الرحالة ابن بطوطة نزوى في القرن الرابع عشر وامتدح "المساجد الرائعة النظيفة" التي كانت مركزاً للحياة الاجتماعية حيث يتناول فيها السكان وجباتهم فيساهم كل منهم بما استطاع توفيره.

ويصف ابن بطوطة كيف كان إباضيو نزوى يؤدون فريضة صلاة الجمعة بقوله إنهم لم يكونوا يؤدون صلاة الجمعة المعروفة عند السنة ولكنهم كانوا يؤدون صلاة الظهر العادية، ولعل سبب ذلك يعود إلى أن الملوك النباهنة الذين كانوا حكام عمان آنذاك لم يعتبروا أئمة بالمفهوم الإباضي. ويصف ابن بطوطة صلاتهم فيذكر انه بعد إتمام الركعات كان الإمام يتلو بعض آيات من القرآن الكريم يلقي عقبها خطبة يردد فيها عبارة «رضي الله عنه» حين يأتي على ذكر أبي بكر أو عمر، وليس الأمر كذلك حينما يذكر عثمان أو علياً.

ويبدو التزمت الإباضي واضحاً في الغياب الكلي تقريبا لفن الموسيقى في عمان الداخل ، باستثناء رقصات الطبول التي كانت تؤدى أيام الأعياد ، غير ان هذا التزمت يتراخى أحيانا في المناطق الجبلية حيث يزرع العنب وتصنع منه الخمور فيمنح السكان في بعض الأحيان رخصة طبية لشرب الخمر بسبب البرد القارص.

المسلمون الآخرون

إن الإباضيين وانتشارهم لم يمنع مذاهب إسلامية أخرى من التواجد. إن المذهب السني منتشر بين قبائل الظاهرة وجنوبي المنطقة الشرقية وبين بعض قبائل ساحل الباطنة. أما بنو بو علي في جعلان فقد تخلوا عن المذهب الاباضي واتبعوا المذهب الوهابي خلال الغارات التي كان يشنها الوهابيون في المملكة العربية السعودية في أوائل القرن التاسع عشر ، وقد اتسع انتشار هذا المذهب الإسلامي المتشدد الذي نشأ على يد محمد بن عبدالوهاب في القرن الثامن عشر. واستمرت الحروب بين العمانيين والوهابيين على نحو متقطع دون أن يؤثر على اتباع العمانيين للمذهب الإباضي.

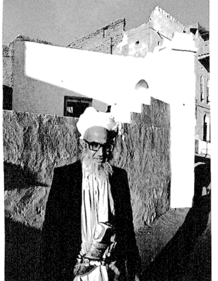
أما أتباع المذهب الشيعي فلهم وجود لا يمكن

إغفاله في المدن الساحلية وخصوصا بين صفوف التجار، ومنهم الخوجة او اللواتيا الذين يعود أصلهم إلى حيدرآباد في السند، وقد أقاموا في مطرح منذ عصور عدة ، وفي الأغلب فإن مجتمع الخوجة يعيش في منطقة يحيط بها سور داخل مدينة مطرح، ولها مسجدها الخاص الذي يطل على البحر.

وقد كانت مساجد قاطني الساحل في الماضي تزين عادة بطريقة أكثر زخرفة من مساجد الإباضيين .

التسامح الديني

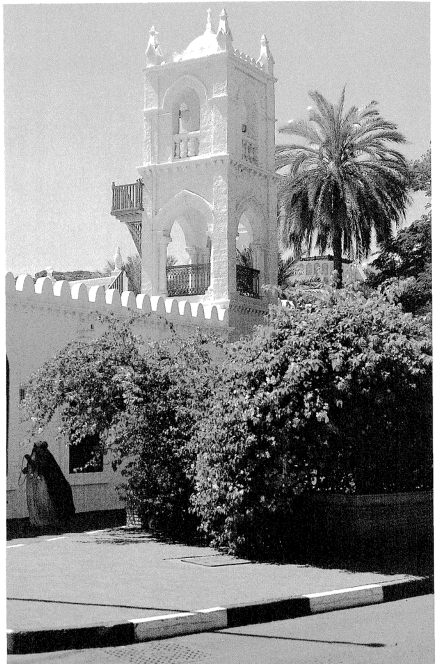
امتدت روح التسامح الديني في عمان لتظلل بجناحيها الديانة المسيحية وذلك على الرغم من زوال المسيحية المبكرة ، وعلى الرغم مما قام به البرتغاليون

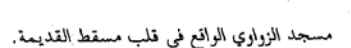


في هذا المسجد القديم بمسقط، يصعد المؤذن درجات في الجدار الخارجي للنداء للصلاة.

المسيحيون الذين جلبوا معهم قساوة محاكم التفتيش والتعصب الذي يعود بجذوره إلى محاربة الإسلام في شبه الجزيرة الايبيرية. ويبرز هذا التسامح جليا في الإذن الذي منحه الإمام ناصر بن مرشد للإنجليز ليمارسوا طقوس ديانتهم المسيحية وذلك في الاتفاقية التي عقدت بين الإمام و"فيليب وايلد" عام ١٦٤٢م والتي نظمت التجارة بين عمان وشركة الهند الشرقية ، وقد استمر تطبيق هذه السياسة المنفتحة بثبات في البعثات التبشيرية التي ظهرت منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

وقد لاحظ الرائد "ولستد" الذي زار مسقط في عام ١٨٣٥ مدى التسامح الشامل الذي أبداه السيد سعيد بن سلطان والذي شمل كل الطوائف ومن بينها اليهود. وقد لاحظ كل من "ولستد" و"جيمس سلك بكنجهام" والذي كان قد زار البلاد عام ١٨١٦م وجود عدد من اليهود الفارين من اضطهاد داود باشا في بغداد. اما في





مسجد الزواوي الواقع فى قلب مسقط القديمة.





قبر النبي أيوب

يشترك كل من العرب المسلمين واليهود والنصارى بالإيمان بالنبي أيوب (يطلق عليه اليهود والنصارى لقب البطريرك) الذي استوطن مرتفعات ظفار بين رعيته وأتباعه. وقد ابتلاه الله تعالى ليمتحن قوة إرادته وصدق عزيمته في محاربة الشيطان. وكان سبب تجاته من بلائه هو إيمانه المطلق بالله تعالى الذي لا تدركه الأبصار.

وحسب المأثورات اليهودية النصرانية فإن أيوب لم ينل العون في فترة بلائه من (بيلداد الشحي) الذي يحتمل أن يكون أحد أفراد قبيلة الشحوح قبل ثلاثة آلاف عام.

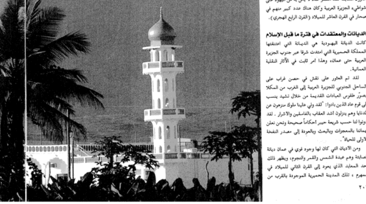
القرون السابقة فقد استقر عدد لا بأس به من اليهود على شواطيء الجزيرة العربية وكان هناك عدد كبير منهم في صحار في القرن العاشر للميلاد (القرن الرابع الهجري).

الديانات والمعتقدات في فترة ما قبل الإسلام

كانت الديانة اليهودية هي الديانة التي اعتنقتها المملكة الحميرية التي امتدت شرقا عبر جنوب الجزيرة العربية حتى عمان، وهذا أمر ثابت في الآثار النقلية العمانية.

لقد تم العثور على نقش في حصن غراب على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية إلى الغرب من المكلا يصوّر طقوس العبادات القديمة من خلال تشيد ينسب إلى قوم عاد الذين بادوا: "لقد ولي علينا ملوك منزهون عن الدنايا وهم ينزلون أشد العقاب بالفاسقين والأشرار . لقد دونوا لنا حسب شريعة حبير أحكاماً صحيحة ونحن نعلن إيماننا بالمعجزات وبالبعث وبالعودة إلى مصدر النفخة الأولى للحياة".

ومن الأديان التي كان لها وجود قوي في عمان ديانة الصابئة وهم عبدة الشمس والقمر والنجوم، ويظهر ذلك أحد المعابد الذي يعود إلى القرن الثاني للميلاد في سمهرم ، تلك المدينة الحميرية الموجودة بالقرب من طاقة في ظفار وهذا المعبد مخصص لعبادة إله القمر المسمى الإله "سن". أما النقوش التي عثر عليها في ظفار وشمال عمان فقد تكون أدلة على وجود عقيدة التثليث أي عبادة إله الشمس وإله القمر وكوكب الزهرة.



وكان الدين يحمل سماتا حيوانية أيضا، فقد استمد كثير من القبائل الأولى أسماءها من الحيوانات، فوجدت قبيلة دبا أو قبيلة السحلية، وجعلان أي قبيلة خنفساء الماء. ومن المحتمل أن عبادة الأصنام كانت قد استمرت حتى وقت قريب نسبيا ، ويقال إن صنما اسمه (جرنان) يوجد في أحد الكهوف في إزكي يخاف الناس من دخوله. ويذكر "ليوتنانت وايتلوك" في العشرينات من القرن التاسع عشر وجود عبادة الإصنام التي قام الوهابيون بتحطيمها بالقرب من رأس الخيمة.

إن كثيراً مما ورد في العهد القديم له أثر في الإسلام والمسيحية واليهودية ، وهناك سلسلة أنساب طويلة للساميين في سفر التكوين الذي يذكر أيضا جبل سيفار وظفار وأوبال التي سميت باسمها منطقة في عمان.

وفي التلال المنحدرة شمالي صلالة يوجد ضريح النبي أيوب الذي ورد ذكره في العهد القديم ، والضريح الآن عبارة عن مكان يؤمه الناس وقد أقيم مسجد آخر قرب المسجد القديم الذي يضم الضريح بين جنباته ، ويوحي هذا الضريح بأهمية مكانة ساكنه في المعتقدات الإسلامية ، ويتوافق وجود الضريح مع ما ورد في سفر أيوب الذي يعتبر أكثر أجزاء الكتاب المقدس عمقاً وأشدها تأثيرا وتحريكا للمشاعر حيث ورد أنه "كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب. وكان هذا الرجل كاملا ومستقيما يتقي الله ويحيد عن الشر" وكان اسم أحد مواسيه "بيلداد الشحي" الذي قد يكون أحد أفراد قبيلة الشحوح العمانية.

المظاهر الدينية الاخرى

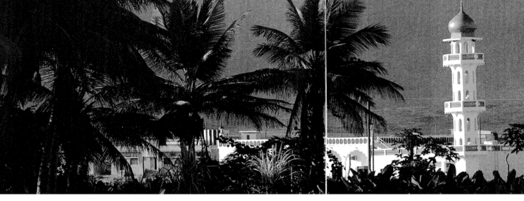
يربط الإخباريون كثيراً بين شخصيات من التاريخ العماني وبين إتيان المعجزات والكرامات ، حيث تنسب على سبيل المثال إلى الإمام ناصر بن مرشد أول أئمة اليعاربة كثير من الكرامات أهمها أنه أطعم مائة شخص لأيام عديدة مما حوته سلة واحدة من تمر وأرز ، ومما ينسب إليه أيضا أنه أبرأ ناقة كانت قد أصيبت بالجرب بعد أن أكلت طعاماً من بيت المال ، ويقال أيضا إن هالة تحيط بهذا الإمام حيث يروى أن هالة من النور ظهرت في المسجد الذي كان يلزمه في الرستاق.

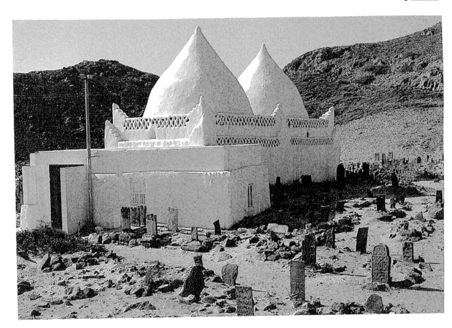
وفي جانب آخر فإن الإيمان بالجن لم يختف اختفاء تاما حيث ما زال الناس يخافون من أن يطأوا بعض الأودية إيمانا بأن الجن يقطنونها ، وتوجد في بعض أودية عمان تشكيلات ومظاهر صخرية كان الناس يرجمونها اعتقادا منهم أنها ترمز للشيطان ، وفي العصر الحديث أصبح الناس يطلقون عليها النار من أسلحتهم بدلاً من رجمها بالحجارة. ومازال الناس في المناطق القريبة من بهلا يؤمنون بوجود ساحرة طيفية تسكن جبل حميلة ، وتقوم الأمهات بتزويد أطفالهن بكميات بسيطة من الزئبق لحمايتهم من هذه القوى الشيطانية.

والاعتقاد بسيطرة الأرواح الشريرة المسمى بالزار ربما لايزال موجوداً بين بعض قطاعات السكان كما أشار إليه كثيرون من بينهم "ثيسيجر" في كتابه الرمال العربية حيث يقول*:

*هذا النص منقول من ترجمة ابراهيم مرعي لكتاب "الرمال العربية" الطبعة الثالثة ، ١٩٩٥م من إصدار "موتيف ايت" للنشر

أسفل مرتفعات ظفار ، يتلألأ المسجد الأنيق في طاقة كجوهرة مضيئة بين أنوار المساء.





يسارا ، في الصفحة المقابلة ، شواهد القبور الصلبة تدل على المثوى الأخير لسكان صلالة السابقين وفي الصوره أعلاه يبدو في جبال ظفار مقام أحد الأولياء بالقرب من مرباط.

"في إحدى الليالي، وبينما كنا نتام في سهل مكشوف على مقربة من "مقشن "، استيقظت على صوت اشبه بالعواء الطويل، وتردد هذا الصوت الشاذ في أرجاء المخيم مرات عديدة، فاقشعر بدني ، وتساءلت بصوت عال: "ما الخطب؟" ، فرد "بن كبينة" : "إن سعيدا مسكون بالروح الشريرة (الزار)". نهضت ومشيت حول بعض الجمال ، ثم انضممت اليهم ، وعلى ضوء القمر الذي بدأ يغيب تمكنت من رؤية الصبي. كان واحدا من "بيت كثير" جاثما حول نار صغيرة. وقد غطى راسه ووجهه بقطعة قماش، كان يهتز إلى الامام وإلى الخلف وهو يصرخ، بينما جلس الآخرون بالقرب منه صامتين ينظرون إلى المشهد، وبدأوا يرتلون فيما سعيد يلقي بنفسه بعنف من جانب إلى آخر، ثم ارتمى على الارض بعنف أكثر ، وفي إحدى المرات سقط طرف القماش عن وجهه إلى النار وبدأ يحترق ببطء، فانحنى أحدهم وأطفأه، ثم ارتفع ترتيل منتظم أخذ يؤثر على الصبي المخبول الذي بدأ يهدأ تدريجيا ، وأشعل أحد الرجال بعض البخور في وعاء ومرره تحت أنف الصبي، وفجأة بدأ يغني بصوت عال وغريب، وردد الآخرون قوله سطرا سطرا، ثم توقف، وعاد يغني من جديد، وهدأ ثانية، وانحنى أحد الرجال إلى الامام وطرح عليه بعض الاسئلة، ورد عليها، وكان كلامه كمن يتحدث في نومه ، لكني لم افهم كلامهم، لانهم كانوا يتكلمون لغة "المهرة". أعطوه المزيد من البخور وغادرته الروح الشريرة، وبعد قليل استلقى لينام، لكنه عاد واضطرب، وفي هذه المرة شهق بقوة وتأوه وكأنه يعاني من ألم شديد ، فتجمعوا حوله مرة أخرى ورتلوا إلى أن هدأ، ثم نام ، وفي الصباح كان في حالة جيدة."

المسيحية

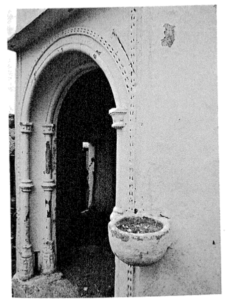
يعتقد بعض علماء الإسلام في عمان أن أغلبية سكان عمان قبل الإسلام قد اعتنقوا الديانة المسيحية وأن مالك بن فهم نفسه كان مسيحيا ، ويعتقد بعضهم أيضا أن الحروب التي دارت رحاها بين الفرس والعمانيين قد أخذت طابعا دينيا خالصاً كالحروب التي جرت بين العمانيين الأوائل والفرس في بلاد الرافدين ، ولذا فهناك احتمال ممارسة الزرادشتية في بعض مراحل التاريخ العماني ، ويبدو أن الامراء الجلنديين انفسهم لم يصرحوا علناً بإعتناقهم المسيحية . هذا وقد عين الخليفة عمر ابن الخطاب مسيحيا اسمه كعب بن سور اللقيطي قاضيا على البصرة في عام ٦٣٩م (١٨هـ).

ويعتقد النصارى القاطنون في البلاد المطلة على حوض المحيط الهندي اعتقادا جازماً أن القديس توما أحد رسل المسيح هو الذي أتى بالمسيحية حيث زار عمان وأماكن اخرى في الخليج في طريقه إلى الهند حيث استشهد فيها .

وترتبط عمان أيضا حسب الاقوال المأثورة بقصة الملوك الثلاثة الذين قادتهم دلالات فلكية للذهاب إلى الطفل يسوع في بيت لحم.

ويقال إن "سيبيل" الهندي هو الذي نصح الملك "بيريمل" ملك سيلان أن يلتقي الملكين الآخرين في مسقط في طريق رحلتهم إلى الغرب حيث فلسطين ويهودا اللتان كانتا تحت الحكم الروماني. إن مثل هذه القصة ليست أمرا مستبعدا حيث كانت ظفار هي مصدر اللبان فيما كان جنوب الجزيرة العربية مصدر المر (الصمغ الراتينجي) وكانت سيلان مصدر الذهب. وقد دفن الملك "بيريمل" في "كولان" في منزل مقدس كان حواريو القديس "توما" يقدسونه لفترة زمنية لا تقل عن ثلاثة أو أربعة عقود.

وقد تركزت المسيحية في عمان حول مدينتي مزون وصحار التي كان يوجد فيها أسقف نسطوري منذ تاريخ يعود إلى ٤٢٤م أو قبل ذلك حينما تم تعيين الأسقف يوحنا. وكان ممثلو الأسقف يسافرون إلى المجامع الكنسية في بلاد الرافدين ، كما تكرر ذكر مزون في الوثائق النسطورية. ومن المؤكد تقريبا أن الأبرشية كانت



المسيحيون البرتغاليون بنوا هذه الكنيسة التي تطل على مسقط في الميراني أثناء فترة احتلالهم لعمان .

ضمن المنطقة المسماة بيت قطرايا ولعلها كانت تابعة لمطرانية "ريفي أرشيد" الميناء الساساني على ساحل فارس. وقد امتد النشاط التبشيري النسطوري الذي شارك فيه المجتمع النسطوري في صحار إلى ماليزيا في القرن السابع للميلاد.

وكان آخر أسقف ورد اسمه في السجلات هو الأسقف "ستيفن" الذي كان على قيد الحياة عام ٦٧٦م إلا أن المسيحية النسطورية اضمحلت تماماً من شبه الجزيرة العربية في القرن التاسع الميلادي.

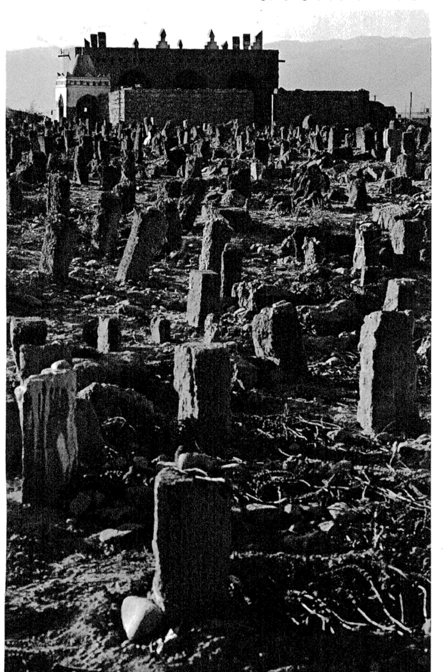
وقد عادت المسيحية إلى شبه الجزيرة العربية على أيدي البرتغاليين الذين أقاموا كنيستين في مسقط ، كانت احداهما مقر المعتمد الأسقفي وكانت الأخرى كنيسة لميثاق الرهبان الأوغستينيين. وقد تم تشييد الكنيستين تكريساً للسيدة مريم العذراء، كما أقيم مصلى صغير لايزال موجوداً في قلعة الميراني التي كانت تعرف حينئذ بقلعة القبطان. لقد كانت هاتان الكنيستان قائمتين في أوائل القرن الثامن عشر حينما زارهما "الكسندر هاملتون"، حيث علق على وجودهما قائلا "ما زال الجلال يشع من الكاتدرائية التي شيدها البرتغاليون ، وقد حولت الآن إلى مكان إقامة للملك (اي قصر جلالة السلطان المطل على البحر).

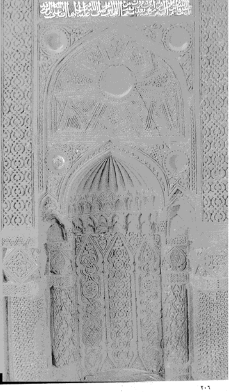
وقد خلد اسم الكنيسة منذ زمن قديم بفضل اسم بيت جريزة الكبير الرائع، ذلك أن بيت جريزة هو تحريف محلي للكلمة البرتغالية "إجريجا" التي تعني الكنيسة والذي مايزال قائماً بجوارها.

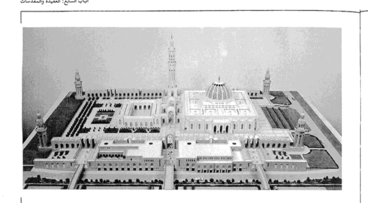
وبطرد البرتغاليين من عمان في منتصف القرن السابع عشر اختفت المسيحية مرة أخرى ولم تعد إليها ثانية إلا في عام ١٨٩١ بوصول الأسقف "توماس فالبي فرنش" أسقف لاهور السابق وهو شخصية بارزة ويوصف بأنه "نصراني فقير" و"أبرز مبشري جمعية التبشير الكنسية." وقد أنهى هذا القديس حياته المكرسة في مسقط بعد شهور قليلة من وصوله حيث دفن في المقبرة المسيحية الواقعة في مكان ظليل إلى الغرب من مسقط المحاطة بالأسوار. وفي ذكراه نظم كبير الشمامسة "مول" قصيدة على نمط الشعر الفكتوري يقول في مطلعها:

حيث تواجه مسقط شمس المشرق
بين البحر المتلاطم والمنحدرات الصخرية
وعندما بدأ لتوه بأعمال الرحمة
رقدت روح قديسة لتخلد للنوم

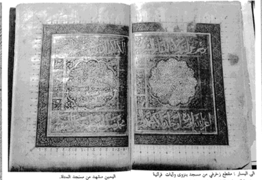
وقد ابتدأت البعثة الأمريكية في مسقط في نفس الفترة تقريبا وما زالت مستمرة في أداء مهامها التي تركز على المجالات التربوية والصحية، ومن بين موظفيها المكرسين لخدمتها شخصيات متميزة مثل "س.م.زويمر" صاحب كتاب الجزيرة العربية مهد الاسلام، وهناك أطباء بارزون مثل الدكتور "شارون توماس" وابنه الدكتور "ويلز توماس". وتمارس الديانة المسيحية في مسقط الآن في المركز المسيحي في كل من روي وغلا حيث توجد كنائس كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكسية منفصلة تشترك جميعها في قاعة عامة.





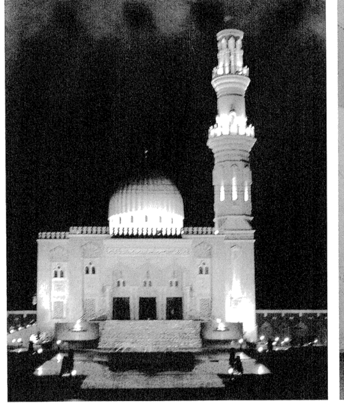


في مطلع عام ١٩٩٥ ، أمر جلالة السلطان قابوس ببناء أكبر مسجد في عمان ، وذلك بمحافظة مسقط ، بحيث يتسع لحوالي ١٥،٥٠٠ مصل ويضم مكتبة إسلامية كبيرة. صمم المسجد ليكون مكانا للعباده ومركز اشعاع للدين الإسلامي والثقافة الإسلامية . يقع المسجد في ولاية بوشر ، إلى الشمال من المستشفى السلطاني ، ويحمل اسم (مسجد السلطان قابوس في مسقط) وكمركز للدراسة ، فإنه يضطلع بدور كبير من حيث قيام الدارسين بالمساهمة في خدمة تعاليم الدين الإسلامي.





الى اليسار : مقطع زخرفي من مسجد بنزوى وآيات قرآنية مضيئة كتبها خطاطون عمانيون (أعلى اليسار) . إلى اليمين مشهد من مسجد المنثاة.





العزلة والخصوصية فى العباده تتجسدان فى هذا المسجد بظفار (أعلى)
(أسفل) تظهر فى الصوره وزارة العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية الواقعة فى مجمع الوزارات بالعاصمة مسقط والتي تقوم برعاية الشؤون الدينية في البلاد.

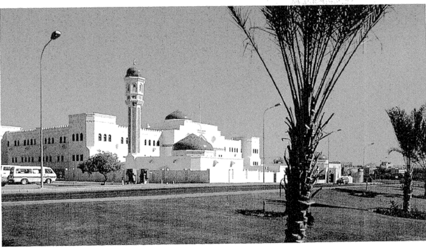
الاسلام في عمان اليوم

لايفرق في المجتمع الاسلامي بين الأمور الدينية والأمور الدنيوية، إلا أن وزارة العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية هي التي تتعامل مع كل القضايا المتعلقة بالإسلام ، وتقوم الوزارة بمسؤولية إدارة المساجد كما قامت بتشييد مساجد جديدة بديعة التصميم في كل ربوع عمان بحيث تتكامل هذه المساجد الجديدة مع المساجد التاريخية القديمة. ومن بين واجبات هذه الوزارة أيضا تدريب الأئمة والوعاظ والمرشدين في هذه المساجد وتعيينهم، ويتضمن هذا نشر تعاليم الدين الإسلامي في صورته الصحيحة من خلال إسداء النصح والإرشاد وإنشاء المكتبات الإسلامية ، وتعنى الوزارة أيضا بإدارة المدارس القرآنية التي يربو عددها على الخمسمائة مدرسة وتشجيعها ، كما تدير أيضا مراكز التعليم الديني لطلبة المدارس العامة في أوقات اجازاتهم.

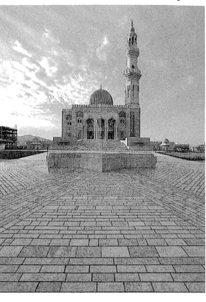
ومن ناحية أخرى تشارك الوزارة أيضا في الأنشطة الدينية خارج عمان، ويأتي في مقدمة هذه الأنشطة مشاركة الوزارة في موسم الحج السنوي بالتعاون مع السلطات السعودية. ومن مهام الوزارة الأخرى تنظيم جباية الزكاة وإنفاقها ، والزكاة هي الضريبة التي شرعها الإسلام على الأموال وتتراوح بين خمسة إلى عشرة في المائة من الدخل (لم يوفق المؤلف في تحديد قيمة الزكاة التي تبلغ شرعاً اثنين ونصف في المائة) – المراجع.

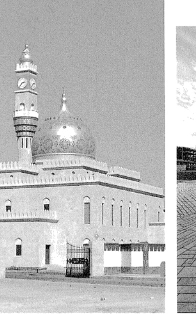
وتعنى الوزارة أيضا بمراقبة وإدارة كل أنواع الأوقاف سعيا وراء صيانة المساجد والممتلكات الدينية إضافة إلى الاعتناء بممتلكات بيت المال (أي الممتلكات العامة) ورعاية مواريث الأيتام وتسليم الوصايا إلى الأيتام وفق أحكام المحكمة الشرعية التي تلعب دورا أساسيا في تاريخ عمان.

أما على الصعيد القضائي فإن الوزارة مسؤولة عن المحاكم الشرعية التي تضمن تحقيق العدل لكل من تضرروا في ذواتهم وممتلكاتهم أو في الحقوق التي



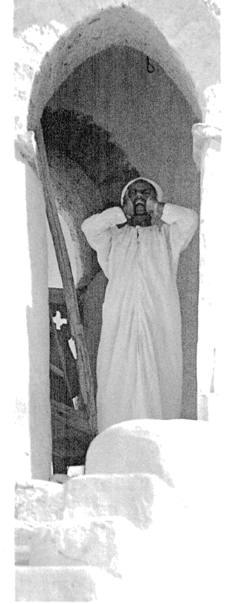
بعض العائلات الميسوره تساهم في بناء بعض المساجدالجميلة كالتي نراها في القرم (يسار) ، في الخوير (في الأسفل واليمين).





الاسلام يرفض التهويل والتعصب لانه دين قائم على التسامح.

(في الاسفل) ، نداء الأذان المرتفع يتخلل الحارات القديمة بصور منبعثاً من مئذنة المسجد. المؤذنون في أية حاره ينافس بعضهم بعضاً عندما يدعون المؤمنين للصلاة. بعض المؤذنين يستخدمون الآن مكبرات الصوت ليصل الأذان إلى كل الناس .



تضمنها لهم الشريعة الاسلامية أو المراسيم السلطانية. ويوجد في عمان خمسة وأربعون محكمة شرعية في مسقط والولايات الأخرى . ويتوجب على كل قاضٍ من قضاة المحاكم الشرعية أن يستمعوا إلى القضايا المدنية والشخصية والجنائية. وتقوم محكمة الاستئناف بمراجعة الأحكام حينما يطلب منها ذلك ، أما لجنة المظالم فتعتبر قمة النظام القضائي وهي آخر محكمة تتولى مراجعة الأحكام.

وهناك العديد من المؤسسات التي تتبع مناهج مختلفة تعنى بتعليم الدراسات الإسلامية وصولا إلى المستوى الجامعي، غير أن جلالة السلطان كان قد أعلن في خطابه في العيد الوطني الرابع والعشرين عن إنشاء كلية جديدة للشريعة والقانون يتم افتتاحها في مسقط بهدف توحيد الدراسة في هذا المجال وتطويرها وتعزيزها. كما أعلن جلالته في نفس المناسبة عن إنشاء معهد عالٍ للقضاء في نزوى يعنى بتدريب أفراد الهيئة القضائية بعد حصولهم على شهاداتهم الجامعية في القانون الإسلامي .

كما أكد جلالة السلطان في خطابه الآنف الذكر النهج الذي تنتهجه السلطنة والقائم على الانفتاح والتبصر الديني، وأدان التعصب القائم على الجهل بالمعرفة الحقة بين الشباب المسلم فيما يتعلق بأمور دينهم مما قد يؤدي إلى ظهور العنف والخلاف والكراهية ، وذكّر بأن

التقويم الهجري

تحتفل عمان وبقية دول العالم الاسلامي بكل مناسبات السنة الهجرية. والتقويم الهجري مثله مثل التقاويم السامية والعربية القديمة يعتمد على حركة القمر. وتتكون السنة من اثني عشرة شهرا قمريا، وتتقدم السنة القمرية احد عشر يوما تقريبا كل عام عن السنة الشمسية، بحيث تتوافق معها كل اثنين وثلاثين عاما ونصف العام.

ولا يبدأ الشهر في عمان إلا إذا ثبتت رؤية الهلال في الأراضي العمانية .

وتتخذ رؤية الهلال أهمية قصوى في مطلع شهر رمضان شهر الصيام وشهر شوال الذي يعقبه والذي بحلوله تبدأ احتفالات عيد الفطر. وتثبت رؤية الهلال إذا اقتنع شاهدان عدلان القاضي برؤيتهما للهلال الجديد، حيث يقوم القاضي بعدها بإبلاغ جلالة السلطان الذي يعلن حلول الشهر الجديد.

وأشهر السنة الهجرية اثنا عشر شهرا هي: محرم – صفر – ربيع الاول – ربيع الآخر – جمادى الاولى – جمادى الآخرة – رجب – شعبان – رمضان – شوال – ذو القعدة – ذو الحجة.

ويجري الاحتفال بحلول السنة الهجرية الجديدة في غرة شهر محرم الذي يعتبر عطلة رسمية. ويتم احتساب السنة الهجرية منذ عهد عمر بن الخطاب باعتماد هجرة الرسول الكريم إلى المدينة المنورة عام ٦٢٢م والتي انطلقت منها دعوته إلى الإسلام.

ويوجد في السنة الهجرية العديد من المناسبات الدينية كالمولد النبوي الذي يحتفل به في الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام، وذكرى ليلة الأسراء والمعراج التي يحتفل بها في السابع والعشرين من رجب تخليدا لذكرى إسراء النبي عليه الصلاة والسلام إلى المسجد الأقصى ثم معراجه إلى السماء كما ورد في القرآن الكريم. ويختلف معراج الرسول الكريم عن صعود المسيح لأن معراج الرسول كان قد تم في حياته عقب فترة قصيرة من تكليفه بالدعوة. ويروى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد تجلى له ربه في السماء السابعة وهناك تلقى الأمر بفرض الصلاة التي تشمل صلاتي العيدين والصلوات الخمس اليومية، ويقال أيضا أن الرسول الكريم قد عرج إلى السماوات العلى وكان يصحبه في معراجه الروح الأمين جبريل عليه السلام.

وعيد الفطر يرمز الى انتهاء صيام رمضان ، ورغم أن هذا العيد أقل أهمية من عيد الأضحى إلا أن الناس يحتفلون به بحماس شديد لكونه يأتي تتويجاً لتحملهم مشقة صيام شهر رمضان ، ويسمى عيد الفطر في بعض البلاد بعيد الكسوة لأن المسلمين يرتدون فيه ملابسهم الجديدة ، أما عيد الأضحى فيحتفل به في العاشر من ذي الحجة بعد مرور ٦٩ أو ٧٠ يوما على أول أيام عيد الفطر. وفي هذا العيد يتعين على كل مسلم أن يضحي لأن هذا اليوم يمثل قمة أيام الحج إلى الديار المقدسة حيث أن الحجاج يضحون فيه بكبش أو بجمل أو بماعز أو بثور في جبل ثبير (عرفات) وهو المكان الذي ضحى فيه النبي ابراهيم عليه السلام بكبش فداء عن ابنه الذي هم أن يذبحه .

ويحتفل الناس في أيام العيد الأربعة وتتعدى احتفالاتهم مظاهر الفرح والرقص ورقصات السيوف لتشمل أيضا الغناء وكثيراً من إطلاق العيارات النارية . وفي المناطق الساحلية يحتفل الناس بكثير من الرقص واستخدام الآلات الموسيقية التي تكشف عن الأثر الافريقي فيها.

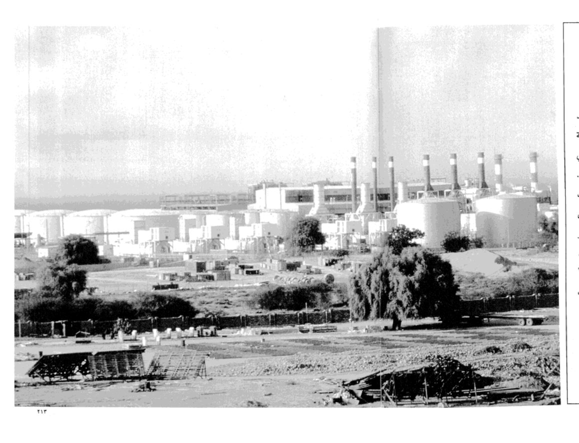
أما الأقلية الشيعية فتحتفل أيضا بالعاشر من محرم الذي يعتبر يوم حداد على مقتل الحسين بن علي في موقعة كربلاء عام ٦٨٠م (٦٠هـ) حيث أنهم يعتبرون الحسين أحق من غيره بتولي الخلافة لكونه آخر أحفاد النبي الكريم من الذكور.

إن حلول عيد الفطر السعيد هو مناسبة شعبية يحتفل بها بالموسيقى والرقص في الشوارع

في العاشر من ذي الحجة يحتفل بعيد الأضحى، أي بعد تسع وستين أو سبعين يوماً من عيد الفطر. على جميع المسلمين ذبح الأضاحي في عيد الأضحى. في ذلك الوقت أيضا تنتهي مناسك الحج الذي يعد أحد أركان الاسلام التي يتوجب على المسلم زيارتها مرة في حياته على الأقل إن استطاع إلى ذلك سبيلا.





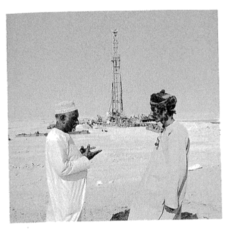


الباب الثامن:
الاقتصاد والتجارة والصناعة

إستعادت عُمان دورها كدولة مصدِّرة تمتد تجارتها إلى جميع أنحاء العالم وهي معروفة بتنوّع منتجاتها المحلية التي استردت مادتي العطور والنحاس في العصر الحديث. سيطرت عُمان على التجارة في المحيط الهندي وحكمت زنجبار وجوادر قبل استخراج النفط بفترة طويلة، والنفط هو أكثر الموارد أهمية في عُمان اليوم ، وقد امتدت تجارة عُمان إلى الصين شرقاً وأمريكا غرباً وكان الإبحار في المحيطات هو المفتاح لتاريخ عُمان التجاري.

يقطع نفط عمان مسافة كبيرة جدا كي يصل إلى محطته الرئيسة حيث المصفاة الواقعة بميناء الفحل المطل على الشاطيء بمنطقة مسقط.





يضخ جميع النفط المستخرج شمالا الى محطة ضخ مرتفعة في الجبال (اعلى اليمين) ومن هناك يتم ضمه الى المصفاة الواقعة في ميناء الفحل (أسفل) حيث يشحن معظمه بحرا الى اسواق الشرق الاقصى.

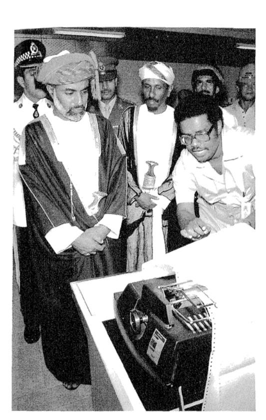
لقد ارتكز اقتصاد عُمان منذ أقدم العصور على استغلال مواردها الطبيعية وعلى موقع الدولة الجغرافي في معبر الطرق البرية والبحرية الرئيسة بين الشرق والغرب. لقد حظيت عُمان باستمرار الموارد المعدنية وقامت بتصدير النحاس منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد على أقل تقدير، أما البحر والتجارة والزراعة وبعض جوانب الصناعة فقد شكلت مجتمعة موارد الثروة والمعيشة.

النفــط والغــاز

ما كان لعُمان الحديثة أن تكون في وضعها الراهن لولا اكتشاف النفط واستثماره وهو موردها المعدني الأساسي، ولسوف يبقى اقتصاد عُمان معتمداً على النفط حتى المستقبل القريب. لقد ساهم قطاع النفط والغاز بأكثر من ١٥٠٠ مليون ريال عُماني من الدخل السنوي للدولة وتساهم الخدمات الحكومية بالجزء الأكبر المتبقي من جملة ما يزيد على ٣٥٠٠ مليون ريال عُماني وهذه الخدمات النفطية هي أهم صادرات عُمان. بلغ إنتاج عُمان من النفط ما بين ٨٠٠ ألف إلى ٨٥٠ ألف برميل يومياً في عام ١٩٩٥م. ويبلغ احتياطي النفط حوالي ٥ بلايين برميل وهذه الكمية لا بأس بها إلا أنها متواضعة بمعايير الشرق الأوسط وما زالت عملية التنقيب مستمرة، وقدر إحتياطي الغاز الطبيعي بحوالي ٢٠ ترليون قدم مكعب في عام ١٩٩٤م . وتُعرف عُمان بتخطيطها المتزن للميزانية وإدارة الإقتصاد ومع ذلك يبقى الصرف الحكومي متأثراً بالسعر العالمي للنفط. وقد تكون هناك ضغوط مالية عندما ينخفض سعر البرميل عن ١٥٫٥ دولاراً. وتبعاً لسعر النفط تقلص الصرف بعد عام ١٩٩٢م.

في عام ١٩٩٢ بلغ عدد آبار النفط المنتجة ١٨٦١ بئراً بعد أن كان عددها ١٤٤٥ بئراً في عام ١٩٩١. كما استوردت اليابان وهي المستورد الرئيس لنفط عُمان ١٠٢ مليون برميل في ١٩٩٢ وهذا يشكل نسبة ٤٠٫٤ في المائة من صادرات النفط ، أما كوريا الجنوبية فكانت ثاني أكبر الدول المستوردة حيث اشترت ٧٠٫٨ مليون برميل بنسبة ٢٨ في المائة بينما استوردت تايوان ٢٠ مليون برميل وتايلاند ١٣٫٥ مليون وسنغافورة ١١٫٦ مليون برميل. وقد ارتفع إجمالي إنتاج شركات النفط الأربع العاملة في عُمان في ١٩٩٢م إلى ٢٧٠٫٨ برميل بالمقارنة بعدد ٢٥٨٫٥ مليون برميل في ١٩٩١ كما ازداد حجم التصدير ليصل إلى ٢٥٢٫٥ مليون برميل في ١٩٩٢ بعد ان كان ٢٤٣٫٧ مليون برميل. وفي ١٩٩١ ،

تقع غالبية حقول النفط والغاز – اللذين يمثلان أهم عناصر النشاط الاقتصادي في عمان – في المناطق الصحراوية الواقعة بالداخل.
(إلى اليمين وفي الصفحة المقابلة) عمليات الحفر والتنقيب عن النفط.
يمكن مقارنة احتياطي النفط بمستويات دول الشرق الأوسط ومقاييسها.



جلالة السلطان قابوس وهو يستمع إلى شرح من أحد المختصين حول آليات عمل مصفاة النفط بميناء الفحل . التقطت الصورة يوم الاحتفال بافتتاح المصفاة.

أنتجت شركة نفط عُمان وهي أكبر منتج مصّدر للنفط ٢٥٣ر٤ مليون برميل في عام ١٩٩٢ بنسبة ٩٣ر٥ في المائة من جملة إنتاج عُمان من النفط. كما أنتجت شركة أوكسيدنتال (Occidental) وهي ثاني أكبر الشركات المنتجة والمصّدرة ما مقداره ٩ر٨ مليون برميل في ذلك العام بينما أنتجت شركة إلف (Elf) للنفط ٤ر٧ مليون برميل وأنتجت جابكس (Japex) ٢ر٩ مليون برميل. وكان أحد الإنجازات العظيمة لشركة نفط عُمان في الفترة الأخيرة في منطقة الخوير في شمالي عُمان حيث تم توسيع أحد الآبار القديمة وبلغ معدل الإنتاج بين ١١٠ الف و ١٥٠ ألف برميل يومياً في ١٩٩٤ بنسبة ١٥ في المائة من جملة إنتاج عُمان من النفط.

من هذا يتضح ان عُمان قد أحرزت تقدماً ملحوظاً عند مقارنة الإنتاج والأسعار في أواسط التسعينات بتلك التي كانت عليه في أواخر الستينات وأوائل السبعينات. إن تضاعف أسعار النفط عالمياً في ١٩٧٤/٧٣م وما تلا

حقول النفط وخطوط الأنابيب

حقول النفط

خطوط الانابيب

٠ كيلومتر ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠

ذلك من ارتفاعات حادة جاءت في الوقت المناسب لعُمان. لقد بلغ الإنتاج الكلي ٢٠٫٩ مليون برميل في ١٩٦٧/ ٧٨٫٩ في ١٩٦٨/ ١١٩٫٧ في ١٩٦٩/ ١٢١٫٣ في ١٩٧٠/ ١٠٦٫٨ في ١٩٧١/ ١٣٠٫١٨ في ١٩٧٢/ ١٠٦٫٨٥ في ١٩٧٣/ ١٠٥٫٨ في ١٩٧٤ و١٢٤٫٦ في ١٩٧٥. لقد ازدادت حصيلة المبلغ الذي دفعته شركة نفط عُمان للحكومة من ١٫٣ مليون جنيه استرليني في ١٩٩٦م إلى ١٣٦ مليون جنيه في١٩٧٤م. وقد وصل متوسط الضرائب في ١٩٧٣م إلى معدل ١٫٨٣ دولاراً للبرميل الواحد ومبلغ ١٧٫٥٨ دولاراً في ١٩٧٤م. كما أعيد تنظيم العلاقة بين الشركة والحكومة بعد عام ١٩٧٤م. وعلى أية حال فإن أسعار النفط في عام ١٩٩٥م والمعدلة تبعاً للتضخم كانت كما هي عليه قبل زياداتها المضاعفة في عام ١٩٧٤م.

التنقيب عن النفط

بدأ البحث عن النفط منذ سبعين عاما حيث قامت شركة النفط الإنجليزية الفارسية المحدودة بمسح بيولوجي في ١٩٢٥-٢٤م وكانت هناك منافسة بين الشركات للحصول على امتيازات في المنطقة العربية. كانت عُمان دولة واعدة بالنفط في المنحدرات الغربية من الجبال الشمالية حيث الصخور الرسوبية وكذلك في أطراف منطقة منخفضة هائلة. ولما لم تعثر الشركة على النفط فقد تخلت عن الامتياز.

حصلت شركة نفط عُمان المحدودة على امتيازات التنقيب في الشمال وفي ظفار في عام ١٩٣٧م وكان لهذه الشركة نفس البنية التي كانت لشركة نفط العراق وكانت تملكها شركة النفط البريطانية (BP) بنسبة ٢٣٫٧٥في المائة وشركة "شل" الهولندية الملكية بنسبة ٢٣٫٧٥ في المائة وشركة النفط الفرنسية (CFP) بنسبة ٢٣٫٧٥ في المائة وهيئة تطوير الشرق الأدنى بنسبة ٢٣٫٧٥ في المائة و ٥ في المائة من نصيب "جالبنكيان" والتي سميت أخيراً "بارتكس". وقد توقفت عملية التنقيب بسبب الحرب في الأعوام ١٩٣٩-١٩٤٥م وفي عام ١٩٥١م تخلت الشركة عن التنقيب في ظفار مما جعل السلطان يدعو شركات نفط أخرى للقيام بهذا العمل ولكن عمل هذه الشركات قد تعطل بسبب الخلاف بين السلطان والإمام الشيخ غالب بن علي الذي كان يطالب باستقلال منطقة عُمان الداخلية. ورغم ذلك فقد تم حفر بئر في جبل فهود في عام ١٩٥٦م وتم احضار الرجال والأجهزة اللازمة بصعوبة من رأس دقم في الساحل ومن العذيبة قرب مسقط وكانت النتيجة أيضاً غير مشجعة حيث تم الحفر لعمق ١٢٫٢٢٥ قدماً بدون جدوى. وفي مايو عام ١٩٥٧م تخلت الشركة عن البئر، ثم حفر بئر آخر في غابا التي تقع على بعد ٨٠ ميلاً إلى الجنوب الشرقي ووصلت عملية الحفر إلى عمق ١٢٫٦٦٠ قدماً ولكن بدون فائدة أيضاً. وكانت هناك محاولات مماثلة في هيما و عفار مما سبب يأساً وأدى إلى انسحاب ثلاثة من المساهمين الرئيسيين في شركة نفط عُمان وهم الشركة البريطانية والفرنسية وهيئة تطوير الشرق الأدنى وبذلك صار نصيب شركة "شل" ٨٥ في المائة و"بارتكس" ١٥ في المائة غير أن الشركة الفرنسية انضمت مرة أخرى في عام ١٩٦٧م وقامت بشراء ثلثي نصيب شركة "بارتكس".

وقد أدت المثابرة في عام ١٩٦٢م إلى اكتشاف النفط في (عيبال) على حافة الربع الخالي حيث تعيش قبيلة الدروع مع احتفاظهم بمراعيهم وحقوقهم في المياه كما حصل بعضهم على عمل في شركة البترول. (وبنفس القدر توفر للقبائل الأخرى في منطقة النفط مثل الحراسيس والجنبة الحماية والعمل في الشركة). ولكن بئر (عيبال) وحده لم يكن كافياً للاستغلال التجاري.



يتم تصدير النفط من خلال عوامات راسية بميناء الفحل تحت إشراف أمني من قبل دوريات شرطة عمان السلطانية.



إستغلال النفط والمزيد من الاكتشافات

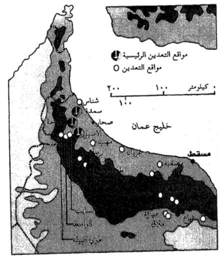
على الرغم من الإخفاقات السابقة فقد استمرت شركة نفط عُمان في التنقيب. وفي مارس عام ١٩٦٤م أعلنت الشركة خطة لاستخراج النفط في عيبال وناطح وفهود. كان البئر الذي ظهر فيه النفط في فهود يبعد بضع مئات من الأمتار فقط عن البئر الجاف الذي حفر في عام ١٩٥٦م وهكذا كانت عملية التنقيب عن النفط.

وقد تم التوقيع على الاتفاقية بعد مراجعتها في السابع من مارس ١٩٦٧م متضمنة شروطاً مريحة للدولة المانحة أكثر من تلك التي كانت في المناطق الاخرى في الشرق الأوسط.

وفي تلك الأثناء أخذت الأمور مجراها في ظفار، ففي عام ١٩٥٢م حصلت خدمات المدن على امتياز التنقيب في المساحة التي بلغت ٣٠ ألف ميل مربع. وقد قامت خدمات المدن بتكوين شركة تابعة لها باسم (هيئة خدمات مدينة ظفار للنفط) وتم قبول هيئة "ريتشفيلد" للنفط كشريك بالمناصفة. وفي بداية عام ١٩٥٤م تم حفر أول بئر في دوكة على بعد ١٤٠ ميلاً من صلاله إلى الداخل، وبعد حفر ١٢ ألف قدم تبيّن أن البئر كان جافاً وكذلك البئران اللذان تم حفرهما بعد ذلك. كما اكتشفت كميات من النفط في مرمول التي تبعد ٤٠ ميلاً من الساحل ولكن تناقصت تلك الكمية التي بلغت حوالي ٢٠٠٠ برميل في اليوم في البداية. وفي مايو عام ١٩٦٠م تم حفر ١٢ بئراً واستمر المسح الجيولوجي والزلزالي في نفس الوقت ولكن البحث لم يكن مشجعاً مما جعل الشركات العاملة تفقد الأمل.

وبينما واصلت بعض الشركات بحثها نالت شركة جون ميكوم وشركة "بيور أويل" حق التنقيب في منطقة ظفار في عام ١٩٦٣م، ولكن شركة "ميكوم" انسحبت في عام ١٩٦٤م وأخذت شركة "كونتيننتال" مكانها في العام التالي. ثم عاودت شركة نفط عُمان تنقيبها في كل منطقة ظفار في عام ١٩٦٩م باتفاقية مماثلة لاتفاقية عام ١٩٦٧م المعدّلة للتنقيب في شمالي عُمان بغض النظر عن الحد الزمني البالغ ست سنوات لاكتشاف النفط بكميات تجارية وهذا ما حصل في عام ١٩٧٤م.

وقد تم اكتشاف المزيد من الآبار في الشمال في أوائل السبعينات في منطقة غابا والحويسة وسيح رول وهابور والخوير. وارتفعت عائدات السلطنة في عام ١٩٧٠ من ٥٠ إلى ٥٥ في المائة كما ازدادت ملكية الحكومة من ٥٠ إلى ٦٠ في المائة واحتفظت شركة "شل" بنسبة ٣٤ في المائة والشركة الفرنسية بأربعة في المائة وشركة "بارتكس" باثنين في المائة.



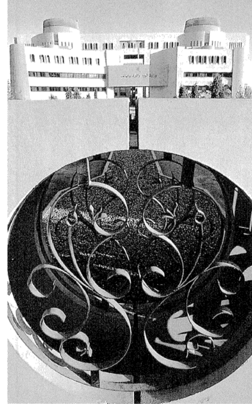
وقد تم تكوين لجنة إدارية من ستة أعضاء: إثنين تعيّنهما الحكومة وأربعة أعضاء تقوم الشركة بتعيينهم. بعد ذلك أضيفت منطقة ظفار إلى المساحة الأساسية ومن جملة المساحة الكلية قامت شركة نفط عُمان بالتخلي عن ٣٥ ألف ميل مربع. وفي عام ١٩٨٠م صدر مرسوم سلطاني بتحويل شركة نفط عُمان إلى شركة محدودة

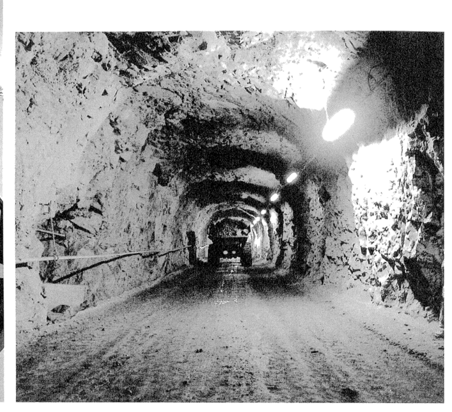
وبذلك حلت لجنة جديدة محل اللجنة الإدارية المشتركة.

التنمية والرؤيا المستقبلية

أنشئت مصفاة ميناء الفحل لتغطية الحاجة المحلية وبدأ عملها في عام١٩٨٢م بطاقة إنتاجية بلغت ٥٠ ألف برميل في اليوم ثم مالبثت أن ارتفعت إلى ٨٠ ألفاً في عام ١٩٨٧م. وفي وقت لاحق بدأ إنتاج البنزين الخالي من الرصاص وازداد الإنتاج للمحافظة على البيئة. وقد صارت هذه المصفاة الحكومية بمثابة جهة وطنية تقوم ببيع منتجات النفط وبذلك انتهت مدة ثلاثين عاماً من احتكار شركة "شل" وشركة النفط البريطانية (BP) لبيع تلك المنتجات وتوزيعها.

منذ البداية كان لشركة نفط عُمان مشروع ذو مستوى متقدم للتدريب ومركز كبير للتأهيل مما مكن أعداداً كبيرة من العُمانيين من التدريب والارتقاء إلى وظائف إدارية عليا. وفي عام ١٩٩٣م كان هنالك ٨٠٠ عُماني تحت التدريب كما انضم إلى صناعة النفط عدد من المهندسين والمتخصصين في المجالات الأخرى المطلوبة من خريجي جامعة السلطان قابوس مما زاد نسبة التعمين إلى ٦٥ في المائة في أواسط التسعينات.





(يسار) إطلالة على وزارة النفط والمعادن من خلال بوابتها (فوق) يعد النحاس المورد المعدني الثاني في عمان بعد النفط. هذا المعدن الذي ربما كانت عمان أقدم بلد مصدر له ، تحمل الشاحنات خاماته التي تصل معدلات انتاجها إلى ما يعادل ١٧٫٠٠٠ طن سنويا من خلال النفق اللولبي الشكل بمنجم الأسيل. (في الصفحة المقابلة) النحاس الخام بعد صبه في هيئة قوالب.

وقد أنشأت الحكومة في أواخر الثمانينات شركة نفط عُمان التابعة كلياً للحكومة لتقوم بالاستثمار في المشاريع التجارية الأجنبية وفي عمليات تجارة النفط.

وقد وقعت السلطنة اتفاقية تعاون مع كزاخستان تقوم السلطنة بموجبها بمساعدة تلك الجمهورية الحديثة الاستقلال عن السوفييت في عملية تطوير نفطها وحصلت عُمان هناك على امتياز التنقيب في مساحة ١٦ ألف ميل مربع بإحتياطي يقدر ببليون برميل وإمكانات إنتاج ثمانية ملايين طن من النفط الخام سنوياً. كما شاركت الشركة مع شركتين رائدتين أخريين في إنشاء شبكة من الأنابيب لنقل النفط من كزاخستان وأذربيجان إلى مدينة "نوفوروسيسك" على ساحل البحر الأسود.

كما وقعت الشركة بعد ذلك إتفاقية في ديسمبر عام ١٩٩٣م مع هيئة "بارات" للبترول والتابعة للحكومة الهندية بإنشاء مصفاة سعتها ستة ملايين طن في عام ١٩٩٧م في ولاية "ماديا براديش" في وسط الهند بحيث تبلغ أسهم شركة نفط عُمان٢٦ في المـــائة.

كما وقعت الشركة مذكرة تفاهم مع هيئة هندوستان للبترول والتابعة أيضاً للحكومة الهنـــدية لإنشاء مصفاة أخرى في "مهراشترا" وكان نصـــيب شركة نفط عُمان ٢٦ في المائة أيضاً. كما شاركت عُمان في مشروع ثالث لتكرير النفط وكان ذلك في تايلاند حيث وقعت اتفاقية مع شـــركة للنفط في برمودا يتم بموجبـــها إنشاء مصـــفاة بسعة ١٣٠ ألف برميل يوميـــاً كما تقوم عُمـــان بإمدادها بثمـــانين الف برميل من النفـــط الخام يومياً.

وهناك مشروع تحت الدراسة لمـــد أنابيب النفط والغاز تحت الماء من عُمان إلى الهند.

الغـــاز الطـبيعي

لقد تم اكتشاف الغاز الطبيعي بطريق الصدفة ، وعُمان بها من الغاز ما يفيض عن حاجة صناعتها النامية رغم تزايد تلك الحاجة. وقد قُدّر الإحتياطي من الغاز في عام ١٩٩٤م بكمية تبلغ ٣٢٠ ترليون قدم مكعب وهو ليس مرتبطاً بحقول النفط. ومن المتوقع أن يتساوى إنتاج الغاز مع إنتاج النفط في عام ١٩٩٩م.

إن إمكانيات عُمان من النفط والغاز ستظل جيّدة في القرن الحادي والعشرين. لقد بدأت صناعة الغاز بأنبوب يربط عيبال بمحطة الغبرة ومجمع التخزين، وقد بلغ إنتاج منجم عيبال ١٦٫٥ مليون متر مكعب في عام ١٩٩٥م وكان الاستهلاك المنزلي ٤٫٥ مليون متر مكعب في اليوم في عام ١٩٩٤م ، وكانت محطات الطاقة تحصل على ٨٩ في المائة والصناعة على ٧ في المائة ووزارة الدفاع على ٤ في المائة. ومن المتوقع إنشاء محطة للغاز السائل في بيمه بين قريات وصور بإنتاجية تبلغ ستة ملايين طن متري في العام لمدة ٢٠ عاماً حين يبدأ التصدير في عام ١٩٩٩م.

وستقوم شركة للغاز السائل بإسالة الغاز وشحنه وتسويقه، وتساهم الحكومة فيها بنسبة ٣٤ في المائة وشركة "توتال" بستة في المائة و"ميتسوبيشي" بثلاثة في المائة و"بارتكس" باثنين في المائة وهيئة (آي تي سي اتش يو) بواحد في المائة.

المعـــادن الأخـــرى

بدأ تعدين النحاس منذ الثمانينات بواسطة شركة تابعة للحكومة في نفس الأماكن التي كان يتم فيها تعدين





يساهم قطاع الخدمات بأكثر من نصف الأنشطة الاقتصادية في البلاد. ففي قطاع البنوك ، مثلا ، يوجد العديد من أفرع البنوك الرئيسة كتلك التي بمنطقة روي (في الاعلى). الفندقة والسياحة تساهمان بشكل هام في دعم اقتصاديات البلاد (إلى اليمين: فندق الشيراتون).

النحاس في الماضي البعيد منذ خمسة الآف سنة ، وعلى الرغم من أن هناك إمكانيات لمناجم جديدة إلا ان المناجم الرئيسة للنحاس توجد في وادي الجزي قرب صحار. لقد تم تدشين مصهر في موقع التعدين في عام ١٩٨٣م حيث تتم معاملة النحاس الخام كهربائياً لاستخلاص أقطاب نحاسية ، وتقوم شركة الكروم العُمانية بتعدين الكروم الذي اكتشف بطريق الصدفة في عام ١٩٧١م قرب زايمي وقد انشئت هذه الشركة في عام ١٩٩١م.

يُقدّر احتياطي الفحم في منطقة صور بما يبلغ ٣٦ مليون طن ، وقد اقترح برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة إنشاء محطة طاقة بسعة ٣٠٠ ميغاواط لتغطية حاجة المنطقة الشرقية بحوالي ١٠٠ الف طن من الفحم سنوياً. وتشمل المعادن الأخرى ذات الإمكانات الصناعية رمال السيليكا والكوارتز لصناعة الزجاج والحيص للألواح الجدارية والدولوميت لصناعة المغنيسيوم والكاولينيت لصناعتي الفخار والزجاج، وعلى أية حال ، فإن المعادن الاخرى بخلاف النفط والغاز لم تساهم حتى الآن بنسبة عالية في اقتصاد عُمان.

الصناعــة

لم تكن هناك صناعة حديثة في عُمان حتى عام ١٩٧٠م إلا ان الصناعات اليدوية كانت متطورة جداً وتلعب دوراً هاماً في حياة العُمانيين. وتمثل مطاحن الغلال في مطرح المؤشرات الأولى للصناعة حيث كانت تعمل منذ السبعينات. لقد تم إنشاء مصنعين للأسمنت أحدهما في الرسيل والثاني في ريسوت في الجنوب وقد قام هذان المصنعان بدور هام في ولادة عمان الحديثة. ولطالما شجعت الحكومة وباستمرار الصناعات الاخرى بهدف تنويع الاقتصاد وتوفير بدائل للاستيراد وللتقليل من الاعتماد على النفط. وعليه فقد بدأت مناطق صناعية عديدة في الظهور كان أولها واكبرها في الرسيل حيث يتم فيها تصنيع أشياء عديدة مثل الأغذية والمشروبات والأثاث والمنسوجات والورق ومنتجاته والكيمائيات والادوات الكهربائية والمعدنية. وفي عام ١٩٩٢م أفتتحت مناطق صناعية جديدة في صحار في الشمال وريسوت في الجنوب ، وهناك مناطق أخرى تم التخطيط لها في نزوى وصور والبريمي وخصب.

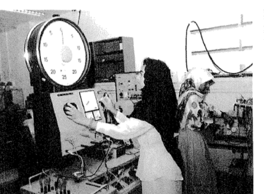
ويرتكز الاهتمام على الصناعات التي تعتمد على المنتجات المحلية وبالاخص تلك التي تقوم على الزراعة والأسماك. إن مصنع نسيج عُمان الذي انشىء بقيمة استثمارية تقدر بثمانية ملايين ريال هو الأول من نوعه في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. وتقوم مصانع الملابس بتصدير منتجاتها وبذلك تساهم مساهمة متواضعة في اقتصاد الدولة. كما أن هناك مشاريع حكومية للصناعات الثقيلة منها مجمع للبوليولفين يستخدم البوتاس من ترسيبات الملح في أم السميم

(يسار ، الوسط ، والاسفل) العديد من الطلاب بجامعة السلطان قابوس يتهيأون للقيام بدورهم في النهوض بالصناعة في البلاد. تدرك الحكومة بأن البلاد بمواردها البترولية المحدودة القابلة للانتهاء يجب عليها تنويع مصادر الدخل للحفاظ على مستواها المعيشي العالي.

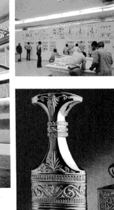


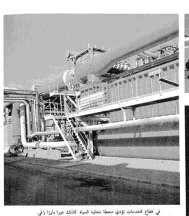






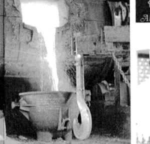
(في الأعلى) منطقة الرسيل الصناعية بالخوض.
(وسط) مصنع الزجاجات.

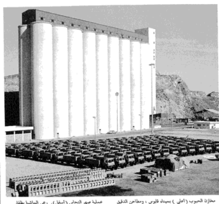


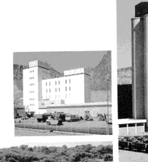


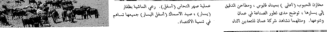
في قطاع الخدمات تؤدي محطة تحلية المياه كذلك دورا بارزا (في الاعلى وأعلى اليمين) في إمداد المياه. مصنع العطور (يمين وأسفل الصفحة) تتم فيه عملية استخلاص المواد العطرية من اللبان الظفاري.



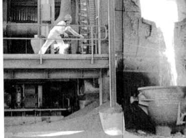




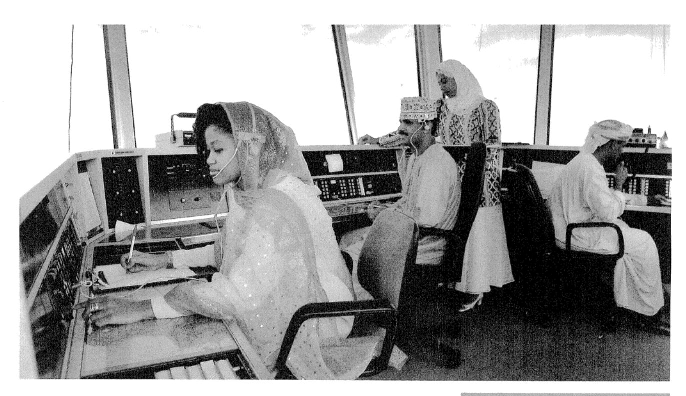


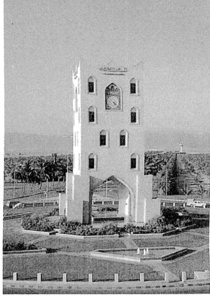


مخازن الحبوب (أعلى) بميناء قابوس، ومطاحن الدقيق إلى يسارها، توضح مدى تطور الصناعة في عمان وتنوعها. ومثلهما نشاهد شركة عمان للتعدين أثناء عملية صهر النحاس (أسفل). رعي الماشية بظفار (يسار)، صيد الأسماك (أسفل اليسار) جميعها تساهم في تنمية الاقتصاد.









والمغنيسيا من ماء البحر. وتشمل المشاريع المستقبلية للقطاع الخاص الإسفنج والحديد والصلب والنحاس والزجاج.

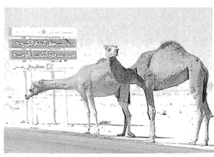
إن تطوير صناعة تقوم على اللبان هو مثال يعكس استغلال عمان لمواردها الطبيعية القديمة في العصر الحديث. لقد أراد الشيخ عبدالله الخليلي ، وهو سليل أسرة قديمة في سمائل ، أن يجمع ما بين منتج تقليدي واستخدام حديث فطلب من شركة "شانيل" إنتاج عطر جديد يحتوي على عبق اللبان وماء الورد والصمغ الراتينجي وكانت النتيجة هي انتاج عطر أمواج (Amouage) الذي صار في غضون عشر سنوات أحد أكثر العطور رواجاً بين الناس كما أصبح أثمن عطر في العالم. كانت قيمة البضائع التي صدرتها ٦٤ مؤسسة صناعية في عام ١٩٨٩م ١٤ر٩٠ مليون ريال عُماني بينما ارتفع إلى ٧٧ر١٢٦ مليون ريال في عام ١٩٩١م عندما ازداد عدد تلك المؤسسات إلى ٧٥ مؤسسة. كما وصلت قيمة تلك البضائع إلى ٦١ر١٣٣ مليون ريال عندما زاد عدد المؤسسات أيضاً ليصبح ٨٩ مؤسسة في عام ١٩٩٢م. وكان معدل النمو في هذه السنوات الثلاث ٣ر٤٩ في المائة.

الإستثمار والتمويل

من بين الإجراءات التي اتخذت لتشجيع القطاع الخاص سن القانون التجاري في عام ١٩٩١م الذي تضافر مع قانون الإستثمار الأجنبي ليعطي الحافز للإستثمارات الأجنبية ، وفي عام ١٩٩٥م كان هناك المزيد من الحوافز قد أخذت بالاعتبار. في عام ١٩٧٩م أنشئ بنك التنمية العُماني بهدف زيادة مساهمة القطاع الخاص في تنمية الدولة ، وقد خطت السلطنة خطوة أخرى نحو المال والتجارة العالمية عند إفتتاح البورصة في مايو عام ١٩٨٩م. لقد صار التخصيص هدفاً هاماً منذ عام ١٩٩٤م، كما لعبت البورصة دوراً هاماً في جذب الاستثمار الأجنبي وتنويع الاقتصاد. وكان هناك إجراء آخر لتنويع الاقتصاد وهو تطوير السياحة والتي يقوم فيها جمال عُمان الطبيعي والجانب التاريخي بدور هام.

الخدمات المصرفية

افتتح البنك البريطاني للشرق الأوسط في مسقط في عام ١٩٤٨م وكان أول مصرف وحيد في عُمان لعشرين عاماً







، ثم تشكل مجلس عُمان للعملة في عام ١٩٧٢م وأدخل قانون المصارف في عام ١٩٧٤م مع إقامة بنك عُمان المركزي الذي مارس سلطاته الكاملة في إبريل عام ١٩٧٥م. وقد عمل "بيتر ماسون" في البنك البريطاني للشرق الأوسط لثلاث فترات وساهم شخصياً في الإجراءات الانتقالية التي ادت إلى النظام المصرفي الجديد لعُمان. وبتقدم التنمية توسع القطاع المصرفي مع الزيادة في عدد المصارف المحلية والأجنبية ، وبنهاية عام ١٩٩٤م بلغ عدد المصارف ١٨ مصرفاً سبعة منها محلية. إن هذا التوسع في الخدمات المصرفية يشير إلى حجم التطور الإقتصادي خلال ٢٥ عاماً.

إن بنك عُمان المركزي هو الذي ينظم الخدمات المصرفية ويقوم بكل الخدمات المركزية وخاصة في مجال إصدار العملة كما يعمل كمصرف للحكومة وكملجأ أخير للتسليف وكوكالة للإشراف. لقد بدأ البنك برأسمال قدره مليون ريال عُماني في عام ١٩٧٥م ثم ازدادت قوة رأسماله الكلي لتصبح ٨٣٠٫٨ مليون ريال عُماني في عام ١٩٩٣م منها ٨٧ في المائة في الخارج.

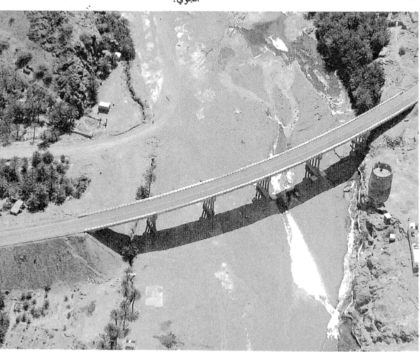


كورنيش مطرح في أعلى الصفحة المقابلة وأسفلها ، جسر فنجا (أسفل) وهو يمتد فوق الوادي في الطريق المتجه إلى نزوى ، وبرج الساعة بصلالة (الصفحة المقابلة) تعد جميعها جزءاً من شبكة الطرق الطويلة المعبدة التي تغطي جميع انحاء البلاد. (أعلى الصفحة المقابلة) يعد برج المراقبة بمطار السيب الدولي محور عمليات النقل الجوي.

الزراعـة والأسـماك

يلعب القطاعان الزراعي والسمكي دوراً هاماً في موارد الدولة الاقتصادية كما أنهما يوفران سبل كسب العيش لعدد كبير من الناس. وقد ساهم القطاعان في دخل الدولة بمبلغ ١٥٦ مليون ريال عُماني في عام ١٩٩٣م ويمثلان أهم صادرات عُمان غير النفطية. لقد تراوحت مساهمة المنتجات الزراعية بما قيمته ١٣٫٦ مليون و ٣٢٫١٤ مليون ريال عُماني كما ساهم القطاع السمكي بمبلغ ١٩٫٨ مليون ريال عُماني.

لقد حتمت التنمية الإقتصادية إنشاء بنية تحتية وخدمات جيّدة مما جعل العُمانيون ينعمون بحياة أفضل.



الاتصـــالات

إن إنشاء شبكات اتصال حديثة متنوعة ومختلفة كان له أهميته الخاصة في تطور عُمان.

الطـرق والمواصـلات

في عام ١٩٧٠م كان الطريق الوحيد المعبد في الدولة هو

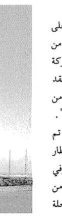
ذلك الذي يمتد من مسقط إلى مطرح ثم بيت الفلج على مسافة تبلغ ثمانية أميال. كان هناك طريق ممهد من الساحل إلى فهود في الداخلية كانت قد شيّدته شركة نفط عُمان التي كانت تقوم بصيانته ، فيما عدا ذلك فقد كانت الطرق وعرة خلال تضاريس صعبة لم يكن من الممكن السير فيها إلا بشاحنات "بدفورد واللاندروفر" .

ثم جاء التغيير بصورة سريعة ، ففي عام ١٩٧٣م تم افتتاح طريق معبد رائع يمتد من مطرح إلى المطار الجديد في السيب ومن ثم إلى صحار فيما بعد ، وفي نفس العام اكتمل كورنيش مطرح ، ثم امتد طريق من صحار إلى البريمي عبر وادي الجزي ليختصر زمن الرحلة من العاصمة حتى الجانب الآخر من سلسلة جبال الحجر إلى خمس ساعات بدلاً من ١٢ ساعة.

وفي عام ١٩٨٦ – أي بعد ١٦ عاماً فقط من تولي جلالة السلطان الحكم – كانت هناك شبكة طولها ٢٥ ألف كيلومتر من الطرق السريعة المعبدة تربط كل المدن الرئيسة في الشمال والجنوب كما تم ربط القرى بهذه الشبكة بأكثر من ١٥ ألف كيلومتر من الطرق الممهدة. إن تلك الرحلة الطويلة المرهقة من مسقط إلى صلالة في الماضي يمكن قطعها في التسعينات بحافلات مكيفة تابعة لشركة النقل الوطنية وذلك عبر طريق معبد مزود بمحطات تعبئة الوقود والاستراحات : وتمتد الشبكة أيضاً إلى دولة الإمارات. ومنذ توقيع اتفاقية الحدود مع الجمهورية اليمنية بدأ التفكير في إنشاء طريق لربط الدولتين. وفي الثمانينات شُقّت الطرق عبر جبال مسندم وإلى قمة الجبل الأخضر فربطت حتى الجماعات النائية بالمراكز الرئيسة وسهلت وصول التنمية إليها. ويمكن الوصول من صلالة إلى صرفيت بظفار وهي نقطة حدودية نائية على الحدود اليمنية عبر طريق رائع يخترق مناظر طبيعية خلابة. وتشمل الخطة الخمسية الرابعة مشروعاً لتحسين شبكة المواصلات بشكل عام وخاصة الطريق السريع من الرسيل إلى نزوى.

وتشهد شبكة الطرق حركة مرور مكثفة ، ففي عام ١٩٧٠م كان عدد المركبات المسجلة ٨٤٠ مركبة في كل الدولة ، ثم قفز إلى ما يربو على نصف مليون مركبة في عام ١٩٩٥م. وتلبي حافلات شركة النقل الوطنية حاجة المسافرين حيث يتكون أسطولها من ٢٦٨ مركبة مريحة تغطي أكثر من ٢٢ مليون كيلومتر سنوياً و ٢٣٨خطاً للحافلات ، وتتمتع الشركة بامتياز خدمات الحافلات العامة في المدن وضواحيها فتربط المدن الرئيسة وتنقل الطلاب وتخدم تنظيمات العمال في القطاعين الحكومي والخاص.

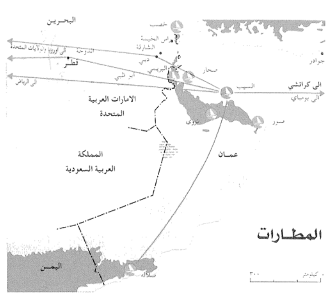




الخطـوط الجـوية

في عام ١٩٧٠م كان في عُمان مطار واحد فقط في بيت الفلج وكان مدنياً وعسكرياً في آن معاً ، وكان الوصول إليه عبر الجبال يتطلب شيئاً من الجراة ، وبعد ثلاثة أعوام عندما تحول ذلك المطار إلى السيب قال كبير الطيارين في طيران الخليج أنه بزوال مطار بيت الفلج فقد زالت آخر مغامرة كانت تواجه الطيارين المدنيين في منطقة الخليج. كانت هناك محطات تتمتع بإمكانيات هبوط جيدة لسلاح الجو الملكي البريطاني في صلالة ومصيرة وكانت الطائرات المدنية تستخدم هذه المحطات







من وقت لآخر.

وتلبية للحاجة الملحة لمطار جديد كان مطار السيب الدولي جاهزاً ليقوم جلالة السلطان بافتتاحه في ديسمبر عام ١٩٧٣م. ومنذ ذلك التاريخ شهد المطار توسعاً ملحوظاً فبحلول عام ١٩٩٥م كان المطار يستوعب أكثر من ٢٢٠ رحلة عالمية أسبوعية مبرمجة قادمة ومغادرة وأكثر من ٣٠ رحلة غير مبرمجة، كما اكتمل مطار صلالة دولياً وداخلياً بإمكانات حديثة ممتازة، وهناك مطارات مدنية في كل من صور ودبا للطائرات الخفيفة كما أن هناك مهابط داخلية في كل من خصب والبيعة ومصيرة والبريمي وصحار ونزوى.

ومنذ إنشاء شركة طيران الخليج بصورتها الحالية وبخدماتها العالمية كانت لعُمان نسبة ٢٥ في المائة من أسهم الشركة مع دولة الإمارات وقطر والبحرين. وفي عام ١٩٨١م تم إنشاء شركة الطيران العُماني بمرسوم سلطاني لتقديم خدمات داخلية بواسطة طائرات صغير. وبحلول عام ١٩٩٤م كان للطيران العُماني طائرة بوينج ٧٣٧ وكان هناك العديد من العُمانيين بين صفوف الطيارين وقد امتدت الخدمات لتصل إلى دبي والكويت وكراتشي وتريفاندرم في الهند.

الموانئ البحرية

تقوم الموانئ البحرية الحديثة بدور مهم في تنمية إقتصاد عُمان، ففي عام ١٩٧٠م كانت الشحنات التي تصل البلاد في المراحل الأولى من عملية التنمية يتم تفريغها من السفن بواسطة الصندل في الميناء الصغير بخليج مسقط في منطقة الجمارك بين قصر السلطان السابق والقنصلية البريطانية آنذاك.

ونسبة لبطء عملية التفريغ آنذاك كانت كمية البضائع التي يتم تفريغها قليلة جداً وكانت شركات الخطوط البحرية تتقاضى ١٠ في المائة لتغطية التلف. لقد كانت هناك خطة لإنشاء ميناء في مطرح وعندما تولى جلالة السلطان مقاليد الحكم كانت هناك خطط بمستوى ذلك الطموح الكبير، وبحلول عام ١٩٧٤م اكتمل ميناء قابوس بسعة مليوني طن من البضائع تفرغ فيه سنوياً قبل أن تتم توسعته وتحويله إلى ميناء يضم عشرة مراس للسفن الضخمة في عام ١٩٩٥م، ثم ازدادت رقعة الميناء من خلال استصلاح الأراضي في خليج الشطيفي لتصبح المساحة ٢٧ ألف متر مربع مجهزة بإمكانات حديثة ومخازن وورش هندسية ورصيف في المياه العميقة ليصبح ميناءً يعمل على مدار الساعة.

ثم أنشيء ميناء جديد في ريسوت في الجنوب في عام ١٩٧٣م على بعد ٢٠كلم غربي صلالة ليستقبل السفن الصغيرة، وحينما تمت عملية ربط الميناء بمدينة صلالة بطريق مسفلت فقد تمت توسعة الميناء ليستقبل ٣٠٠ سفينة بحمولة ٤٣٠ ألف طن من البضائع في العام.

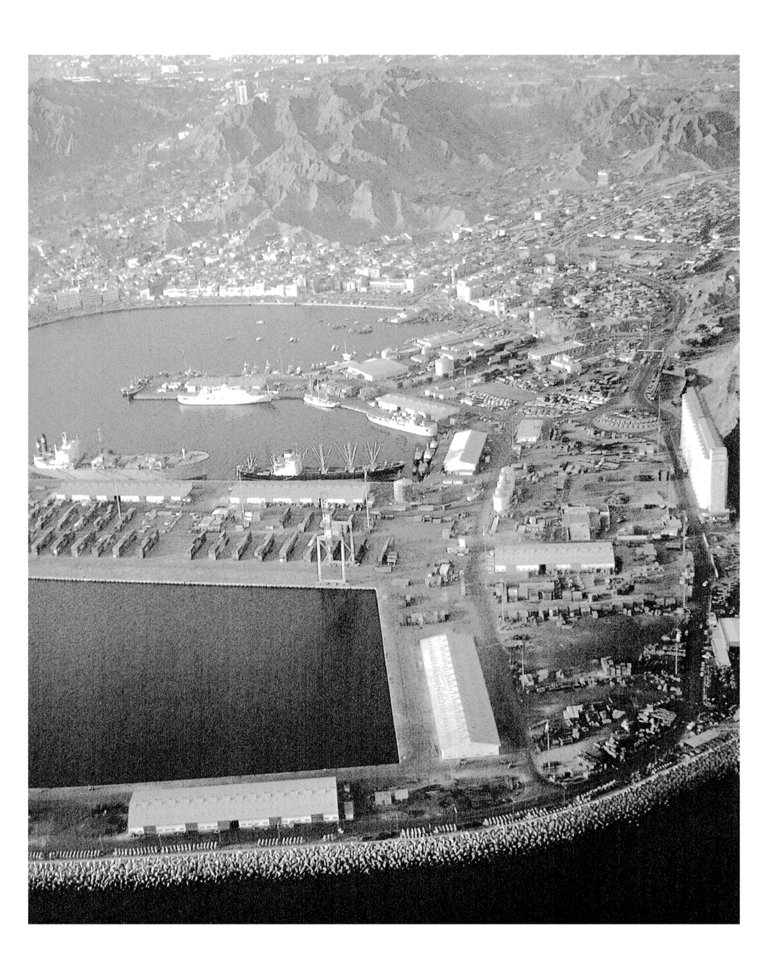
كما أُنشئت الموانيء أيضاً في كل من خصب وبخا ومسندم كما تم إنشاء مرافيء صغيرة في صحار وصور والخابورة، وهناك خطة لإنشاء ميناء بحري جديد في

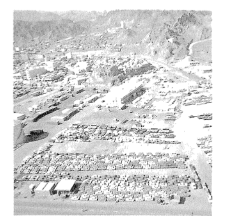
مطار صلالة (في أعلى الصفحة) وبرج المراقبة يذكر بتراث عمان الملاحي. إنه اليوم يقدم رحلات جوية دولية وداخلية كتلك التي يقدمها مطار السيب.

خليج عُمان في الخطة الخمسية الرابعة (١٩٩٦م – ٢٠٠٠م).

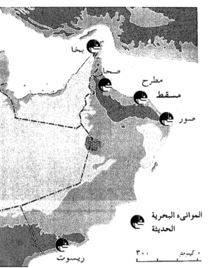
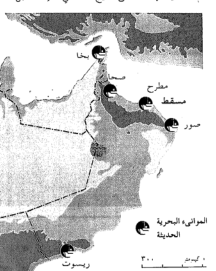
البريد والاتصالات السلكية واللاسلكية

تم افتتاح أول مكتب بريد في مسقط في عام ١٨٥٦م وبعد ذلك لم تحدث أية تطورات بريدية جديدة لمدة قرن من الزمان. وحتى عام ١٩٤٧م كانت الطوابع البريدية المستخدمة هي الهندية ولكن بعد إستقلال الهند في ذلك العام صارت الوكالات البريدية تقع ضمن مسؤولية مكتب البريد البريطاني العام. وحتى عام ١٩٦٦م كانت الطوابع البريدية بريطانية ولكن منذ ذلك العام تولت السلطنة أمر الخدمات البريدية وبدأت تصدر الطوابع الخاصة بها، وقد بدأ العمل بنظام صناديق البريد المرقمة في عام ١٩٧٠ وفي سنة ١٩٧١م بلغ مجموع الخطابات والطرود المرسلة إلى سبعة ملايين ونصف ثم وصل إلى ٥٠ مليون في عام ١٩٩٣م، وهناك أسطول من المركبات لجعل الخدمات البريدية أكثر سرعة في منطقة العاصمة وغيرها، كما أُدخلت خدمات البريد السريع في عام ١٩٨٥م، وهناك علاقات بريدية مباشرة مع ٣٧ دولة بالإضافة إلى اتصالات مع كل الدول من خلال مكاتب التبادل.





في حين يعتبر ميناء قابوس بمطرح المركز التجاري الأكبر لتوزيع السلع في البلاد (أعلى الصفحة المقابلة) يقوم ميناء ريسوت (يسار) بتقديم الخدمات لمنطقة صلالة ومحافظة ظفار بأكملها. وهناك نية لإنشاء ميناء بحري آخر تم التخطيط لإنشائه على خليج عمان في القرن المقبل.

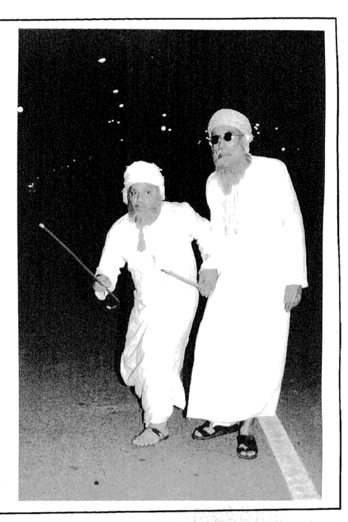
وقد سارت الاتصالات السلكية واللاسلكية على نفس الخُطى فتطورت من نظام هاتفي محلي محدود في عام ١٩٧٠م حيث كان هناك ٥٠٠ خط فقط. أما الاتصالات الخارجية فكان لابد لإجرائها من الذهاب شخصياً إلى مكتب الخطوط اللاسلكية في مبنى السفارة البريطانية في مسقط.

لقد تم توسيع شبكة الاتصالات في الخطة الخمسية الثانية لتغطية الحاجة الملحة لخدمات الهاتف والتلكس وبحلول عام ١٩٩٥م كان هناك حوالي ٢٠٠ ألف خط في الدولة.

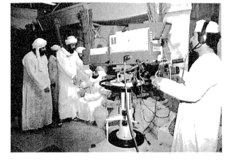
إن الاتصالات الداخلية والخارجية بالإضافة إلى خدمات التلكس والبرق تابعة للمؤسسة العامة للاتصالات التي انشئت في عام ١٩٨٠م كمؤسسة ذاتية التمويل تابعة للحكومة. وقد أدخلت خدمات الهاتف النقال والهاتف العمومي في عام ١٩٨٠م، وبنهاية عام ١٩٩٣م كان هناك ٢٣٧٧ هاتفاً عمومياً يعمل معظمها بالبطاقة. كما أدخل نظام النداء الآلي في عام ١٩٩١م لعشرة آلاف مشترك كما تم في نفس الوقت إدخال خدمة البريد الصوتي.

وفي عام ١٩٩٤م أدخلت السلطنة خدمة الشبكة العالمية وهذا يوضح القفزة النوعية في نظام الاتصالات في عُمان ما بين عام ١٩٧٠م وعام ١٩٩٥م عندما صارت عُمان أول دولة عربية تشترك في شبكة المعلومات العالمية التابعة للاتصالات البريطانية، وقد مكنت هذه الخدمة الموظفين في الحكومة والشركات وكل من يملك جهاز حاسب آلي من الأفراد أن يوصّلوا أجهزتهم بالنظم الأخرى وبمخازن المعلومات في أي مكان في العالم دون حاجة لتوصيلات طويلة ومكلفة، وهكذا صارت عُمان وبشتى الوسائل الأخرى مرتبطة بأحدث التطورات التقنية.

ومن جانب آخر فقد تم تركيب محطات أرضية عديدة للاتصالات عبر الأقمار الصناعية بما في ذلك المحطة الأرضية على المستوى "أ" في مجمع العامرات



منذ قيامه بأول عملية بث تلفازي في عام ١٩٧٤م تطور التلفزيون في عمان بشكل سريع . وتغطي خدمات البث التلفزيون اليوم كل أنحاء البلاد يقدم من خلالها نشرات الأخبار المحلية ، البرامج الوثائقية ، المواد الدرامية ، ومن بعض تلك المواد التلفزيونية أخذت هذه الصورة الفوتوغرافية لأحد المشاهد التمثيلية . وبصورة مماثلة تطورت الإذاعة أيضاً ، حيث ركز الإرسال الإذاعي على التعريف بالتراث التقليدي للبلاد لاسيما الموسيقى التقليدية.





للأقمار الصناعية وهذه المحطة تعمل مع شبكة "انتلسات" فوق المحيط الهندي. وتقوم هذه المحطة بربط عُمان مباشرة بالدول الأخرى خارج العالم العربي كما تقوم ببث الإرسال التلفزيوني العُماني المحلي. لقد كانت عُمان من أوائل الدول العربية التي أكملت محطتها الأرضية للقمر الصناعي العربي وذلك في عام ١٩٨٥م. ويستخدم القمر الصناعي العربي أيضاً في شبكة الاتصالات المحلية عبر الأقمار الصناعية وهو نظام اتصال يدعم الشبكات الأرضية والدولية ويربط مختلف أقاليم السلطنة بالتلفزيون وبخدمات الاتصالات. لقد برزت عُمان في مجال الاتصالات العالمية من خلال عضويتها في مجلس التعاون الخليجي وفي المجلس الوزاري للاتصالات العربية في جامعة الدول العربية وعضويتها في اتحاد الاتصالات العالمي.

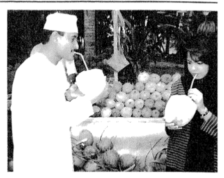
الإعـــلام :

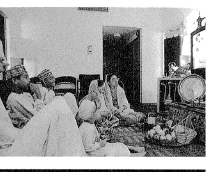
لم تكن هناك أية صحف أو محطة تلفزيون أو إذاعة عندما تولى جلالة السلطان قابوس مقاليد الحكم في عام ١٩٧٠م. لقد كان السلطان السابق يصدر أوامره من صلالة بواسطة الهاتف اللاسلكي إلى قيادة الجيش في بيت الفلج ثم يتم تعليقها على الحائط في مسقط. وخلال الأسبوع الأول من حكم جلالة السلطان قابوس تم تركيب محطة إذاعية صغيرة في مسقط و من خلالها خاطب جلالته الشعب معرباً عن نواياه وآماله، وبعد فترة قصيرة تم افتتاح محطة صغيرة في صلالة تبعها في عام ١٩٧٢م إنشاء محطة اذاعية تبث إرسالها على موجة متوسطة لفترة ١٤ ساعة يومياً.

ثم توالت التوسعات تباعاً : ففي عام ١٩٧٥م بدأت محطة تبث إرسالها على موجة قصيرة من مسقط وصلالة.

أما في عام ١٩٧٩م فقد تم ربط اثنين من "الاستوديوهات" الإذاعية بمحطة أقمار فضائية لتحسين الإرسال وتغطية مناطق الخليج وشرق أفريقيا. وفي احتفال العيد الوطني عام ١٩٨٥م تم تركيب جهاز إرسال لقوة ٢٠٠ كيلواط، وبفضل الأجهزة الحديثة المتطورة يمكن اليوم الاستماع إلى إذاعة عمان في كل مكان.

أما تطور محطة التلفزيون فقد كان سريعاً نسبياً، حيث بدأ الإرسال الملون من مسقط في نوفمبر عام ١٩٧٤م وغطى منطقة واسعة بينما غطى إرسال صلالة كل محافظة ظفار. وبحلول عام ١٩٩٥م تم تركيب ١٢ محطة إرسال تلفزيوني : خمسة منها في مسقط، ثلاثة في صلالة وواحدة في كل من نزوى وصور وصحم والبريمي. وتستخدم السلطنة القمر الصناعي العربي "عربسات"







كونها شريكة فيه لبث إرسال الذبذبات الإذاعية والتلفزيونية إلى محطات الإرسال الرئيسة ، وبحلول عام ١٩٩٥م استقبل ٩٥ في المائة من الناس إرسال تلفزيون عُمان.

إن برامج الإذاعة والتلفزيون ذات مستوى عال ، وتلفزيون عُمان عضو في المنظمات الخليجية والعربية المشتركة التي تنتج البرامج وتتبادلها. كما يقوم التلفزيون ببث البرامج الحكومية والتجارية والإعلانات بالتعاون مع محطة الإذاعة التي تبث باللغة الانجليزية. وتتبين الشعبية العامة للإعلام الجديد الذى احدث تحولاً عظيماً في الاتصالات المرئية والمسموعه منذ عام ١٩٧٠ في عدد الأطباق الفضائية في كل مناطق عُمان في عام ١٩٩٥م.

لقد فازت أفلام عديدة قامت عُمان بإنتاجها بجوائز منها على سبيل المثال "رحلة السندباد". ويتجلى الإنتاج الرائع في الأفلام التلفزيونية الوثائقية المصورة التي تبث في مناسبات خاصة مثل احتفالات العيد الوطني وجولات جلالة السلطان السنوية وتتمتع هذه الأفلام بشعبية كبيرة بين المشاهدين.

ويرجع الفضل في هذا التطور الإعلامي الملحوظ إلى وزارة الإعلام. ويشمل مقر الوزارة استديوهات الإذاعة والتلفزيون والمرافق الثقافية بالإضافة إلى مركز عُمان للموسيقى التقليدية الذي انشيء في عام ١٩٨٣م ويقوم بجمع الموسيقى التقليدية الشعبية في عُمان وتوثيقها كما يقوم بالتسجيلات الميدانية للأغاني والرقصات المتوارثة عبر الأجيال.



تعنى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بتوظيف الشباب العماني وبإيجاد فرص عمل لهم . تشير الإحصائيات إلى أن معدل عدد الأطفال في العائلة يصل إلى سبع .

وهنالك مكتبة شاملة للكتب والموسوعات والمجلات والدوريات تدعم خدمات الإذاعة والتلفزيون. ولما لم تكن هناك أية صحف في عام ١٩٧٠م فإن الرغبة في خلق الإحساس بالوحدة الوطنية وفي إظهار الدولة للعالم الخارجي قد أدت إلى تأسيس ١٣ صحيفة عربية وإنجليزية.

وقد أطلقت وزارة الإعلام الشرارة الأولى في هذا المجال فقامت بإصدار نشرة إخبارية يومية مجانية في عام

تنتشر الأسواق المحلية في كافة أنحاء البلاد – بعضها تعرض فيه البضاعة في الهواء الطلق كما كان في السابق ، كأسواق صحار (يسار)، ومطرح (أعلى)، وفي صلالة (أسفل اليسار) هناك سوق خاص باللبان الظفاري والبخور . كما أن هناك أسواقاً للمعادن الثمينة والمصوغات الفضية والذهبية ذات القيمة العالية.





١٩٧٠م بعد تولي جلالة السلطان مقاليد الحكم مباشرة، وفي عام ١٩٧١م بدأ صدور صحيفة الوطن الأسبوعية المستقلة كما صدرت جريدة عُمان الوطنية اليومية في عام ١٩٧٢م، ومما شملته الصحف العمانية الصادرة باللغة الإنجليزية صحيفة "الاوبزيرفر" اليومية التى تأسست في عام ١٩٨١م وصحيفة "التايمز" الأسبوعية التي تأسست في عام ١٩٧٥م. أما في عام ١٩٨٦ فكانت هناك تسع مجلات ناطقة باللغة العربية منها السياسية والاجتماعية والعسكرية والتجارية. بينما تصدر اليوم ثلاث صحف يومية ناطقة باللغة العربية وصحيفتان باللغة الإنجليزية.

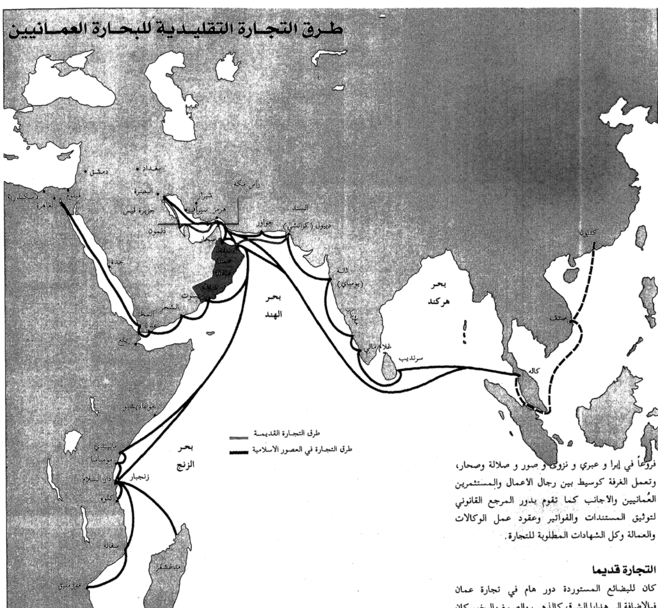
لقد ظلت بعض دول العالم تجهل عُمان وما قام بها من إنجازات ولذا اقامت السلطنة معرضاً لمدة ١٢ يوماً في "بودابست" في عام ١٩٩٢م لتعريف دول شرق أوربا بعُمان، كما اقامت معرضاً ناجحاً قبل ذلك في "ستراسبورج" عام ١٩٩٠م وكانت عُمان اول دولة من خارج المجتمع الاوربي تقوم بذلك.

هذا وتقوم وكالة الانباء العمانية في مسقط والتى تأسست في عام ١٩٨٦م بدور هام في نشر المعلومات عن عُمان على الصعيد الداخلي والخارجي كما عينت لها مراسلين في عدد من الدول العربية والعواصم الاجنبية، كما تتلقى الوكالة أيضاً الاخبار والصور من وكالة "رويتر" ووكالة الأنباء الفرنسية عبر الأقمار الصناعية كما تتلقى الاخبار من ١٢ وكالة خليجية وعربية وعالمية باللغتين العربية والإنجليزية.

التجـــارة

رغم كل هذه التغيرات الهائلة فقد ظل جزء كبير من التجارة في عمان قائماً على الطرق التقليدية ، فعلى سبيل المثال لم يتغير سوق مطرح في عام ١٩٩٥م بصورة جوهرية عما كانت عليه في عام ١٩٧٠م، أما حجم الواردات فقد شهد زيادة مطردة في استيراد البضائع الإستهلاكية والأدوات المنزلية والمعدات الكهربائية ومختلف المنتجات التي يستخدمها المستهلكون في كل أنحاء العالم.

لقد قامت غرفة تجارة عُمان بتنظيم التجارة وتشجيعها. أما مقرها الرئيس فهو في روي غير أن لها



في القرن العاشر الميلادي ، ساهم الموقع الاستراتيجي لصحار بحركة الازدهار الكبيرة التي عاشها البحارة العمانيون المغامرون لكونها قريبة من مضيق هرمز . إذ من خلال صحار ومسقط كانت المنتجات المتنوعة القادمة من الشرق الاقصى وافريقيا تعبر إلى بلاد فارس والجزيرة العربية ، وذلك في سفن متعددة الاستعمالات كهذه السفينة الشراعية المبحرة. الصفحة المقابلة).

فروعاً في إبرا و عبري و نزوى و صور و صلالة وصحار، وتعمل الغرفة كوسيط بين رجال الاعمال والمستثمرين العُمانيين والأجانب كما تقوم بدور المرجع القانوني لتوثيق المستندات والفواتير وعقود عمل الوكالات والعمالة وكل الشهادات المطلوبة للتجارة.

التجارة قديما

كان للبضائع المستوردة دور هام في تجارة عمان فبالإضافة إلى هدايا الشرق كالذهب والصمغ والبخور كان هناك القرود وطائر المينة الآسيوي والعاج والعبيد والبن والقرنفل والتوابل، كما كان لبناء السفن والزراعة وتربية الخيول وتعدين النحاس ومؤخراً النفط دور في اقتصاد عُمان بدرجات متفاوتة.

وفي الألف الرابع والثالث قبل الميلاد كانت عُمان – مجان Magan قد اشتهرت بالتجارة البحرية التي تركزت بقدر كبير على النحاس ، وتوضح الكتابات السومرية أن السلع التي كانت تقايض بالنحاس هي الشعير والملابس



ذات النوعية الجيدة والمتوسطة والجلود والأصداف وزيت السمسم.

إن صادرات " مجان " المدونة بخلاف النحاس كانت تتألف من الخشب والصخور البركانية المتبلرة والعاج وأكسيد الحديد المائي والبصل والخيزران. وكانت الصادرات الأخرى تشمل الخرز بألوانه المختلفة والتحف الخشبية والكراسي والمناضد. فهل كانت المقاعد المطعمة بالعاج والذهب والتي أذهلت الرحالة "فاسكو دي جاما" الذي استضافه عرب جزيرة "مالينديي" في عام ١٤٩٨ أنماطاً حديثة من ذلك الأثاثات؟ ولا يعرف ما إذا كان خشب ذلك الأثاث قد جاء من مجان أو من جزر "الملابار" إلى عمان مقابل خشب الساج الذي تم تصديره على يد أجيال لاحقة إذ أن هذا الأمر قد أحاط به الغموض ، ولكن بعضاً من تجارة مجان مع منطقة ما بين النهرين قد قام على الواردات من ملوحة مثل الذهب والخشب والأبنوس والعاج والقرود ، ومن المحتمل أن مجان قد كانت تصدر الأغنام لأنها كانت معروفة بها وكانت آلهتها تسمى " نينـدولا " أى (ملكة القطيع).

وكان النحاس يستخرج في عُمان في العصور السابقة من مواقع صغيرة في أجزاء كثيرة من البلاد وخاصة في وادي الجزي ، ولا يصعب علينا أن نتخيل ميناءً بحرياً في صحار في ذلك العصر تربطه طريق إلى وادي الجزي ثم إلى البريمي وبعدها إلى أم النار على الساحل الشمالي قرب أبوظبي حالياً. وتلاشت التجارة البحرية بعد عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد بفترة وجيزة ولم تعاود نشاطها حتى أواسط الألف الأول قبل الميلاد. وقد عادت عُمان إلى تصدير النحاس ولكن لم يتم تعدينة بصورة تجارية إلا في العصر الساساني وأوائل العصر الإسلامي وكان الإنتاج في ذلك الوقت ٢٠٠ ألف طن في الأسيل بوادي الجزي. لقد استغلت المناجم العديدة المنتشرة لعدة قرون فيما بعد ،

ومن المؤكد أن النحاس كان له دور هام في أيام أمجاد صحار في القرن العاشر ، فقد كانت كمياته وفيرة بحيث كان يستخدم في إصلاح الأواني المكسورة بدلاً من الرزات الحديدية.

صحـــــار

كانت صحار تزخر بالمباني الجميلة والسلع المستوردة أكثر من أي ميناء آخر في العالم الإسلامي خلال القرن العاشر الميلادي وقد قال الجغرافي إبن حوقل إنه لا يمكن حصر عدد التجار فيها ، كما سماها المقدسي مدخل الصين ومخزن الشرق والعراق ودعامة اليمن. لقد كانت صحار أكبر ميناء بحري إسلامي وعلى الرغم من ذلك فلم تكن ذائعة الصيت نسبياً.

لقد ذكر ابن حوقل نفسه أن العصور الإسلامية اللاحقة لم تكن تعلم حتى بوجودها.

وترجع أهمية صحار لعوامل عدة، أولاً موقعها في الساحل الشرقي لعُمان حيث أنها تطل على ساحل أفريقيا والهند والشرق الأقصى. ثانياً خصوبة أراضيها الداخلية خلف الساحل. ثالثاً وقوعها في نهاية وادى الجزي يسهل الوصول إلى البريمي من خلال الجبال ومن ثم إلى السواحل الشمالية لدولة الإمارات.

وفي القرن العاشر وربما بعد ذلك أيضاً حينما كان الساحل العُماني تحت سيادة هرمز ، كانت البضائع التى تمر عبر صحار ومسقط متنوعة حيث كان البحارة العُمانيون يجلبون نبات الصّبر المستخدم لأغراض طبية والخشب والخيزران والكافور والصندل والعاج وكل أنواع التوابل من "كاله" وهي مدينة تجارية هامة على ساحل الملايو وأصبحت منطقة محايده يلتقي فيها تجار العرب والصينيون بعد مجزرة الأجانب في "كانتون" في عام ٨٦٨م (٢٦٥ هـ).

كان التجار العُمانيون والخليجيون القدامى يبحرون إلى الصين كما كانت السفن الصينية تأتي إلى عُمان والخليج. وكانت تجارة الأواني الخزفية الصينية منتشرة بصورة واسعة كما كانت الواردات الصينية الأخرى تشمل المسك والحرير والمجوهرات. وكانت الصادرات إلى الشرق الأقصى تشمل المنسوجات الثمينة والقطن والصوف والسجاد والحديد وربما التمر. ومن أفريقيا كان البحارة العمانيون يجلبون العاج وجلد النمر والعنبر والعبيد وأصداف السلاحف وكانت بعض هذه الأصداف تأتي من مصيرة التي تكثر فيها أنواع عديدة من السلاحف.

كان العمانيون في صحار أيام مجدها يتاجرون ويساهمون في ازدهار المدينة معتمدين على قاعدة صلبة. إن انتشار الإسلام في القرن السابع قد أدى إلى أن يحتل العرب كل سواحل الخليج ويعيدوا توحيد المنطقة الاقتصادية في غرب آسيا والتي تم توحيدها سياسياً في المرة الأولى تحت حكم الفرس ثم تقسمت بعد الاسكندر الأكبر وتوحدت مرة أخرى في عهد الساسانيين.

ولم يعد هناك تنافس بين الخليج والبحر الأحمر كطريقين تجاريين لأسواق روما وبيزنطة وإنما طريقان موازيان. إن الدول الإسلامية في الشرق الأوسط قد هيمنت في الواقع على التجارة المربحة بين الشرق الاقصى والغرب حتى وصول البرتغاليين للمحيط الهندي في القرن السادس عشر.

كان بحارة عُمان في القرن العاشر معروفين بمهارتهم وشجاعتهم ومقدرتهم على التحمل وليس أدل على ذلك من الواح سفنهم التي كانت تربط مع بعضها بحبال من الياف جوز الهند. وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا يبحرون إلى الصين شرقاً ومدغشقر جنوباً.

إن بداية ازدهار الملاحة البحرية في عُمان تعود إلى عهد الساسانيين الفرس. لقد كانت صحار تسمى مزون في العصر الساساني وكان بها بحارة معروفون في القرن الثالث الميلادي حين قام "أردشير" مؤسس الدولة الساسانية بأخذ بعض البحارة من قبيلة الأزد إلى الشحر مدخلا بذلك نشاط الملاحة البحرية إلى منطقة حضرموت. وليست هناك شواهد كافية تساعد على التعرف على حجم السفن التي كانت تستخدم في تلك الفترة ولكن الجغرافيين العرب اشاروا إلى فروق واضحة بين التي كانت تستخدم في الحركة الساحلية داخل مياه الخليج. وقبل الإسلام كان المسيحيون النساطرة وهم من سكان صحار نشطين في التجارة مع الهند وما وراءها وامتدت نشاطاتهم التبشيرية إلى الملايو في سنة ٤٢٤ ميلادية.

وقد ساعد على قيام تجارة بحرية مربحة بين الخليج والصين وجود امبراطورية عظيمة في كل من المنطقتين في الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي بأسره من اسبانيا إلى السند موحداً تحت راية الخلافة الأموية من سنة ٦٦٠ إلى سنة ٧٤٩ ميلاديه (٤٠-١٣٢ هـ)، كما كان الأمر كذلك أيضاً في ظل الخلافه العباسية في بغداد من سنة ٧٥٠ إلى سنة ٨٧٠ ميلادية (١٣٣ - ٢٥٧ هـ) باستثناء اسبانيا وشمال افريقيا. كما حكمت سلالة "الثانج" امبراطورية موحدة في الصين من سنة ٦١٨ إلى سنة ٩٠٧ ميلادية. وهكذا كانت الأمور مستقرة نسبياً في المنطقتين مما أدى إلى أن يجني العمانيون أرباح تجارتهم. وفي أواسط القرن الثامن الميلادي قام عماني يدعى أبوعبيدة عبدالله بن القاسم بأول رحلة بحرية للصين استغرقت عامين قطع خلالها حوالي ٤٣٥٠ ميلاً ، ولم يكن من باب المصادفة أن ألف " كتاب العجائب في الهند " في أيام أمجاد صحار.

وإحياء لذكرى تلك الرحلة فقد أطلق اسم صحار على تلك السفينة التي أبحر بها "تيم سفرين" وفريقة من مسقط إلى "كانتون" في عام ١٩٨–م .

ويصف المقدسي ميناء صحار بالتفصيل قائلا إن طول المرسى وعرضه حوالي أربعة أميال وكان دائما يزدحم بالسفن كما كان هناك مسجد ضخم قرب الشاطيء له مئذنة عالية ومحراب ملون جميل في بقعة يعتقد أن ناقة الرسول عليه الصلاة والسلام قد أناخت فيها. ويصعب الآن رسم صورة ذهنية لصحار كما كانت في ذلك الحين ولكن من المحتمل أن الممرين الضيقين كانا متصلين بالبحر وأن حاجزاً للأمواج كان يمتد إلى داخل البحر. كما كانت المنازل مشيدة بالآجر الأحمر وكان عددها ١٢ الف منزل وكان كل قبطان بحري يسكن في منزل مستقل.

لقد كانت مساحة الأرض الزراعية كذلك اربعة أضعاف ما كانت عليه في بداية حكم جلالة السلطان قابوس وتغطي رقعة مساحتها ٣٨ ميلاً مربعاً مخصصة لإنتاج التمور والموز والتبن والعنب وفواكه شبه استوائية ومختلف أنواع الحمضيات من الهند. وما زالت الأفران الكبيرة في شمالي المدينة موجودة ويقال إن صناعة الآجر تعود إلى الجالية اليهودية والتي يشير العدد الكبير من مقابر موتاها إلى قوة وجودها في تلك الفترة. كما كانت الصناعات الهامة تشمل تعدين النحاس وصناعة الزجاج وبناء السفن. وعلى أية حال فإن ازدهـار صحـار كان قائماً على التجارة إلى حـد كبير حيث كتب الأصطخري قائلاً: " ليس من الممكن أن نجد على ساحل البحر الفارسي وفي كل المنطقة الإسلامية مدينة تفوق صحار من حيث المباني الجميلة ووفرة البضائع والسلع الأجنبية.

التجـارة في عصـور لاحقـة

بعد أن قامت قوة فارسية بالاستيلاء على صحار ونهبها وتخريبها في عام ٩٧١ ميلادية (٣٦٠ هـ) لم يكن لعُمان ميناء تجاري بتلك الروعة والفخامة، وعلى أية حال فإن صحار التي استعادت عافيتها وقلهات وقريات ومسقط وخور فكان كانت كلها مزدهره خلال فترة سيطرة

الهرمزيين على الساحل من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر كما أشار كل من "ماركوبولو" وابن بطوطة. وقد علق "البوكيرك" نفسه على ازدهار تلك المدن عندما أخضعها للسيطرة البرتغالية وصارت عُمان جزءاً من الشبكة التجارية البرتغالية، وفي نفس الفترة كانت منطقة البليد في ظفار مزدهرة تحت حكم سلطانها.

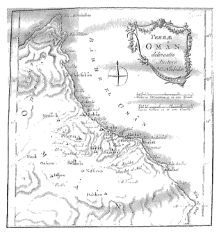
لقد كان للبحارة العمانيين الذين انتشروا في كل أرجاء المحيط الهندي نظام متطور في الملاحة البحرية قبل قدوم البرتغاليين. إن نظرية الملاحة البحرية وكل ما يتعلق بفن الملاحة هي من الموضوعات التي تناولها أشهر بحار في تلك الفترة وهو أحمد بن ماجد في كتابه البحري "كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد".

وُلد أحمد الذى ربما يكون قد ساعد "فاسكودي جاما" في الوصول من "ماليندي" إلى "كلكتا" في جلفار في عام ١٤٩٨م (٩٠٤ هـ) لكنه أقام في واقع الأمر في مدينة مسقط التي وصفها قائلاً بأنها "أكثر موانيء العالم شهرة" وأن ميناءها "لا مثيل له في العالم حيث توجد بها الأعمال والأشياء التي لا توجد في أي مكان آخر. وهناك صخرة في مقدمة الميناء يراها كل قادم أو مغادر سواء أكان ذاهباً للهند والسند أم إلى هرمز أو مكران أم إلى الغرب. وإلى شمالها الغربي هناك جزيرة حمراء تسمى الفحل وهذه المعالم تكفي لتهدي كل من يمر بهما ليلاً أو نهاراً. أما مدينة مسقط فهي ميناء عُمان الرئيس حيث يتم تزويد السفن عاماً بعد عام بالرجال والفواكه والخيول كما يباع فيها الملابس والزيوت النباتية والعبيد الجدد والحبوب. إنها رأس بين طريقين مختلفين وهى آمنة من العواصف ومياهها متجددة كما أن أهلها كرماء واجتماعيون يحبون الغرباء".

وقد كان والد أحمد بن ماجد وجده أيضاً ملاحين معروفين وقد بنى عمله معتمداً على كتاباتهما وخبراتهما بالإضافة إلى كتابات وخبرات " أسود البحر الثلاثة " ليث بن كهلان ومحمد بن شاذان وسهل بن أبان وكلهم معروفون برحلاتهم الاستكشافية. لقد أسهم خليفة أحمد في الملاحه بالمزيد في فن الملاحة في المحيط الهندي وهو الملاح العثماني الذى تولى قيادة اسطول السلطان سليمان بعد أن تركها في البصرة.

وقد اعتمد ربابنة المحيط الهندي في رحلاتهم على البوصلة والنجوم بينما اعتمدت الملاحة القديمة في البحر الأبيض المتوسط على البوصلة وقياس المسافة التي تقطع في البحر. لقد كان ابن ماجد والربابنة الآخرون يحسبون المسافات بالاعتماد على النجوم وهذا يحتم أن قياساتهم كانت تتم دائما بالليل. وعلى أي حال فقد كانوا يعتمدون على المعالم الطبيعية مثل المد والجزر وتغير لون الماء لتساعدهم في الملاحه والتزام خط السير.

وبعد تأسيس الإمبراطورية البحرية البرتغالية في القرن السادس عشر استولى البرتغاليون على سلسلة من القلاع تشمل قلاع الساحل العماني الممتد من هرمز إلى

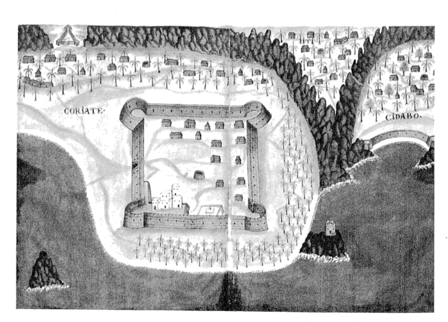


رسم "كارستن نيبور" هذه الخريطة لعمان في القرن الثامن عشر.

"سفالة" (في موزمبيق حالياً) غرباً وإلى "مولوكاس" وجزر "مكاو" على أطراف المحيط الهادي. وكان الفلفل يأتي من جزر "المالابار وأندونيسيا" أما الذهب والحرير والخزف فمن الصين، وكان الذهب يأتي من جزيرة سومطرة وجنوب شرق أفريقيا، بينما يؤتى بالخيول من بلاد فارس والجزيرة العربية في حين أن المنسوجات القطنية كان يتم إحضارها من "غوجيرات" (كامبي) و"كورمانديل".

كانت السلع المختلفة الآتية من آسيا تمر عبر المراكز التجارية المحلية أو ترسل عبر طريق رأس الرجاء الصالح إلى لشبونه، وكانت هذه التجارة ترتكز على تصدير الفلفل من الشرق إلى البرتغال وسبائك الفضة إلى "جوا".

لقد كان نمط التجارة في أواخر حكم الامام أحمد بن سعيد يمثل النوع الذي ساد في المنطقة لفترة طويلة وكان المعلم البارز فيها هو إرسال البن من مخا في اليمن إلى البصرة وقام الملاحون من صور بدور هام في هذه التجارة في عام ١٧٦٥ حين شكلت حوالي ٥٠ سفينة أسطولاً لتجارة البن فكانت تبحر سنوياً من مسقط إلى البصرة حيث كانت عُمان تتاجر مع العراق الخاضعة للسلطنة العثمانية في تلك المنطقة. في عام ١٧٧٥ صارت مسقط المركز التجاري الرئيس بين الخليج والهند والبحر الأحمر في السنوات العشر الأخيرة من القرن الثامن عشر فقد كان حوالي خمسة أثمان تجارة الخليج ونصف منتجات اليمن تمر من مسقط. وقد طالب السيد سلطان بن أحمد بالحق الكامل لحماية الملاحة وحاول أن يجبر كل السفن المبحرة إلى الخليج على زيارة مسقط ولكنه



القلاع المماثلة لتلك الموجودة بقريات ساعدت على حماية الموانيء التجارية.

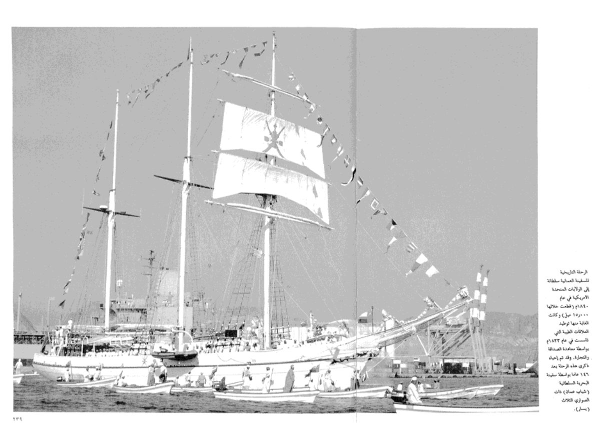
لم ينجح نجاحاً كاملاً في ذلك. وقد أدت هذه الاستراتيجية إلى ازدهار المراكز التجارية الكبرى في المنطقة مثل هرمز وقيس.

كانت الصادرات العمانية في النصف الأخير من القرن الثامن عشر تشمل الصمغ وربما اللبان من ظفار ، ريش النعام، الجلود، العسل، شمع النحل والماشية والضأن. أما السلع المعاد تصديرها من بلاد فارس فشملت النحاس، الأدوية، ماء الورد ، الفواكه المجففة، الحرير، القطن، الكبريت والملح الصخري. أما من العراق فكان يأتي التمر ، النحاس ، العفصة الجوزية ، التبغ ، الصمغ، الآلات الوترية ، قصب الكتابة والخيول. كما شملت الواردات اللازمة للاستهلاك المحلي المنسوجات الهندية، الزنجبيل ، الخل ، الأرز، التبغ، البن، السكر ، الأقمشة الإنجليزية وأدوات المائدة والألعاب.

وفي عهد السلطان في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر كانت مسقط وحدها تملك ١٥ سفينة حمولة كل منها ٤٠٠ – ٧٠٠ طن بالإضافة إلى ثلاث سفن شراعية بينما كانت مدينة صور مقراً لأسطول يتكون من مائة سفينة تمارس التجارة مباشرة مع "البنغال وبتافيا وجزر المالابار" بينما كانت السفن الصغيرة تقوم بالمتاجرة مع الخليج وشرق افريقيا وبلاد الحبشة. وفي الحقيقة فإن أهالي صور خاصة والعمانيين في المنطقة الشرقية عامة قد قاموا بدور هام في فتح شرق أفريقيا. أما أوروبا فقد بدأت منذ الثلاثينات بإدخال السفن البخارية والسكك الحديدية ونظام التلغراف والمهارات الهندسية الأخرى. وعلى الرغم من ذلك فقد كان حوالي خمسة أثمان من مجموع تجارة الخليج تمر بمسقط في عام ١٨٤٠ وحتى عام ١٨٥٤ كانت السفن التابعة لمسقط تقوم بحمل نصف المواد التجارية. وهكذا ظلت مسقط مركزاً تجارياً هاماً حتى في القرن التاسع عشر وبلغت تجارتها ماقيمته ١٫٨ مليون جنيها استرلينياً في ثلاثينات القرن التاسع عشر (١٨٣٠). وبحلول عام ١٨٧٠ تغير الوضع حيث واجهت مسقط منافسة شديدة من السفن البخارية فتضاءلت تجارتها إلى ٤٢٥ ألف جنيه استرليني في ١٨٧٤–١٨٧٥م.

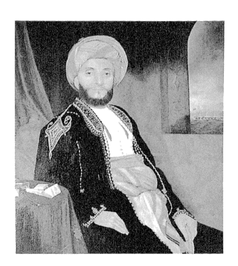
وقد بدأت التجارة في غرب المحيط الهندي تستهوي الامريكيين في عشرينات ذلك القرن (١٨٢٠م) فجاءت أول سفينة أمريكية (لوريل) من مدينة "سالم" إلى زنجبار في يوليو ١٨٢٥ في الوقت الذي انشغل فيه السيد سعيد بن سلطان بأملاكه في شرق افريقيا. وقد ازداد الانشغال نتيجة لما فعله القبطان "وليام أوين" حين أعلن بصفة مؤقته الحماية البريطانية على "ممباسة" بطلب من

الرحلة التاريخية للسفينة العمانية سلطانة إلى الولايات المتحدة الامريكية في عام ١٨٤٠م (قطعت خلالها ١٥٫٠٠٠ ميل) وكانت الغاية منها توطيد العلاقات الطيبة التي تأسست في عام ١٨٣٣م بواسطة معاهدة الصداقة والتجارة. وقد تم إحياء ذكرى هذه الرحلة بعد ١٤٦ عاما بواسطة سفينة البحرية السلطانية (شباب عمان) ذات الصواري الثلاث (يسار).





السيد سعيد بن سلطان (أعلى) قام بإيفاد أحمد بن نعمان إلى أمريكا. (أسفل اليسار) زنجبار في منتصف القرن التاسع عشر توضحها صورة رسمت في ذلك الوقت حين كانت تحت سيطرة الحكم العماني.

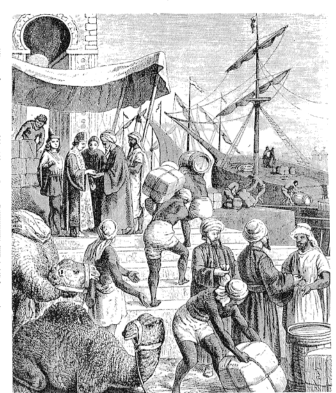


أحمد بن نعمان ، أول مبعوث تجاري عماني لأمريكا في عام ١٨٤٠م.

شيوخ المزروعيين الذين شكلوا الجماعة العمانية البارزه التي كانت قد استنكرت السيادة العمانية عند تولي السلطان سعيد.

لقد أقام "ادموند روبرتس" وهو من مدينة "سالم" في "نيو هامشاير" النشاط التجاري الأمريكي مع السلطان سعيد على قواعد رسمية ثابتة بعد أن حصل على خطابات التصديق من السناتور "ليفي وودبري" أمين عام البحرية معنونة للسلطان سعيد. وقد قاد "روبرتس" أسطولا صغيراً ليكمل تحالفاته مع سيام والصين واليابان والقوى العربية الموجودة على شواطىء البحر الأحمر بالإضافة إلى السلطان سعيد.

وقد وصل "روبرتس" إلى مسقط في سبتمبر عام ١٨٣٣ وتم توقيع اتفاقية صداقة وتجارة في الحادي والعشرين من ذلك الشهر نصت على أن يدفع التجار الأمريكان خمسة في المائة فقط كرسوم استيراد. ولسوء الحظ كانت هناك اختلافات بين النص العربي والإنجليزى أدت فيما بعد لسوء التفاهم ولكن "روبرتس" كان قد حمل الاتفاقية الموقعة وخطاب صداقة من السلطان سعيد إلى الرئيس "جاكسون" يعبر فيه عن إصراره على الإخلاص في العمل بالاتفاقية "ما دامت الدنيا قائمة" ويتردد صدى ذلك في اتفاقية عام ١٨٠٠ الموقعة مع بريطانيا والتي من نصوصها أن صداقة الدولتين يجب "أن تبقى قوية حتى نهاية العالم وحتى يكمل الشمس والقمر دورتهما". لقد





أقرت الاتفاقية في عام ١٨٣٤ ومن ثم قامت العلاقات التجارية الأمريكية مع السلطنة على أفضل ما تكون العلاقات بين الأمم.

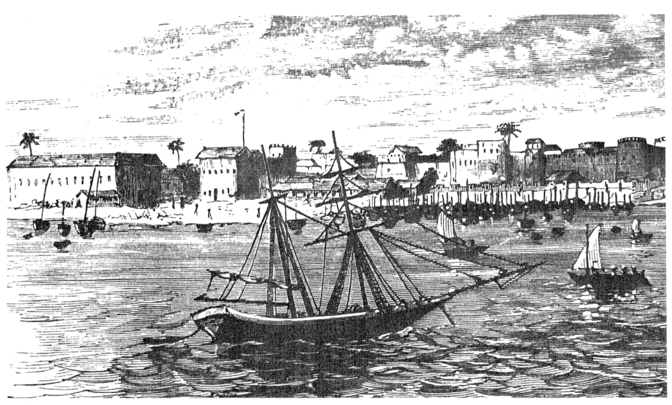
لقد تطورت التجارة بين الأمريكيين وعُمان وخاصة بعد تعيين "ريتشارد واترز" قنصلا في زنجبار في عام ١٨٣٧ وتعيين هنري مارشال في مسقط في عام ١٨٣٨على الرغم من أن عمل الأخير لم يدم طويلاً. لقد كانت واردات عُمان من أمريكا تشمل المنسوجات القطنية و التوابل ، وكانت أمريكا تستورد من عمان الصمغ ، لب جوز الهند المجفف ، القرنفل والعاج.

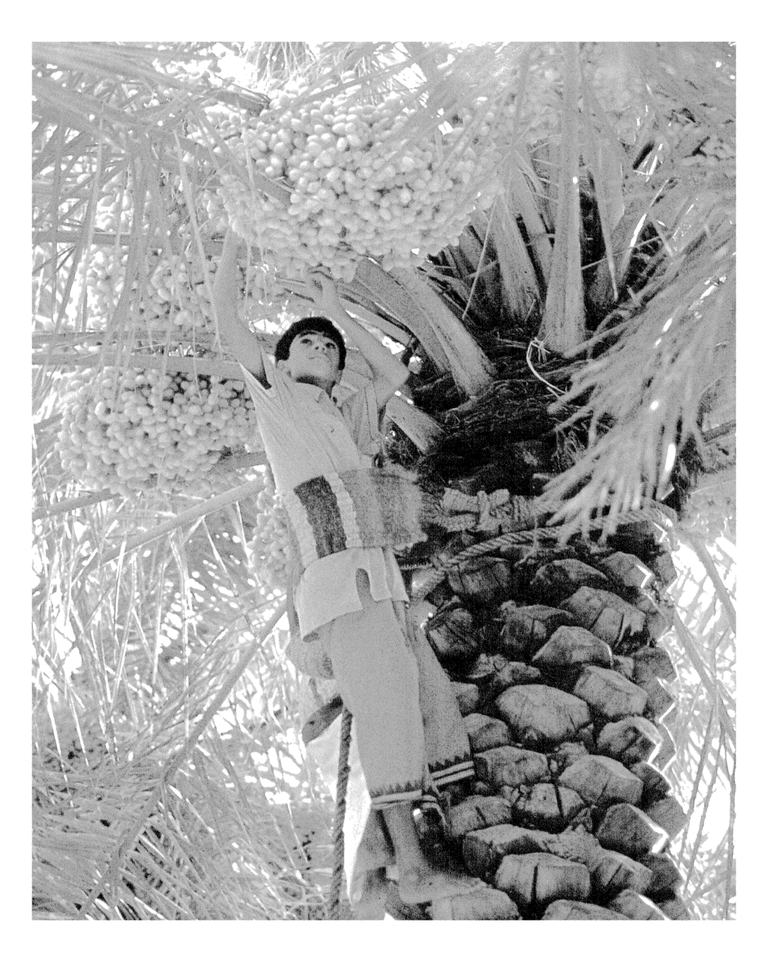
ثم قرر السلطان سعيد الذي كان من أكبر المستوردين أن يضيف ابعاداً جديده لعلاقاته مع امريكا عملاً بنصيحة "أدجار بوتسفورد" من نيويورك وذلك بإرسال واحدة من سفنه الخاصة إلى الولايات المتحدة لشراء الذخيرة لأنه كان ينوى طرد البرتغاليين من موزامبيق. وقد تقرر ان تقوم السفينة " سلطانة " التي تحمل اسم زوجته الأولى السلطانة "عزة بنت سيف" التي كانت تنحدر من نفس السلالة ، برحلة بحرية إلى نيويورك. وقد حاول السلطان سعيد أن يقنع "ريتشارد ووترز" بالالتحاق بها أيضاً حيث لم يتوفر لديه ملاح



أهدت عمان هذه السفينة (الثالثة من اليسار) لملك انجلترا "وليم الرابع".

عماني لقيادة السفينة في المحيط الأطلسي ، فقد كان جميع ملاحيه من ذوي الخبرة والدراية بالمحيط الهندي فقط. ولم يستجب "ووترز" لدعوة السلطان سعيد فقام مكانه "وليام سلي مان" وهو ملاح بريطاني ماهر كان قد عين في السابق رباناً للفرقاطة العمانية "الامير ولي العهد" Prince Regent. وقد صدرت التعليمات بتعيينه قبطاناً للسفينة للإبحار بها في بدايات شهر فبراير من عام ١٨٤٠م. ولكن لسوء الحظ كان "وليام" مدمناً على الكحول ولذلك تم اختيار "أحمد بن نعمان" المستشار الخاص للسلطان لتمثيل سيده في الولايات المتحدة وهكذا أبحر هو أيضاً بالسفينة "سلطانة". وقد لفت





احمد بن نعمان الأنظار إليه وسلطت عليه الأضواء في نيويورك ربما لسوء سلوك "سلي مان" وأعلن أنه كان قائد الرحلة وأن اسمه يجب أن يظهر في مستندات الميناء الرسمية وليس اسم "سلي مان". وقد كان أحمد صغير الحجم بديناً بعض الشيء ، أسمر اللون ذا عينين سوداوين ونظرة ثاقبة كما كان يعتم بعمامة زاهية الألوان ويتمنطق بشال كشميري حول خصره ويرتدي قفطاناً مطرزاً فوق ثوبه الأبيض الطويل.

وكان أحمد أول مبعوث عماني للولايات المتحدة وقد ترك لدى الأمريكيين انطباعاً جيداً ، وكان مثل الكثيرين من العمانيين متحرراً من قيود التعصب. وقد ولد أحمد في البصرة من أب ينتمي إلى قبيلة بني كعب وأم فارسية ، وبعد أن التحق بخدمة السلطان سعيد في عام ١٨٢٠م سافر إلى الصين والقاهرة وأوروبا ممثلاً للسلطان كما أنه سافر إلى مكة لأداء فريضة الحج.

وكان من ضمن الذين سافروا على ظهر السفينة "سلطانة" فتاتان إنجليزيتان هما مدام "روبرت نورسوارثي" وهي زوجة تاجر إنجليزي في مسقط وزنجبار وخادمتها "تشارلوت تومسون" ، وكانتا تحت حراسة مشددة في حجرتهما لضمان عزلتهما . لقد كان ذلك إجراءً أمنياً أدى إلى بث الشائعات في نيويورك تفيد أن السلطان سعيد قد أرسل جاريتين شركسيتين أو ثلاثاً في غاية الجمال كهدية للرئيس.

لقد استضاف كل من عمدة "بروكلين" في نيويورك والعميد البحري "رينشو" قائد الأسطول البحري المبعوث أحمد وملاحيه وقاما بالاحتفاء بهم. لم يحمل أحمد خطابات للرئيس ولذا لم تكن هناك أية اجراءات ليقابل الرئيس "فان بورين". وعلى الرغم من ذلك فقد تبادل السلطان سعيد الهدايا مع الرئيس حيث قامم بإرسال هدايا شملت جوادين نجديين ومجوهرات وعطر الورد وماء الورد وسيفاً محلى بالذهب بينما أرسل الرئيس للسلطان سعيد زورقاً بخارياً جميلاً وأربعة مسدسات دوارة وبندقيتين من طراز "كولت" كما كانت هناك هدايا شخصية ليقوم السلطان باستخدامها وكان من بينها شموع ومرايا وورق كتابة وأكواب زجاجية وصحون.

بلغت شحنة السفينة "سلطانة" ما قيمته ٢٦٢٥٧ دولاراً شملت ١٣٠٠ كيساً من التمر، ٢١ بالة من السجاد الفارسي، ١٠٠ صندوق من قهوة "موكا" ، ١٠٨ من الأنياب العاجية، ٨١ حقيبة من الصمغ الراتنجي الصلب، ١٣٥ كيساً من القرنفل وألف قطعة جلد حيواني مجفف.

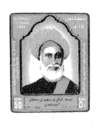
(الصفحة المقابلة): التمور هي السلعة الرئيسة التي تصدرها عمان.

وقد تم بيع الحمولة بكاملها لصالح السلطان سعيد. ثم رجعت السفينة بعد ذلك وهي تحمل ١٢٥ بالة أقمشة رمادية اللون تسمى "مريكاني"، ٢٤ لفافة من القماش القرمزي و١٣ حقيبة من الخرز الأبيض والأحمر و٣٠٠ بندقية بالإضافة إلى البارود والصحون الصينية.

وقد تعرضت السفينة "سلطانة" في رحلة العودة إلى طقس رديء ولكنها وصلت زنجبار بسلام بعد عشرة أشهر من إقلاعها وذلك بفضل الربان الأمريكي "ساندويذ درنكر" الذي حل محل "سلي مان".

وهكذا انجز أحمد بن نعمان رحلته الفريدة وكانت تلك هي البعثه الدبلوماسية العربية الأولى للولايات المتحدة.

وفي الواقع فإن الأعوام من ١٨٦٢م إلى ١٨٧٢م شهدت دمار ذلك النظام التجاري المزدهر حيث أثر ظهور السفن البخارية في أوربا على العمانيين الذين لم تكن



في عهد السلطان تركي (١٨٧١ – ١٨٨٨) حلت السفن البخارية محل السفن الشراعية مما أدى إلى تقلص حجم النشاط التجاري وبالتالي انخفاض مستوى الدخل بصورة كبيرة

لديهم الأموال أو المعرفة التي تمكنهم من اقتناء ذلك الاختراع الجديد. وعلى الرغم من التوسع الملحوظ الذي شهدته تجارة الخليج إلا أن عُمان لم تستفد من ذلك. وهكذا صارت السفن البخارية تحمل البضائع التي كانت تحملها السفن العمانية الضخمة وتتوقف في موانيء الخليج مما أدى إلى ازدهارها وإلى أفول شمس الازدهار عن مسقط.

كما بدأت تلك السفن العمانية الضخمة تختفي وفي أواخر القرن التاسع عشر تراوحت حمولة أكبر السفن العمانية ما بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ طن ثم ازداد الطلب على السفن الأصغر حجماً القادرة على حمولة عشرة أطنان.

كما تغير النمط التجاري أيضاً حيث اقتصرت التجارة إلى حد بعيد على السلع الرئيسة والضرورية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بعد أن كانت هناك سلع متنوعة بما فيها السلع الكمالية. وكان هذا الأفول التجاري ملحوظاً بسبب تناقص عدد السكان. لقد كان عدد سكان مسقط حوالي ٥١٠٥ الف نسمة في خمسينات القرن الثامن عشر وتراوح عدد سكان مطرح مابين ثمانية إلى ٢٠ ألف نسمة أما في ستينات القرن التاسع عشر فقد تناقص العدد في مسقط إلى خمسة أو ستة آلاف فقط كما كان عدد سكان مطرح يزيد على ذلك بقليل ولم يتغير الوضع السكاني إلا بعد تغير الحكم في عام ١٩٧٠م حيث عاد الرخاء إلى المنطقة.

الزيزفــون

كانت ثمار "الليم" الصغيرة المستديرة الخضراء إحدى المنتجات الزراعية العانية وكانت تزرع على وجه التحديد في منطقة الباطنة لأزمان عديدة وكانت من حيث الصادرات تأتي في المرتبة الثانية بعد التمر. كما كان تجفيف "الليم" وتعبئته مصدر دخل إضافي دائم لسكان المدن الساحلية ، وكان "الليم" المجفف وما يزال يصدر إلى منطقة الخليج كما كانت كميات كبيرة منه تصل إلى جنوب العراق ومن هناك توزع إلى أنحاء الدولة. ولا يزال العراقيون يسمونه (اللومي البصري) حيث يصنعون منه مشروباً كالشاى يسمى "الشاي الحمضي" ويشربونه محلى بالسكر في العادة. وفي أوائل السبعينات (١٩٧٠) كان "الليم" من أهم الصادرات بعد النفط وقد ساهم بقدر كبير في دخل عمان وقد بلغت قيمته ٣٣٣ر٣٠٠ ريال عماني.

التمــور

تنتشر اشجار النخيل في كل ارجاء عمان وربوعها لتصل إلى مناطق يبلغ ارتفاعها ٢٠٠٠ قدم ماعدا في ظفار. وكانت مزارع النخيل في الباطنة تمتد أحيانا إلى سبعه اميال في الداخل على امتداد الساحل وكان عدد اشجار النخيل في وادي سمائل يبلغ حوالى ٦٠٠ الف نخلة في بداية القرن. إن أجود أنواع التمور العمانية هي المبسلي والفرض والخلاص. ولطالما كان التمر أحد الصادرات الرئيسة في الدولة خلال حقب التاريخ. وفي أواخر القرن التاسع عشر زادت صادرات التمور بشكل ملحوظ حتى أصبحت أهم صادرات عمان. وبحلول عام ١٨٨٠م ازدادت الكميات المصدرة إلى الهند والولايات المتحدة وكان المستوردون الأمريكيون يفضلون الفرض. كما ازدادات مبيعات التمر الرطب إلى الهند بفضل السكك الحديدية التى كانت تنقله من كراتشي إلى منطقة البنجاب المكتظه بالسكان. اما أنواع التمور الاخرى فكانت تشحن جافة لتقطيرها كمشروبات روحية. وقد بلغت قيمة صادرات التمر العماني ٧٥٠ الف دولاراً في عام ١٨٩٠.

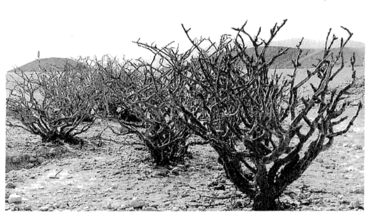
وعلى أية حال فقد تقلصت تجارة التمور في منتصف القرن العشرين بشكل ملموس حيث وصلت قيمة الصـادرات منه في عام ١٩٧٣ إلى حوالي ١١٨ ألف دولار فقط.

في الشعائر الجنائزية ، كان الامبراطور "نيرون" يحرق كميات كبيرة من اللبان الظفاري.

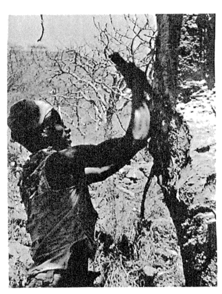


اللبـــان

نالت ظفار شهرتها وازدهارها من تجارة اللبان الذي استخدمت منه كميات هائلة في القديم ، ومن المحتمل أن زيارة ملكة سبأ للنبي سليمان عليه السلام في أواسط القرن العاشر قبل الميلاد كانت بهدف تأمين اتفاقية حول



نادرا ما يتجاوز طول أشجار اللبان تسعة أقدام . ويعتبر اللبان النجدي أفضل أنواع اللبان ، حيث يؤتى به من شمال جبال ظفار. تتحلب كريات اللبان بعد ان تجرح جذوع الشجرة بدقة ويتم جمع محاصيل اللبان في شهري مارس وابريل قبل سقوط أمطار الخريف.





اللبان والصمغ المر لصالح الطرفين. وقد قال "هيرودوتس" في القرن السادس قبل الميـلاد إن حـوالى طنين ونصف من اللبان كانت تحرق سنوياً في معبد " بل " في بابل كما كان يستخدم أيضاً في معابد مصر وبلاد مابين النهرين منذ قديم الأزمان.

لقـد قدم البخور مع الصمغ المر والذهب كهدية لعيسى عليه السلام وهو في المهد كما قام الإمبراطور الروماني "نيرون" بحرق انتاج شبه الجزيرة العربية السنوي في جنازة "بوبايا".

والبخور عبارة عن لبان ينضح من لحاء شجرة اللبان عن طريق عمل قروح متعمدة في الشجرة تؤدي إلى تكوين كريات من الصمغ تجمع بواسطة الأهالي الذين يقومون بتقريح اللحاء. ويتم تقريح الأشجار التي يزيد ارتفاعها على ثمانية أقدام أو تسعة عندما يكون عمرها ثلاث سنوات أو أربع وتجمع كريات الصمغ في مارس وإبريل ومايو.

وعلى الرغم من أن اشجار الصمغ تكثر في كل المناطق في جنوب بلاد العرب وفي الصومال وافريقيا إلا أن أشجار اللبان تقتصر على منطقة ظفار وأماكن معينة



في جنوب بلاد العرب والصومال. إن أحسن منطقة للبان هي ديار قبيلة آل كثير في نجد أو السهل الواقع جنوب جبال ظفار. إن اجود أنواع اللبان هو النجدي ويأتي بعده الذي يجمع في جبال القرا، أما أقل الأنواع جودة فهو الشاعبي الذى يجمع في السهل الساحلي.

كان اللبان يصدر عن طريق البحر في العصور القديمة نشطت الصناعة وازدهرت من جديد. (أسفل) من سمهرم كان اللبان الظفاري يصدر إلى بلاد الرومان. أما اليوم فيصدر هذا اللبان إلى مسقط.



غير أن كميات كبيره منه كانت تنقل بواسطة قوافل الجمال إلى الاسواق في الشمال. لقد كانت هناك ثلاث طرق رئيسة عبر وادي ميتن ووادي فصد : وكان أحد هذه الطرق يمر عبر صحراء الربع الخالي في اتجاه الشمال الغربي أما الطريق الثاني فيمر بحافة الرمال إلى حضرموت ليلتقي بالطريق الرئيسي الذى كان يبدأ من مدينة شبوه ومن هناك إلى تمنه، مارب، معن ، يثرب (المدينة حالياً)، مدائن صالح، البتراء، ديدان ثم غزه.

أما الطريق الثالث الذي كان يستغرق ٤٠ يوماً على الجمال فكان يربط الطريق المؤدي من حضرموت عبر أواسط شبه الجزيرة العربية إلى مدينة "جرّه" على الساحل العربي للخليج مقابل البحرين مع أنه لم يتم تحديد موقع تلك المدينة حتى الآن.

وفي أواخر القرن الثالث قبل الميلاد صارت جرّه المركز التجاري الرئيس في الخليج ويبدو أنها بقيت كذلك لعدة قرون حيث يصف "بليني" (٢٣ - ٧٩ ميلادية) جدرانها بأن قطرها كان يبلغ خمسة أميال.

صادرات اخرى

هناك كميات قليلة من التبغ كانت تزرع منذ فترة طويلة في الباطنة ومناطق أخرى محدودة في عُمان وكان بعض هذه الكميات يستخدم للاستهلاك المحلى بينما يتم تصدير بعضه إلى دولة الإمارات العربية. لقد بلغت عائدات التبغ ٣٤٫٨٠٠ ريال عُماني في عام ١٩٧٣م.

وفي الماضي كانت عُمان تقوم بتزويد السفن الزائرة إضافة إلى صادراتها وخاصة إلى دولة الامارات بكميات وافرة من الخضراوات والفاكهة ولكن ليس هناك احصائيات في هذا الصدد.

لقد أعطت الحكومة الجديدة في عام ١٩٧٠ حافزاً جديداً للزراعة فكانت صادرات الخضراوات والفواكة تقدر بمبلغ ١٦٠ الف ريال عُماني في عام ١٩٧٣. ومن جانب آخر فقد ازدهرت تجارة الأسماك الطازجه والمجففة والمملحة ضمن نطاق محدود منذ فترات زمنية بعيدة.

جـــداول تاريخيـــة

قبل الميلاد

١٢٠٠٠ حضارة العصر الحجري في شمال عمان وشيصور في ظفار.

٣٠٠٠ بداية صناعة الفخار عصر جمدت نصر

٢٣٥٠ سفن مجان تتاجر مع "سرجون" في سومر

٢٢٧٥ "نارامسن" الأكادي يفتح مجان.

٢٠٢٥ ذكر نجاري السفن في الكتابات السومرية.

٢٠٢٥ مجان تتاجر مع "إيبي – سن" في أور.

٢٠٠٠ قيام دلمون

١٣٠٠ـ ١٤٠٠ الاتصالات بين عمان ولورستان في ايران

٨٠٠ –٧٠٠ يعرب يقوم بالغزو من جنوب الجزيرة العربية وربما تم تعيين أخيه عمان حاكما

٧٠٠ استئناف التجارة مع الخليج وبابل

٥٦٣ سايروس العظيم ملك بلاد الفرس يحتل عمان

٥٦٣ تطوير نظام الأفلاج

٥٠ ذكر عمان لدى الكاتب "بليني"

٢٠٠ هجرة الأزد الى عمان بقيادة مالك بن فهم

٢٣٠ "أردشير" الاول مؤسس حكم الساسانيين الفرس يستعيد سيطرته المحكمة على عمان

٥٢٠ "خوسرو" الأول الفارسي يسيطر على عمان في منافسة مع الأكسوميين في الحبشة للسيطرة على بلاد العرب من القرن الخامس إلى القرن السابع الأسقفية المسيحية في صحار

٦٣٠ عمرو بن العاص يصل عمان حاملا رسالة من النبي محمد (ص) ودخول عمان في الاسلام

٦٩٠ أبوجي الأزدي (في عمان) يبسط نفوذه على البصره

٧٢٠ انتهاء نفوذ الأزد والعودة إلى عمان القرن الثامن سليمان وسعيد المشتركان في حكم عمان يذهبان إلى "أرض الزنج" (في شرق افريقيا) عندما يحتل جنود الخليفة عمان.

٧٥١ انتخاب الجلندى بن مسعود اول إمام شرعي للإباضيين

٨٩٣ جنود الخليفة يجتاحون عمان بقيادة محمد بن نور وتنشب الحروب الأهلية القرن الثامن الرحلات العمانية إلى الصين

٩٢٩ "الكارماثيون" يحتلون عمان

٩٥٠ صحار أهم ميناء بحري في الإسلام

٩٧١ البويهيون يدمرون صحار

١٠٦٤ السلاجقة يغزون عمان

١١٣٥–١٤٣٥ عمان بدون أئمة ويحكمها ملوك نبهان

١١٠٠–١٣٠٠ الأسرة الحاكمة العمانية تسيطر على قيس التي كانت مركزا لتجارة الخليج

١٢٥٠ هرمز تسيطر على ساحل عمان

١٤٣٥ عودة الإمامة

١٤٩٧ الربان العماني أحمد بن ماجد يقود رحلة "فاسكو دي جاما" من "ماليندي" في شرق أفريقيا إلى كاليكت في الهند.

١٥٠٧ "البوكيرك" يخضع عمان لسيطرة البرتغاليين

١٥٥٠ "بيري ريس" القائد العام للأسطول التركي يهاجم مسقط

١٥٨١ تتعرض مسقط لهجوم الأتراك مرة أخرى بقيادة علي بك.

١٥٨٧ـ ١٥٨٨ البرتغاليون يكملون بناء قلعتي الميراني والجلالي.

١٦٢٤ انتخاب ناصر بن مرشد أول أئمة اليعاربة

١٦٤٦ التحالف التجاري بين الإمام و"فيليب وايلد" التابع للشركة الإنجليزية في شرق الهند.

١٦٥٠ الإمام سلطان بن سيف يستعيد مسقط من البرتغاليين

١٦٥٩ التحالف بن الإمام والكولونيل "رينزفورد" من شركة الهند بخصوص تجارة الإنجليز في مسقط.

١٦٦٠–١٦٧٠ الإمام سلطان بن سيف يشيد قلعة نزوى

١٦٧٠ الشركة الهولندية في شرق الهند تستاجر مكتبا في مسقط أواسط القرن ١٧ عمان تسيطر على أجزاء كبيرة من ساحل شرق أفريقيا

١٦٧٥ الإمام بلعرب يشيد قلعة جبرين

١٦٩٤ـ ١٦٩٨ العمانيون يهاجمون البرتغاليين في بومباي وشرق افريقيا

١٧٠٨ الإمام سلطان بن سيف الثاني يشيد قلعة في الحزم

١٧١٨ – ١٧٤٧ اندلاع الحرب الأهلية في عمان

١٧٤٨ انتخاب احمد بن سعيد أول إمام من الأسرة البوسعيدية – طرد الفرس الذين شاركوا في الحرب الأهلية من عمان

١٧٥٦ـ ١٨٠٤ السلطان العثماني يدفع الخراج للائمة عن طريق والي البصرة رمزا للصداقة

١٧٦٠ التحالف بين الإمام وامبراطور المغول. تاسيس البعثة المغولية في "دار النواب" في مسقط.

١٧٧٥ وفاة الإمام سعيد في الرستاق

١٧٩٤ السيد سلطان يحصل على هرمز و قيشم وهنجام وبندر عباس وشاهبار وجوادر وقد أعيدت كل هذه المدن إلى فارس في أواسط القرن التاسع عشر ماعدا جوادر.

١٧٩٨ التفاوض بين الحكومة البريطانية والسيد سلطان في معاهدة قولنامة.

١٧٩٩ "نابليون" يبعث بخطاب للسيد سلطان بن أحمد ويخاطبه بلقب "إمام".

١٨٠٠ الكابتن "مالكولم" يوقع اتفاقية تحالف بين بريطانيا وعمان.

١٨٠٠ الوهابيون يستولون على البريمي ويقومون بسلسلة من الغارات داخل عمان تستمر من القرن التاسع عشر حتى الستينات

١٨٠٤ـ ١٨٥٦ حكم السيد سعيد بن سلطان

١٨٠٧ اتفاقية صداقة وتجارة بين فرنسا وعمان (لم تدم طويلا).

١٨٠٩ السيد سعيد يشترك مع البريطانيين في الهجوم على رأس الخيمة والجنود البريطانيون والعمانيون يهاجمون الوهابيين في مقرهم بشناص

١٨١٩ السيد سعيد يشترك مع البريطانيين في المزيد من الهجوم على رأس الخيمة

١٨٢٠ انتهاء نفوذ القواسم والمعاهدات الموقعة مع إمارات الساحل المتصالح

١٨٢٠ـ١٨٢١ الحملات العمانية البريطانية ضد بني بوعلي

١٨٢٩ السيد سعيد ينتزع ممباسة من المزاريع العمانيين ويركز على امبراطورية شرق أفريقيا جاعلا زنجبار عاصمته الثانية

١٨٣٣ توقيع اتفاقية صداقة وتجارة مع الولايات المتحدة

١٨٤٠ السيد سعيد يبعث أحمد بن نعمان إلى الولايات المتحدة

١٨٥٦ انقسام سلطنتي عمان وزنجبار

١٨٥٦ـ ١٨٦٦ حكم السيد ثويني بن سعيد في عمان

١٨٦٢ اتفاق مشترك بين بريطانيا وفرنسا على احترام استقلال عمان وزنجبار

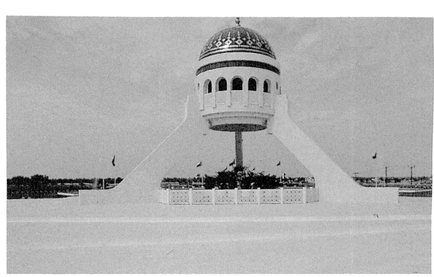
١٨٦٨ـ ١٨٨٨ حكم الإمام عزان بن قيس

١٨٦٩ عزان وابراهيم بن قيس يستوليان على قلعة الحزم من أسرة اليعاربة

١٨٧١ـ ١٨٨٨ حكم السيد تركي بن سعيد

١٨٧٧ اتفاقية تجارية بين مسقط وهولندا

١٨٧٩ احتلال ظفار مرة ثانية من قبل جنود السيد تركي



١٨٨٨ – ١٩١٣ حكم السيد فيصل بن تركي

١٨٩٥ المنشقين بقيادة الشيخ صالح بن علي يحتلون مسقط

١٩٠١ مد الخط التلغرافي (البرقي) بمسقط

١٩١٣ ـ ١٩٣٢ حكم السيد تيمور بن فيصل

١٩١٣ اختيار سالم بن راشد الخروصي إماما

١٩٢٠ اتفاق السلطان تيمور وقبائل المنطقة الداخلية في السيب اختيار محمد بن عبدالله الخليلي إماما

١٩٣٢ـ ١٩٧٠ حكم السيد سعيد بن تيمور

١٩٥٢ السعوديون يحتلون البريمي

١٩٥٤ـ ١٩٥٩ تمرد الإمام غالب بن علي

١٩٥٥ العمانيون يعودون إلى احتلال البريمي

١٩٥٨ التخلي بموجب اتفاق الشراء عن جوادر لباكستان

١٩٦٠ "مسالة عمان" تناقش لاول مرة في الامم المتحدة

١٩٦٥ـ١٩٧٥ التمرد في ظفار

١٩٦٧ انتاج النفط بكميات تجارية لاول مرة

١٩٧٠ تولي صاحب الجلالة السلطان قابوس مقاليد الحكم

١٩٧١ قبول عضوية عمان في الامم المتحدة وجامعة الدول العربية – نهاية مناقشة "مسالة عمان في الأمم المتحدة – إقامة علاقات دبلوماسية مع بريطانيا والهند وباكستان مع الولايات المتحدة وايران ومصر والسعودية وفرنسا ودول اخرى

١٩٧٢ وفاة السيد سعيد بن تيمور

١٩٧٣ افتتاح مطار السيب الدولي

١٩٧٤ تاسيس غرفة تجارة وصناعة عمان . افتتاح ميناء السلطان قابوس

١٩٧٥ انتهاء التمرد في ظفار

١٩٧٦ بداية الخطة الخمسية الأولى

١٩٧٩ شركة التعدين العمانية تبدأ الانتاج – إنشاء الإدارة العامة لموارد المياه.

١٩٧٩ بداية مشروع "المها العربي الأبيض" بجدة الحراسيس

١٩٨١ تاسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية والمجلس الاستشاري – بداية الخطة الخمسية الثانية.

١٩٨٢ افتتاح حقول ريما النفطية . ومصفاة ميناء الفحل.

١٩٨٤ افتتاح كلية عمان الفنية الصناعية

١٩٨٥ اجتماع القمة السادس لدول مجلس التعاون الخليجي . احتفالات العيد الوطني الخامس عشر في نوفمبر – قيام العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي

١٩٨٦ بداية الخطة الخمسية الثالثة – افتتاح حقول نمر النفطية – افتتاح جامعة السلطان قابوس – رحلة السفينة "شباب عمان" لنيويورك

١٩٨٧ افتتاح المستشفى السلطاني بالغبرة – افتتاح قاعدة سعيد بن سلطان البحرية في ودام الساحل.

١٩٨٩ افتتاح سوق مسقط للأوراق المالية – اكتشاف أكبر كمية من الغاز الطبيعي في سيح ال النهايدة – اجتماع القمة العاشر لدول مجلس التعاون الخليجي بمسقط.

١٩٠٠–١٩٩١ حرب الخليج لتحرير الكويت

١٩٩١ افتتاح مجلس الشورى

١٩٩٤ تخريج أول دفعة من الأطباء العمانيين (٤٨) في جامعة السلطان قابوس.

١٩٩٥ الاحتفالات باليوبيل الفضي لجلالة السلطان قابوس.

حكـام عمـان

هجري	ميلادي	الأئمة	العاصمة (إن عرفت)
١٣٥	٧٥١	الجلندى بن مسعود	–
–	–	محمد بن عفان	نزوى
١٨٥	٨٠١	الوارث بن كعب	نزوى
١٩٢	٨٠٧	غسان بن عبدالله	نزوى
٢٠٨	٨٢٤	عبدالملك بن حمد	–
٢٢٦	٨٤٠	المهنا بن جيفر	نزوى
٦٣٧	٨٥١	الصلت بن مالك	–
٢٧٣	٨٨٦	راشد بن النظر	–
٢٧٧	٨٩٠	عزان بن تميم	نزوى
٢٨٤	٨٩٧	محمد بن الحسن	–
٢٨٥	٨٩٨	عزان بن الحزر	–
٢٨٦	٨٩٩	عبدالله بن محمد	–
٢٨٧	٩٠٠	الصلت بن القاسم	–
٢٨٧	٩٠٠	حسن بن سعيد	–
٢٩٢	٩٠٤	الهواري بن مثراف	–
٣٠٠	٩١٢	عمر بن محمد	–
–	–	محمد بن يزيد	–
–	–	الملا البحري	نزوى
٣٢٨	٩٣٩ ؟	سعيد بن عبدالله	–
–	–	راشد بن الوليد	نزوى
٤٠٠	١٠٠٩	الخليل بن شذان	–
٤٤٥	١٠٥٣ ؟	راشد بن سعيد	–
٤٤٥	١٠٥٣	حفص بن راشد	–
٤٤٦	١٠٥٤	راشد بن علي	–
5٥٤٩	١١٥٤ ؟	موسى بن جابر	نزوى
–	–	فترة حكم ملوك النباهنة	
٨٠٩	١٤٠٦	مالك بن علي –	
٥٤٩	١١٤٥	الفلاح بن المحسن	مقنيات
–	–	عرار بن فلاح	مقنيات
–	–	مظفر بن سليمان	
٨٠٩	١٤٠٦	مخزوم بن الفلاح	بهلاء
		الأئمــة	
٨٣٩	١٤٣٥	ابو الحسن	–
٨٥٥	١٤٥١	عمر بن الخطاب	–
٨٩٦	١٤٩٠	عمر الشريف	–
		احمد بن محمد	بهلاء
٩٠٦	١٥٠٠	محمد بن اسماعيل	إزكي
٩٣٦	١٥٢٩	بركات بن محمد	نزوى
٩٦٧	١٥٦٠	عبدالله بن محمد	بهلاء
		أسرة اليعاربة	
١٠٣٤	١٦٢٤	ناصر بن مرشد	الرستاق
١٠٥٩	١٦٤٩	سلطان بن سيف (1)	الرستاق
١٠٧٩	١٦٨٨	بلعرب بن سلطان	جبرين
١١٢٣	١٧١١ ؟	سيف بن سلطان (1)	الرستاق
١١٢٣	١٧١١	سلطان بن سيف (2)	الحزم
١١٣١	1718	سيف بن سلطان (2)	–
١١٣١	١٧١٨	مهنا بن سلطان	الرستاق
١١٣٤	١٧٢١	يعرب بن بلعرب	نزوى
١١٣٥	١٧٢٢	سيف بن سلطان (2) (استعاد الحكم)	الرستاق
١١٣٧	١٧٢٤	محمد بن ناصر	جبرين
١١٤٠	١٧٢٨	سيف بن سلطان (2) (استعاد الحكم)	الرستاق
١١٥١	١٧٣٨	سلطان بن مرشد	الرستاق
		الأسرة البوسعيدية	–
		الأئمة المختارون	
١١٥٤	١٧٤١	احمد بن سعيد	الرستاق
١١١٨	١٧٧٥	سعيد بن احمد	الرستاق
		السادة والسلاطين	
١١٩٣	١٧٧٩	حمد بن سعيد	مسقط
١٢٠٦	١٨٩٢	سلطان بن احمد	مسقط
١٢١٩	١٨٠٤	سعيد بن سلطان	مسقط وزنجبار
١٢٧٣	١٨٥٦	ثويني بن سعيد	مسقط
١٢٨٣	١٨٦٦	سالم بن ثويني مسقط	
١٢٨٥	١٨٦٨	عزان بن قيس	مسقط
١٢٨٧	١٨٧٠	تركي بن سعيد	مسقط
١٣٠٦	١٨٨٨	فيصل بن تركي	مسقط
١٣٣٢	١٩١٣	تيمور بن فيصل	مسقط
١٣٥١	١٩٣٢	سعيد بن تيمور	مسقط
١٣٩٠	١٩٧٠	جلالة السلطان قابوس بن سعيد مسقط	

شرح المصطلحات

أ

أباظية: مذهب إسلامي تتبعه غالبية اهالي عُمان وينسب الى عبدالله بن اباض.
أبو فتيلة: بندقية فتيل.
أشقر: تفاح سبدوم.
أمة: الأمة الإسلامية.
أوقاف (مفردها وقف): امانات دينية أو إدارية، على سبيل المثال افلاج.
إمام: مرشد روحي وديني للناس قد يتولى أحياناً منصب حاكم قريب للملوكية، ويؤم المصلين في مواعيد الصلاة.

ب

بايس: عملة هندية.
بدار: قرويون مسؤولون عن أداء مهام محددة.
براستي: بيت مشيد من جذوع وسعف النخيل.
بردى: مكان منعزل مخصص للنساء المسلمات.
برقة: كهمامة تُرتدى من قبل بعض النساء العُمانيات.
بشت: عباءة ترتدى فوق الدشداشة .
بغلة: سفينة كبيرة بمؤخّبرة محفورة.
بنجاري: سوار فضي.
بنو: بادئة قبلية تعني "أبناء عشيرة ..."
بوارجي: قراصنة هنود في القرن التاسع الميلادي.
بيبي: سيدة جليلة.
بيدين: مركب صغير يصنع تقليديا من الواح خشبية سميكة مُخاطة وليست مثبتة بمسامير.

ت

تابعي: أحد اتباع صحابة الرسول (ص).
تومان: عملة كانت تستخدم سابقا في عمان وإيران.

ج

جلبوت: مركب ذو مقدمة مرتفعة ومؤخرة افقية.
جزيل: بندقية فتيل.
جعلان: خنفساء مائية، أسم قبيلة.
جهاد: حرب مقدسة

ح

حج: اداء مناسك الحج في مكة المكرمة والأماكن المقدسة الأخرى.
حلوى: حلوى من النشا والسكر والزبدة واللوز، الخ.

خ

خراج: ضريبة تفرض على غير المسلمين.
خشب: مركب عادي (كلمة عامة).
خلاص: نوع من التمور
خليفة: خليفة النبي محمد (ص) وقائد العالم الاسلامي.
خنجر: نوع من المديّات المعقوفة يحملها الرجال العُمانيون.
خول: ظل لتزيين أجفان العينين.

د

داودي: مشتق من أسم سليمان بن داود (النبي سليمان أبن النبي داود).
دجن: روح.
دشداشة: رداء أبيض يرتديه الرجال.
ديوان: مكتب مجلس السلطان الإداري.

ر

رؤية: مشاهدة هلال الشهر القمري الجديد.
راس: أرض داخلة في البحر، رأس.
ربابة: آلة موسيقية وترية.
ريحة: نوع من التوابل يستخدم في مراسم دفن الموتى.
ريم: غزال.

ز

زار: روح شريرة.
زالجي: خزف مزخرف، آجر زخرفي.
زهد: العيش بسماحة كمسلمين.

س

سمبوق: مركب يستخدم لصيد اللؤلؤ.
سني: مذهب إسلامي تقليدي.
سورة: شجرة صغيرة.
سيل: حلية فضية مثلثة الشكل تشبك في غطاء الرأس.

ش

شاحوف: مركب.
شادوف: آلية رفع الماء بواسطة الدلو.
شاشة: مركب مصنوع من سعف النخل.
شاي حامض: مشروب شبيه بالشاي يتم تحضيره من الليمون الحامض.
شذا: شوال مصنوع من قطعتين من الملابس.
شزري: نوع من أنواع البخور المتوسط الجودة.
شعبي: اقل أنواع البخور جودة.
شهرX: جبل (في مرتفعات الجبالي).
شوعيX: مركب صيد صغير.
شيخ: رئيس قبيلة.
شيعة: طائفة إسلامية رئيسية، يؤمن اتباعها بشرعية خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة فقط وأن تتابع الخلافة كان من المفترض أن ينتقل الى ابناء الإمام علي بن أبي طالب (رض) أبن عم النبي (ص) وزوج ابنته.

ص

صحابة: أصحاب النبي محمد (ص).
صدقة: ضريبة، صدقة طوعية (جمع صدقات) تنفق لأغراض دينية.

ض

ضب: سحلية، اسم قبيلة.

ط

طهر: ماعز جبلي Hemitragus Jayakari

ظ

ظبي: غزال

ع

عابرة: مركب يعبر أو ينقل به من شاطئ الى آخر.
عباية: عباءة ترتدى من قبل النساء العربيات.
عراد: ادغال ملحية.
عريف: مراقب أفلاج الري
عسكر: حرس
علماء: هيئة من الرجال المضطلعين بشوؤن الدين الإسلامي الحنيف.
عيد: احتفال ديني لدى المسلمين.
عُدة: فترة لا يجوز فيها للمراة المطلقة أو الأرملة ان تعقد قران جديد خلالها.

غ

غنجة: بغلة صغيرة.
غيل: طريقة للري من مياه نبع.

ف

فرد: نوع من أنواع التمر.
فلج: نظام قنوات لتوزيع مياه الري.

ق

قاشاني: زخرفة على الآجر.
قاضي: قاضٌ بالفقه الإسلامي.
قرش: دولار ماريا تيريزا.
قعاد: "متصوف" طبقاً للمدرسة الأباضية.
قعدة: حصص أولية في ملكية الافلاج.
قفطان: كساء خارجي.
قناة: قناة مائية تحت الأرض كما هو الحال في إيران.
قوالنمة: صيغة معاهدة.
قوزي: لحم محمص يقدم على مقدار وافر من الرز.

ك

كافور: نوع من مساحيق التوابل يستعمل في مراسم دفن الموتى.
كتمان: وهي فترة في المذهب الاباضي تحتم على أتباعه التكتم عن إعلان مبادئهم لأسباب سياسية.

ل

لاخ: ١٠٠,٠٠٠ روبية هندية.
لبن: لبن مصفى.
لحاف: غطاء رأس يرتدى من قبل بعض النساء العُمانيات.
لنجي: كساء خفيف يلف حول الجسم.
ليسوا: كساء خارجي يرتدى من قبل بعض النساء العُمانيات.

م

مؤذن: منادي للصلاة.
مبسالي: نوع من التمر.
مجلس: غرفة يستقبل فيها الرجال ضيوفهم.
محراب: مكان وقوف الإمام لإمامة المصلين في المسجد وهو مواجه لمكة المكرمة.
مذهب: مدرسة فكرية أو مذهب.
مشربية: حاجز نافذة خشبية (على الطراز المصري).
مطوع: احد الاتباع المتحمسين للمذهب الاباضي.
ملهة: عهد زواج.
منجل: منجل مسنن.
منوا: سفينة حربية (مشتقة من عبارة Man of War الانجليزية).
مهر: عطاء مقرر يدفعه العريس للعروس.

ن

نجدي: افضل انواع البخور النجدية نوعية.
نيلة: نبات النيلة

و

وادي: وادي نهر جاف.
والي: حاكم محلي لمنطقة معينة.
وزرة: تسمية عمانية لكساء اللنجي.
وعل: ماعز جبلي (وتطلق على ماعز الطهر وتيس الجبل).
ولاية (جمع ولايات): محافظة.
وهابية: احدى طوائف الإسلام التي تنسب الى تعاليم محمد بن عبد الوهاب في المملكة العربية السعودية.

المراجع

أكهيرست، اللواء جون: كسبنا حرباً: الحملة العسكرية في عمان ١٩٦٥–٧٥ مايكل راسل، ١٩٨٢.

الامن الغذائي في دول الخليج: عُمان، بيروت ١٨٧٩.

أوسبورن، كريستين: دول الخليج وعُمان، كروم هيلم ١٩٧٧.

أوفنجتون، جون: رحلات، باريس ١٧٢٥.

إيكلمان، سي: النساء والنظام الاجتماعي في عُمان مطبعة جامعة نيويورك ١٩٨٤.

ابن بطوطة: رحلات ابن بطوطة، جمعية هكلويت، المجلد٢ ١٩٦٢.

اوشي، ريموند: ملوك الرمال في عُمان: تجارب ضباط في سلاح الجو الملكي البريطاني في أقاليم ساحل عُمان المتصالح بجزيرة العرب التي لا يعرف الكثير عنها، ميثون ١٩٤٧.

اوين، آر: الفقاعة الذهبية، كولينز ١٩٥٧.

اوين، آر: بعيداً الى عدن، كولينز ١٩٥٩.

اوين، دبليو. أف. دبليو: سرد تفاصيل رحلات لارتياد سواحل افريقيا والجزيرة العربية ومدغشقر ١٨٦٢–٦٣، لندن ١٨٣٣.

ايتشيسون، تشارلز: مجموعة معاهدات...خاصة بالهند والاقطار المجاورة، كلكتا ١٩٣٢.

ايكلز، جي. ج: سلطنة مسقط وعُمان، مجلة جمعية آسيا الوسطى المجلد ١٤، ١٩٢٧.

ايلتز، هرمن ف: بعثة أحمد بن نعمان إلى الولايات المتحدة سنة ١٨٤٠: رحلة السفينة "سلطانة" الى نيويورك، شركة تنمية النفط (عُمان) المحدودة، ونشره في الأصل معهد إسكس، سالم، ماساشوستس ١٩٦٢.

باث هيرست، آر. دي: اليعاربة في عمان، لم ينشر، رسالة الدكتوراه، اكسفورد ١٩٦٧

بارث، فردريك: صحار – الثقافة والمجتمع في مدينة عمانية، مطبعة جامعة جون هوبكنز ١٩٨٣.

باكنجهام، جيمس سيلك: تجولات في بلاد آشور وميديا وفارس هنري كولبيرن ١٨٢٩.

باوستد، هيو: رياح الصباح، تشاتو و ويندوس ١٩٧١.

بيي، جيفري: البحث عن دلمون، كولينز ١٩٧٠.

بدويل، روبن: استخبارات الخليج العربي. "مختارات من سجلات حكومة بومباي، ١٨٦٥" أوليانذر ١٩٨٥.

برترام، جي. سي. ل: مصائد أسماك مسقط وعُمان، معلومات عن عُمان جمعت من دائرة القرطاسية التابعة لحكومة جلالة الملكة، ١٩٨٤.

بعثة الأمم المتحدة الاقتصادية لغربي آسيا

بل، جرترود: الحرب العربية، لندن ١٩٤٠.

بلجريف، سير تشارلز: ساحل القراصنة، بل ١٩٦٦.

بلغريف، وليم جيفارد: سرد تفصيلي لرحلة عام كامل عبر وسط وشرق الجزيرة العربية ١٩٦٢–٦٣، مجلدان، ماكميلان ١٩٦٨.

بنت، ثيودور: الجنوب العربي سميث الدون، ١٩٠٠.

بوش، برايتون كوبر: بريطانيا والخليج الفارسي ١٨٩٤–١٩١٤ مطبعة جامعة كاليفورنيا ١٩٦٧.

بوش، دون: جزر عُمان الساحلية، لونجمان ١٩٨٢.

البوكيرك: تعليقات، جمعية هيلويت ١٩٦٤، اعيد طبعه سنة ١٩٧٠.

بولدوين، روبرت و سالم: "الحيتان والدلافين على طول ساحل عُمان" مسقط، ١٩٩٤.

بيترسون، جون، أف: عُمان في القرن العشرين: الإسس السياسية لدولة ناشئة، كروم هيلم ١٩٧٨.

بيتون، دبليوز إي: عُمان القديمة، ستايس انترناشنال ١٩٨٣.

بيركهارت، ج. ل: ملاحظات عن البدو والوهابيين، لندن ١٨٣٠.

بيك، م، سي: الإمارات العربية المتحدة، كروم هيلم ١٩٨٦.

بيلجرم، جي. ت: جيولوجية الخليج الفارسي والمناطق المجاورة على البر الايراني والبر العربي، الدراسة الجيولوجية للهند ١٩٠٨.

تاريخ أحداث عُمان، سرحان بن سعيد بن سرحان (١٧٢٣) ترجمت ونشرت لغاية عام ١٨٨٣، مع "ملاحظات حول قبائل عُمان" بقلم أس. ب. مايلز و "العبادية في عمان" بقلم إي. سي. روس، مطبعة أوليانذر ١٩٨٥.

تاونسيند، جون: عُمان: إقامة دولة حديثة، كروم هيلم ١٩٧٧.

توماس، برترام: الحكم العربي في ظل أسرة البوسعيد العمانية ١٧٤١–١٩٣٧. محاضرة زالي في التاريخ – المعهد البريطاني، المجلد ٢٤، ١٩٣٨.

توماس، برترام: رحلة في الربع الخالي، المجلة الجغرافية، المجلد ٧٧، ١ يناير ١٩٣١.

توماس، برترام: قلب الجزيرة العربية، كيب ١٩٣٢.

توماس، برترام: مع قبائل مجهولة في الجنوب العربي، مجلة المعهد الملكي لعلم الأجناس، المجلد ٥٩، ١٩٢٩.

تيبتس، جي. آر: الملاحة العربية في المحيط الهندي قبل مقدم البرتغاليين، لوزاك ١٩٧١.

ثيسيجر، ولفريد: الرمال العربية، لونجمانز ١٩٥٩.

جالاغر، مايكل و ودكوك، مارتن دبليو: طيور عُمان كتب فصلية ١٩٨٠.

جراتز، ليزل: عُمان: حارس الخليج، لونجمان ١٩٨٢.

جراهام، جي. إس: بريطانيا والمحيط الهندي، أكسفورد ١٩٦٧.

جروم، ن: البخور والصمغ، لندن ١٩٨١.

جريفس، فيليب: حياة السير برسي كوكس، هتشنسون ١٩٤١.

جرين، فرانسيس وكيتش، ريتشارد: بحار عُمان المرجانية، ميد ١٩٨٦.

جولدزميد، سير فردريك جون: التلغراف والسفر، ماكملان ١٩٨٤.

جياكار أ. أس. جي: الأمثال العُمانية، مطبعة أوليانذر ١٩٨٦.

جياكار أ. أس. جي: اللهجة العُمانية في اللغة العربية، مجلة الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وآيرلندا، المجلد ٢١ (سلسلة جديدة) الجزء ٢ يوليو ١٨٨٩ والجزء ٢ أكتوبر ١٨٨٩.

جياكار أ. أس. جي: لهجة الشحوح في اللغة العربية، مجلة فرع بومباي للجمعية الملكية الآسيوية، العدد ٥٨، المجلد ٢١، ١٩٠٢.

جيبز، أ. أس. جمعية الأثريات: عملية عُمان، وليم كمبر ١٩٨٠.

جيرمين، ايدريان: عُمان وسلطنة مسقط في كلمات، نشرة الجمعية الجغرافية (الفرنسية) أكتوبر ١٨٦٨.

جيري، جراتان: عبر تركيا الآسيوية، لندن ١٨٧٨.

حتي، فيليب: تاريخ العرب، ماكميلان ١٩٧٠ الطبعة العاشرة.

حسين م. البحارنه: الوضع القانوني لدول الخليج العربي، مانشستر ١٩٦٨.

حوراني، جورج: الملاحون العرب، خياط ١٩٦٣.

الخليج: مضامين الانسحاب البريطاني، مركز واشنطن دي سي للدراسات الإستراتيجية والدولية ١٩٦٩.

دارلو، مايكل و فوكس، ريتشارد: الزاوية الأخيرة للجزيرة العربية رباعية ١٩٧٦.

دليل الجزيرة العربية، شعبة الاستخبارات، أميرالية أركان الحرب، لندن مجلدين ١٩١٦–١٩١٧.

دي غوري، جيرالد: نبذة عن جزيرة مصيرة، المجلة الجغرافية، المجلد ١٢٣، الجزء الرابع ديسمبر ١٩٥٧.

ديكسون، أتش. آر. بي: الكويت وجاراتها، ألن وانوين ١٩٥٦.

الراشد، ز. م.: العلاقات السعودية مع شرق الجزيرة العربية وعُمان (١٨١٠–١٨٧٠) لوزاك أند كو ليميتد ١٩٨١.

رايس، مايكل: آثار الخليج العربي، روتليدج ١٩٩٤.

روبرتس، ادموند: بعثات الى الأبواب العالية الشرقية في الصين وسيام ومسقط على ظهر السفينة الحربية الأمريكية "بيكوك" (الطاووس)، نيويورك ١٨٣٧.

روس، أي. سي: تاريخ احداث عُمان، مطبعة الارسالية المعمدانية، كلكتا ١٨٧٤.

روشنبرجر دبليو. أس: سرد تفاصيل رحلة...تضمنت...بعثة الى سلطان مسقط وملك سيام، لندن ١٨٣٨.

رويتي، اميلي: مذكرات أميرة عربية، برلين ١٨٨٦، لندن ونيويورك ١٨٨٨، باريس ١٩٠٥، نيويورك ١٩٠٨.

ريسو، بي: عُمان ومسقط: لمحة مبكرة في التاريخ الحديث، كروم هيلم ١٩٨٦.

الزبير، محمد: هذه عُمان، ١٩٨٥ ستايسي انترناشنال، ١٩٨٥.

زفمر، القس أس. أن: الجزيرة العربية مهد الاسلام، لندن وأدنبرة ١٩٠٠.

زفمر، القس أس. أن: ثلاث رحلات في شمال عُمان، المجلة الجغرافية المجلد ١٩٠٢.

سالم، رودني، جنسن، رولف أ. سي وباباسترافرو، فاسيلي أ: الثروة البحرية في عُمان: الحيتان والدلافين، السلاحف، طيور البحر ومرجانيات المياه الضحلة، اتحاد صيانة البيئة الدولي ١٩٩٣.

ستيف، آرثر دبليو: مراكز التجارة القديمة في الخليج الفارسي، المجلة الجغرافية المجلد ١٠ العدد ٦، ديسمبر ١٨٩٧.

سعيد رويثي رودولف: سعيد بن سلطان، الكسندر اوسلي ١٩٢٩.

سكيت، ايان: عُمان: السياسة والتنمية، مكميلان ١٩٩٢.

سكيت، ايان: مسقط وعُمان، فابر ١٩٧٤.

سلسلة الحفاظ على حياة الطيور رقم ٢ للنشر: مناطق الطيور الهامة في الشرق الأوسط بيردلايف انترناشنال ١٩٩٤، كامبردج.

سلسيل بن رزيق: تاريخ الأئمة والسادة في عُمان من سنة ٦٦١ الى سنة ١٨٥٦ م: ترجمه وحرره وتابع التاريخ حتى سنة ١٨٧٠ جي. ب بادجر، جمعية هكلويت ١٨٧١.

سمرفيل، نائب الاميرال بويل: واضعو الخرائط البحرية، بلاكوود ١٩٢٨.

سنت ألبانس، الدوقة سوزان: حينما يتوقف الزمن: لمحة عن عُمان، فصلي ١٩٨٠.

سوندرز، دانييل: مجلة الآلام...سالم ماساشوتستس ١٩٧٤.

سيرلي، بولين: فجر فوق عُمان، ولن وانوين ١٨٧٩.

سيفيرن، تيم: رحلة سندباد، هتشنسن ١٩٨٢.

شركة تنمية نفط (عُمان) المحدودة: مختصر تاريخ عُمان منذ أقدم الأزمان، مسقط ١٩٧٢.

شيبرد، انطوني: مغامرة في الجزيرة العربية، كولينز ١٩٦١.

عبد الأمير، أمين: المصالح البريطانية في الخليج الفارسي، أي. ج. بريل لايدن ١٩٦٧.

علامة، سيد سليمان ندفي: الملاحة العربية، لاهور ١٩٦٦.

عمر، امبيرتو: سلطنة عُمان، روما ١٩١٢.

فؤاد، مصطفى م. وهرموزا، جورجيو في: قائمة باسماك عُمان، جامعة السلطان قابوس ١٩٩٣.

الفري، فيليب أس: قادة الحرب في عُمان، هيل ١٩٦٧.

فريزر، جيمس ب. رحلة الى خراسان، لندن ١٨٢٥.

فريمن ـ جرينفيل، جي. أف. بي.: التقويمات الإسلامية والمسيحية مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٣.

فنلون، ك. جي: الإمارات العربية المتحدة، لونجمانز ١٩٧٣ (نشر أولاً بعنوان دول الساحل المتصالح: دراسة إحصائية، الخياط ١٩٦٤)

فيروز، كاجار: سلطنة عُمان، باريس ١٩١٤.

فيلبي، اتش سنت جون ب: جزيرة العرب الوهابية، لندن ١٩٢٨.

فيللرز، آلان: أبناء السندباد، هودر وستاونتون ١٩٤٠.

فيليبس، وندل: عُمان المجهولة، لونجمانز ١٩٦٦.

فيليبس، وندل: عُمان: لمحة تاريخية، لونجمانز ١٩٦٧.

فينس، سير رانيولف: جزيرة الرمال، بلومبسبري ١٩٩٢.

فينس، سير رانيولف: حيثما يخشى الجنود الخطو، هودر وستاوتن ١٩٧٥.

كارتر، ج. آر. ل.: القبائل في عُمان مؤسسة بننسيولار للنشر ١٩٨٢.

كليمنتز، ف، أ: عُمان: أرض روبن، لونجمان١٩٨٠.

كوبلاند، ريجينالد: أفريقيا الشرقية وغزاتها، أكسفورد ١٩٣٨.

كورديريو، لوسيانو: مسقط في المجلة الجغرافية، مجلد ٦ العدد ٢ فبراير ١٨٩٨.

كوستا، باولو م: موسندام أميل للنشر ١٩٩١.

كوكس، سير برسي: رحلات في عُمان، المجلة الجغرافية، المجلد ٦٣ العدد ٣، سبتمبر ١٩٢٥.

كومار، رافيندر: الهند واقليم الخليج الفارسي، دار آسيا للنشر ١٩٦٥.

كيبر، جيمس: ملاحظات عن حرية المرور البحري الى الهند ١٧٨٥.

كيبل، جورج: سرد شخصي لرحلة من الهند الى انجلترا، لندن ١٨٢٧.

كيلي ج. ب: الحدود الشرقية للجزيرة العربية، فابر ١٩٦٤.

كيلي ج. ب: السلطنة والإمامة في عُمان، مذكرة لتشام هاوس، ديسمبر ١٩٥٩.

كيلي ج. ب: بريطانيا والخليج الفارسي ١٧٩٥–١٨٨٠ مطبعة كلرندون ١٩٦٨.

لارسن، تورين وكيكي: فراشات عُمان، بارثولوميو ١٩٨٠.

لاندن، روبرت جي: عُمان منذ سنة ١٨٥٦، مطبعة جامعة برنستون ١٩٦٧.

لو، تشارلز رثبون: تاريخ البحرية الهندية ١٦١٦–١٨٦٣، لندن ١٨٧٧.

لوريمر: المجم الجغرافي، ٤ مجلدات ١٩٠٨–١٩١٥.

ليز، جي. م: جيولوجية عُمان وأجزاء من جنوب شرقي الجزيرة العربية، المجلة الجغرافية المجلد ٨٤ الجزء الرابع ١٩٢٨.

مارلو، جون: الخليج الفارسي في القرن العشرين، مطبعة كريست، ١٩٦٢.

مايلز، س. ب: بلاد وقبائل الخليج الفارسي، الطبعة الثانية كاس ١٩٦٦.

مايلز، س. ب: على الطريق بين صحار والبريمي، مجلة جمعية البنغال الآسيوية، المجلد ٤٦ الجزء الأول ١٨٧٧.

مجلة دراسات عُمان التقرير الخاص رقم ١: النتائج العلمية لمسح الثروة النباتية والحيوانية وزارة الإعلام والثقافة ١٩٧٧.

مجلة دراسات عُمان التقرير الخاص رقم ٢: النتائج العلمية لمسح الثروة النباتية والحيوانية ١٩٧٧ (ظفار) الديوان السلطاني للتشريفات الديبلوماسية والعسكرية، سلطنة عُمان.

مجلة دراسات عُمان التقرير الخاص رقم ٣: النتائج العلمية لمشروع رمال وهيبة عُمان ١٩٨٥–١٩٨٧ المعد من قبل الجمعية الجغرافية الملكية، دائرة المستشار لشؤون صيانة البيئة.

مجلة دراسات عُمان المجلدات ١ـ٨، ١٩٧٥ ـ ١٩٨٥

محاضر جلسات اللجنة الحكومية.

مذكرات حكومتي المملكة المتحدة والمملكة العربية السعودية المقدمة لمحكمة الفصل الدولية في جنيف بشأن نزاع البريمي سنة ١٩٥٥.

مذكرة عن رحلة أو ذكريات عن مجونكا وزنجبار ومسقط وعدن والمخا وموانئ شرقية أخرى، سالم ماساشوستس ١٨٤٥.

مطبعة جمعية التعليم، بيقولا ١٨٦١.

المعامري، أجميد حمود: عُمان إلى اين، دار لانسر للنشر، نيودلهي ١٩٨١.

معلومات تاريخية ومعلومات أخرى مقترنة بمقاطعات عُمان ومسقط والبحرين ومناطق أخرى في الخليج الفارسي. مختارات من سجلات حكومة بومباي رقم ٢٤، بومباي ١٨٥٦.

مكليود أنز، ن: وزير في عُمان، مطبعة أوليناندر ١٩٨٤.

مندافيل، جيمس ب: الزهور البرية لشمال عُمان رسوم دوروثي بوفي، بارثولوميو ١٩٧٨.

منرو، اليزابيث: لحظات بريطانيا في الشرق الأوسط ١٩١٤–١٩٥٦، تشاتو وويندوس ١٩٦٣.

منصور شيخ: سيرة السيد سعيد سلطان مسقط، لندن ١٨١٩.

مورضي، ف: سيرة السيد سعيد ١٨١٩، مطبعة أوليناندر ١٩٨٤.

موريس، جيمس: سلطان في عُمان، فابر ١٩٥٧.

مويزي ـ بارتليت، م: قراصنة ساحل عُمان المتصالح، ماكدونالد ١٩٦٦.

ميلر، انطوني ج. وموريس، ميراندا: نباتات ظفار، الاستعمالات التقليدية والاقتصادية والدوائية. دائرة المستشار لشؤون صيانة البيئة، مسقط ١٩٨٨.

النزاعات بين حكام مسقط وزنجبار

نيبور، كارستن: وصف للجزيرة العربية...١٧٧٤، طبعات مختلفة.

نيكولز، سي. أس: الساحل السواحيلي: السياسة والدبلوماسية والتجارة على طول ساحل افريقيا الشرقية ١٧٩٨–١٨٥٦، الن وأنوين ١٩٧١.

هاملتون، الكسندر: رواية جديدة في وصف جزر الهند الشرقية (١٦٨٨–١٧٢٣) أدنبره ١٧٢٧، ومطبعة أرغونوت ١٩٣٠.

هاي، سير روبرت: دول الخليج الفارسي، معهد واشنطن للشرق الأوسط١٩٥٩.

هلتون، جسوب: المجلة بريستون ١٨٤٤.

هندرسون، ادوارد: هذا التاريخ الغريب المليء بالأحداث فصلي ١٩٨٨.

هوبوود، ديريك: شبه الجزيرة العربية، الن وأنوين ١٩٧٢.

هوجارث، د. جي.: النفاذ والتوغل في الجزيرة العربية، اولسون ريفرز ١٩٠٥.

هولدن، ديفيد: وداعاً جزيرة العرب، فابر ١٩٦٦.

هولي، روث: السفارة البريطانية في مسقط: نبذة تاريخية ١٩٧٤.

هولي، سير دونالد: آداب اللياقة في الجزيرة العربية وعُمان والخليج، ستايسي انترناشنال ١٩٧٨.

هولي، سير دونالد: إمارات الساحل المتصالح، الن و أنوين ١٩٧٠.

هويد، وليام: رحلة الى أعالي الخليج الفارسي...، لندن ١٨١٩.

هيربرت، توماس: سنين من الرحلات في أجزاء متعددة من آسيا وأفريقيا، لندن ١٦٣٨.

هيوز كلارك، مايكل: ميراث عُمان الجيولوجي، شركة تنمية نفط (عُمان) بالاشتراك مع ستايسي انترناشنتال ١٩٩١.

وارد، بي: رحلات في عُمان. خلاصة اسكتشاف وترحال وافية في سلطنة عُمان، مطبعة أوليناندر ١٩٨٦.

وايتلوك، أتش. أتش: سرد وصفي للعرب الذين يقطنون على الساحل بين رأس الخيمة وابو ظبي على الخليج الفارسي، وهو يعرف عادة بساحل القراصنة. جمعية بومباي الجغرافية ١٨٣٥. وزارة الإعلام عُمان ١٩٨٤.

وليامسون، أندرو: صحار ورحلات العُمانيين البحرية في المحيط الهندي، شركة تنمية نفط (عُمان) المحدودة، مسقط ١٩٧٣.

ويتلي، بول: الكيروسين الذهبي، مطبعة جامعة الملايو ١٩٦١.

ويسفيربر، جب: ميهرالز كوبر في عُمان، دير آنشنت ١٩٨١.

ويلان، جون، أديتور: عُمان – دليل عملي للموجز الاقتصادي في الشرق الأوسط "ميد"، الموجز الاقتصادي للشرق الأوسط ١٩٨١.

ويلستد، ج. ر: رحلات الى مدينة الخلفاء على سواحل الخليج الفارسي والبحر الأبيض المتوسط، مجلدان، لندن ١٨٤٠.

ويلستد، ج. ر: رحلات في الجزيرة العربية، مجلدان جون مري ١٨٣٨.

ويلسون، سير آرنولد تي: الخليج الفارسي، مطبعة كلارندون ١٩٢٨.

ويلكان، يوني: خلف الحجاب في الجزيرة العربية، مطبعة جامعة جون هوبكنز ١٩٨٢.

ويلكنسون، جي. سي: المياه والمستوطنات القبلية في جنوب شرقي الجزيرة العربية: دراسة لأفلاج عُمان، مطبعة كلارندون ١٩٧٧.

ويلكنسون، جي. سي: تقاليد الإمامة في عُمان، مطبعة جامعة كامبريدج ١٩٨٧.

ويلكنسون، جي. سي: تنظيم شبكة أفلاج الري عُمان، كلية الجغرافيا، كلية الجغرافيا في جامعة أكسفورد ١٩٧٤.

ويلكنسون، جي. سي: صورة لجغرافية ساحل عُمان المتصالح التاريخية حتى بداية القرن السادس عشر، المجلة الجغرافية، المجلد ١٣٠، الجزء الثالث سبتمبر ١٩٦٤.

ويلكنسون، جي. سي: استقرار العرب في عمان لم ينشر، رسالة الدكتوراة في الفلسفة، اكسفورد ١٩٦٩

وينجيت، ريجنالد: بعيداً عن الأضواء الكاشفة، هتشنسون ١٩٥٩.

اليوسف، محمد بن موسى: النفط والتحولات في عُمان ١٩٧٠–٩٥ ستايسي انترناشنال، ١٩٩٥.

الفهرس

ملاحظة: عندما تسبق أسماء العلم بأداة تعريف ال، فقد تم درجها تحت نفس الأسم. وقد أتبع نفس الإجراء بخصوص الأسماء المسبوقة بكلمة "بن"، دي "de" و د "d". وقد اعتمد التفضيل بين صيغتي "بن" و "أبن" على شيوع الاستعمال. وتشير الأرقام المكتوبة بالخط المائل الى الصفحات التي تظهر عليها الإيضاحات ذات العلاقة الى جانب مصادر النصوص في أحيان أخرى.

أ

ب

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي



علم عُمان

كان لون العلم العماني أحمراً خالصاً لغاية سنة ١٩٧٠. وعند تولي السلطان قابوس مقاليد الحكم أجريت مسابقة لإختيار أفضل تصميم جديد للعلم العماني وقد أختير العلم الحالي المؤلف من الألوان الأحمر والأبيض والأخضر والذي يتضمن رسوماً لأسلحة عمان التلقليدية. وتم الاحتفاظ باللون الأحمر التقليدي لعلم عمان السابق، وإضافة اللون الأبيض لأنه يرمز الى الإمامة ويعبر عن السلام والنقاء، واللون الأخضر الذي يرتبط بالدين الإسلامي الحنيف والذي يمثل منطقة ظفار والمناطق الزراعية في عمان.

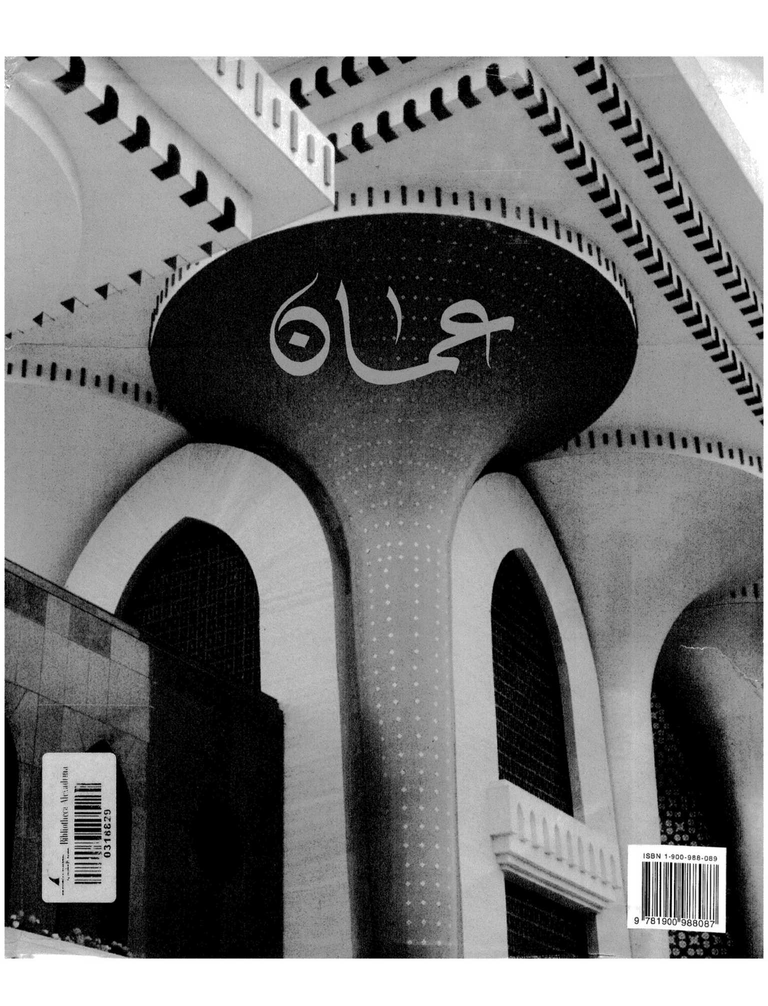
جلالة السلطان قابوس بن سعيد

"لا يمكن مقارنة أي دراسة أخرى عن عُمان مع هذه الدراسة التفصيلية الشاملة" الموجز الاقتصادي للشرق الأوسط.

"كتاب عمان ونهضتها الحديثة هو كتاب مُعد بطريقة بالغة الجمال، ويتضمن صوراً رائعة الألوان لمناظر عمان الطبيعية وسكانها والفن المعماري فيها... ويُكمله نص ممتع سهل القراءة". الشرق الأوسط

"ثروة من المعلومات التاريخية الجغرافية والحضارية... تستعرض التأثير المرئي للتغيرات الحاصلة في عمان بشكل مثير للاعجاب ضمن عمل مقدم باسلوب بالغ الاكتمال" مجلة الشؤون الدولية

"يستحق المؤلف ومؤسسة ستايسي الدولية التهنئة على هذا الكتاب الممتع والشامل والجذاب الذي يلقي الضوء على الجوانب التاريخية والحضارية والطموحات العصرية لقطر عربي هام" اخبار العرب.



ISBN 1-900-988-089
9 781900 988087